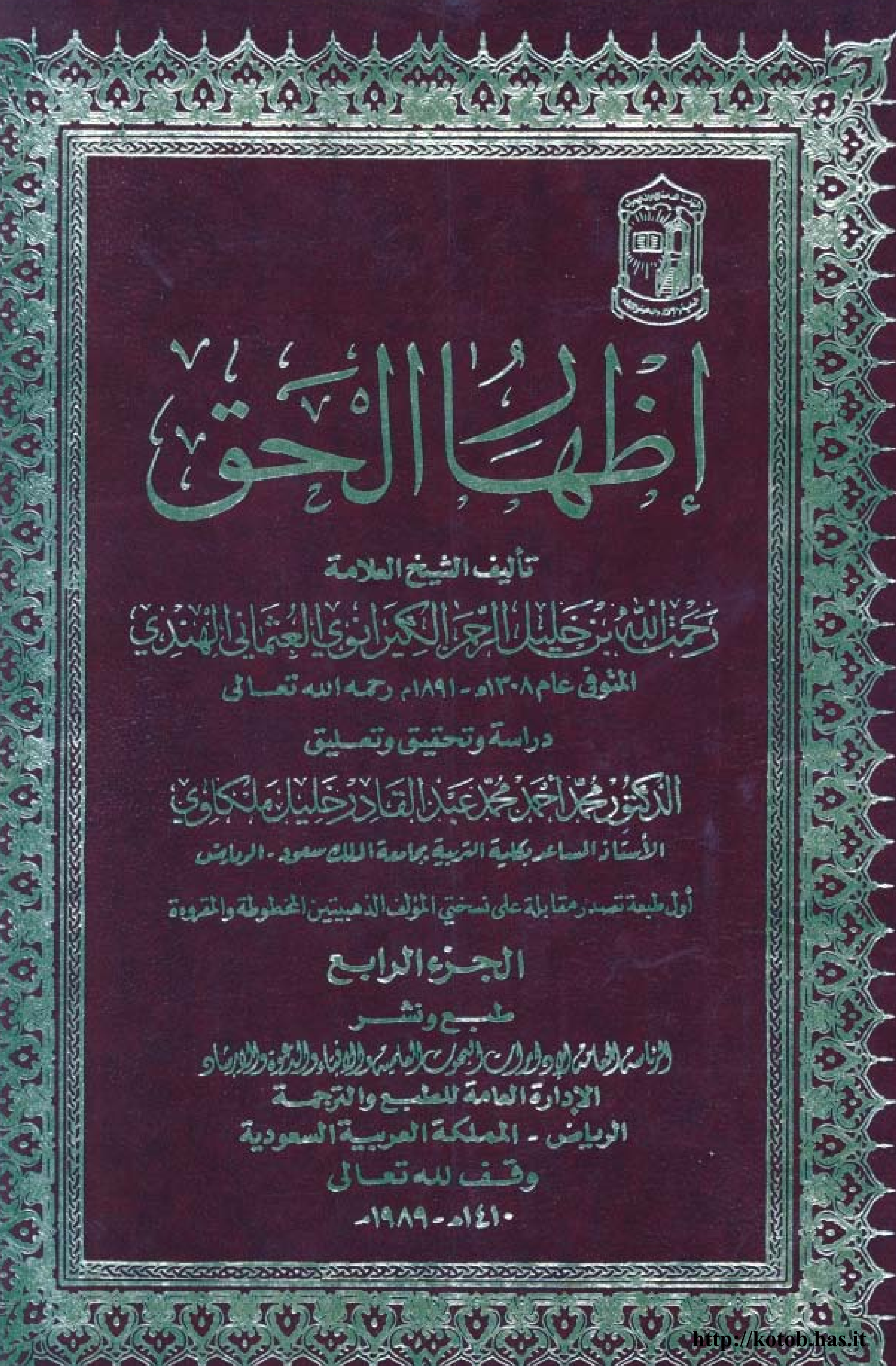
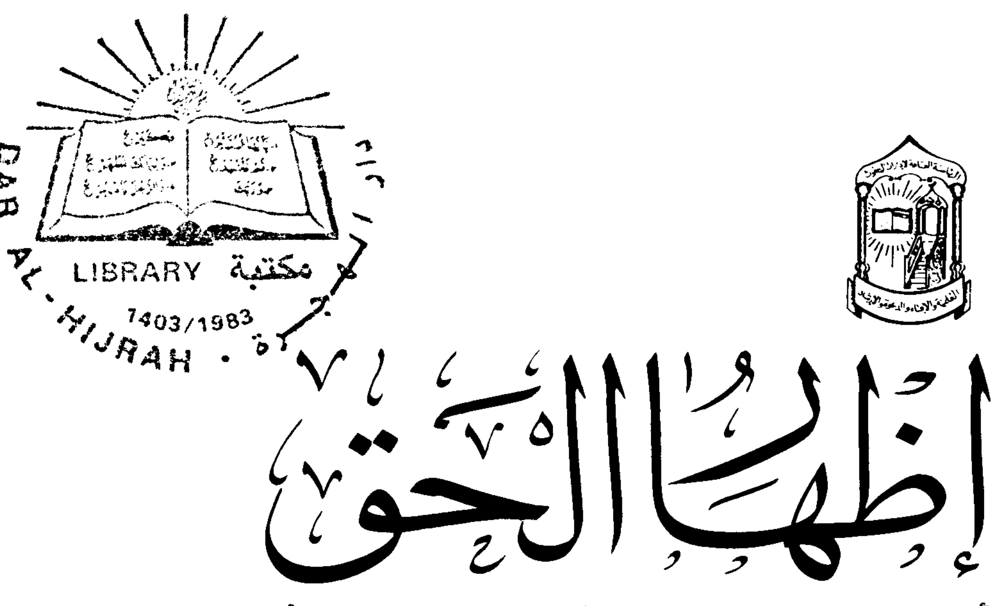

إظهار الحق
تأليف الشيخ العلامة
رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي
المتوفى عام ١٣٠٨هـ - ١٨٩١م رحمه الله تعالى
دراسة وتحقيق وتعليق
الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي
الأستاذ المساعد بكلية التربية بجامعة الملك سعود - الرياض
أول طبعة تصدر مقابلة على نسختي المؤلف الذهبيتين المخطوطة والمقروءة
الجزء الرابع
طبع ونشر
الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
الإدارة العامة للطبع والترجمة
الرياض - المملكة العربية السعودية
وقف لله تعالى
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م
http://kotob.has.it



إظهار الحق

أدق دراسة نقدية في إثبات وقوع التحريف والنسخ
في التوراة والإنجيل، وإبطال عقيدة التثليث وألوهية
المسيح، وإثبات إعجاز القرآن، ونبوة محمد صلى الله
عليه وسلم، والرد على شبه المستشرقين والمنصرين

تأليف الشيخ العلامة

رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي

مؤسس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة
المتوفى عام ١٣٠٨هـ - ١٨٩١م رحمه الله تعالى

دراسة وتحقيق وتعليق

الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي

الأستاذ المساعد بكلية التربية بجامعة الملك سعود - الرياض

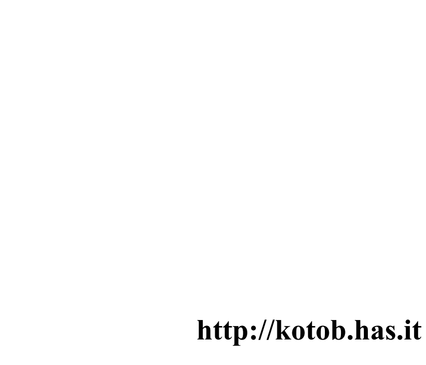
أول طبعة تصدر مقابلة
على نسختي المؤلف الذهبيتين المخطوطة والمقروءة

الجزء الرابع

طبع ونشر
الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
الإدارة العامة للطبع والترجمة
الرياض - المملكة العربية السعودية
وقف لله تعالى
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

الطبعة الأولى ١٤١٠هـ


بسم الله الرحمن الرحيم



الباب السادس

(في إثبات نبوة محمّد ﷺ ودفع مطاعن القسيسين)

وهو مشتمل على فصلين :

[الفصل الأول : في إثبات نبوّته ﷺ

الفصل الثاني : في دفع المطاعن][1]

(١) مابين المعقوفتين من المحقق للتوضيح .

الفصل الأول
(في إثبات نبوته ﷺ)

وفيه ستة مسالك :

[**المسلك الأول** : ظهور المعجزات الكثيرة على يده ﷺ .

المسلك الثاني : أخلاقه وأوصافه ﷺ .

المسلك الثالث : ما اشتملت عليه شريعته ﷺ .

المسلك الرابع : ظهوره بين قوم وثنيّين ، وظهور دينه على سائر الأديان في مدّة قليلة .

المسلك الخامس : ظهوره في وقت كان الناس بحاجة إليه .

المسلك السادس : إخبار الأنبياء المتقدّمين عليه عن نبوته ﷺ][1].

المسلك الأول : انّه ظهرت معجزات كثيرة على يده ﷺ ، وأذكر نبذاً منها في هذا المسلك من القرآن والأحاديث الصحيحة بحذف الإسناد ، وأوردها في نوعين . وقد عرفت في الفصل الثالث من الباب الخامس على أتمّ تفصيل أنّه لا شناعة عقلاً ونقلاً في اعتبار الروايات اللسانية المشتملة على شروط الرواية المعتبرة عند علمائنا رحمهم الله تعالى .

---

(١) ما بين المعقوفتين من المحقق لزيادة التوضيح .

أمّا النوع الأول

ففي بيان إخباره عن المغيبات الماضية والمستقبلة .

أمّا الماضية : فكقصص الأنبياء عليهم السلام وقصص الأمم البالية من غير سماع من أحد ولا تلقن من كتاب ـ كما عرفت في الأمر الرابع من الفصل الأول من الباب الخامس ـ وقد أشير إليه بقوله تعالى : ﴿ **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا** ﴾[1] . والمخالفة التي وقعت بين القرآن وكتب أهل الكتاب في بيان بعض هذه القصص فقد عرفت حالها في الفصل الثاني من الباب الخامس في جواب الشبهة الثانية .

وأمّا المستقبلية فكثيرة :

أ ـ عن حذيفة[2] رضي الله عنه أنه قال : « قام فينا رسول ﷺ مقاماً ، فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلاّ حدّثه ، حفظه مَن حفظه ، ونسيه مَن نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنّه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه »[3] رواه البخاري ومسلم .

---

(١) سورة هود آية ٤٩ .

(٢) حذيفة : هو أبو عبدالله حذيفة بن حسيل بن جابر العبسي القطيعي ، عرف أبوه باليمان لأنّه حالف اليمانية من بني عبد الأشهل من الأنصار . وُلد حذيفة بالمدينة المنورة ، وكان صحابياً شجاعاً وصاحب سرّ رسول الله ﷺ . روى ٢٢٥ حديثاً ، شهد حذيفة فتوحات كثيرة ، وولّاه عمر على المدائن فأصلح أحوال الرعية واشتهر بالعفة والقناعة ، ولم يزل بها حتى مات سنة ٣٦هـ/٦٥٦م بعد مقتل عثمان وبيعة علي بأربعين يوماً . (الإصابة ١/٣١٧ ، والإستيعاب ١/٢٧٧ ، والتهذيب ٢/٢١٩ ، والأعلام ٢/١٧١ ، والقاموس الإسلامي ٢/٥٨ ، ودائرة وجدي ٣/٣٨٨) .

(٣) روى البخاري في كتاب القدر ٨٢ ، باب ٤ (وكان أمر الله قَدَراً مقدوراً) وهو في فتح الباري ١١/٤٩٤ حديث ٦٦٠٤ ، ورواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ١٨/١٥ ، ورواه أبو داود ٤/٩٤ في كتاب الفتن رقم ٤٢٤٠ ، والذهبي في السيرة ص ٢٦٣ ، والرواية المذكورة في رواية البيهقي في دلائل النبوة ٦/٣١٣ وابن الربيع ص ٢٧٨ ، ورواية الشفا ١/٣٣٦) .

وقد عرفت في الأمر الثالث من الفصل الأول من الباب الخامس اثنين وعشرين إخباراً من الإخبارات المندرجة في القرآن .

ب ـ وقال الله تعالى : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إنّ نصر الله قريب** ﴾[1] . فوعد الله المسلمين في هذا القول بأنّهم يُزلزلون حتى يستغيثوه ويستنصروه .

وقال النبي ﷺ لأصحابه : « سيشتدّ الأمر باجتماع الأحزاب عليكم ، والعاقبة لكم عليهم » . وقال أيضاً : « إن الأحزاب سائرون إليكم تسعاً أو عشراً فجاء الأحزاب كما وعد الله ورسوله » ، وكانوا عشرة آلاف ، وحاصروا المسلمين ، وحاربوهم محاربة شديدة إلى مدة شهر ، وكان المسلمون في غاية الضيق والشدة والرعب ، وقالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وأيقنوا بالجنة والنصر كما أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ **ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلاّ إيماناً وتسليماً** ﴾[2] .

وقد خرّج أئمة الحديث رضي الله عنهم أنّ النبي ﷺ :

(١) أخبر الصحابة بفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق[3] .

(٢) وأنّ الأمن يظهر حتى ترحل المرأة من الحيرة[4] إلى مكة لا تخاف

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٤ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٢ .

(٣) انظر سنن النسائي ٦/٤٤ غزو الترك والحبشة في كتاب الجهاد ، والشفا ١/٣٣٦ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٣/٤١٥ ـ ٤٢١ ، و ٦/٣١٧ ـ ٣٣٧ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٦٥ ، والبداية والنهاية ٤/١١٣ ـ ١١٥ و ٦/٢٢١ ـ ٢٢٢ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع الشيباني ١/٢٧٥ .

(٤) الحيرة : مدينة تاريخية قديمة على نهر الفرات شمال موقع مدينة الكوفة الآن بحوالي ٥ كم ، وكانت عاصمة مملكة الحيرة التي قامت حول بحيرة النجف خلال القرن الرابع والخامس =

إلا الله[1].

(٣) وأنّ خيبر تفتح على يد عليّ رضي الله عنه في غد يومه[2].

(٤) وأنّهم يقسّمون كنوز ملك فارس وملك الروم[3].

(٥) وأنّ بنات فارس تخدمهم[4].

وهذه الأمور كلها وقعت في زمن الصحابة رضي الله عنهم كما أخبر.

= والسادس الميلادي، وحكمها ٢٥ ملِكاً من العرب، وكانت حاجزاً بين الفرس والروم، وقد منحها أردشير استقلالاً ذاتياً سنة ٢٢٦م، وكان أهلها نصارى على المذهب النسطوري، وفي عهد آخر ملوكها المنذر بن النعمان استولى خالد بن الوليد على الحيرة سنة ١٢هـ/٦٣٢م. (معجم البلدان ٣٢٨/٢، والقاموس الإسلامي ١٨٨/٢).

(١) في حديث عدي (من الحيرة إلى مكة) وفي حديث خباب (من صنعاء إلى حضرموت). انظر فتح الباري ٦١٠/٦ باب ٢٥ من كتاب المناقب حديث ٣٥٩٥ و٣٦١٢، والبداية والنهاية ٢١٤/٦ ـ ٢١٥ وص ٢٢٠ ودلائل النبوة للبيهقي ٢٨٣/٢ و٣١٥/٦ و٣٢٣، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٦٤، وحدائق الأنوار لابن الديبع الشيباني ٢٧٥/١ و٣١٧، والشفا ٣٣٦/١، والوفا لابن الجوزي ٤٧٣/١).

(٢) انظر فتح الباري ١١١/٦ كتاب الجهاد باب ١٠٢ حديث ٢٩٤٢ و٧٠/٧ باب ٩ مناقب علي من كتاب ٦٢ فضائل الصحابة حديث رقم ٣٧٠١ و٣٧٠٢، و٤٧٦/٧ باب ٣٨ غزوة خيبر من كتاب ٦٤ المغازي حديث رقم ٤٢٠٩ و٤٢١٠، وصحيح مسلم ١٧٦/١٥ ـ ١٧٩ فضائل عليّ من كتاب فضائل الصحابة، وسنن الترمذي ١٧٢/١٣ في أبواب المناقب، وسنن ابن ماجه ٢٤/١ باب ١١ حديث ١٠٤، ودلائل النبوة للبيهقي ٢٠٥/٤ ـ ٢١٣، وحدائق الأنوار لابن الديبع الشيباني ٦٤٣/٢، و٨٠١، والبداية والنهاية ٢٠٨/٤ ـ ٢١١، والشفا ٣٣٧/١.

(٣) (٤) انظر فتح الباري ٦٢٥/٦ باب ٢٥ من كتاب المناقب حديث رقم ٣٦١٨ و٣٦١٩، و٥٢٣/١١ باب ٣ من كتاب الإيمان حديث ٦٦٢٩ و٦٦٣٠ وصحيح مسلم ٤٢/١٨ في كتاب الفتن وأشراط الساعة، وسنن الترمذي ٦١/٩ في أبواب الفتن، ومسند أحمد ٣١٢/٢ و٤٦٧ و٥٠١، ودلائل النبوة للبيهقي ٣٩٣/٤ و٣٢٣/٦ ـ ٣٢٨ و٥٢٥، والبداية والنهاية ١١٥/٤ و٣٠٢ و٢١٤/٦ ـ ٢٢٠ و٢٨٩ و٢٩٩ و٥٩/٧، وحدائق الأنوار لابن الديبع الشيباني ٢٧٥/١ ـ ٢٧٦، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٦٦ وص ٢٨٢، والشفا ٣٣٧/١، والوفا ٤٦٧/١ و٤٧٣.

(٦) وأنّ أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة[١].

(٧) وأنّ فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا ، والروم ذات قرون : كلّما هلك قرن خلف مكانه قرن ، أهل صخر وبحر ، هيهات آخر الدهر[٢]. والمراد بالروم الفرنج والنصارى . وكان كما أخبر ، ما بقي من سلطنة الفرس أثر مّا بخلاف الروم ، فإنّ سلطنتهم وإن زالت عن الشام في عهد خلافة عمر رضي الله عنه ، وانهزم هرقل[٣] من الشام إلى أقصى بلاده ، لكن لم تَزُل سلطنتهم بالكليّة ، بل كلما هلك قرن خلفه قرن آخر[٤].

(٨) وأنّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي

---

(١) انظر سنن الترمذي ١٠/١٠٩ في أبواب الإيمان ، وسنن ابن ماجه ٢/٣٧٧ في أبواب الفتن ١٧ حديث رقم ٤٠٣٩ ـ ٤٠٤١ ، وسنن الدارمي ٢/١٥٨ باب ٧٥ حديث ٢٥٢١ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع الشيباني ١/٢٧٦ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٥٤٢ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٨٤ ، والشفا ١/٣٣٧) .

(٢) انظر الشفا ١/٣٣٧ ، والوفا ١/٤٦٧ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع ١/٢٧٥ .

(٣) هرقل : هو هرقل الأول امبراطور الدولة الرومانية المشرقية بالقسطنطينية ، حكم من سنة ٦١٠ ـ ٦٤١ ، وكان قد انتصر على الفرس الساسانيين وطردهم من سوريا واسترد آسيا الصغرى منهم ، وهو الذي أرسل له الرسول ﷺ كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام ، وفي زمانه فتح المسلمون بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد رضي الله عنهما أجزاء من بلاد الروم أهمها سوريا وفلسطين ومصر ، وانهزمت جيوشه شرّ هزيمة في معارك عديدة أهمها معركة اليرموك سنة ١٥هـ/٦٣٦م . (دائرة وجدي ٤/٤٦٣ ، و١٠/٤٩٢) .

(٤) كان أوّل قيام للدولة الرومانية سنة ٧٥٣ ق.م عندما انتخب الشعب في إيطاليا روميولوس وجعلوه ملِكاً عليهم ، وهو الذي قسّم الشعب إلى ثلاث طبقات :
أ ـ الاشراف والأمراء ب ـ الفرسان والمحاربين جـ ـ عامّة الشعب . وفي نفس العام أسس مدينة روما . ثم انقسمت الدولة الرومانيّة إلى شرقية وغربية ، وبفتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م زالت الدولة الرومانية الشرقية وبقيت الدولة الرومانية الغربية قائمة وورثتها دول أوروبا الحديثة . (الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٩٨ ، ودائرة وجدي ٤/٤٢٩ ـ ٤٧٧) .

ما زُوِي لي منها[1]. والمعنى جمع الله لي الأرض مرة واحدة بتقريب بعيدها إلى قريبها حتى اطلعتُ على ما فيها ، وستفتحها أمتي جزءاً فجزءاً حتى تملك جميع أجزائها . ولأجل تقييدها بمشارقها ومغاربها انتشرت ملّته في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند التي هي أقصى المشرق إلى بحر طنجة[2] الذي في أقصى المغرب ، ولم تنتشر في الجنوب والشمال مثل انتشارها في المشرق والمغرب . ولعل في إتيانها بلفظ الجمع وفي تقديم المشارق إيماء إلى ما هنالك ، وإلى ظهور كثرة العلماء منها بالنسبة إلى غيرهما ، وأنّ علماء المشرق أكثر وأظهر من علماء المغرب .

(٩) وأنّه « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » : وفي حديث آخر من رواية أبي أمامة[3] « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك » وقيل : يا رسول الله : وأين هم ؟ قال : « ببيت المقدس »[4]، والمراد عند جمهور العلماء بأهل الغرب أهل الشام ؛ لأنه

---

(١) انظر صحيح مسلم ١٨/١٣ في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، وسنن أبي داود ٤/٩٧ في كتاب الفتن حديث رقم ٤٢٥٢ ، وسنن ابن ماجه ٢/٣٦٨ باب ٩ من أبواب الفتن حديث رقم ٤٠٠٠ ، والبداية والنهاية ٤/١١٥ و٦/٢٠٨ و ٢٢٩ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع الشيباني ١/٢٧٤ ، والسيرة النبوية للذهبي ص٢٨٣ ، والشفا ١/٣٣٧ ، والوفا ١/٤٧٠ .

(٢) في حاشية خ : بفتح الطاء وسكون النون وفتح الجيم : بلدة عظيمة بساحل بحر المغرب . اهـ . وتقع مدينة طنجة الآن في أقصى شمال دولة المغرب على المحيط الأطلسي عند المدخل الغربي لمضيق جبل طارق ، وهي ميناء هام ويرجع تاريخها إلى العهد الفينيقي وكانت تعرف باسم تنجيس . (معجم البلدان ٤/٤٣ ، والقاموس الإسلامي ٤/٥٣٩ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٦٤) .

(٣) أبو أمامة : هو صديّ بن عجلان الباهلي من مشاهير الصحابة ، سكن مصر ثم انتقل إلى حمص فسكنها ومات بها سنة ٨١هـ/٧٠٠م ، فكان آخر من مات بالشام من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكان من المكثرين في الرواية ، وله في الصحيحين ٢٥٠ حديثاً . (الإصابة ٢/١٨٢ ، والإستيعاب ٤/٤ ، والأعلام ٣/٢٠٣) .

(٤) انظر فتح الباري ٦/٦٣٢ باب ٢٨ من كتاب المناقب حديث رقم ٣٦٤٠ و ٣٦٤١ ، و١٣/٢٩٣ باب ١٠ من كتاب الإعتصام حديث ٧٣١١ و١٣/٤٤٢ كتاب التوحيد حديث=

غرب الحجاز بدلالة رواية : « وهم بالشام » .

(١٠) وأنّ الفتن لا تظهر ما دام عمر حيّـاً . وكان كما أخبر ، وكان عمر رضي الله عنه سـدَّ باب الفتنة[١].

(١١) وأنّ المهدي رضي الله عنه يظهر[٢].

(١٢) وأنّ عيسى عليه السلام ينزل[٣].

(١٣) وأنّ الدجال يخرج[٤].

= ٧٤٥٩ و ٧٤٦٠ ، وصحيح مسلم ٢/١٩٣ باب نزول عيسى من كتاب الإيمان و١٣/٦٥ في كتاب الإمارة ، وسنن أبي داود ٣/٤ في كتاب الجهاد حديث ٢٤٨٤ ، و٤/٩٧ في كتاب الفتن حديث ٤٢٥٢ ، وسنن الترمذي ٩/٤٥ و٧٣ في أبواب الفتن ، وسنن ابن ماجه ٢/٣٦٨ باب ٩ من أبواب الفتن حديث ٤٠٠٠ وسنن الدارمي ٢/١٣٢ باب ٢٩ حديث ٣٤٣٧ و٣٤٣٨ ، والبداية والنهاية ٦/٢٨٩ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٨٣ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٥٢٦ ، والشفا ١/٣٣٨ .

(١) انظر فتح الباري ٦/٦٠٣ باب ٢٥ من كتاب المناقب حديث ٣٥٨٦ و١٣/٤٨ باب ١٧ من كتاب الفتن حديث ٧٠٩٦ ، وصحيح مسلم ١٨/١٧ في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، وسنن ابن ماجه ٢/٣٦٩ باب ٩ من أبواب الفتن حديث ٤٠٠٣ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٣٨٦ ، والبداية والنهاية ٦/٢٣١ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٧٣ ، والشفا ١/٣٣٩ .

(٢) انظر سنن أبي داود ٤/١٠٦ كتاب المهدي الأحاديث من ٤٢٨٢ إلى ٤٢٩٠ ، وسنن الترمذي ٩/٧٤ باب ما جاء في المهدي من أبواب الفتن ، وسنن ابن ماجه ٢/٤٠٢ باب ٣٤ من أبواب الفتن حديث ٤١٣٣ إلى ٤١٣٩ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع الشيباني ١/٢٧٨ ، والشفا ١/٣٣٨ .

(٣) انظر فتح الباري ٥/١٢١ باب ٣١ من كتاب المظالم حديث ٢٤٧٦ و٦/٤٩٠ باب ٤٩ من كتاب أحاديث الأنبياء حديث ٣٤٤٨ و٣٤٤٩ ، وصحيح مسلم ٢/١٨٩ ـ ١٩٣ باب بيان نزول عيسى من كتاب الإيمان و٢/٢٣٠ ـ ٢٣٦ باب الإسراء من كتاب الإيمان ، وسنن أبي داود ٤/١١٤ في كتاب الملاحم حديث ٤٣١١ ومن ٤٣١٥ ـ ٤٣٢٤ ، وسنن الترمذي ٩/٧٥ و٩٤ ـ ٩٩ في أبواب الفتن ، وحدائق الأنوار لابن الديبع الشيباني ١/٢٧٨ ـ ٢٨٠ .

(٤) انظر فتح الباري ٦/٤٩٤ باب ٥٠ من كتاب أحاديث الأنبياء حديث ٣٤٥٠ و١٣/٨٩ باب ٢٦ من كتاب الفتن حديث ٧١٢٢ ـ ٧١٣١ ، و١٣/٣٨٩ باب ١٧ من كتاب التوحيد حديث ٧٤٠٧ و٧٤٠٨ ، وصحيح مسلم ٢/٢٣٠ ـ ٢٣٦ باب الإسراء من كتاب الإيمان ، وسنن أبي داود ٤/٩٤ في كتاب الفتن حديث ٤٢٤٢ و٤٢٤٤ ، و٤/١١٤ حديث ٤٣١١ ومن =

وهذه الأمور الثلاثة ستظهر إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .

(١٤) وأنّ عثمان يقتل وهو يقرأ في المصحف[١].

(١٥) وأنّ أشقى الآخرين من يصبغ هذه من هذه، يعني لحية عليّ من دم رأسه[٢] يعني يقتله[٣]. وهما رضي الله عنهما[٤] استشهدا كما أخبر.

(١٦) وأنّ عماراً[٥] تقتله الفئة الباغية[٦]، فقتله أصحاب معاوية رضي الله عنه .

= ٤٣١٥ ـ ٤٣٢٤ من كتاب الملاحم و ٤/٢٤١ حديث ٤٧٥٦ و ٤٧٥٧ ، وسنن الترمذي ٩/٧٨ ـ ٩٩ في أبواب الفتن ، وسنن ابن ماجه ١/٣٤ باب ١٣ حديث ١٦٢ و ٢/٣٩٠ باب ٢٥ من أبواب الفتن حديث ٤٠٩٠ و ٢/٣٩٣ باب ٢٨ من أبواب الفتن حديث ٤١٠٤ و ٤١٠٥ و ٢/٣٩٧ باب ٣٣ من أبواب الفتن حديث ٤١٢٢ ـ ٤١٣٢ ، و ٢/٤٠٤ باب ٣٥ من أبواب الفتن حديث ٤١٤٣ ـ ٤١٤٥ ، والشفا ١/٣٤٠ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع الشيباني ١/٢٧٧ و ٢٨٠ ، والبداية والنهاية ٥/٩٩ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٣٩٢ .

(١) انظر فتح الباري ٧/٥٣ باب ٧ من كتاب فضائل الصحابة حديث ٣٦٩٥ ، وصحيح مسلم ١٥/١٧٠ ـ ١٧٣ في فضائل عثمان من كتاب فضائل الصحابة ، وسنن الترمذي ١٣/١٦٢ ـ ١٦٤ في أبواب المناقب ، وسنن ابن ماجه ١/٢٣ باب ١١ حديث ١٠٠ ، والبداية والنهاية ٦/٢٢٧ ـ ٢٣٤ و ٧/١٩٨ ـ ٢٠٤ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٣٨٨ ـ ٣٩١ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٧٤ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع الشيباني ٢/٨٠١ ، والشفا ١/٣٣٩ ، والوفا ١/٤٧٤ .

(٢) في المخطوطة: « وأنّ أشقى الطائفة يصبغ لحية عليّ من دم رأسه » .

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٦/٤٣٨ ، والبداية والنهاية ٦/٢٤٨ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٧٨ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٣٤ ـ ٣٥ ، والشفا ١/٣٣٨ والوفا ١/٤٧٩ .

(٤) أي عثمان وعليّ رضي الله عنهما .

(٥) عمّار : هو أبو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر الكناني العنسي المذحجي حليف بني مخزوم ، ولد في مكة سنة ٥٧ ق.هـ/٥٦٧م ، وكان عمار وأبوه وأمه من السابقين للإسلام فعُذبوا في سبيل الله ، هاجر الهجرتين وشهد جميع المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وشهد مع علي وقعتيْ الجمل وصفّين فقتله جماعة معاوية يوم صفين في ربيع الآخر سنة ٣٧هـ/٦٥٧م وقد زاد عمره على التسعين ، له في الكتب ٦٢ حديثاً . (الإصابة ٢/٥١٢ ، والإستيعاب ٢/٤٧٦ ، والأعلام ٥/٣٦ ، والقاموس الإسلامي ٥/٤٩٥ ، والموسوعة الميسرة ص ١٢٣٣ ، والتهذيب ٧/٤٠٨) .

(٦) انظر فتح الباري ١/٥٤١ باب ٦٣ من كتاب الصلاة حديث ٤٤٧ ، و ٦/٣٠ باب ١٧=

(١٧) وأنّ الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم تصير عضوضاً بعد ذلك[١]. فكانت الخلافة الحقيقية الحقة كذلك بمضيّ مدة خلافة الحسن[٢] بن عليّ رضي الله عنهما ؛ لأنّ خلافة أبي بكر رضي الله عنه كانت سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ، وخلافة عثمان رضي الله عنه إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً ، وخلافة عليّ رضي الله عنه أربع سنين وعشرة أشهر أو تسعة ، وبتمامها[٣] خلافة الحسن رضي الله عنه .

(١٨) وأنّ هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش[٤]، والمراد يزيد وبنو

= من كتاب الجهاد حديث ٢٨١٢ ، ومسلم ١٨/٤٠ ـ ٤١ في كتاب الفتن ، والترمذي ١٣/٢٠٩ في أبواب المناقب ، ومسند أحمد ٤/٣١٩ ، والشفا ١/٣٣٩ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٤٢٠ ، والبداية والنهاية ٦/٢٤٣ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٧٥ ، وحدائق الأنوار ٢/٤٨٠ و ٨٠٤ ، وسيرة ابن هشام ١/٤٩٦ .

(١) في المخطوطة « ثم مُلْك بعد ذلك » ، وانظر سنن الترمذي ٩/٧١ في أبواب الفتن ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٣٤٠ ـ ٣٤٢ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ، والبداية والنهاية ٦/٢٢٥ و ٢٥٠ والشفا ١/٣٤٠ ، وحدائق الأنوار ٢/٧٨٥ .

(٢) الحسن بن علي : هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي سبط رسول الله ﷺ ، ولد في المدينة المنورة في رمضان سنة ٣هـ/٦٢٤م ، وكان حليماً عاقلاً محباً للخير فصيحاً ، ومن أحسن الناس منطقاً وبديهة ، ولما قتل أبوه عليّ سنة ٤٠هـ بايعه أكثر من أربعين ألفاً بالخلافة فكان خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم ، فبقي خليفة في العراق نحو سبعة أشهر ، ثم كره اقتتال المسلمين فسلّم الأمر إلى معاوية في بيت المقدس وتنازل له عن الخلافة في جمادى الأولى سنة ٤١هـ فسمي هذا العام عام الجماعة ، وقد توفي في المدينة سنة ٥٠هـ/٦٧٠م ودفن في بقيع الغرقد بجانب أمه فاطمة رضي الله عنها . وقد أنجب أحد عشر ولداً ذكراً وبنتاً واحدة ، والنسبة إليه حسني ، وتعرف سلالته بالحسنين . (الإصابة ١/٣٢٨ ، والتهذيب ٢/٢٩٥ ، والإستيعاب ١/٣٦٩ ، والأعلام ٢/١٩٩ ، والقاموس الإسلامي ٢/٧٨ ، والموسوعة الميسرة ص ٧١٨) .

(٣) في حاشية ق : أقل من ستة أشهر . اهـ . وفي بعض الروايات نحو ٧ أشهر . وهذا الترتيب لمدة الخلفاء ذكره البيهقي في كتابه الإعتقاد ص ١٩٠ .

(٤) انظر فتح الباري ٦/٦١٢ باب ٢٥ من كتاب المناقب حديث ٣٦٠٤ و ٣٦٠٥ ،=

مروان[1].

(١٩) وأنّ الأنصار[2] يقلّون حتى يكونوا كالملح في الطعام[3]، فلم يزل أمرهم يتفرق حتى لم يبق لهم جماعة ، ووقع كما أخبر .

(٢٠) وأنّه يكون في ثقيف[4] كذاب ومبير[5] - أي مهلك - فرأوهما

= و٩/١٣ باب ٣ من كتاب الفتن حديث ٧٠٥٨ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٤٦٤/٦ ـ ٤٦٥ ، والبداية والنهاية ٢٥٨/٦ ـ ٢٥٩ ، والشفا ٣٤١/١ .

(١) المقصود بيزيد هنا : يزيد الثاني (٧١هـ/٦٩٠ ــ ١٠٥هـ/٧٢٤م) وهو ابن عبدالملك بن مروان الذي تولى الملك سنة ١٠١هـ بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز وبعهد من أخيه سليمان بن عبدالملك ، وكانت مدة خلافته أربع سنين وشهراً ، وكان به ميل إلى اللهو والاسراف ، وبنو مروان ينسبون إلى جدّهم مروان بن الحكم (أبو عبدالملك) (٢هـ/٦٢٣م ــ ٦٥هـ/٦٨٥م) الذي هو أول مَن ملك من بني الحكم بن أبي العاص وكانت مدة حكمه (٩) أشهر وهو رابع خلفاء بني أميّة . (الأعلام ٢٠٧/٧ و١٨٥/٨ ، ودائرة وجدي ٦٢٥/١ و٧٦٣/٨) .

(٢) الأنصار : هم أهل المدينة وسكانها وبخاصة الأوس والخزرج ، فقد أسلموا ووعدوا النبي ﷺ بالنصرة ، فهاجر ومسلمو مكة إليهم ، فاستقبلوهم بسرور وغبطة ، ووفوا بوعدهم فكانوا عدّة الإسلام الأولى ، ورد مدحهم كثيراً في القرآن الكريم بالتلميح ، وورد اسمهم مقروناً باسم المهاجرين مرتين في سورة التوبة .

(٣) انظر فتح الباري ٦٢٨/٦ باب ٢٥ من كتاب المناقب حديث ٣٦٢٨ ، والشفا ٣٤١/١ .

(٤) ثقيف : اسمُ أو لقبُ جدّ جاهلي تنسب إليه قبيلة ثقيف وهي إحدى القبائل العربية التي كانت تسكن قبل الإسلام مدينة الطائف وبعض القرى المجاورة لها ، أسلمت ثقيف وقت إسلام الطائف ويشتهر رجالها بالحيلة في القتال ، واشتركوا في الفتوحات الإسلامية وبرز منهم كثير من الأعلام وبخاصّة في العصر الأموي . (معجم قبائل العرب ١٤٧/١ ، والقاموس الإسلامي ٥٣٩/١ ، والموسوعة الميسرة ص ٥٨١) .

(٥) انظر صحيح مسلم ١٠٠/١٦ في كتاب فضائل الصحابة ، وسنن الترمذي ٦٤/٩ في أبواب الفتن ، ودلائل النبوة للبيهقي ٤٨١/٦ ـ ٤٨٢ ، والبداية والنهاية ٢٦٨/٦ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٧٩ ، والشفا ٣٤٠/١ ، والوفا ٤٨١/١) .

المختار[1] والحجاج[2].

(٢١) وأنّ الـمُوتان[3] ـ أي الوباء ـ يكون بعد فتح بيت المقدس[4]، وكان هذا الوباء في خلافة عمر رضي الله عنه بعَمَواس[5] من قرى بيت المقدس، وبها كان عسكره. وهو أول طاعون وقع في الإسلام، مات به سبعون ألفاً في

---

(١) المختار الثقفي: هو أبو إسحاق المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي (١هـ/٦٢٢ ــ ٦٧هـ/٦٨٧م) أحد الشجعان الأفذاذ، سكن المدينة مع أبيه في زمن عمر وانقطع إلى بني هاشم، وكان مع علي وأبنائه في العراق، دخل الكوفة سنة ٦٤هـ فدعا إلى إمامة محمد بن الحنفية فبايعه ١٧ ألف رجل سرّاً، فتتبع قتلة الحسين ثم ادعى النبوة ونزول الوحي وصار أميراً على الكوفة، فقاتله أمير البصرة مصعب بن الزبير، فقتله في قصر الكوفة وكانت إمارته ١٦ شهراً، وفي سيرته عدة كتب، وإليه تنسب المختارية من الخوارج. (الأعلام ١٩٢/٧، والدائرة ٨٠٠/٣).

(٢) الحجاج: هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، قائد داهية، ولد في الطائف سنة ٤٠هـ/٦٦٠م ونشأ وتعلّم فيها، واشتغل فيها بالتعليم، وكان خطيباً فصيحاً يستولى على قلوب سامعيه، ولما انتقل إلى الشام قلّده عبدالملك بن مروان أمر العسكر، فشارك في إخماد الفتن والثورات وبخاصة في العراق، وبقي أميراً على المشرق كله عشرين سنة، فأنفذ خلالها الجيوش التي فتحت بخارى وبلخ والسند، وكان الحجاج قاسياً في سياسته سفاكاً للدماء فكرهه الناس. وتوفي في أواسط سنة ٩٥هـ/٧١٤م. (التهذيب ٢١٠/٢، والأعلام ١٦٨/٢، والقاموس الإسلامي ٣٩/٢، والموسوعة ص ٦٩٠، والدائرة ٣٥١/٣).

(٣) الـمُوتان والـمَوْتان: هو الموت الكثير الوقوع (لسان العرب ٩٣/٢، والمعجم الوسيط ص ٨٩١).

(٤) انظر فتح الباري ٢٧٧/٦ باب ١٥ من كتاب الجزية حديث ٣١٧٦، وسنن ابن ماجه ٣٩٠/٢ باب ٢٥ من أبواب الفتن حديث ٤٠٩١، وسنن الدارمي ٣٢/١ باب ٩ حديث ٥٦، ودلائل النبوة للبيهقي ٣٢١/٦ و٣٨٣، والبداية والنهاية ٢١٩/٦ و ٢٣٠، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٦٥، والشفا ٣٤٢/١.

(٥) عِمْواس: تنطق بكسر العين وسكون الميم وتنطق بفتحها، وهي بلدة بفلسطين غربي القدس بحوالي ٢٢ كم، اشتهرت في خلافة عمر رضي الله عنه بعد فتح القدس بثلاث سنوات بسبب الطاعون الذي ظهر فيها أولاً فعرف بطاعون عِمْواس ثم فشا في أرض الشام حتى مات فيه خلق كثيرون من الصحابة وغيرهم. (معجم البلدان ١٥٧/٤، والقاموس الإسلامي ٤٢٨/٤ و ٥٤٧/٥).

ثلاثة أيام[1].

(٢٢) وأنّهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرّة. ففي الصحيحين: « كان رسول الله ﷺ يدخل على أمّ حرام بنت ملحان[2] من خالات النبي ﷺ من الرضاع ، وكانت تحت عبادة بن الصامت[3]. فدخل عليها يوماً فأطعمته ثم جلست تفلّي رأسه فنام ، ثم استيقظ يضحك . فقالت : ممّ تضحك ؟ قال : ناس من أمتي عُرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج[4] هذا البحر ملوكاً على الأسرّة ، أو كالملوك على الأسرّة . فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : أنت من الأولين . فركبت البحر في زمن معاوية ، فصُرِعت عن دابتها بعد خروجها منه ، فهلكت »[5].

---

(١) وفي رواية ابن الأثير في كتابه الكامل ٣٩٢/٢ أنهم ٢٥ ألفاً .

(٢) أم حرام : هي أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد النجارية الأنصارية أخت أم سليم وخالة أنس بن مالك وزوجة عبادة بن الصامت رضي الله عنهم أجمعين ، وكان النبي ﷺ يكرمها ودعا لها بالشهادة ، اشتركت مع زوجها غازية في البحر لفتح جزيرة قبرص بقيادة معاوية أمير الشام في خلافة عثمان رضي الله عنهم ، فلمّا خرجت من البحر وقُرِّبت إليها دابتها لتركبها فصرعتها فماتت ودفنت في موضعها سنة ٢٧هـ/٦٤٧م ، فكانت أول امرأة ماتت في غزو المسلمين للبحر . (الإصابة ٤٤١/٤ ، والإستيعاب ٤٤٣/٤ ، والأعلام ١٧٢/٢ ، والقاموس الإسلامي ٦٠/٢ ، والتهذيب ٤٦٢/١٢) .

(٣) عبادة بن الصامت : هو الصحابي المشهور أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي السالمي ، ولد في المدينة المنورة سنة ٣٨ ق.هـ/٥٨٦م ، أسلم يوم العقبة الأولى ، وشهد العقبة الثانية والثالثة ، وكان أحد النقباء الاثني عشر ، وشهد بدراً وسائر المشاهد ، وجهه عمر إلى الشام قاضياً ومعلماً ، فأقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين ، وتوفي بالرملة سنة ٣٤هـ/٦٥٤م . روى ١٨١ حديثاً . (الإصابة ٢٦٨/٢ والإستيعاب ٤٤٩/٢ ، والأعلام ٢٥٨/٣ ، والقاموس الإسلامي ٥٦/٥ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٤٣١/١ والتهذيب ١١١/٥) .

(٤) ثبج : في حاشية المخطوطة : أي وسطه ومعظمه . اهـ . وفي حاشية المطبوعة أي متنه وظهره . اهـ . وثبج كل شيء : معظمه ووسطه وأعلاه . (لسان العرب ٢١٩/٢) .

(٥) انظر فتح الباري ١٠/٦ و ٧٦ و ٨٧ و ١٠٢ باب ٣ و ٦٣ و ٧٥ و ٩٣ من كتاب الجهاد =

(٢٣) وأنّ الإيمان لو كان منوطاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس[١]. وفيه إشارة إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة الكوفي[٢] رحمه الله تعالى أيضاً .

(٢٤) وأنّ فاطمة[٣] أول أهله لحوقا به[٤]، فماتت رضي الله عنها بعد ستة

=حديث ٢٧٨٨ و ٢٧٧٧ و ٢٨٧٨ و ٢٨٩٤ و ٢٨٩٥ و ٢٩٢٤ ، وصحيح مسلم ١٣/٥٧ - ٦٠ في كتاب الإمارة ، وسنن أبي داود ٣/٦ في كتاب الجهاد حديث ٢٤٩٠ ، وسنن الترمذي ٧/١٤٦ في أبواب فضائل الجهاد ، وسنن النسائي ٦/٤ في فضل الجهاد في البحر من كتاب الجهاد وسنن ابن ماجه ٢/١٣١ باب ١٠ من أبواب الجهاد حديث ٢٨٠٢ ، وسنن الدارمي ٢/١٢٩ باب ٢٩ حديث ٢٤٢٦ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٤٥٠ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٧١١ حديث ٤٩٦ ، والبداية والنهاية ٦/٢٥٢ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٧٩ ، والشفا ١/٣٤٢ .

(١) انظر فتح الباري ٨/٦٤١ في تفسير سورة الجمعة من كتاب التفسير حديث ٤٨٩٧ و ٤٨٩٨ ، وصحيح مسلم ١٦/١٠٠ في فضل فارس من كتاب فضائل الصحابة ، وسنن الترمذي ١٣/٢٨٤ في أبواب المناقب ، ومسند أحمد ٢/٢٩٧ و ٤٢٠ و ٤٢٢ و ٤٦٩ ، والشفا ١/٣٤٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٣٣٣ و ٣٣٤ .

(٢) أبو حنيفة : هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي بالولاء الكوفي أصله فارسي ، وولد أبوه ثابت على الإسلام ، وولد أبو حنيفة في الكوفة سنة ٨٠هـ/٦٩٩م ، ونشأ وتعلم فيها علوم الدين كلها ، وروى عن التابعين وتابعيهم في العراق والحجاز ومنهم إبراهيم النخعي وشيخه حمّاد ، وكان يتاجر بالخزّ (الحرير) ثم انقطع للتدريس والإفتاء بالكوفة ، فبرع في علوم الفقه اجتهاداً وتحقيقاً حتى لقب بالإمام الأعظم ، فهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإمام المذهب الحنفي القائم على الأخذ بالكتاب والسنة وفتاوى الصحابة والقياس والإستحسان والعرف ، وقد أخذ عنه الفقه كثيرون جداً ، وله عدة مؤلفات ، وكانت وفاته في بغداد سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م . (التهذيب ١٠/٤٤٩ ، والأعلام ٨/٣٦ ، والقاموس الإسلامي ٢/١٧١ ، والموسوعة ص ٣٢ ، ودائرة وجدي ٣/٦٢٦) .

ولا أظنّ أنّ مقصود المؤلف الحمل على أبي حنيفة بخصوصه ، لأنّ العلماء من أهل فارس كثيرون في مختلف فنون العلم وإنما ضربه مثلاً لشهرته .

(٣) فاطمة : هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، سيدة نساء العالمين في الجنة ، وهي أصغر بنات رسول الله ﷺ ، ولدت في السنة الخامسة قبل البعثة ١٨ ق.هـ/٦٠٥م ، وتزوجها علي بعد وقعة أحد وقيل بعد بدر ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت ، وولدت له الحسن والحسين وأمّ كلثوم وزينب ، توفيت بعد الرسول ﷺ بستة أشهر ولم يخلفه من بنيه غيرها ، وكانت وفاتها يوم الثلاثاء ٣ رمضان سنة ١١هـ/٦٣٢م ، وكان عمرها ٢٩ سنة ولها ١٨ حديثاً . (الإستيعاب ٤/٣٧٣ ، والأعلام ٥/١٣٣ ، والموسوعة الميسرة ص ١٢٦٧ ، ودائرة وجدي ٧/٣١٣) .

(٤) انظر فتح الباري ٦/٦٢٧ باب ٢٥ من كتاب المناقب حديث ٣٦٢٣ و ٣٦٢٤ و ٣٦٢٥=

أشهر من وفاته ﷺ[1].

(٢٥) وأنّ « ابني هذا ـ أي الحسن بن عليّ رضي الله عنهما ـ سيّد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين »[2]، ووقع كما أخبر ، فأصلح الله به بين أتباعه وأهل الشام .

(٢٦) وأنّ أبا ذر يعيش وحيداً ويموت وحيداً[3]، فكان كما أخبر .

(٢٧) وأنّ أسرع أزواجه لحوقا به أطولهن يداً[4]، فكانت زينب بنت جحش[5] رضي الله عنها أسرعهن لحوقا به لطول يدها بالصدقة .

= و٣٦٢٦ و٧٨/٧ باب ١٢ من كتاب فضائل الصحابة حديث ٣٧١٥ و١٣٥/٨ باب ٨٣ من كتاب المغازي حديث ٤٤٣٣ و٤٤٣٤ ، وصحيح مسلم ١٦/٥ ـ ٧ في فضائل فاطمة من كتاب فضائل الصحابة ، ومسند أحمد ٧٧/٦ و٢٤٠ و٢٨٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٣٦٤/٦ و١٦٤/٧ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢٤٧/٢ ، والبداية والنهاية ٢٢٩/٦ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٧٠ ، والشفا ٣٤٠/١ .

(١) فقد كانت وفاة رسول الله ﷺ في ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ/٦٣٢م ، وتوفيت ابنته فاطمة رضي الله عنها لثلاث خلون من شهر رمضان من نفس السّنة ١١هـ/٦٣٢م .

(٢) انظر فتح الباري ٣٠٦/٥ باب ٩ من كتاب الصلح حديث ٢٧٠٤ و٦٢٨/٦ باب ٢٥ من كتاب المناقب حديث ٣٦٢٩ ، و٩٤/٧ باب ٢٢ من كتاب فضائل الصحابة حديث ٣٦٤٦ ، و٦١/١٣ باب ٢٠ من كتاب الفتن حديث ٧١٠٩ ، وسنن أبي داود ٢١٦/٤ في كتاب السنة حديث ٤٦٦٢ ، وسنن الترمذي ١٩٤/١٣ في أبواب المناقب ، ومسند أحمد ٤٩/٥ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٤٤٢/٦ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٧١١/٢ ، حديث ٤٩٤ ، والبداية والنهاية ٢٤٨/٦ و٢٧٧ و١٨/٨ ـ ٢٠ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٧٨ ، والشفا ٣٤٣/١ ، والوفا ٤٧٢/١ .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٥٠/٣ ـ ٥١ ، وابن سعد في الطبقات ٢٣٤/٤ ـ ٢٣٥ ، وابن جرير في تاريخه ١٠٧/٣ والبيهقي في دلائل النبوة ٢٢١/٥ ـ ٢٢٢ ، و٤٠١/٦ ، وانظر سيرة ابن هشام ٥٢٣/٢ ، والبداية والنهاية ١٠/٥ و٢٣٥/٦ ، والشفا ٣٤٣/١ .

(٤) انظر فتح الباري ٢٨٥/٣ باب ١٢ من كتاب الزكاة حديث ١٤٢٠ ، وصحيح مسلم ٨/١٦ في فضل زينب أم المؤمنين من كتاب فضائل الصحابة ، ودلائل النبوة للبيهقي ٣٧١/٦ ، والبداية والنهاية ٢٢٩/٦ ، والشفا ٣٤٣/١ .

(٥) زينب بنت جحش : هي أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية إحدى شهيرات النساء في صدر الإسلام ، وأمّها أميمة بنت عبدالمطلب عمّة رسول الله ﷺ ، ولدت =

(٢٨) وأنّ الحسين بن علي[١] ـ رضي الله عنهما ـ يُقتل بالطَّفّ ـ وهو (بفتح الطاء وتشديد الفاء) مكان بناحية الكوفة على شطّ نهر الفرات ، والآن اشتهر بكربلاء[٢]، فاستشهد الحسين رضي الله عنه في الطّفّ كما أخبر[٣].

(٢٩) وقال لسراقة بن جعشم[٤]: كيف بك إذا لبست سواريْ كسرى ؟

= زينت في مكة سنة ٣٠ ق. هـ/٥٩٣م ، وكانت من أوائل المهاجرات إلى المدينة ، زوّجها رسول الله ﷺ لمولاه زيد بن حارثة ولـمّا طلقها تزوجها النبي ﷺ بأمر ربه سنة ٥ هـ وعمرها ٣٥ سنة وكان اسمها برّة فسمّاها زينب ، وإليها تشير آية سورة الأحزاب ٣٧ ﴿ **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها** ﴾ وبذلك بطلت عادة التبني الجاهليّة ، وهي أوّل أزواج النبي ﷺ لحوقا به وأطولهنّ يداً ؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق على المسلمين ، وكانت وفاتها سنة ٢٠هـ/٦٤١م وكان عمرها ٥٠ سنة ، وقد صلى عليها عمر رضي الله عنه وحُملت على النعش فكانت أول من حمل بالنعش من موتى العرب ، وقد روت ١١ حديثاً . (الإصابة ٣١٣/٤ ، والإستيعاب ٣١٣/٤ ، والتهذيب ٤٢٠/١٢ ، والأعلام ٦٦/٣ ، والقاموس الإسلامي ١٦٨/٣ ، والموسوعة الميسرة ص ٩٣٩) .

(١) الحسين بن علي : هو الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي سبط رسول الله ﷺ ، ولد في المدينة المنورة لخمس خلون من شعبان سنة ٤هـ/٦٢٥م ، وقد اشتهر بوقاره وحذقه لأصول الفقه وبراعته في الخطابة وثباته على العقيدة والمبدأ ، قتل عند كربلاء (وتعرف بالطَّفّ) في يوم الجمعة ١٠ محرم سنة ٦١هـ/٦٨٠م وعمره ٥٧ عاماً ، والنسبة إليه حسيني . (الإصابة ٣٣٢/١ ، والإستيعاب ٣٧٨/١ والتهذيب ٣٤٥/٢ والأعلام ٢٤٣/٢ ، والقاموس الإسلامي ٩٢/٢ ، والموسوعة الميسرة ص ٧١٩ ، ودائرة وجدي ٤٤٣/٣) .

(٢) الطّفّ (كربلاء): (الطف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق ، وسُمّي طفّا لأنّه دانٍ من الريف) مدينة في وسط العراق شمال غربي الكوفة بـ ٧٠ كم ، وجنوب غربي بغداد بـ ١٠٠ كم ، وتعتبر مدينة مقدسة عند الشيعة ويحجّ إليها سنوياً ألوف منهم . (معجم البلدان ٣٥/٤ و٤٤٥ ، والموسوعة الميسرة ص١٤٤٧) .

(٣) انظر مسند أحمد ٢٤٢/٣ و ٢٦٥ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٤٦٨/٦ ـ ٤٧٠ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٧٠٩/٢ ، حديث ٤٩٢ و٤٩٣ ، والبداية والنهاية ٢٦٠/٦ و٢٦٤ و١٧٧/٨ ، والشفا ٣٤٣/١ .

(٤) سراقة بن جعشم : هو أبو سفيان سراقة بن مالك بن جعشم الكناني المدلجي ، كان في الجاهلية قائفاً ـ أي يقتصّ الأثر ـ فلما خرج الرسول ﷺ مهاجراً خرج سراقة يقتاف أثره طمعاً في المكافأة من المشركين ، فلما أدركه ساخت أقدام فرسه في الأرض أكثر من مرّة ، فأعطاه الرسول ﷺ الأمان، ووعده بسواري كسرى، فرجع يُعمّي الأخبار على المشركين ، وأسلم يوم فتح مكة سنة =

فلما أُوتي بهما عمر رضي الله عنه ألبسهما إيّاه ، وقال : الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة[1].

(٣٠) وقال لخالد[2] رضي الله عنه حين وجهه لأُكَيْدِر[3]: إنّك تجده يصيد البقر[4]. فكان كما أخبر.

= ٨هـ ، ولـمّا أُتي عمر رضي الله عنه بغنائم فارس وبسواري كسرى بن هرمز ألبسهما سراقة تنفيذاً لوعد النبي ﷺ ، وقد توفي سراقة في خلافة عثمان سنة ٢٤هـ/٦٤٥م ، وقد روى ١٩ حديثاً .
(الإصابة ٢/١٨ ، والإستيعاب ٢/١١٩ ، والأعلام ٣/٨٠ والقاموس الإسلامي ٣/٢٩٣ ، وسيرة ابن هشام ١/٤٩٠ ، والتهذيب ٣/٤٥٦) وحدائق الأنوار ص ٣٧٤) .

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٦/٣٢٥ ـ ٣٢٦ ، والبداية والنهاية ٦/٢٢٠ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٦٧ ، والشفا ١/٣٤٤ .

(٢) خالد : هو أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي ، من فرسان قريش وقائدهم في معركة أُحد ، وشهد مع المشركين كلّ الوقائع إلى عمرة الحديبية ، قدم مع عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة على الرسول ﷺ قبل الفتح بستة أشهر وأسلموا فولّاه النبي ﷺ أعنة الخيل ، وشهد باقي المشاهد مع المسلمين فأبلى بلاء حسناً إلى أن توفي رضي الله عنه في حمص سنة ٢١هـ/٦٤٢م ، وله ١٨ حديثاً . (التهذيب ٣/١٢٤ ، والإصابة ١/٤١٣ ، والإستيعاب ١/٤٠٥ ، والأعلام ٢/٣٠٠ ، والقاموس الإسلامي ٢/٢٠٤ ، والموسوعة ص ٧٤٩ ، ودائرة وجدي ٣/٧٣٧) .

(٣) في حاشية ق : كأحيمر ، كان صاحب دومة الجندل . اهـ . وهو أكيدر بن عبدالملك الكندي السكوني ملك دومة الجندل في الجاهلية، وكان شجاعاً مولعاً باقتناص الوحش، قيل إنه لـمّا أرسل له الرسول ﷺ كتاباً مع خالد بن الوليد أثناء غزوة تبوك أسلم وأهدى إلى النبي ﷺ حُلّة سَيْراء فوهبها لعمر ، ولذلك ذكره ابن منده وأبو نعيم في الصحابة ، وقال ابن الأثير وجمهور أصحاب السير بأنّه قتل كافراً ، وذلك أنّ خالداً أسره وعاد به إلى المدينة فصالحه النبي ﷺ على الجزية ، ولم يسلم بل بقي وقومه على النصرانية ، فكتب له النبي ﷺ كتاباً يمنع المسلمين من التعرض لقومه ، فلما قُبض النبي ﷺ نقض أكيدر العهد ، فأمر أبو بكر خالداً أن يسير إليه فقصده خالد وقتله وفتح دومة الجندل عام ١٢هـ/٦٣٣م . (الإصابة ١/٦١ و ١٢٥ ، والأعلام ٢/٦ ، والقاموس الإسلامي ١/١٥٨ ، وسيرة ابن هشام ٢/٥٢٦) .

(٤) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٥/٢٥٠ ، والبداية والنهاية ٥/٢٠ ، وسيرة ابن هشام ٢/٥٢٦ ، والشفا ١/٣٤٤ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٦٧٥ حديث ٤٥٥ .

وفي حديث أبي هريرة[1] رضي الله عنه عند الشيخين : « أنّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز[2] يضيء لها أعناق الإبل ببصرى »[3]. وقد خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة ، وكان ابتداؤها يوم الأحد مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ، وكانت خفيفة إلى ليلة الثلاثاء بيومها ، ثم ظهرت ظهوراً اشترك فيه الخاصّ والعامّ ، ولعدم ظهورها ظهوراً معتداً إلى يوم الثلاثاء خفي عن البعض ، وقال : ابتداؤها كان ثالث الشهر . وفي يوم الأربعاء ظهرت ظهوراً شديداً ، واشتدت حركتها ، واضطربت الأرض بمن عليها ، وارتفعت الأصوات

---

(١) أبو هريرة : هو عبدالرحمن (وقيل عبدالله) بن صخر الدوسي من الأزد ، ولد في اليمن سنة ٢١ق.هـ/٦٠٢هـ ، ونشأ يتيماً ، وفي اسمه قبل إسلامه خلاف شديد والأرجح أنه عبد شمس ، قدم المدينة عام خيبر سنة ٧هـ فأسلم وشهد فتح خيبر مع النبي ﷺ ، ولازمه رغبة في العلم ، وكان متفرغاً له ويسكن الصفّة فصار من كبار الصحابة وأكثرهم رواية للحديث ، فقد روى ٥٣٧٤ حديثاً نقلها عنه أكثر من ٨٠٠ رجل صحابي وتابعي ، وتوفي في المدينة سنة ٥٧هـ/٦٧٦م وكان عمره ٧٨ سنة ، وله فضائل كثيرة (الإصابة ٢٠٢/٤ ، والإستيعاب ٢٠٢/٤ ، والتهذيب ٢٦٢/١٢ ، والأعلام ٣٠٨/٣ ، والموسوعة ص ٤٠) .

(٢) الحجاز : لغة هو الحاجز ، يقال : حجزه يحجزه حجزاً : أي منعه ، ويطلق اسم الحجاز جغرافياً على الجبال الممتدة بين تهامة ونجد ، وإنّما سمي الحجاز حجازاً لأنّه حجز بينهما ومنع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر ، وقال الأصمعي بأنّ مكة تهامية ، والمدينة والطائف حجازية ، ويطلق الحجاز حالياً على المنطقة الشمالية الغربية من السعودية الواقعة شرقي البحر الأحمر من خليج العقبة شمالاً إلى جبال عسير جنوباً ، وتتراوح سعة هذا الشريط مابين ١٥ ـ ٦٥ كم ، وبذا صار اسم الحجاز يضم عدة مدن أهمها مكة والمدينة والطائف . والحجاز هو مهبط الدعوة الإسلامية ، وفي منطقته الممتدة مابين مكة والطائف جنوباً إلى المدينة وتبوك شمالاً جرت الأحداث الإسلامية الكبرى في عهد رسول الله ﷺ ، وأهم القبائل العربية التي كانت تسكن الحجاز آنذاك هي قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وهوازن وجذام ، ثم قضاعة في أقصى الشمال . (معجم البلدان ٦٣/٢ و٢١٨ ، والقاموس الإسلامي ٤١/٢ ، والموسوعة ص ٦٩٠ ، ودائرة وجدي ٢٢٨/٦) .

(٣) انظر فتح الباري ٧٨/١٣ باب ٢٤ من كتاب الفتن حديث ٧١١٨ ، وصحيح مسلم ٣٠/١٨ في كتاب الفتن ، وسنن الترمذي ٦٢/٩ في أبواب الفتن ، والبداية والنهاية ٢٨٧/٦) .

لخالقها ، ودامت آثار الحركة حتى أيقن أهل المدينة بوقوع الهلاك ، وزلزلوا زلزالاً شديداً . فلما كان يوم الجمعة نصف النهار ثار في الجو دخان متراكم، أمره متفاقم ، ثم شاع شعاع النار ، وعلا حتى غشي الأبصار ، فسكنت بقريظة عند قاع التنعيم بطرف الحرة تُرى في صورة البلد العظيم ، عليها سور محيط عليه شراريف كشراريف الحصون وأبراج ومواذن ، ويُرى رجال يقودونها لا تمرّ على جبل إلاّ دكّته وأذابته ، ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دويّ كدويّ الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه . وكان يأتي المدينة ببركة النبي ﷺ نسيم بارد . وكان انطفاؤها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الاسراء والمعراج(١).

وللشيخ قطب الدين القسطلاني(٢) تأليف في بيان حال هذه النار سماه بـ (جمل الإيجاز في الإعجاز بنار الحجاز)(٣). فهذا الخبر من الأخبار العظيمة أيضاً ؛ لأنّ النبي ﷺ أخبر بخروج هذه النار قبل ظهورها بمقدار ستمائة وخمسين سنة تقريباً ، وكتب في البخاري قبل ظهورها بمقدار أربعمائة سنة ، وصحيح البخاري في غاية درجة القبول من زمان التأليف إلى هذا الحين حتى

---

(١) ذكر ابن حجر في فتح الباري ١٣/٧٩ نصّاً تفصيليّاً في هذه النّار نقله عن التذكرة للقرطبي ، وفيه قول أبي شامة في ذيل الروضتين أنه كتب في تيماء على ضوء هذه النار الكتب ، وفصّل في هذه النار أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية ٦/٢٨٧ وذكر أشعاراً قيلت فيها .

(٢) قطب الدين القسطلاني : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن علي القيسي الشاطبي التوزري ، قطب الدين القسطلاني محدّث وفقيه شافعي المذهب ، وأديب ناثر وناظم وله عدة مؤلفات . أصله من توزر بإفريقية . ولد بمصر سنة ٦١٤هـ/١٢١٨م ونشأ بمكة ، ورحل في طلب العلم وتولّى مشيخة دار الحديث الكامليّة بالقاهرة إلى وفاته فيها سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م . (الأعلام ٥/٣٢٣ ، ومعجم المؤلفين ٨/٢٩٩) .

(٣) وقد ذُكر هذا الكتاب في كشف الظنون باسم : عروة التوثيق في النار والحريق ، وقال فيه : صنف في حريق المسجد النبوي والنار الظاهرة في الحجاز . (كشف الظنون ٢/١١٣٣ و ٦/١٣٥) .

أخذ تسعون ألف رجل سنده من الإمام المرحوم بلا واسطة في مدة حياته ، فلا مجال لعناد معاند في تكذيب هذا الخبر الصريح الصادق .

وروى مسلم في كتاب الفتن من حديث ابن مسعود[1] رضي الله عنه في أمر الدجال من طريق أبي قتادة[2] عن يُسَيْر بن جابر[3] قال : هاجت ريح حمراء بالكوفة ، فجاء رجل ليس له هِجّيرَى[4] فقال : إلاّ - يا عبدالله بن مسعود - جاءت الساعة ؟ قال : فقعد - وكان متكئاً - فقال : (إنّ الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ، ولا يفرح بغنيمة)، ثم قال بيده هكذا ، ونحاها نحو الشام ، فقال : (عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام). قلت : الروم تعني ؟ قال : (نعم ، وتكون عند ذاكم القتال رَدّة شديدة [أي هزيمة] فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلاّ غالبة ، فيقتتلون حتى

(١) عبدالله بن مسعود : هو ابن أم عبدالرحمن : عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي حليف بني زهرة ، صحابي كبير من أهل مكة ، وقاريء محدث مفسر فقيه ، وكان يتشدد في الرواية والضبط ، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة ، شهد بدراً وحز رأس أبي جهل وشهد سائر الغزوات ، وهو من المبشرين بالجنة ، ولما ضحك الصحابة من دقة ساقيه بيّن لهم الرسول ﷺ أنهما أثقل في ميزان الله من جبل أحد ، ولاه عمر على الكوفة ، وقدم المدينة في خلافة عثمان فمات فيها سنة ٣٢هـ/٦٥٣م عن بضع وستين سنة وله ٨٤٨ حديثاً . (الإصابة ٢/٣٦٨ ، والإستيعاب ٢/٣١٦ ، وتهذيب التهذيب ٦/٢٧ ، والأعلام ٤/١٣٧ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٧٩ ، ودائرة وجدي ٥/١٣٤) .

(٢) أبو قتادة : هو أبو قتادة العدوي البصري مختلف في صحبته ، وقد روى عن عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة ، قيل اسمه نذير وقيل تميم ، وذكره ابن حبان في الثقات ووثقه ابن معين . (التهذيب ١٢/٢٠٥) .

(٣) يُسَيْر بن جابر : ويقال ابن عمرو ويقال : أُسَيْر أبو الخباز العبدي أو المحاربي أو الكندي أو القتباني ، ورجح البخاري أن اسمه أُسَيْر بن عمرو ، أدرك زمن النبي ﷺ وروى عن عمر بن الخطاب وعليّ وابن مسعود وغيرهم من الصحابة ، ذكره ابن حبان في الثقات ووثقه غيره . (التهذيب ١١/٣٧٨) .

(٤) في شرح النووي لصحيح مسلم ١٨/٢٤ الهِجّيرَى : بمعنى الهجير ، أي شأنه ودأبه ذلك . وفي المعجم الوسيط ص ٩٧٣ : « الهجّيرى : كثرة الكلام . والقول السيّء والدأب والعادة ، ولا تكاد تستعمل إلاّ في العادة الذميمة » .

يحجز بينهم الليل ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلاّ غالبة ، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلاّ غالبة ، فيقتتلون حتى يمسوا ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ، فإذا كان يوم الرابع نَهَد[1] إليهم بقية الإسلام ، فيجعل الله الدَّبَرَة[2] عليهم [أي الروم] فَيَقْتُلُون مقتلة إمّا قال : لا يرى مثلها ، وإمّا قال لم يُرَ مثلها ، حتى إنّ الطائر ليمرّ بجنباتهم فما يخلّفهم حتى يخرّ ميتاً ، فيتعادّ بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلاّ الرجل الواحد ، فبأيّ غنيمة يُفرح أو أيّ ميراث يُقاسم ؟! فبينما هم كذلك إذْ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ : إنّ الدجال قد خلفهم في ذراريهم فيرفضون ما في أيديهم ويُقبلون . . . » الحديث[3] ـ عصمنا الله من فتنة الدجال .

واعلم أنّ علماء البروتستانت ـ على ما هو عادتهم ـ يغلّطون العوام باعتراضات مموهة على الإخبارات المستقبلة المندرجة في القرآن والحديث ، فأنقل ههنا بعض الإخبارات المنسوبة إلى الأنبياء الإسرائيلية عليهم السلام عن كتبهم المقدسة ليعلم المخاطَب أنّ اعتراضاتهم ليست بشيء ، وليس غرضي سوء الاعتقاد في أقوال الأنبياء عليهم السلام ؛ لأنّها ليست بثابتة الإسناد إليهم ثبوتاً قطعياً ، بل حكمها حكم الروايات الضعيفة المروية بروايات الآحاد ، فالغلط منها ليس قولهم يقيناً ، والاعتراض عليه حق . فأقول :

الأول : الخبر المنقول في الباب السادس من سفر التكوين[4].

---

(١) نهد : بمعنى نهض وقام وبرز وارتفع . (المعجم الوسيط ص٩٥٧) .

(٢) الديرة : الدائرة أي الهزيمة .

(٣) انظر صحيح مسلم ١٨/٢٤ في كتاب الفتن وأشراط الساعة .

(٤) لعله يقصد ما في سفر التكوين ٦/٣ « فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد=

والثاني : الخبر المنقول في الآية الثامنة من الباب السابع من كتاب إشعياء[1].

والثالث : الخبر المنقول في الباب التاسع والعشرين من كتاب إرميا[2].

والرابع : الخبر المندرج في الباب السادس والعشرين من كتاب حزقيال[3].

والخامس : الخبر المندرج في الباب الثامن من كتاب دانيال[4].

والسادس : الخبر المندرج في الباب التاسع من الكتاب المذكور[5].

والسابع : الخبر المندرج في الباب الثاني عشر من الكتاب المذكور[6].

والثامن : الخبر المندرج في الباب السابع من سفر صموئيل الثاني[7].

لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة » وقد عاش كثيرون من الأنبياء وأبنائهم مئات السنين أي زادوا عن ١٢٠ سنة ، انظر الغلط ٢٤ .

(١) ففي سفر إشعياء ٧/٨ « وفي مدة خمس وستين سنة ينكسر أفرايم حتى لا يكون شعباً » . انظر الغلط ٢٢ .

(٢) لعله يقصد ما في سفر إرميا ٢٩/١٠ « لأنّه هكذا قال الرب : إني عند تمام سبعين سنة لبابل أتعهدكم وأقيم لكم كلامي الصالح بردّكم هذا الموضع » .

(٣) لعله يقصد ما في سفر حزقيال ٢٦/٧ ـ ١٤ وفيها أنّ نبوخذناصر ملك بابل سيدمّر صور ويقتل جميع شعبها ثم لن تبنى بعد أبداً . انظر الغلط ٢٩ .

(٤) يضمّ رؤيا دانيال وهو في بابل وفيه ٨/١٤ « فقال لي إلى ألفيْن وثلاث مئة صباح ومساء فيتبرّأ القدس » . وقد مضى في التحقيق أنّه غلط . انظر الغلط ٣٠ .

(٥) في سفر دانيال ٩/٢٤ « سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم وليؤتى بالبرّ الأبدي ولختم الرؤيا والنبوّة ولمسح قدوس القدّوسين » .

وقد تقدم في التحقيق أنّه غلط . انظر الغلط ٣٢ .

(٦) في سفر دانيال ١٢/١١ ـ ١٢ « ١١ ــ ومن وقت إزالة الـمُحْرَقة الدائمة وإقامة رجس المخرّب ألف ومئتان وتسعون يوماً (١٢) ــ طوبى لمن ينتظر ويبلغ إلى الألف والثلاث مئة والخمسة والثلاثين يوماً » . وقد تقدم في التحقيق أنّه غلط . انظر الغلط ٣١ .

(٧) لعله يقصد الخبر الذي قيل لداود في حق ابنه سليمان في سفر صموئيل الثاني ٧/١٣ و ١٦ « ١٣ ــ هو يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبّت كرسي مملكته إلى الأبد (١٦) ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك . كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد » . والتاريخ أثبت بطلان هذا الخبر . انظر الغلط ٣٤ .

والتاسع : الخبر المندرج في الآية ٣٩ و ٤٠ من الباب الثاني عشر من إنجيل متّى[١].

والعاشر : الخبر المندرج في الآية السابعة والعشرين والثامنة والعشرين من الباب السادس عشر من إنجيل متّى[٢].

والحادي عشر : الخبر المندرج في الباب الرابع والعشرين من إنجيل متّى[٣].

والثاني عشر : الخبر المندرج في الباب العاشر من إنجيل متّى[٤].

وكلها غلط كما عرفت هذه الأمور في الباب الأول[٥]. فإنْ أراد أحد منهم أن يعترض على إخبار من الإخبارات المستقبلة المندرجة في القرآن والحديث فعليه أن يبينّ أوّلاً صحّة هذه الإخبارات المندرجة في كتبهم التي أشرت إليها الآن ثم يعترض .

---

(١) ففي إنجيل متّى ١٢/٣٩ ـ ٤٠ « ٣٩ ـ فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلاّ آية يونان النبي (٤٠) ـ لأنّه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال » .
وهو غلط ؛ لأنّهم يعتقدون أنّ المصلوب قام من القبر قبل هذه المدة ، انظر الغلط ٦١ و ٦٢ .

(٢) ففي إنجيل متّى ١٦/٢٧ ـ ٢٨ « ٢٧ ـ فإنّ ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كلّ واحد حسب عمله ٢٨ ـ الحق أقول لكم إنّ من القِيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته » .
وهو غلط ؛ لأنّ كل المعاصرين لعيسى ومابعده بتسعة عشر قرناً ذاقوا الموت وما رأوه آتياً ليحاسب الناس . انظر الغلط ٦٣

(٣) لعله يقصد ما في إنجيل متّى ٢٤/٣٠ و ٣٤ « ٣٠ ـ وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ٣٤ ـ الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كلّه » ، وهو غلط كذلك لما مرّ ، انظر الغلط ٧٦ ـ ٧٨ .

(٤) لعله يقصد قول عيسى لتلاميذه الذي في إنجيل متّى ١٠/٢٣ « ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى فإنّي الحق أقول لكم لا تكمّلون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان » .
وهو غلط كذلك ، انظر الغلط ٦٤ .

(٥) الإخبارات السابقة تفصيلها في قسم الأغلاط من الفصل الثالث من الباب الأول .

وأمّا النوع الثاني :

ففي الأفعال التي ظهرت منه عليه السلام على خلاف العادة ، وهي تزيد على ألف ، وأكتفي على ذكر أربعين :

(١) قال الله تعالى في سورة بني إسرائيل : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا** ﴾[١] .

فهذه الآية والأحاديث الصحيحة[٢] تدلّ على أنّ المعراج كان في اليقظة بالجسد : أمّا دلالة الأحاديث ففي غاية الظهور ، وأمّا دلالة الآية فلأنّ لفظ العبد يطلق على مجموع الجسد والروح ، قال الله تعالى : ﴿ **أرأيت الذي ينهى ● عبداً إذا صلّى** ﴾[٣]، وقال أيضاً في سورة الجن : ﴿ **وأنّه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً** ﴾[٤].

ولا شكّ أنّ المراد في الموضعين من العبد مجموع الروح والجسد ، فكذا المراد بالعبد ههنا ، ولأنّ الكفار استبعدوا هذا المعراج وأنكروه ، وارتدّ بسماعه ضعفاء المسلمين وافتتنوا به . فلو لم يكن المعراج بالجسد وفي اليقظة لما كان سبباً لاستبعاد الكفار وإنكارهم وارتداد ضعفاء المسلمين وافتتانهم ، إذْ مثل هذا في المنامات لا يُعدّ من المحال ولا يُستبعد ولا يُنكَر . ألا ترى أنّ أحداً لو ادّعى أنه

---

(١) سورة الإسراء آية ١ .

(٢) انظر أحاديث الإسراء والمعراج في فتح الباري ٧/١٩٦ باب ٤١ حديث ٣٨٨٦ و ٨/٣٩١ باب ٣ حديث ٤٧١٠ ، وصحيح مسلم باب الإسراء برسول الله ﷺ من كتاب الإيمان ٢/٢٠٩ و٢٣٧ ، والترمذي ١١/٢٩٢ في أبواب التفسير ، وسيرة ابن هشام ١/٣٩٥ ـ ٤٠٧ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٣٥٤ ، والشفا ١/١٧٦ ـ ٢٠٦ و ٣٤٥ ، والوفا ١/٣٤٩ ، والبداية والنهاية ٣/١١٩ و٦/٣١٩ ، والسيرة النبوية للذهبي ص١٥٣ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع ١/٣٧٩ .

(٣) سورة العلق آية ٩ ـ ١٠ .

(٤) سورة الجن آية ١٩ .

سار في نومه مرة في الشرق ومرة في الغرب وهو لم يتحوّل عن مكانه ولم تتبدل حالة الأولى لم ينكره أحد ولم يستبعد .

ولا استحالة فيه[1] عقلاً ونقلاً :

أمّا عقلاً : فلأنّ خالق العالم قادر على كل الممكنات وحصول الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحدّ في جسد محمد ﷺ ممكن ، فوجب كونه تعالى قادراً عليه[2] ، وغاية ما في الباب أنّه خلاف العادة ، والمعجزات كلها تكون كذلك .

وأما نقلاً : فلأنّ صعود الجسم العنصري إلى الأفلاك ليس بممتنع عند أهل الكتاب :

(١) قال القسيس وليم اسمت في كتابه المسمى بـ(طريق الأولياء) في بيان حال أخنوخ الرسول[3] ـ الذي كان قبل ميلاد المسيح بثلاثة آلاف وثلاثمائة واثنين وثمانين سنة ـ هكذا : « إنّ الله نقله حيّاً إلى السماء لئلاّ يرى الموت ، كما هو مرقوم أنّه لم يوجد لأنّ الله نقله فترك الدنيا من غير أن يحمل المرض والوجع والألم والموت ، ودخل بجسده في ملكوت السماء » انتهى .

وقوله : « كما هو مرقوم » إشارة إلى الآية الرابعة والعشرين من الباب الخامس من سفر التكوين[4].

(٢) وفي الباب الثاني من سفر الملوك الثاني هكذا : « ١ ــ وكان لما أراد الربّ أن يُصعد إيليّا بالعجاج إلى السماء انطلق إيليّا واليشع من الجلجال[5]

---

(١) الضمير راجع إلى المعراج في اليقظة بالجسد .

(٢) أي : فوجب إثبات كونه تعالى قادراً عليه .

(٣) هو إدريس عليه السلام .

(٤) ففي سفر التكوين ٥/٢٤ « وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأنّ الله أخذه » .

(٥) الجلجال : قرية بفلسطين يُعتقد أنّها قرية جلجيليه الحالية الواقعة شمال القدس بـ ٢٨ كم . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٦٣) .

١١ ـ وفيما هما يسيران ويتكلّمان إذا بعجلة من نار وخيل من نار فاقتربت فيما بينهما وصعد إيليّا بالعجاج إلى السماء » .

وقال آدم كلارك المفسر في شرح هذا المقام : « لا شكّ أنّ إيليّا[1] رفع إلى السماء حيّا » انتهى كلامه .

(٣) والآية التاسعة عشرة من الباب السادس عشر من إنجيل مرقس هكذا : « ثم إنّ الربّ بعدما كلّمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله » .

(٤) وقال بولس في حال معراجه[2] في الباب الثاني عشر من رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس هكذا : « ٢ ـ أعرف إنساناً[3] في المسيح قبل أربع عشرة سنة أفي الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم ، الله يعلم اختطف هذا إلى السماء الثالثة (٣) وأعرف هذا الإنسان أفي الجسد أم خارج الجسد لست أعلم الله يعلم (٤) أنّه اختطف إلى الفردوس وسمع كلمات لا يُنطَق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلّم بها » .

---

(١) إيليّا : هو النبي الياس عليه السلام ، ويعتقد أنّه من أنبياء المملكة الشمالية أي مملكة إسرائيل وعاصمتها نابلس ، وقد ظهر في زمن الملك أخآب الذي حكم ما بين عامي ٨٧٤ ـ ٨٥٢ ق.م ، وكانت المملكة الشمالية الإسرائيلية تمتد حدودها إلى جبال لبنان شمالاً ، وكانت أسبق من المملكة الجنوبية ـ مملكة يهوذا وعاصمتها القدس ـ إلى الوثنية وعبادة الأصنام ، فبعد موت سليمان عليه السلام مباشرة نصب ملكها الأول يربعام بن ناباط عجلين من الذهب وأمر الناس بعبادتهما ، ثم بعد مدّة ألهوا البعل الذي يعبده الكنعانيون ، فنهاهم الياس وحذّرهم بأس الله وقد تكون رسالته خاصة إلى أهل بعلبك المقرّ الرئيسي للإله بعل ، وقد ورد ذكر الياس في القرآن الكريم ثلاث مرات ، واحدة منها باسم الياسين ؛ لأنّ العرب قد تلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها ، وقد وهم بعض المفسرين الذين ظنّوا أنّ إلياس هو إدريس ، فإن عبادة الأصنام أول ما ظهرت في قوم نوح عليه السلام ، وهو بعد إدريس بالإجماع . (البداية والنهاية ١/٣٦٧ ، والقاموس الإسلامي ١/١٦٩ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٤٤) .

(٢) أي معراج بولس .

(٣) في حاشية ق : أي نفسه . اهـ .

فادّعى معراجه إلى السماء الثالثة وإلى الفردوس وبسماع كلمات لا يُنطَق بها وليس لإنسان أن يتكلّم بها .

(٥) وقال يوحنا في الباب الرابع من المكاشفات[١] : « ١ ــ بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح في السماء والصوت الأوّل الذي سمعته كبوق يتكلّم معي قائلاً : اصعد إلى هنا فأريك ما لابد أن يصير بعد هذا (٢) وللوقت صرت في الروح وإذا عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس » .

فهذه الأمور مسلّمة عند المسيحيين ، فلا مجال للقسّيسين أن يعترضوا على معراج النبي ﷺ عقلاً أو نقلاً .

نعم ، يَرِد عليهم أنّه لا وجود للسماوات على حكم علم الهيئة الجديد ، فكيف يصدق عندهم أنّ أخنوخ وإيليّا والمسيح عليهم السلام رُفِعُوا إلى السماء ، وجلس المسيح على يمين الله ، واختطف مقدسّهم إلى السماء الثالثة وإلى الفردوس ، وقد عرفنا مطهر البابويين وجهنّمهم - كما مر في الفصل الثاني من الباب الخامس - لكنّا ما عرفنا فردوس المسيحيين أهو على السماء الثالثة الموهومة كأنياب الأغوال[٢] عندهم ، أو فوقها ، أو هو عبارة عن جهنّم كما يُفهم بملاحظة الإنجيل وكتاب عقائدهم ؛ لأنّ المسيح قال للسارق المصلوب معه وقت الصلب : إنّك اليوم تكون معي في الفردوس[٣]، وهم يصرّحون في

---

(١) أي سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي أو سفر المشاهدات ، وهو آخر أسفار العهد الجديد .

(٢) الغول بالضم : السِّعْلاة والجمع غيلان وأغوال : جنس من الشياطين . والسّعالي : سحرة الجن . وقيل الغول : ذكر الجن ، والأنثى هي السّعلاة . والعرب تسمى الحيات : أغوالاً ، قال امرؤ القيس :

وَمَسْنُونةٍ زُرْقٍ كأَنْيَابِ أغوالِ

فقيل أراد الشياطين ، وقيل أراد الحيات . (لسان العرب ١١/٥٠٧ ، والمعجم الوسيط ص ٤٣١) .

(٣) هذه فقرة إنجيل لوقا ٢٣/٤٣ .

العقيدة الثالثة من عقائدهم أنّه نزل إلى جهنّم ، فإذا لاحظنا الأمرين يعلم أن الفردوس عندهم جهنّم .

قال جواد بن ساباط[1] في البرهان السادس عشر من المقالة الثانية من كتابه : « إنّ القسيس كياروس سألني في حضور المترجمين : ماذا يعتقد المسلمون في معراج محمد ﷺ ؟ قلت : إنّهم يعتقدون أنّه من مكة إلى أورشليم ومنها إلى السماء . قال : لا يمكن صعود الجسم إلى السماء . قلت : سألت بعض المسلمين عنه فأجاب : إنّه يمكن كما أمكن لجسم عيسى عليه السلام . قال القسيس : لِـمَ لَـمْ تستدل بامتناع الخرق والإلتئام على الأفلاك ؟ قلت : استدللت به ، لكنّه أجاب : إنّهما ممكنان لمحمد ﷺ كما كانا ممكنيْن لعيسى عليه السلام . قال القسيس : لِـمَ لَـمْ تقل إنّ عيسى إله ، له أن يتصرف ما يشاء في مخلوقاته ؟ قلت : قد قلت ذلك ، لكنّه قال : إنّ ألوهية عيسى باطلة لأنّه يستحيل أن يطرأ على الله علامات العجز كالمضروبية والمصلوبية والموت والدفن » انتهى .

ونقل بعض الأحباء أنّ قسيساً في بلدة بنارس[2] من بلاد الهند كان يقول في

---

(١) في حاشية ق : رجل من أهل اليمن ارتدّ ثم أسلم وردّ على أهل الكتاب . اهـ .

(٢) في حاشية خ : هذه البلدة من بلاد الهند معظمة عند مجوس الهند ومعبد لهم . اهـ .
وهي إحدى المدن الكبرى في شمال شرقي الهند ، وتقع على نهر الكنج شمال غربي مدينة كلكتّا وإلى الجنوب الشرقي من مدينة لكنو ، وشرقي مدينة الله آباد ، ويرجع تاريخ بنائها إلى الفترة الواقعة ما بين القرنين ١٦ ـ ١٢ ق.م ، وهي عاصمة الهندوس المقدسة ومركزهم الرئيسي ويحترمها البوذيون ، وفيها المعبد الذهبي ويحجّ إليها ملايين الهندوس لزيارة معابدها الوثنية الممتدة مسافة ٦٥ كم على طول نهر الكنج ، فتحها معز الدين محمد بن سام الغوري سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م ، وبنى فيها أورانكزيب مسجده الكبير ، وفيها الآن جامعة هندوكية ، ويشتهر المسلمون من أهلها بصناعة الحرير . (القاموس الإسلامي ١/٣٦٦ ، والموسوعة الميسرة ص ٤٠٧ ، والمناظرة الكبرى ص ٢٢ ـ ٢٣) .

بعض المجامع تغليطاً لجهال المسلمين البدويين : كيف تعتقدون المعراج وهو أمر مستبعد ؟ فأجابه مجوسي من مجوس الهند : إنّ المعراج ليس بأشدّ استبعاداً من كون العذراء حاملة من غير زوج ، فلو كان مطلق الأمر المستبعد كاذباً فهذا أيضاً يكون كاذباً ، فكيف تعتقدونه ؟ فبهت القسيس .

(٢) قال الله تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر● وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**﴾[١] .

أخبر الله بوقوع الإنشقاق بلفظ الماضي فيجب تحققه ، وحمله على معنى « سينشق » بعيد ؛ لأربعة أوجه :

الأول : أنّ قراءة حذيفة ﴿ **وقد انشق القمر** ﴾ وهي صريحة في الزمان الماضي والأصل توافق القراءتين .

والثاني : أنّ الله أخبر بإعراضهم عن آياته ، والإعراض الحقيقي عنها لا يتصور قبل وقوعها .

والثالث : أنّ المفسرين المشهورين صرحوا بأنّ انشق بمعناه ، وردّوا قول من قال بمعنى « سينشق » .

والرابع : أنّ الأحاديث الصحيحة تدل على وقوعه قطعاً[٢]. ولذلك قال

---

(١) سورة القمر آية ١ ـ ٢ .

(٢) انظر فتح الباري ٦٣١/٦ باب ٢٧ من كتاب المناقب حديث ٣٦٣٦ و ٣٦٣٧ و ٣٦٣٨ و ١٨٢/٧ باب ٣٦ من كتاب مناقب الأنصار حديث ٣٨٦٨ و ٣٨٦٩ و ٣٨٧٠ و ٣٨٧١ و ٦١٧/٨ باب ١ من كتاب التفسير حديث رقم ٤٨٦٤ و ٤٨٦٥ و ٤٨٦٦ و ٤٨٦٧ و ٤٨٦٨ ، وصحيح مسلم ١٤٣/١٧ ـ ١٤٥ في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، وسنن الترمذي ٣٠/٩ في أبواب الفتن ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٣٦٧/١ حديث ٢٠٧ ـ ٢١٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢٦٢/٢ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع الشيباني ١٩١/١ و ٣٣١ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ١٣٢ ، والوفا ٤٢٢/١ ، والشفا ٢٨٠/١ ، والبداية والنهاية ١٣٠/٣ و ٨٧/٦ ـ ٩٠ و ٣١٩ .

شارح المواقف : « وهذا متواتر قد رواه جمع كثير من الصحابة كابن مسعود وغيره » انتهى كلامه .

وقال العلامة أبو نصر عبدالوهاب ابن الإمام علي بن عبدالكافي بن تمام الأنصاري السبكي[1] في شرحه لمختصر ابن الحاجب[2] في الأصول : « والصحيح عندي أنّ انشقاق القمر متواتر ، منصوص عليه في القرآن ، مروي في الصحيحين وغيرهما » انتهى كلامه .

وأقوى شبهات المنكرين (أنّ الأجرام العلوية لا يتأتّى فيها الخرق والإلتئام ، وأنّ هذا الإنشقاق لو وقع لَـمْ يخْفَ على أهل الأرض كلهم ولَنقله مؤرخو العالم) .

والجواب : أنّ هذه الشبهة ضعيفة جداً نقلاً وعقلاً :

أمّا نقلاً فلسبعة أوجه :

---

(١) أبو نصر السبكي : هو أبو نصر تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي بن تمام الأنصاري السبكي ، قاضٍ وفقيه شافعي وأصولي ومحدّث وناظم وناثر ومؤرخ باحث ، ولد في القاهرة سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م ، ثم انتقل مع والده إلى دمشق فسكنها إلى وفاته فيها سنة ٧٧١هـ/١٣٧٠م ، وكان قد ولي القضاء فيها وخطابة الجامع الأموي ودرّس في مدارسها ، له مؤلفات كثيرة منها : طبقات الشافعية ، ورفع الحاجب عن شرح مختصر ابن الحاجب . (انظر كشف الظنون ١/٩١٠ ، ٢/١٨٥٥ ، و٥/٦٣٩ ، والأعلام ٤/١٨٤ ، ومعجم المؤلفين ٦/٢٢٥) .

(٢) ابن الحاجب : هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر ، جمال الدين بن الحاجب ، فقيه مالكي ومقرىء وأصولي ونحوي وصرفيّ ، وهو كردي الأصل ولد في إسنا بصعيد مصر سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م ، ونشأ في القاهرة ودرس في دمشق وسكنها ، وكان أبوه حاجباً فعرف بابن الحاجب ، له تصانيف كثيرة منها الكافية في النحو ، والشافية في الصرف ، ومنتهى السول والأمل في علميْ الأصول والجدل ثم اختصره . وتوفي في الإسكندرية سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٩م . ولكتابه أكثر من عشرة شروح أهمها شرح عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي المتوفي سنة ٧٥٦هـ ، وشرح سعد الدين التفتازاني المتوفي سنة ٧٩٣هـ ، ورفع الحاجب عن شرح مختصر ابن الحاجب للسبكي (كشف الظنون ٢/١٦٢٥ ، و١٨٥٣ و٥/٦٥٤ ، والأعلام ٤/٢١١ ، ومعجم المؤلفين ٦/٢٦٥ ، والموسوعة الميسرة ص١٣ ، والقاموس الإسلامى ٢/٤) .

الوجه الأول : أنّ حادثة طوفان نوح عليه السلام كانت ممتدّة إلى سنة ، وفني فيه كل ذي حياة من الطيور والبهائم والحشرات والإنسان غير أهل السفينة ، وما نجا من الإنسان غير ثمانية أشخاص على ما هو مصرّح به في الباب السابع والثامن من سفر التكوين[1] .

وفي الآية العشرين من الباب الثالث من الرسالة الأولى لبطرس هكذا : « في أيّام نوح إذْ كان الفلك يبنى الذي فيه خلص قليلون أي ثماني أنفس بالماء » .

والآية الخامسة من الباب الثاني من رسالته الثانية هكذا : « ولم يشفق على العالم القديم بل إنما حفظ نوحاً ثامناً كارزاً[2] للبرّ إذْ جلب طوفاناً على عالم الفجّار » .

وما مضت على هذه الحادثة مدة إلى هذا اليوم على زعم أهل الكتاب إلا مقدار أربعة آلاف ومائتين واثنتي عشرة سنة شمسية . ولا يوجد هذا الحال في تواريخ مشركي الهند وكتبهم ، وهم ينكرون هذا الأمر إنكاراً بليغاً ، ويستهزىء به علماؤهم كافة ، ويقولون : لو قُطع النظر عن الزمان السالف ، ونظر إلى زمان كرشن الأوتار الذي كان قبل هذا اليوم[3] بمقدار أربعة آلاف وتسعمائة وستين سنة[4] على شهادة كتبهم ، لا مجال لصحة هذه الحادثة العامّة : لأنّ الأمصار العظيمة الكثيرة من ذلك العهد إلى هذا الحين معمورة ، وثبت بشهادة تواريخهم أنّه يوجد من ذلك الحدّ إلى هذا الحين في إقليم الهند

---

(١) انظر سفر التكوين ٧/١٠ ـ ٢٤ و٨/١٥ ـ ١٩ .
(٢) في حاشية ق : أي مبشراً . اهـ .
(٣) في حاشية ق : أي يوم تأليف الكتاب . اهـ . وهي سنة ١٨٦٤م .
(٤) ٤٩٦٠ ـ ١٨٦٤ = ٣٠٩٦ ق.م أي ٣١ قرناً قبل الميلاد .

مليونات كثيرة في كل زمان من الأزمنة ويدّعون أنّ حال زمان كرشن لوجود كثرة التواريخ كحال أمس .

وقال ابن خلدون في المجلد الثاني من تاريخه : « واعلم أنّ الفرس والهند لا يعرفون الطوفان ، وبعض الفرس يقولون : كان ببابل فقط »[1]. انتهى كلامه بلفظه .

وقال العلامة تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد المعروف بالمقريزي في المجلد الأول من كتابه المسمى بـ (كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار): « الفرس وسائر المجوس والكلدانيون[2] أهل بابل والهند وأهل الصين وأصناف الأمم المشرقية ينكرون الطوفان ، وأقرّ به بعض الفرس لكنّهم قالوا : لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ، ولم يعمّ العمران كله ، ولا غرق إلّا بعض الناس ، ولم يجاوز عقبة حلوان[3]، ولا بلغ إلى ممالك المشرق » . انتهى كلامه بلفظه .

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ٣/١٠ .

(٢) الكلدانيون : هم الذين كانوا يسكنون منطقة (كلديا) أو (كلدانيا) في القسم الجنوبي الأقصى من وادي دجلة والفرات ، جنوبي بابل ، وقد غزا الكلدانيون هذه المنطقة في القرن ١١ ق.م ، فسميت المنطقة باسمهم لكنّ هذا الاسم اتسع فشمل منطقة بابل وصار يطلق على كل جنوب أرض الرافدين ، ولذلك سُمّيت مملكة بابل الثانية بالامبراطورية الكلدانية ، وبقى الكدانيون هم الجنس الغالب من سنة ٧٢١ ـ ٥٣٩ ق.م ، ويظهر أنّ اختلاط الأجناس جعل من الصعب على العلماء التمييز بينها تمييزاً دقيقاً ، لذلك يُقال لنبوخذنصر بأنّه من ملوك الكلدانيين ، كما يقال للملوك الفرس بأنّهم من ملوك الكلدانيين ، ولذلك جاء في معجم البلدان (الكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابل في الزمن الأول ولم تزل مملكتهم قائمة إلى أن قتل دارا آخر ملوكهم) .
(معجم البلدان ١/٣٠٩ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٨٥ ، والموسوعة الميسرة ص ١٤٧٢) .

(٣) عقبة حلوان : حلوان : مدينة تاريخية كبيرة وعاصمة منطقة بهذا الإسم في شمال الجزيرة بالعراق ، وقد فتحها جرير بن عبدالله البجلي سنة ١٦هـ أو ١٩هـ صلحاً بعد الفراغ من جلولاء ، فهرب منها يزدجرد إلى أصفهان، ويَرِد اسمها في كتب الأدب كثيراً ، والنسبة إليها حلواني ، وبها=

وأبناء صنف القسيسين ينكرون هذا الطوفان ، ويستهزئون به . وأنقل كلام جان كلارك الملحد عن رسالته الثالثة المندرجة في كتابه المطبوع سنة ١٨٣٩م في ليدس[1]، فقال في الصفحة ٥٤ هكذا : « هذا ـ يعني الطوفان ـ غير صحيح على شهادة علم الفلسفة وأنا أتعجب أماتت الحيتان في ماء هذا الطوفان ؟! ولما كان بحكم الآية الخامسة من الباب السادس من سفر التكوين[2] أفكار قلوب الإنسان ذميمة ، فلماذا أبقى الله ثمانية أشخاص ؟ لِمَ لَـمْ يخلق الإنسان مرة أخرى بعد إهلاك الكلّ ؟ ولماذا أبقى الله بضاعته القديمة التي بقيت الأفكار الذميمة باقية بسببها ؟ لأنّ الشجرة الرديئة لا تثمر ثمرة جيدة كما قال متّى في الآية السادسة عشرة من الباب السابع : « هل يجتنون من الشواك عنباً أو من الحسك تيناً » .

ونوح كان شارب الخمر وبهيمة وظالماً ـ [والعياذ بالله] كما يفهم من الآية ٢١ و ٢٥ من الباب التاسع من سفر التكوين[3]. فكيف يرجى منه أن يكون نسله صالحاً ؟! وانظروا أنّه لم يكن صالحاً كما يظهر من الآية الثالثة من الباب الثاني من رسالة بولس إلى أهل أفسس[4] [والآية الثالثة من الباب الثالث من

= اشتهر عدد من الأعلام ، وهي غير حلوان التي قرب القاهرة . (معجم البلدان ٢ / ٢٩٢ ، والقاموس الإسلامي ٢ / ١٣٦) .

(١) ليدس (ليدز) مدينة في بريطانيا بمقاطعة رايدنج الغربية ، وفيها كلية تحولت إلى جامعة سنة ١٩٠٤م . (الموسوعة الميسرة ص١٥٩٣) .

(٢) ففي سفر التكوين ٦ / ٥ « ورأى الرب أنّ شرّ الإنسان قد كثر في الأرض وأنّ كل تصوّر أفكار قلبه إنما هو شرّير كل يوم » .

(٣) ففي سفر التكوين ٩ / ٢٠ و ٢١ و ٢٥ « ٢٠ ـ وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً (٢١) وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه (٢٥) فقال ملعون كنعان . عبدالعبيد يكون لاخوته » .

(٤) ففي رسالة بولس إلى أهل أفسس ٢ / ٣ « الذين نحن أيضاً جميعاً تصرّفنا قبلا بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنّا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً » .

رسالته إلى تيطس[1]. والآية الثالثة من الباب الرابع من الرسالة الأولى لبطرس][2]، والآية الخامسة من الزبور الحادي والخمسين »[3] انتهى كلامه .

ثم استهزأ في هذه الصفحة ٩٣ استهزاء بليغاً جاوز الحد في إساءة الأدب ، فلا أرضى بنقل كلامه القبيح .

الوجه الثاني : في الباب العاشر من كتاب يوشع على وفق الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا : « ١٢ ـ حينئذ تكلّم يشوع أمام الربّ في اليوم الذي دفع الأموريّ[4] في يدي بني إسرائيل وقال أمامهم أيتها الشمس مقابل جبعون لا تتحرّكي والقمر مقابل قاع ايلون[5] (١٣) فوقفا الشمس والقمر حتى انتقم الشعب من أعدائهم أليس هذا مكتوباً في سفر الأبرار[6] فوقفت الشمس في كبد السماء ولم يكن تعجل إلى الغروب يوماً تامّـاً » .

وفي الباب الرابع من الحصة الثالثة من كتاب تحقيق الدين الحق المطبوع سنة ١٨٤٦م في الصفحة ٣٦٢ هكذا : « ما غربت الشمس بدعاء يوشع إلى أربع وعشرين ساعة » انتهى كلامه .

---

(١) وفي رسالة بولس إلى تيطس ٣/٣ « لأننا كنّا نحن أيضاً قبلا أغبياء غير طائعين ضالين مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة عائشين في الخبث والحسد ممقوتين مبغضين بعضنا بعضاً » .

(٢) ففي رسالة بطرس الأولى ٣/٤ « لأنّ زمان الحياة الذي مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين في الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرّمة » .

(٣) ففي المزمور ٥/٥١ « ها أنذا بالإثم صُوِّرتُ وبالخطيّة حبلت بي أُمّي » .

(٤) في حاشية ق : فرقة . اهـ . ويقصد الأموريين إحدى قبائل فلسطين .

(٥) ايلون : اسم بلدة في فلسطين كان يسكنها الأموريون ورد ذكرها في حروب بني إسرائيل مع الفلسطينيين واسمها الحديث يالو ، وتقع على بعد ٢٠ كم شمال غربي القدس ، وبالقرب منها واد اسمه الآن وادي سليمان ، فيه هزم بنو إسرائيل بقيادة يشوع الأموريين. (قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٦) .

(٦) سفر الأبرار من أسفار العهد القديم المفقودة باعتراف علماء أهل الكتاب ، حيث ورد ذكره باسم (الأبرار ، المستقيم ، ياصار ، ياشر) ولا وجود له .

وهذه الحادثة عظيمة ، وكانت على زعم المسيحيين قبل ميلاد المسيح بألف وأربعمائة وخمسين سنة[1]. فلو وقعت لظهرت على الكل ، ولا يمنع السحابُ الغليظ علمه أيضاً ـ وهو ظاهر ـ ولا اختلافُ الآفاق : لأنّا لو فرضنا أنّ بعض الأمكنة كان فيها الليل في هذا الوقت لأجل الإختلاف فلا بد أن تظهر لامتداد ليلهم بقدر أربع وعشرين ساعة . وهذه الحادثة العظيمة ليست مكتوبة في كتب تواريخ أهل الهند ولا أهل الصين ولا الفرس ، وأنا سمعت من علماء مشركي الهند تكذيبها ، وهم يجزمون بأنها غلط يقيناً . وأبناء صنف القسيسين يكذبونها ويستهزئون بها ، وأوردوا عليها اعتراضات :

الاعتراض الأول : أنّ قول يوشع : « أيتها الشمس لا تتحركي » ، وقوله : « فوقفت الشمس » يدلان على أنّ الشمس متحركة والأرض ساكنة ، وإلّا كان عليه أن يقول : (أيتها الأرض لا تتحركي ، فوقفت الأرض) . وهذا الأمر باطل بحكم علم الهيئة[2] الجديد الذي يعتمد عليه حكماء أوربا كلها الآن ، ويعتقدون ببطلان القديم[3]. لعلّ يوشع ما كان يعلم هذه الحال ، أو هذه القصة كاذبة .

---

(١) فيكون يوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام قد عاش في القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

(٢) علم الهيئة : علم يُعرف منه أحوال الاجرام البسيطة العلويّة والسفليّة وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعاد ما بينها ، وحركات الأفلاك والكواكب ومقاديرها ، وموضوعهُ الأجسام المذكورة من حيث كميّاتها وأوضاعها وحركاتها اللازمة لها ، ومن فروع هذا العلم علم الأدوار والأكوار ، والدور يطلق على ٣٦٠ سنة شمسية ، والكور يطلق على ١٢٠ سنة قمرية ، وهو علم يبحث عن تبدّل الأحوال الجارية في كل دور وكور ، وهو من فروع علم النجوم . (كشف الظنون ١/ ٥٠ ، ودائرة وجدي ٦/ ٦٢٨) .

(٣) لأنّ علم الهيئة القديم كان يقول بثبوت الأرض ودوران الشمس حولها ، وعلم الهيئة الجديد يقول بدوران الأرض حول الشمس .

والاعتراض الثاني : أنّ قوله : « فوقفت الشمس في كبد السماء » يدلّ على أنّ هذا الوقت كان نصف النهار ، وهذا مخدوش أيضاً بوجوه :

أمّا أوّلاً : فلأنّ بني إسرائيل كانوا قتلوا من المخالفين ألوفاً وهزموهم ، ولـمّا هربوا أمطر الربّ عليهم حجارة كباراً من السماء ، وكان الذين ماتوا بالحجارة أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل ، وهذه الأمور حصلت قبل نصف النهار على ما هو مصرّح به في هذا الباب[1] ، فلا وجه لاضطراب يوشع عليه السلام في هذا الوقت ؛ لأنّ المظفّرين من بني إسرائيل كانوا كثيرين جداً ، والباقون من المخالفين قليلين جداً ، وكان الباقي من النهار مقدار النصف فقتْلُهم قبل الغروب كان في غاية السهولة .

وأمّا ثانياً : فلأنّ الوقت لـمّا كان نصف النهار ، فكيف رأوا القمر في هذا الوقت ؟! على أنّ توقيفه لغو على قواعد الفلسفة[2] .

وأمّا ثالثاً : فلأن الوقت لـمّا كان نصف النهار ، وكان بنو إسرائيل مشتغلين بالمحاربة والاضطراب ، وما كان لهم شكّ في المقدار الباقي من النهار ، وما كانت الساعات عندهم في ذلك الزمان ، فكيف علموا أنّ الشمس قامت على دائرة نصف النهار بمقدار اثنتي عشرة ساعة ، وما مالت إلى هذه المدة إلى جانب المغرب ؟ .

والاعتراض الثالث : قال جان كلارك : « إنّ الله كان وعد أنّ جميع أيام الأرض زرع وحصاد ، برد وحرّ ، صيف وشتاء ، ليل ونهار ، لا تهدأ ، كما هو مصرح به في الآية الثانية والعشرين من الباب الثامن من سفر التكوين[3] . فإذا

---

(١) ففي سفر يوشع ١٠/١١ « وبينما هم هاربون من أمام إسرائيل وهم في منحدر بيت حورون رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء إلى عزيقة فماتوا والذين ماتوا بحجارة البَرَد هم أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف » .

(٢) لأنّ ضوء النهار مرتبط بالشمس لا بالقمر ، فلا فائدة من وقوف القمر .

(٣) ففي طبعة سنة ١٨٤٤م في سفر التكوين ٨/٢٢ « فجميع أيام الأرض زرع وحصاد برد وحرّ ، صيف وشتاء : ليل ونهار لا تهدأ » .

لم تغرب الشمس إلى المدة المذكورة هدأ الليل في ذلك الوقت » .

الوجه الثالث : في الآية الثامنة من الباب الثامن والثلاثين في بيان رجوع الشمس بمعجزة إشعياء هكذا : « فرجعت الشمس عشر درجات في المراقي التي كانت قد انحدرت » .

وهذه الحادثة عظيمة ، ولـمّا كانت في النهار فلا بد أن تظهر لأكثر أهل العالم ، وكانت قبل ميلاد المسيح بسبعمائة وثلاث عشرة سنة شمسية[1] ، وهذه الحادثة ليست مكتوبة في تواريخ أهل الهند والصين والفرس ، وأيضاً يُفهم منها حركة الشمس وسكون الأرض ، وهذا أيضاً باطل على حكم علم الهيئة الجديد ، على أنّا لو قطعنا النظر عن هذا فنقول : إنّ ههنا ثلاثة احتمالات :

إمّا أنْ رجع النهار فقط بمقدار عشر درجات ، أو الشمس رجعت في السماء بهذا المقدار كما هو الظاهر ، أو رجعت حركة الأرض من المشرق إلى المغرب بهذا المقدار ، وهذه الاحتمالات الثلاثة باطلة بحكم الفلسفة[2] .

وهذه الحوادث الثلاث[3] مسلّمة عند اليهود والنصارى ، والحوادث الباقية التي أذكرها تختص بالنصارى .

الوجه الرابع : في الباب السابع والعشرين من إنجيل متّى : « ٥١ ـ وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل ، والأرض تزلزلت والصخور تشققت (٥٢) والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القدّيسين الراقدين (٥٣) وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدّسة وظهروا لكثيرين » .

---

(١) يفهم منه أنّ إشعياء عاش في القرن الثامن قبل الميلاد .

(٢) يظهر أنّ المؤلف يستعمل كلمة الفلسفة بمعنى العلم الطبيعي .

(٣) الحوادث الثلاث المذكورة في الوجه الأول والثاني والثالث هي : حادثة طوفان نوح ، وحادثة وقوف الشمس ليوشع ، وحادثة رجوع الشمس عشر درجات لإشعياء .

وهذه الحادثة كاذبة يقيناً كما عرفت في الفصل الثالث من الباب الأول ، ولا توجد في تواريخ المخالفين القديمة من الرومانيين واليهود ، ولم يذكر مرقس ولوقا تشقّق الصخور وتفتّح القبور وخروج كثير من أجساد القديسين ودخولهم في المدينة المقدسة ، مع أنّ ذكرها كان أولى من ذكر صراخ عيسى عليه السلام عند الموت الذي قد اتفقا على ذكره[١] ، وتشقّق الصخور من الأمور التي يبقى أثرها بعد الوقوع ، والعجب أنّ متّى لم يذكر أمر هؤلاء الموتى بعد انبعاثهم : لأيّ الناس ظهروا ، وكان اللائق ظهورهم على اليهود وبيلاطس ليؤمنوا بعيسى عليه السلام ، كما كان اللائق على عيسى عليه السلام أن يظهر على هؤلاء بعد قيامته من الأموات ليزول الاشتباه ، ولا يبقى المجال لليهود أنّ تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوا جثته ، وكذا لم يذكر أنّ هؤلاء الموتى بعد الإنبعاث رجعوا إلى أجداثهم أو بقوا في قيد الحياة .

وقال بعض الظرفاء : لعل متّى فقط رأى هذه الأمور في المنام ، على أنّه يفهم من عبارة لوقا أنّ انشقاق حجاب الهيكل كان قبل وفاة عيسى عليه السلام خلافاً لمتّى ومرقس[٢] .

الوجه الخامس : كتب متّى ومرقس ولوقا في بيان صلب المسيح : أنّ الظلمة كانت على الأرض كلها من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة[٣] . وهذه الحادثة لـمّا كانت في النهار على الأرض كلها وممتدة إلى أربع ساعات فلا بدّ أن لا تخفى على أكثر أهل العالم ، ولا يوجد ذكرها في تواريخ أهل الهند والصين والفرس .

---

(١) انظر إنجيل مرقس ١٥/٣٧ وإنجيل لوقا ٢٣/٤٦ .

(٢) انظر إنجيل متّى ٢٧/٥٠ ـ ٥١ ، وإنجيل مرقس ١٥/٣٧ ـ ٣٨ ، وإنجيل لوقا ٢٣/٤٥ ـ ٤٦ .

(٣) انظر إنجيل متّى ٢٧/٤٥ ، وإنجيل مرقس ١٥/٣٣ ، وإنجيل لوقا ٢٣/٤٤ .

الوجه السادس : أنّ متّى كتب في الباب الثاني قصة قتل الأطفال[1]، ولم يكتبها غيره من الإنجيليّين والمؤرخين .

الوجه السابع : في الباب الثالث من إنجيل متّى ولوقا ، وفي الباب الأول من إنجيل مرقس هكذا : « ١٠ ـ وللوقت وهو[2] صاعد من الماء رأى السماوات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه (١١) وكان صوت من السماوات : أنت ابني الحبيب الذي به سررت » ، انتهى بعبارة مرقس .

فانشقاق السماوات لما كان في النهار فلا بدّ أن لا يخفى على أكثر أهل العالم ، وكذا رؤية الحمامة وسماع الصوت لا يختصّ بواحد دون واحد من الحاضرين ، ولم يكتب أحد هذه الأمور غير الإنجيليّين[3] .

وقال جان كلارك مستهزئاً بهذه الحادثة : « إنّ متّى أبقانا محرومين عن الإطلاع العظيم ، وهو أنّه لم يصرّح أنّ السماوات لما انفتحت : هل انفتحت أبوابها الكبيرة أم المتوسطة أم الصغيرة ؟ وهل كانت هذه الأبواب في هذا الجانب من الشمس أو في ذلك الجانب ؟ ولأجل هذا السهو الذي صدر عن متّى ـ قُسوسنا يضربون الرؤوس متحيّرين في تعيين الجانب » .

ثم قال : « وما أخبرنا أيضاً أنّ هذه الحمامة هل أخذها أحد وحبسها في القفص أم رأوها راجعة إلى جانب السماء ؟ ولو رأوها راجعة ففي هذه الصورة لا بدّ أن تبقى أبواب السماوات مفتوحة إلى هذه المدّة ، فلا بدّ أنّهم رأوا باطن السماء بوجه حسن لأنّه لا يعلم أنّ بوّاباً كان عليها قبل وصول بطرس هناك ، لعلّ هذه الحمامة كانت جنيّة ! » انتهى كلامه .

---

(١) أي قتل هيرودس لأطفال بيت لحم وتخومها ممّن هم دون سنتين . انظر إنجيل متّى ٢/١٦ .

(٢) في حاشية ق : أي عيسى . اهـ .

(٣) انظر إنجيل متّى ٣/١٦ ـ ١٧ ، وإنجيل لوقا ٣/٢١ ـ ٢٢ وإنجيل مرقس ١/١٠ ـ ١١ .

وأما بطلانها[1] عقلاً فلوجوه ثمانيـة :

الأول : أنّ انشقاق القمر كان في الليل ، وهو وقت الغفلة والنوم والسكون عن المشي والتردّد في الطرق سيما في موسم البرد ، فإنّ الناس يكونون مستريحين في دواخل البيوت وزواياها مغلقين أبوابها ، فلا يكاد يعرف من أمور السماء شيئاً إلاّ من انتظره واعتنى به ، ألا ترى إلى خسوف القمر فإنّه يكون كثيراً وأكثر الناس لا يحصل لهم العلم به حتى يخبرهم أحد به في السَّحَر .

والثاني : أنّ هذه الحادثة ما كانت ممتدة إلى زمان كثير ، فما كان للناظر أن يذهب إلى الغير الذي هو بعيد عنه وينبهه أو يوقظ النائم ويريه .

والثالث : أنّها لم تكن متوقعة الحصول لأهل العالم لينظروها في وقتها ويروها كما أنّهم يرون هلال رمضان[2] والعيدين والكسوف والخسوف[3] في أوقاتها غالباً لأجل كونها متوقعة الحصول ، ولا يكون نظر كل واحد إلى السماء في كل جزء من أجزاء النهار أيضاً فضلاً عن الليل ، فلذلك رأى الذين كانوا طالبين

---

(١) أي بطلان شبهة الذين ينكرون معجزة إنشقاق القمر لمحمد ﷺ ، وشبهتهم أنّ الأجرام العلويّة لا يتأتّى فيها الخرق والإلتئام ، ولو وقع هذا الإنشقاق لرآه أهل الأرض كلهم ولنقله مؤرخو العالم ، وقد أبطل المؤلف هذه الشبهة بسبعة أوجه نقليّة ثم بدأ بإبطالها بالأوجه العقليّة .

(٢) شهر رمضان هو الشهر التاسع من السنة القمرية (أو الهجرية) وقد فرض الله على المسلمين صيامه ؛ لذلك يراقبون هلاله في نهاية الشهر الثامن (شعبان) لتحري الصيام ، ويكون عيد رمضان في اليوم الأول من الشهر العاشر (شوال) فيراقب المسلمون أيضاً هلال شوال لتحري العيد .

أما عيد الاضحى فيكون في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة الذي هو آخر أشهر السنة القمرية .

(٣) الكسوف والخسوف : احتجاب ضوء جرم سماوي كلياً أو جزئياً نتيجة مرور جرم آخر بينه وبين الأرض ، والسبب في كسوف الشمس وخسوف القمر أن الأرض والقمر مظلمان ، فإذا مرّ القمر في ظل الأرض حجبت عنه الشمس وحدث خسوف القمر ، وإذا مرت الأرض في ظل القمر حجب الشمس عنها وحدث كسوف الشمس . (الموسوعة الميسرة ص ١٤٦٣ ، والقاموس الإسلامي ٢/٢٤٣ ، ودائرة وجدي ٧/٥٠٤ و٩٤٢) .

لهذه المعجزة ، وكذلك مَن وقع نظره في هذا الوقت إلى السماء كما جاء في الأحاديث الصحيحة أنّ الكفار لـمّا رأوها قالوا : سحركم ابن أبي كبشة[١]. فقال أبو جهل : هذا سحر ، فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى ينظروا أرأوا ذلك أم لا ؟ فأخبر أهل آفاق مكة أنّهم رأوه منشقّاً ؛ وذلك لأنّ العرب يسافرون في الليل غالباً ويقيمون في النهار ، فقالوا : هذا سِحْر مستمر[٢].

وفي المقالة الحادية عشرة من تاريخ فرشته[٣]: أنّ أهل مليبار[٤] من إقليم الهند رأوه أيضاً ، وأسلم والي تلك الديار الذي كان من مجوس الهند بعدما تحقّق له هذا الأمر .

---

(١) ابن أبي كبشة : يعنون به محمداً ﷺ . وأبو كبشة : إمّا أبوه من الرضاعة لأنّ زوج مرضعته حليمة هو أبو كبشة الحارث بن عبدالعزّى ، وإمّا جده لأمّه لأنّ وهب بن عبد مناف والد أمه آمنة كان يُكنّى بأبي كبشة ، وإمّا هو رجل من خزاعة كان يعبد الشّعرى ولم يوافقه أحد من العرب في عبادتها ، فشبهوا النبي ﷺ به لمخالفته إيّاهم في دينهم كما خالفهم أبو كبشة الخزاعي ، وقصدهم بذلك مجرّد التشبيه ، وليس عيب النبي ﷺ في نسبه ، وإنّما نسبوه إليه لخروجه من دين قومه . (انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١١٠ ، والسيرة النبوية لابن هشام هامش ١/٤٧٨ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع ص ١٠٨٩ ، ودائرة وجدي ٣/٥٠٥ ، وتفسير البيضاوي ص ٧٠٠ عند تفسير آية ٤٩ من سورة النجم) .

(٢) الحديث رواه أحمد ٤/٨٢ ، والترمذي في تفسير سورة القمر ١٢/١٧٤ .

(٣) تاريخ فرشته : لمحمد بن قاسم هندوشاه الاسترابادي نزيل الهند الملقب بفرشته المتوفى في حدود سنة ١٠١٨هـ ، ألف بالفارسية «كلشن إبراهيم» ، واشتهر بتاريخ فرشته ، وكتب فيه تاريخ الهند من الفتح الإسلامي وصل فيه إلى وقائع سنة ١٠١٨هـ ، واعتمد على عدة مصادر هي الآن مفقودة . (كشف الظنون ٦/٢٦٨ ، وفي الموسوعة الميسرة ص ١٢٨٩ أنّه عاش ما بين عامي ١٥٥٢ - ١٦٢٣م) .

(٤) مليبار : اسم منطقة في جنوب غرب الهند على ساحل بحر العرب الشرقي ، تمتد من جوا شمالاً إلى رأس كمورين في أقصى جنوب الهند ، وطول هذه المنطقة الساحلية حوالي ١٠٠٠ كم ، وهي منطقة خصبة (معجم البلدان ٥/١٩٧ ، والموسوعة الميسرة ص ١٧٣٩) .

وقد نقل الحافظ المرّي[1] عن ابن تيمية[2]: أنّ بعض المسافرين ذكر أنّه وجد في بلاد الهند بناء قديماً مكتوباً عليه: بُني ليلة انشق القمر[3].

والرابع: أنّه قد يحول في بعض الأمكنة في بعض الأوقات بين الرائي والقمر سحاب غليظ أو جبل، ويوجد التفاوت الفاحش في بعض الأوقات في الديار التي ينزل فيها المطر كثيراً بأنّه يكون في بعض الأمكنة سحاب غليظ ونزول المطر بحيث لا يرى الناظر في النهار الشمس ولا هذا اللون الأزرق[4] إلى ساعات متعددة، وكذا لا يرى في الليل القمر والكواكب ولا اللون المذكور، وفي بعض أمكنة أخرى لا أثر للسحاب ولا للمطر، وتكون المسافة بين تلك الأمكنة والأمكنة الأولى قليلة، وأهل البلاد الشمالية كالروم والفرنج في موسم نزول الثلج والمطر لا يرون الشمس إلى أيام فضلاً عن القمر.

---

(١) الحافظ المرّي: في المخطوطة والمقروءة وجميع النسخ المطبوعة (المـرّي) بالراء، ولم أجد ترجمة لحافظ مرّي يكون معاصراً لأحد من أبناء تيمية، ولعل الصواب (المزّي) بالزاي وهو: يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزّي محدّث الديار الشامية في عصره، ولد بظاهر حلب سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م ونشأ بالمزّة من ضواحي دمشق، وكان ماهراً في اللغة والحديث، صنف كتباً منها تهذيب الكمال في أسماء الرجال، وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، والمحدّثون بعده عيال على هذين الكتابين، وله تآليف كثيرة غيرهما. وتوفي في دمشق سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م، فهو معاصر لابن تيمية الحفيد والأب. (كشف الظنون ٥٥٦/٦، والأعلام ٢٣٦/٨، ومعجم المؤلفين ٣٠٨/٣).

(٢) ابن تيمية: هذا لقب أسرة من الفقهاء من أشهرهم ابن تيمية الحفيد وهو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحرّاني الحنبلي (٦٦١هـ/١٢٦٣م – ٧٢٨هـ/١٣٢٨م)، ووالده هو ابن تيمية الأب: شهاب الدين أبو المحاسن عبدالسلام بن تيمية الحرّاني الحنبلي (٦٢٧هـ/١٢٣٠م – ٦٨٢هـ/١٢٨٤م) وله علم بالفرائض والحساب والهيئة، ولعلّه هو المقصود هنا. (كشف الظنون ١٠٥/٥، ومعجم المؤلفين ٢٦١/١ و ٩٦/٥، والأعلام ١٤٤/١، والقاموس الإسلامي ٥٢٨/١، والموسوعة ص١٢).

(٣) وقد ذكر ذلك أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية ٩٠/٦.

(٤) في المخطوطة والمطبوعة بعد كلمة الأزرق: «الذي يظنه العوام سماء». وهذه الجملة مشطوبة في ق.

والخامس : أنّ القمر لاختلاف مطالعه ليس في حدّ واحد لجميع أهل الأرض ، فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين ، فيظهر في بعض الآفاق وبعض المنازل على أهل بعض البلاد دون بعض ، ولذلك نجد الخسوف في بعض البلاد دون بعض ، ونجده في بعض البلاد باعتبار بعض أجزاء القمر وفي بعضها مستوفياً أطرافه كلها ، وفي بعضها لا يعرفها إلّا الحاذقون في علم النجوم ، وكثيراً ما يحدّث الثقات من العلماء بالهيئة الفلكية بعجائب يشاهدونها من أنوار ظاهرة ونجوم طالعة عظام تظهر في بعض الأوقات أو الساعات من الليل ولا علم لأحد بها من غيرهم .

والسادس : أنّه قلّما يقع أن يبلغ عدد ناظري أمثال هذه الحوادث النادرة الوقوع إلى حدّ يفيد اليقين ، وإخبار بعض العوام لا يكون معتبراً عند المؤرخين في الوقائع العظيمة ، نعم يُعتبر إخبارهم أيضاً في الحوادث التي يبقى أثرها بعد وقوعها كالريح الشديدة ونزول الثلج الكثير والبرد ، فيجوز أنّ مؤرخي بعض الديار لم يعتبروا إخبار بعض العوامّ في هذه الحادثة ، وحملوه على تخطئة أبصار المخبرين العوامّ ، وظنوا أنّها تكون نحوا من الخسوف .

والسابع : أنّ المؤرخين كثيراً ما يكتبون الحوادث الأرضية ولا يتعرضون للحوادث السماوية إلّا قليلاً سيما مؤرخي السلف . وكان في زمان النبي ﷺ في ديار إنكلترة وفرنسا شيوع الجهل ، واشتهارها بالصنائع والعلوم إنما هو بعد زمانه ﷺ بمدة طويلة .

والثامن : أنّ المنكر إذا علم أنّ الأمر الفلاني معجزة أو كرامة للشخص الذي ينكره تصدّى لاخفائها ، ولا يرضى بذكرها وكتابتها غالباً ، كما لا يخفى على من طالع الباب الحادي عشر من إنجيل يوحنا[1]، والباب الرابع والخامس

---

(١) يقصد ما في إنجيل يوحنّا ١١/٤٦ ـ ٥٠ ، وفي هذه الفقرات محاولة اليهود إخفاء معجزات عيسى عليه السلام ومنع تأثيرها في الناس .

من كتاب الأعمال[1].

فظهر أنْ لا اعتراض عقلاً ونقلاً على معجزة شق القمر.

وقال صاحب ميزان الحق في النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٣ في مرزابور: « معنى الآية على قاعدة التفسير منسوب إلى يوم القيامة، لأنّ لفظ ﴿ **الساعة** ﴾ المعرّف باللام قصد منه الساعة المعلومة والوقت المعلوم، أعني: القيامة. كما أنّ هذا اللفظ جاء بهذا المعنى في الآيات التي هي في آخر هذه السورة، ولأجل ذلك فسّر بعض المفسّرين - منهم القاضي البيضاوي وغيره - لفظ الساعة بمعنى القيامة، وقالوا: إنّ من علامات يوم القيامة بحكم هذه الآية هذه العلامة أيضاً أنّ القمر سينشق » انتهى كلامه.

فادّعى أمرين: **الأول**: أنّ الصحيح على قاعدة التفسير أن يكون ﴿ **انشق** ﴾ بمعنى « سينشق ». **والثاني**: أنّ بعض المفسّرين - منهم القاضي البيضاوي وغيره - فسّروه هكذا. وكلاهما غلط.

أمّا الأوّل: فلأنّ انشق صيغة ماض، وحمله على معنى سينشق مجاز، ولا يُصار إلى المجاز ما لم يتعذر الحمل على الحقيقة، وههنا لم يتعذر، بل يجب الحمل على معناه الحقيقي كما عرفت آنفاً.

وأمّا الثاني: فلأنّه بهتان صرف على البيضاوي، وهو ما فسّر ﴿ **انشق** ﴾ بينشق، بل فسّر بمعناه الماضي، لكنّه بعد ما فسّر على مختاره نقل قول البعض بصيغة التمريض، ثم ردّ قوله، فهذا القول مردود عنده[2].

---

(١) يقصد ما في سفر أعمال الرسل ٤/١٣ - ١٨ و ٥/١٢ - ١٨، وفيهما محاولة اليهود إخفاء الآيات التي جرت على أيدي تلاميذ عيسى عليه السلام.

(٢) وفيما يلي عبارة البيضاوي من تفسيره ص ٧٠١: « روي أنّ الكفار سألوا رسول الله ﷺ آيةً فانشق القمر، وقيل معناه: سينشق يوم القيامة، ويؤيد الأول: أنّه قرىء ﴿ **وقد انشق القمر** ﴾ أي: اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر ».

ولـمّا اعترض صاحب الاستفسار على مؤلف الميزان على العبارة المذكورة[1]، وقال : « إنّ القسيس إمّا غالط أو مغلّط للعوامّ » تنبّه المؤلف المذكور وغيّر هذه العبارة في النسخة الجديدة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٤٩م ، ونسخة أردو المطبوعة سنة ١٨٥٠م ، وقال : « لفظ الساعة المعرف باللام في حالة الإفراد جاء في كل موضع من القرآن بمعنى يوم القيامة ، وجملة ﴿ **انشق القمر** ﴾ بسبب واو العطف أُلْحقت بجملة ﴿ **اقتربت الساعة** ﴾ وتوجد في كل من الجملتين صيغة الماضي . فكما أنّ الفعل الأول ﴿ **اقتربت** ﴾ بمعنى المستقبل يعني : سيجيء يوم القيامة ، فكذا الفعل الثاني ﴿ **انشق** ﴾ أيضاً بمعنى سينشق ، يعني إذا جاء يوم القيامة ينشق القمر ، وبعض العلماء المفسّرين أيضاً فسّروا هكذا، مثلاً الزمخشري[2] والبيضاوي وإنْ اعتقدا في تفسيريهما أنّ هذه الآية معجزة محمد ﷺ ، لكنّهما صرّحا هكذا أيضاً ، وعن بعض الناس : أنّ معناه ينشق يوم القيامة، وفي قراءة حذيفة : ﴿ **وقد انشق القمر** ﴾ أي اقتربت الساعة، وقد

---

(١) أيْ أخذ فندر العبارة التي نقلها البيضاوي بصيغة التمريض ، فقوّاها وجعلها قولاً للبيضاوي نفسه ، فاعترض عليه في ذلك الشيخ محمد آل حسن مؤلف كتاب الإستفسار .

(٢) الزمخشري : هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب ، ومن أصل فارسي ، ولد سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م في قرية زمخشر من قرى خوارزم ـ قرب مصب نهر جيحون ـ (أمودارية) وهو الآن إقليم تابع لجمهورية أوزبكستان السوفياتية ـ رحل في طلب العلم وجاور بمكة المكرمة فلقب بجار الله ، حارب الشعوبية وأحب اللغة العربية وتبحّر في علومها ، وكان شافعي المذهب معتزلي الإعتقاد ، فدافع عن الإعتزال بشدة حتى عُدّ خاتم شيوخ المعتزلة ، له عدة مؤلفات منها تفسيره المسمى : (الكشاف عن حقائق التنزيل) الذي اعتنى فيه بالناحية اللغوية والبلاغية ، وضمّنه آراءه الإعتزالية ، فقام البيضاوي بالردّ عليها ، وقد توفي الزمخشري في (كركانج) الجرجانية عاصمة خورازم سنة ٥٣٨هـ/١١٤٤م .

(كشف الظنون ٢/١٤٧٥ ، ومعجم المؤلفين ١٢/١٨٦ ، والأعلام ٧/١٧٨ ، والقاموس الإسلامي ٣/٧٩ ، والموسوعة الميسرة ص ٩٢٦ ، ودائرة وجدي ٤/٥٩٠) .

حصل من آيات اقترابها أنّ القمر قد انشق ، وقال البيضاوي : وقيل معناه سينشق يوم القيامة » انتهى ملخصاً .

فتنبّه صاحب الميزان وغيّر العبارة ، لكنه أُعجب في تلخيص عبارة الكشاف حيث أسقط بعض العبارة زاعماً أنّها مفيدة ، ونقل قوله : « وفي قراءة حذيفة ﴿ وقد انشق القمر ﴾ . . . . » الخ ، وهذا القول لا يناسب مقصوده؛ لأنّه نصّ في ثبوت المعجزة المذكورة .

إنْ قيل : نقل هذا القول طرداً ، قلت : فحينئذ لا وجه لإسقاط بعض العبارة ، وعبارة الكشاف هكذا : (وعن بعض الناس أنّ معناه ينشق يوم القيامة . وقوله : ﴿ وإنْ يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ يردّه ، وكفى به رادّاً ، وفي قراءة حذيفة : ﴿ وقد انشق القمر ﴾ . أي : اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أنّ القمر قد انشق ، كما تقول : أقبل الأمير وقد جاء المبشّر بقدومه . وعن حذيفة أنّه خطب بالمدائن[1]، ثم قال : « ألا إنّ الساعة قد اقتربت وإنّ القمر قد انشق على عهد نبيّكم »)[2] انتهى كلامه بلفظه .

قوله : « لفظ الساعة المعرف باللام . . . » الخ ، وكذا قوله : « جملة انشقّ القمر بسبب واو العطف . . . » الخ ، لا يحصل منهما مقصوده ، لعلّه فهم أنّ لفظ الساعة لـمّا كان بمعنى القيامة ، وانشقاق القمر من علاماتها فلا بدّ أن

---

(١) المدائن : هي مدائن كسرى التي كانت عاصمة الدولة الساسانية في إيران أثناء الفتوحات الإسلامية ، والرومان يسمّونها طيشفون ، فتحت المدائن كلها على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة ١٦هـ في خلافة عمر رضي الله عنه ، وهي سبع مدائن متقاربة ، والنسبة إليها مدائني ، وإنّما جاز النسبة إلى الجمع بصيغته لأنّه صار علماً بهذه الصفة ، وتقع أطلالها على بعد ٢٥ كم جنوب شرقي بغداد . (معجم البلدان ٥/٧٤ ، والموسوعة الميسرة ص ١٦٧٠) .

(٢) انظر تفسير الكشاف ٤/٣٦ .

يكون متصلاً بها واقعاً فيها ، وهذا غلط نشأ من عدم التأمّل . قال الله تعالى في سورة محمد : ﴿ **فهل ينظرون إلاّ الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها** ﴾ فقوله : ﴿ **فقد جاء أشراطها** ﴾[1] يدلّ على أنّ أشراطها قد تحققت ؛ لأنّ لفظة : (قد) إذا دخلت على الماضي تكون نصّـاً على وجود الفعل في الزمان الماضي القريب من الحال ، فلذلك فسّر المفسّرون هذا القول هكذا :

في البيضاوي[2] : « لأنّه قد ظهر أماراتها كمبعث الرسول وانشقاق القمر »[3].

وفي التفسير الكبير : « والأشراط العلامات ، قال المفسّرون : هي مثل انشقاق القمر ورسالة محمد عليه السلام »[4].

وفي الجلالين : « علاماتها ، منها بعثة النبي ﷺ وانشقاق القمر والدخان »[5].

---

(١) سورة محمد آية ١٨ .

(٢) البيضاوي : هو أبو سعيد أو أبو الخير ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي ، ولد في المدينة البيضاء قرب شيراز في بلاد فارس ، وهو فقيه ومتكلم ومن أعلام المفسّرين ، تولّى قضاء شيراز ثم انتقل إلى تبريز وانصرف إلى التأليف ، له كتب في التوحيد وعلم الأصول والتاريخ ، وأشهر مؤلفاته تفسيره الذي عرف باسمه وبه اشتهر وهو (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، وهو تفسير لغوي ، نحوي ، تاريخي ، بلاغي ، جدلي ، مختصر ومركز ، عوّل فيه على الزمخشري مبعداً لآراء المعتزلة ، فلقي إقبالاً كبيراً من علماء المسلمين في مختلف العصور ، وطبع في الهند وفارس وتركيا ومصر ، وكتبت عليه عدة حواش كاملة زادت على الثلاثين ، كما كتبت عليه تعليقات كثيرة . توفي البيضاوي في تبريز سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م . (كشف الظنون ١/١٨٦ ، والأعلام ٤/١١٠ ، والقاموس الإسلامي ١/٤١٠ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٤٦٧ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٢/٥٠٠) .

(٣) انظر تفسير البيضاوي ص ٦٧٣ .

(٤) التفسير الكبير هو تفسير «مفاتيح الغيب» للرازي . انظره ٢٨/٦٠ .

(٥) تفسير الجلالين ص ٦٧٥ .

وعبارة الحسيني[1] ـ كالبيضاوي ـ قوله : « فكما أنّ الفعل الأول ﴿ اقتربت ﴾ بمعنى المستقبل غلط ؛ لأنّه بمعناه الماضي ، وترجمته بالفارسية : « يعني روز قيامت خواهد آمد » ليست بصحيحة ، وما روي عن بعض الناس مردود عند المفسرين » .

ثم قال : « ولو سلمنا أنّ شقّ القمر وقع لا يكون معجزة محمد ـ ﷺ ـ أيضاً ؛ لأنّه لم يصرح في هذه الآية ولا في آية أخرى أنّ هذه المعجزة ظهرت على يد محمد ﷺ » انتهى .

أقول : يدلّ على كونها معجزة الآية الثانية[2] والأحاديث الصحيحة التي صحّتها بحسب الضابطة العقلية زائدة على صحّة هذه الأناجيل المحرّفة المملوءة بالأغلاط والإختلافات المرويّة برواية الآحاد المفقودة أسانيدها المتصلة ، كما علمت في الباب الأول والثاني .

ثم قال : « إنّ علاقة الآية الثانية بالآية الأولى أنّ المنكرين يرون في آخر الزمان علامات القيامة ولا يؤمنون بها ، بل يقولون على عادة كفار السلف : إنّها سحر فاحش لا غير » انتهى كلامه .

وهذا غلط بوجهين :

الأول : أن المنكِر لا ينكر عناداً والكافر لا ينسب الأمر الخارق للعادة إلى السّحْر إلّا إذا كان أحد ادّعى أنّ هذا الأمر الخارق من معجزاتي أو كراماتي ، وإذا ظهرت علامات القيامة في آخر الزمان من غير الادّعاء فكيف ينكرها المنكرون ؟ وكيف يقولون إنّها سحر فاحش لا غير ؟

---

(١) في حاشية ق : الفارسي . اهـ .
(٢) أي آية سورة القمر ٢ ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ .

والثاني : أنّ انشقاق القمر في المستقبل لا يكون إلّا في يوم القيامة خاصة ، وفي هذا اليوم لا يقول الكفار : (إنه سحر مستمر) ؛ لظهور أمر القيامة في هذا اليوم على كل أحد ، إلّا أن يكون أحد منهم عاقلاً معانداً مثل هذا الموجِّه[1] ، فلعله يقول بزعمه أو يتفوّه بهذا القول هذا الموجِّه نفسه أو أمثاله من علماء البروتستانت بعد انبعاثهم من أجداثهم[2] لرسوخ عناد الدين المحمدي في قلوبهم .

ثم قال : (لو ظهرت هذه المعجزة على يد محمّد لأخبر المعاندين الذين كانوا يطلبون منه معجزة بأنّي شققت القمر في الوقت الفلاني فلا تكفروا » انتهى . وستطّلع على جوابه في الفصل الثاني على أتم وجه إن شاء الله .

وقال صاحب (وجهة الإيمان)[3] منكراً لهذه المعجزة : « عدّة أشخاص من المفسرين مثل الزمخشري والبيضاوي فسّروا هذا المقام بأنّ القمر ينشق يوم القيامة ، ولو وقع اشتهر في جميع العالم ، ولا معنى لاشتهاره في إقليم واحد » انتهى كلامه ملخصاً .

وقد ظهر لك مما ذكرنا أنّ كِلا الأمرين ليسا بصحيحيْن يقيناً . وهذا القسيس فاق مؤلف الميزان حيث أورد الدليل النقلي والعقلي وصرّح باسم الكشاف أيضاً . لعله رأى في النسخة القديمة للميزان لفظ : « كالبيضاوي وغيره » . فظنّ أنّ المراد بالغير الكشاف ؛ لأنّ البيضاوي له مناسبة كثيرة بالكشاف بالنسبة إلى التفاسير الأخرى ، فصرّح باسم الكشاف ليحصل له الفضل على مؤلف الميزان ، وصاحب الكشاف قال في مبدأ تفسير هذه

---

(١) يقصد فندر مؤلف ميزان الحق الموجِّه لآيات القرآن برأيه .

(٢) جمع جدث بمعنى قبورهم .

(٣) في حاشية ق : رسالة صغيرة لبعض القسيسين . اهـ .

السورة : « انشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته النيّرة »[1] . انتهى كلامه .

وقال صاحب الرسالة التي ألّفها في جواب مكتوب الفاضل نعمت علي الهندي معترضاً على هذه المعجزة : « لا يثبت من هذه الآية أنّ هذه المعجزة صدرت عن محمد ولا يثبت هذا الأمر من التفاسير » انتهى . وهذا الثالث بالخير المنبثق من الأولينْ فاق كليهما[2] حيث قال : « لا يثبت هذا الأمر من التفاسير » ، لعلّه اعتقد أنّ القسيس الأول[3] صادق في قوله : « كالبيضاوي وغيره » ، والقسيس الثاني[4] صادق في قوله : « مثل الزمخشري والبيضاوي » ، ثم قاس حال سائر التفاسير على هذين التفسيرْين ، فقال : « ولا يثبت هذا الأمر من التفاسير » ليحصل له الفضل على القسيسيْن الأولينْ ، ويظهر تبحّره عند قومه بأنّه طالع التفاسير كلها ، فظهر أنّ كلّ لاحق من هؤلاء الثلاثة زاد على سابقه ، وهذا ليس بعجيب ؛ لأنّ مثل هذا الأمر قد شاع بين المسيحيين في القرن الأول كما يظهر من رسائل الحواريّين ، وصار من المستحسنات الدينية في القرن الثاني من القرون المسيحية ، كما قال المؤرخ موشيم في بيان حال علماء القرن الثاني من القرون المسيحية في الصفحة ٦٥ من المجلد الأول من تاريخه المطبوع سنة ١٨٣٢م : « كان بين متّبعي رأي أفلاطون وفيثاغورس مقولة مشهورة أنّ الكذب والخداع لأجل أن يزداد الصدق وعبادة الله ليسا بجائزين فقط ، بل قابلان للتحسين ، وتعلّم أوّلاً منهم يهود مصر هذه المقولة قبل المسيح ، كما يظهر هذا جزماً من كثير من الكتب القديمة ، ثم أثّر

---

(١) انظر تفسير الكشاف للزمخشري ٤/ ٣٥ .
(٢) أي فندر ، ومؤلف رسالة «وجهة الإيمان» .
(٣) أي القسيس فندر مؤلف «ميزان الحق» .
(٤) أي مؤلف رسالة «وجهة الإيمان» .

وباء هذا الغلط السوء في المسيحيين كما يظهر هذا الأمر من الكتب الكثيرة التي نسبت إلى الكبار كذباً » . انتهى كلامه .

وقال آدم كلارك في المجلد السادس من تفسيره في شرح الباب الأول من رسالة بولس إلى أهل غلاطية : « هذا الأمر محقق أنّ الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون المسيحية ، وكثرة هذه الأحوال الكاذبة غير الصحيحة هيّجت لوقا على تحرير الإنجيل ، ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة . والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية » . انتهى .

وإذْ نسب أسلافهم أكثر من سبعين إنجيلاً إلى المسيح والحواريّين ومريم عليهم السلام ، فأيّ عجب لو نسب هؤلاء القسوس الثلاثة ـ لأجل تغليط عوامّ أهل الإسلام ـ بعض الأمور إلى تفاسير القرآن ؟

واعلم أن الرسالة الأخيرة كانت مشتهرة في الهند ، وكان القسيسون يقسمونها كثيراً في بلاده[1]، لكن لما كتب عدّة من علماء الإسلام عليها ردّاً ، واشتهر ما كتبوا تركوها ، وطبع ثلاثة من كتب الرد عليها :

الأول : التحفة المسيحية ، لسيد الدين الهاشمي .

والثاني : تأييد المسلمين ، لبعض أقارب مجتهد شيعة لكهنو .

والثالث : خلاصة سيف المسلمين ، للفاضل حيدر على القرشي .

(٣) في البيضاوي : « روى أنّه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام : هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك ، اللهم إنّي أسألك ما وعدتني . فأتاه جبريل وقال له : خذ قبضة من تراب فارمهم بها . فلما التقى الجمعان تناول كفّا من الحصباء فرمى بها في وجوههم ، وقال :

---

(١) أي يوزعونها في نواحي بلاد الهند الواسعة الأرجاء .

شاهت الوجوه . فلم يبق مشرك إلّا شغل بعينه ، فانهزموا ، وَرَدَفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ، ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر ، فيقول الرجل : قتلت وأسرت »[1] انتهى .

وقال الله تعالى : ﴿ وما رميت إذْ رميت ولكن الله رمى ﴾[2] يعني : « وما رميت يا محمد رمياً توصّلها إلى أعينهم ، ولم تقدر عليه ﴿ إذْ رميت ﴾ أي : أتيت بصورة الرمي ﴿ ولكنّ الله رمى ﴾ أتى بما هو غاية الرمي ، فأوصلها إلى أعينهم جميعاً حتى انهزموا ، وتمكنتم من قطع دابرهم »[3] .

وقال الفخر الرازي عليه الرحمة : « والأصح أنّ هذه الآية نزلت في يوم بدر ، وإلّا لدخل في أثناء القصة كلام أجنبي عنها ، وذلك لا يليق بل لا يبعد أن يدخل تحته سائر الوقائع ؛ لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب »[4] انتهى كلامه .

وقد عرفت في المقدمة[5] حال ما تفوّه به صاحب ميزان الحق على هذه المعجزة ، فلا أعيده .

---

(١) انظر تفسير البيضاوي ص ٢٣٧ ، وقد رويت هذه المعجزة على أنها حصلت في معركة بدر في دلائل النبوة للأصبهاني ٢/٦٠٦ حديث رقم ٤٠٠ ، وفي سيرة ابن هشام ١/٦٢٨ ، وفي حدائق الأنوار لابن الديبع الشيباني ١/٢٦٦ ، وفي البداية والنهاية ٦/١٥٤ ، وفي دلائل النبوة للبيهقي ٣/٧٩ ، كما رويت هذه المعجزة على أنها حصلت في معركة حنين أيضاً في صحيح مسلم ١٢/١١٦ في كتاب الجهاد والسير ، وفي سنن الدارمي ٢/١٣٩ باب ١٦ حديث ٢٤٥٦ ، وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/١٣٧ ، وفي الشفا ١/٣٣٥ ، وفي الوفا ١/٤٦٥ .

(٢) سورة الأنفال آية ١٧ .

(٣) انظر تفسير البيضاوي ص ٢٣٧ .

(٤) انظر تفسير الرازي ١٥/١٤٠ .

(٥) انظر القول السابع عشر من الأمر السابع من مقدمة المؤلف للكتاب .

(٤) نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ في مواطن متعددة ، وهذه المعجزة أعظم من تفجّر الماء من الحجر كما وقع لموسى عليه السلام ، فإنّ ذلك من عادة الحجر في الجملة ، وأمّا من لحم ودم فلم يُعهد من غيره ﷺ .

عن أنس بن مالك[1] رضي الله عنه أنّه قال : « رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأُتي رسول الله ﷺ بوضوء ، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه ، قال : فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ ، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم »[2].

وهذه المعجزة صدرت بالزوراء[3] عند سوق المدينة .

---

(١) أنس بن مالك : هو أبو حمزة أو أبو ثمامة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد النجاري الخزرجي الأنصاري خادم رسول الله ﷺ ، ولد في المدينة المنورة سنة ١٠ق.هـ/٦١٢م وسمي باسم عمه أنس بن النضر ، وأمّه أم سليم بنت ملحان الأنصارية ، فجعلته أمّه في خدمة النبي ﷺ لـمّا قدم المدينة . وكان عمره عشر سنين ، فلازمه وشهد معه جميع الغزوات ، وبعد وفاته ﷺ رحل أنس إلى دمشق ثم إلى البصرة إلى أن مات فيها سنة ٩٣هـ/٧١٢م فكان آخر من مات بالبصرة من الصحابة . روى أنس ٢٢٨٦ حديثاً . (الإصابة ١/٧١ ، والإستيعاب ١/٧١ ، والتهذيب ١/٣٧٦ ، والأعلام ٢/٢٤ ، والقاموس الإسلامي ١/١٩٩ ، والموسوعة الميسرة ص ٢٦) .

(٢) انظر فتح الباري ٦/٥٨٠ باب ٢٥ من كتاب المناقب حديث ٣٥٧٢ و٣٥٧٣ ، وصحيح مسلم ١٥/٣٩ في كتاب الفضائل ، وسنن الترمذي ١٣/١١٣ في أبواب المناقب والبداية والنهاية ٦/١٠٩ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٥٢٥ حديث ٣١٧ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٤/١٢١ ، والشفا ١/٢٨٥ ، والوفا ١/٤٤٦ ، وحدائق الأنوار ١/١٩٩ ، وفي بعض الروايات (وكان الوقت عصراً وكانوا زهاء ثلاثمائة) .

(٣) الزوراء : اسم موضع مرتفع بالقرب من سوق المدينة . (معجم البلدان ٣/١٥٦ ، والقاموس الإسلامي ٣/١٢٥) .

(٥) عن جابر[١] رضي الله عنه : « عطش الناس يوم الحديبية[٢]، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة[٣] فتوضأ منها ، وأقبل الناس نحوه ، وقالوا : ليس عندنا ماء إلّا ما في ركوتك . فوضع النبي ﷺ يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون » . وكان الناس ألفاً وأربعمائة[٤].

(٦) عن جابر رضي الله عنه قال : (قال رسول الله ﷺ : « ياجابر، ناد بالوضوء » وذكر الحديث بطوله ، وأنّه لم نجد إلّا قطرة في عَزْلاءِ شَجْبٍ[٥]،

---

(١) جابر : هو أبو عبدالله أو أبو عبدالرحمن جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السّلمي ولد سنة ١٦ ق. هـ/٦٠٧م ، كان شديد الصحبة لرسول الله ﷺ ، فروى عنه أحاديث كثيرة بلغت ١٥٤٠ حديثاً ، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم ، عاش ٩٤ سنة وتوفي سنة ٧٨هـ/٦٩٧م ، فكان آخر من مات من الصحابة في المدينة المنورة . (الإصابة ٢١٣/١ ، والإستيعاب ٢٢١/١ ، والتهذيب ٤٢/٢ ، والأعلام ١٠٤/٢ ، والقاموس الإسلامي ٥٤٨/١) .

(٢) الحديبية : ويجوز في الياء الثانية التشديد والتخفيف ـ ضاحية من ضواحي مكة الآن ، وتبعد عنها حوالي ١٤ كم على طريق جدة جهة الغرب ، وبعضها في الحِلّ وبعضها في الحَرَم ، وهي أبعد أرض الحِلّ عن البيت الحرام ، وسُمّيت الحديبية باسم شجرة حدباء فيها أو باسم البئر الذي عند الشجرة ، ومكانها الآن مسجد الرضوان . ويوم الحديبية : هو يوم صلح الحديبية أو (يوم بيعة الرضوان) سنة ٦ هـ . (معجم البلدان ٢٢٩/٢ ، وسيرة ابن هشام ٣٠٨/٢ ـ ٣٢٢ ، والقاموس الإسلامي ٥٢/٢ ، والموسوعة الميسرة ص٦٩٣) .

(٣) في حاشية ط وخ : بفتح الراء وتضم : إناء من جلد نحو الابريق . اهـ . فهو إناء يُشرب فيه الماء ويكون كالدلو الصغيرة وجمعه : ركاء . (المعجم الوسيط ٣٧١/١) .

(٤) وفي بعض روايات الحديث أنهم ١٥٠٠ . انظر فتح الباري ٥٨١/٦ باب ٢٥ من كتاب المناقب حديث ٣٥٧٦ ، و ٤٤١/٧ باب ٣٥ من كتاب المغازي حديث ٤١٥٢ ، و ١٠١/١٠ باب ٣١ من كتاب الأشربة حديث ٥٦٣٩ ، وسنن الدارمي ٢١/١ باب ٥ حديث ٢٧ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١١٥/٤ ـ ١١٦ و ١١/٦ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٥٢٢/٢ حديث ٣١٣ و ٣١٤ ، والبداية والنهاية ١١١/٦ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٣٩ ، والشفا ٢٨٦/١ ، والوفا ٤٤١/١ ، وحدائق الأنوار ٢٠٢/١ .

(٥) في حاشية ط وخ : عزلاء شجب بالإضافة وهو بفتح العين وسكون الزاي المعجمة : فم المزادة الأسفل ، والشّجْب : بفتح الشين المعجمة وسكون الجيم : ما يلي من القِربة . اهـ . فالعزلاء : مصب الماء من القربة في أسفلها والجمع عزالي ، والشجب : الهلاك ويطلق على السقاء =

فأتي به النبي ﷺ فغمره[1]، وتكلّم بشيء لا أدري ما هو ، وقال : « ناد بجفنة الركب »[2]. فأتيت بها فوضعتها بين يديه ـ وذكر ـ أنّ النبي ﷺ بسط يده في الجفنة وفرّق أصابعه وصبّ جابر عليه ، وقال : « بسم الله »، قال : فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ، ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت ، وأمر الناس بالإستقاء فاستقوا حتى رووا . فقلت : هل بقي أحد له حاجة ؟ فرفع رسول الله ﷺ من الجفنة وهي ملأى)[3].

وهذه المعجزة صدرت في غزوة بواط[4].

(٧) عن معاذ بن جبل[5] في قصة غزوة تبوك[6]: وأنهم وردوا العين وهي

= اليابس الذي أخلق وبلى ، والجمع شُجُبٌ وأشجاب. (انظر لسان العرب ١/٤٨٤ و ١١/٤٤٣).

(١) في حاشية ط وخ : غمره بالراء المهملة أي فغطاه ، وفي أصل الدلجي بالزاي المعجمة : أي عصره . اهـ . فغمره : أي علاه وغطاه ، والغمز : العصر باليد . (لسان العرب ٥/٢٩ و ٣٨٩) .

(٢) في حاشية ط وخ : الجفنة بالفتح والسكون أكبر قصاع الأطعمة . اهـ . فالجفنة أعظم ما يكون من القصاع والجمع جِفان وجِفَن (لسان العرب ١٣/٨٩) . وناد بجفنة الركب : أي يا صاحب جفنة الركب التي تشبعهم ، فمن كان عنده جفنة بهذه الصفة فليحضرها .

(٣) انظر صحيح مسلم ١٨/١٤٥ في كتاب الزهد ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٩ ، والبداية والنهاية ٦/١١١ ، وحدائق الأنوار ١/٢٠٧ ، والشفا ١/٢٨٦ ، والوفا ١/٤٤٩) .

(٤) بواط : جبل من جبال جهينة بناحية رضوى بالقرب من ينبع ، وكانت منازل جهينة ما بين المدينة المنورة وساحل البحر ، وكانت غزوة بواط سنة ٢هـ . (معجم البلدان ١/٥٠٣ ، والقاموس الإسلامي ١/٣٨٤ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١/٥٩٨ ، ودائرة وجدي ٢/٤١٥) .

(٥) معاذ بن جبل : هو أبو عبدالرحمن معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي الجشمي ، ولد سنة ٢٠ق.هـ/٦٠٣م ، وأسلم وهو فتى ، وكان أحد الأنصار السبعين في بيعة العقبة الأخيرة، وشهد جميع المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وبعثه الرسول ﷺ قاضياً ومعلماً لأهل اليمن ، فقد كان أعلم الصحابة بالحلال والحرام ، شارك في فتوح الشام إلى أن توفي بطاعون عمواس سنة ١٨هـ/٦٣٩م ، فدفن بالقُصَيْر المَعيني في غور الأردن الشمالي ، شرقي النهر بـ ٤ كم ، وقد روى ١٥٧ حديثاً . (الإصابة ٣/٤٢٦ ، والإستيعاب ٣/٣٥٥ ، والتهذيب ١٠/١٨٦ ، والأعلام ٧/٢٥٨ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١/٤٦٣) .

(٦) تبوك : مدينة في أقصى شمال الحجاز في شمال غرب المملكة العربية السعودية جنوبي =

تَبِضّ[1] بشيء من ماء مثل الشِّراك[2]. فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ، ثم غسل رسول الله ﷺ فيه وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها ، فجرت بماء كثير ، فاستقى الناس ـ قال في حديث ابن اسحاق[3]: فانخرق من الماء ماله حِسّ كحِسّ الصواعق ـ ثم قال : يوشك يا معاذ إنْ طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد مُلِىء جناناً »[4].

(٨) عن عمران بن حصين[5] رضي الله عنهما أنّه قال : « حين أصاب النبيَّ ﷺ وأصحابَه عطشٌ في بعض أسفارهم ، فوجّه رجلين من أصحابه ،

= الحدود الأردنية بـ ١٠٠ كم على الطريق بين الشام والحجاز ، وقد اشتهرت في التاريخ الإسلامي بالغزوة التي عرفت باسمها وكانت آخر غزوات النبي ﷺ سنة ٩هـ. (معجم البلدان ٢/ ١٤ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٥١٥ ، والقاموس الإسلامي ١/ ٤٣٩ ، والموسوعة الميسرة ص ٤٩٠ ، ودائرة وجدي ٢/٥٣٠) .

(١) في حاشية ط وخ : بكسر الموحدة وتشديد الضاد المعجمة أي تسيل . اهـ . أي جعل ماؤها يخرج قليلاً كالرشح ، والعين تَبِضّ بَضّاً وبضيضاً : دمعت. (لسان العرب ٧/١١٧).

(٢) الشراك : سيْر النعل والجمع شُرُك . (لسان العرب ١٠/٤٥١) .

(٣) ابن إسحاق : هو أبو بكر أو أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني ، رئيس أهل المغازي ، محدّث حافظ ومؤرخ عارف بأيام العرب وأنسابهم ، له تصانيف أشهرها السيرة النبوية ، توفي في بغداد سنة ١٥١هـ/٧٦٨م (التهذيب ٩/ ٣٨ ، وكشف الظنون ٢/١٠١٢ و٦/ ٧ ، والأعلام ٦/ ٢٨ ، ومعجم المؤلفين ٩/ ٤٤) .

(٤) انظر صحيح مسلم ١٥/ ٤١ في معجزات النبي ﷺ من كتاب الفضائل ، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٢٣٦ ، والبداية والنهاية ٥/ ٢١ و٦/ ١١٦ ، والشفا ١/ ٢٨٧ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/ ٦٧٠ حديث ٤٥٠ ، وحدائق الأنوار ١/ ٢٠٨ ، وتصديق هذا الحديث مشاهد في زماننا مطلع القرن الخامس عشر الهجري .

(٥) عمران بن حصين : هو أبو نُجَيْد عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي الكعبي ، من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، أسلم عمران وأبو هريرة عام خيبر سنة ٧هـ ، وكانت معه راية خزاعة في فتح مكة سنة ٨هـ ، أرسله عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقّه أهلها فسكنها حتى وفاته فيها سنة ٥٢هـ/٦٧٢م ، ولم ينزلها أفضل منه ، وكان مجاب الدعوة روى ١٣٠ حديثاً . (الإصابة ٣/ ٢٦ ، والإستيعاب ٣/ ٢٢ ، والتهذيب ٨/ ١٢٥ ، والقاموس الإسلامي ٥/ ٥٣٧ ، والأعلام ٥/ ٧٠) .

وأعلمهما أنّهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان[1] - الحديث - فوجداها وأتيا بها النبي ﷺ ، فجعل في إناء من مزادتيها ، وقال فيه ما شاء الله ، ثم أعاد الماء في المزادتين ، ثم فتحت عزاليْها[2]، وأمر الناس فملؤوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئاً إلاّ ملؤوه . قال عمران : ويُخيّل إليّ أنهما لم تزدادا إلّا امتلاء ، ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها ، وقال : اذهبي فإنّا لم نأخذ من مائك شيئاً ولكنّ الله سقانا »[3].

(٩) في حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة[4]، وذكر ما أصابهم من العطش حتى إنّ الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه[5] فيشربه ، فرغب أبو بكر إلى النبي في الدعاء . فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء[6] فانسكبت . فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر[7].

---

(١) مفردها : مزادة ، وهي الراوية لا تكون إلاّ من جلدين تفأم بجلد ثالث بينهما لتتسع ويحمل فيها الماء ، وقيل الراوية: تجمع المزادتين والواحدة مزادة والجمع مزاود . (لسان العرب ١٩٩/٣) .

(٢) أي مصب الماء من المزادتين ، ويكون من الأسفل .

(٣) انظر فتح الباري ٤٤٧/١ باب ٦ من كتاب التيمم حديث ٣٤٤ ، و ٥٨٠/٦ باب ٢٥ من كتاب المناقب حديث ٣٥٧١ ، وصحيح مسلم ١٩١/٥ في كتاب المساجد ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٥٢٧/٢ حديث ٣٢٠ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢٧٦/٤ - ٢٨١ ، و ١٣٠/٦ ، والبداية والنهاية ١١٣/٦ ، والسيرة النبوية للذهبي ٢٥٣ ، والشفا ٢٨٩/١ ، والوفا ٤٣٨/١ ، وحدائق الأنوار ٢٠٤/١) .

(٤) أي جيش غزوة تبوك سنة ٩هـ .

(٥) الفرث : السرجين (السرقين) ما دام في الكرش والجمع فروث . (لسان العرب ١٧٦/٢) .

(٦) في حاشية ط وخ : أي أمطرت . اهـ . وقد تكون بمعنى تهيأت واستعدت وظهرت فيها السحب .

(٧) انظر دلائل النبوة للأصبهاني في ٦٧١/٢ حديث ٤٥٢ ، وحدائق الأنوار ٢٠٦/١ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢٣١/٥ ، والشفا ٢٩٠/١ ، والبداية والنهاية ١١/٥ و١٠٧/٦) .

(١٠) عن جابر رضي الله عنه : أنّ رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه ، فاستطعمه شطر وسق شعير . فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال : لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم[١].

(١١) عن أنس رضي الله عنه : أنّ النبي ﷺ أطعم ثمانين رجلاً من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده ، أي إبطه[٢].

(١٢) عن جابر رضي الله عنه : أنّ النبي ﷺ أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع من شعير وعناق[٣] . قال جابر رضي الله عنه : فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإنّ برمتنا لتغطّ[٤] كما هي ، وإنّ عجيننا ليخبز ، وكان رسول الله ﷺ بصق في العجين والبرمة وبارك[٥].

---

(١) انظر صحيح مسلم ١٥/٤٠ في معجزات النبي ﷺ من كتاب الفضائل ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/١١٤ ، والبداية والنهاية ٦/١٢١ و ١٣٦ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٥٢ ، والشفا ١/٢٩١ .

(٢) انظر فتح الباري ٦/٥٨٦ باب ٢٥ من كتاب المناقب حديث ٣٥٧٨ ، و ٩/٥٢٦ باب ٦ من كتاب الأطعمة حديث ٥٣٨١ ، و ١١/٥٧٠ باب ٢٢ من كتاب الأيمان والنذور حديث ٦٦٨٧ ، وصحيح مسلم ١٣/٢١٨ في كتاب الأشربة ، وسنن الترمذي ١٣/١١٢ في أبواب المناقب ، وسنن الدارمي ١/٢٧ باب ٧ حديث ٤٤ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع ١٠/٢١١ و ١/٥٣ و ٢/٥٩٢ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٥٣٢ حديث ٣٢٢ ، والبداية والنهاية ٦/١٢١ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٨٨ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٤٩ ، والشفا ١/٢٩١ ، والوفا ١/٤٢٧ .

(٣) في حاشية ط و خ : العناق : بفتح أوله ، وهي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتمّ لها سنة . اهـ . وفي لسان العرب ١٠/٢٧٥ إذا أتت عليها سنة وجمعها أعنُق وعُنوق .

(٤) في حاشية ط و خ : تَغِطّ بفتح التاء وكسر العين المعجمة وتشديد المهملة : أي تغلي من حرارة النار تحتها . اهـ . وفي لسان العرب ١٢/٤٥ أنّ البرمة : القدر مطلقاً ، وهي في الأصل المتخذة من الحجر والجمع أبرام وبُرَم .

(٥) انظر فتح الباري ٧/٣٩٥ باب ٢٩ من كتاب المغازي حديث ٤١٠١ و ٤١٠٢ ، وصحيح مسلم ١٣/٢١٦ في كتاب الأشربة ، وسنن الدارمي ١/٢٦ باب ٧ حديث ٤٣ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٢١٨ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع ١/٥٣ ، و ٢١٢ ، و ٢/٥٩٢ ، =

(١٣) عن أبي أيوب[١] رضي الله عنه : أنّه صنع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر زهاء ما يكفيهما . فقال له النبي ﷺ : « ادع ثلاثين من أشراف الأنصار » . فدعاهم ، فأكلوا حتى تركوه ؛ ثم قال : « ادع ستين »، فكان مثل ذلك ، ثم قال : « ادع سبعين » . فأكلوا حتى تركوه ، وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع ، قال أبو أيوب رضي الله عنه : فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلاً[٢].

(١٤) عن سمرة بن جندب[٣]: أُتي النبي ﷺ بقصعة[٤] فيها لحم ،

= ودلائل النبوة للأصبهاني في ٥٣٨/٢ حديث ٣٢٧ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٤١٦/٣ - ٤٢٦ ، والبداية والنهاية ٣١٧/٦ ، والشفا ٢٩١/١ ، والوفا ٤٢٤/١ .

(١) أبو أيوب : هو أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد بن كليب النجاري الخزرجي من كبار الأنصار ، ولـمّا قدم النبي ﷺ المدينة بركت ناقته على باب أبي أيّوب فأقام عنده حتى بنى بيوته ومسجده ، وكان أبو أيّوب شجاعاً محباً للغزو والجهاد ، فشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها وشارك في غزوة القسطنطينية بقيادة يزيد بن معاوية سنة ٤٩هـ/٦٦٩م ، ومرض أثناء حصارها وتوفي فدفن إلى جوار سورها سنة ٥١ أو ٥٢هـ/٦٧٢م ، وقد روى أبو أيوب ١٥٥ حديثاً . (الإصابة ٤٠٥/١ ، والإستيعاب ٥/٤ ، وسيرة ابن هشام ٤٥٦/١ ، والأعلام ٢٩٥/٢ ، والتهذيب ٩٠/٣ ، والقاموس الإسلامي ٢٣١/١ ، والموسوعة ص ٣١ ، ودائرة وجدي ٧٩٩/١ ، والبداية والنهاية ٣٥/٨) .

(٢) انظر دلائل النبوة للأصبهاني ٥٥٠/٢ حديث ٣٣٤ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٩٤/٦ ، والبداية والنهاية ١٢٧/٦ ، والشفا ٢٩٢/١ ، والوفا ٤٣١/١ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع ٢١٤/١ .

(٣) سمرة بن جُنْدَب : هو أبو سعيد أو أبو عبدالرحمن : سمرة بن جُنْدَب بن هلال الفزاري من غطفان ، وصحابي من الشجعان ، كان صبياً في المدينة في حياة رسول الله ﷺ ، عرض عليه للقتال فردّه لصغر سنّه ثم أجازه لشجاعته ، نشأ في المدينة وسكن البصرة فكان زياد يستخلفه عليها ستة أشهر وعلى الكوفة ستة أشهر ، وكان شديداً على الحروريّة ، وهو من الحفاظ المكثرين عن رسول الله ﷺ ، توفي سنة ٥٨هـ ، وقيل أول سنة ٦٠هـ/٦٧٩م حيث سقط في قدر مملوءة ماء حاراً كان يتعالج فيها من كزاز (تشنج) شديد أصابه . (الإصابة ٧٨/٢ ، والإستيعاب ٧٧/٢ ، والتهذيب ٢٣٦/٤ ، والأعلام ١٣٩/٣ ، والقاموس الإسلامي ٤٩٦/٣) .

(٤) القصعة : إناء يوضع فيه الطعام يُشبع العشرة ، والجمع قِصاع وقِصَع . (لسان العرب ٢٧٤/٨) .

فتعاقبوها من غدوة حتى الليل، يقوم قوم ويقعد آخرون[1].

(١٥) عن عبدالرحمن بن أبي بكر[2] رضي الله عنهما: (كنا عند النبي ﷺ ثلاثين ومائة....) وذكر في الحديث أنّه عُجِنَ صاع من طعام، وصُنِعتْ شاة، فشوي سواد بطنها[3]، قال: (وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلّا وقد حزّ له حُزّة[4]، ثم جعل منها قصعتين، فأكلنا أجمعون، وفضل في القصعتين، فحملته على البعير[5].

(١٦) عن سلمة بن الأكوع[6] وأبي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله

---

(١) انظر سنن الترمذي ١٣/١١٠ في أبواب المناقب، ومسند أحمد ٥/١٢ و١٨، وسنن الدارمي ١/٣٢ حديث ٥٧، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٥٥١ حديث ٣٣٥، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٩٣، والبداية والنهاية ٦/١٢٩، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٥٠، والشفا ١/٢٩٢، والوفا ١/٤٣١.

(٢) عبدالرحمن بن أبي بكر: هو أبو محمد أو أبو عبدالله: عبدالرحمن بن عبدالله بن عثمان القرشي التيمي، كان هو وابنه أبو عتيق وأبوه أبو بكر وجدّه أبو قحافة أربعة من الصحابة من صلب واحد، وهو أسنّ أولاد أبي بكر، وأمّه أمّ رومان وشقيقته أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنهم أجمعين، أسلم عبدالرحمن بعد الحديبية وقبل الفتح وحسن إسلامه، وكان من أشجع قريش وأرماهم بسهم، وشهد غزوة افريقيا، ومات بمكة سنة ٥٣هـ/٦٧٣م، وروى ٨ أحاديث. (الإصابة ٢/٤٠٧، والإستيعاب ٢/٣٩٩، والتهذيب ٦/١٤٦، والأعلام ٣/٣١١، والقاموس الإسلامي ٥/١٣٠).

(٣) سواد بطنها: قيل الكبد، وقيل حشو البطن كله. (لسان العرب ٣/٢٢٧).

(٤) الـحُزّة: القطعة من اللحم قُطِعت طولاً. (لسان العرب ٥/٣٣٤).

(٥) انظر فتح الباري ٥/٢٣٠ باب ٢٨ من كتاب الهبة حديث ٢٦١٨، وصحيح مسلم ١٤/١٦ في كتاب الأشربة، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٥٣٦ حديث ٣٢٤، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٩٥، وحدائق الأنوار لابن الديبع ١/٢١٦، والبداية والنهاية ٦/١٣٠، والشفا ١/٢٩٢، والوفا ١/٤٣٠.

(٦) سلمة بن الأكوع: هو أبو مسلم سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع الأسلمي، والأكوع لقب جده سنان، وكان سلمة ممن بايع على الموت في بيعة الرضوان يوم الحديبية، وكان بطلاً شجاعاً رامياً عدّاء يسبق الفرس عدواً على قدميه، شهد عدة غزوات مع النبي ﷺ وشارك في فتح افريقية، وقال ابن إسحاق: هو الذي كلمه الذئب لـمّا انتزع منه ظبياً (وقيل رافع بن عميرة)، =

عنهم : فذكروا مخمصة أصابت الناس مع رسول الله ﷺ في بعض مغازيه[١]، فدعا ببقية الأزواد ، فجاء الرجل بالحَثْية[٢] من الطعام وفوق ذلك ، وأعلاهم الذي يأتي بالصاع من التمر ، فجُمِع على نِطَع[٣]، وقال سلمة : فحزرته كربضة العنز[٤]، ثم دعا الناس بأوعيتهم ، فما بقي في الجيش وعاء إلاّ ملؤوه ، وبقي منه[٥].

(١٧) عن أنس : أنّ النبي ﷺ حين ابتنى بزينب[٦] أمره أن يدعو له قوماً سمّاهم حتى امتلأ البيت والحجرة ، فقدم لهم تَوْرًا[٧] فيه قدر مدّ من تمر جُعِل

=توفي سلمة سنة ٧٤هـ/٦٩٣م وعمره ٨٠ سنة ، وروى ٧٧ حديثاً . (الإصابة ٢/٦٦ ، والإستيعاب ٢/٨٧ ، والتهذيب ٤/١٥٠ ، والأعلام ٣/١١٣ ، والقاموس الإسلامي ٣/٤٤٤) .

(١) في بعض الروايات : أنها غزوة تبوك .

(٢) في حاشية ط ، خ : الحَثية بفتح الحاء المهملة وسكون المثلّثة والياء التحتانية بمعنى اليسير . اهـ . والحَثْوة والحَثْية : الغَرْفة من التراب ونحوه . (القاموس المحيط ٤/٣١٧ ، والمعجم الوسيط ص ١٥٦) .

(٣) في حاشية ط ، خ : نِطَع : بكسر النون وفتح الطاء : بساط من أديم . اهـ . أي من جلد وجمعه نطوع وأنطاع وأنطع ويقال نِطَع ونَطْع ونِطْع . (لسان العرب ٨/٣٥٧) .

(٤) في حاشية ط ، خ : حَزَرت : بفتح الحاء المهملة والزاي المعجمة وسكون الراء المهملة بمعنى قدّرت . اهـ . والحزر : عدد الشيء بالحدس ، فالحزْر هو التقدير والخرص . (لسان العرب ٤/١٨٥) ومعنى كربضة العنز : أي : قدَّرته كمبرك العنزة أو كقدرها وهي رابضة .

(٥) انظر دلائل النبوة للأصبهاني ٢/٥٣٦ ـ ٥٣٨ ، حديث ٣٢٥ و ٣٢٦ ، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٥/٢٢٩ ـ ٢٣٠ و ٦/١٢٠ و ١٢١ ، وصحيح مسلم ١/٢٢٢ ـ ٢٢٥ في كتاب الإيمان ، و١٢/٣٣ في كتاب اللقطة ، وحدائق الأنوار للشيباني ١/٢١٧ ، والبداية والنهاية ٦/١٣١ ـ ١٣٣ ، والشفا ١/٢٩٣ ، والوفا ١/٤٢٦ ـ ٤٢٧ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٥٢ .

(٦) المقصودة هنا هي زينب بنت جحش رضي الله عنها .

(٧) تَوْر : قيل هو عربي وقيل دخيل ، وهو إناء تشرب فيه العرب . (لسان العرب ٤/٩٦) .

حَيْساً[1]، فوضعه وغمس ثلاث أصابعه . وجعل القوم يتغدّون ويخرجون ، وبقي التّور نحواً مما كان[2].

(١٨) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنّ فاطمة طبخت قِدْراً لغدائهما ، ووجّهت عليّا إلى النبي ﷺ ليتغدّى معهما ، فأمرها فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة ، ثم له عليه السلام ، ثم لعليّ ، ثم لها ، ثم رفعت القِدْر وإنّها لتفيض ، قالت : فأكلنا منها ما شاء الله[3].

(١٩) عن جابر رضي الله عنه في ديْن أبيه بعد موته ـ وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه ، ولم يكن في ثمرها كفاف[4] ديْنهم ـ فجاءه النبي ﷺ بعد أن أمره بجدّها[5]، وجعلها بيادر[6] في أصولها ، فمشى فيها ، ودعا ، فأوفى منه جابر غرماءه ، وفضل مثل ما كانوا يجدّون كل سنة[7].

---

(١) الحَيْس : الخلط لغة ، وهو نوع من الطعام يخلط فيه الاقط مع التمر بعد نزع نواه ويدقّان معا ثم يُعجنان بالسمن ، وقد يجعل عوض الاقط الدقيق والفتيت . (لسان العرب ٦/٦١) .

(٢) انظر فتح الباري ٩/٢٢٦ باب ٦٤ من كتاب النكاح حديث ٥١٦٣ ، وصحيح مسلم ٩/٢٣٣ في كتاب النكاح ، وسنن الترمذي ١٢/٩٢ في تفسير سورة الأحزاب من أبواب التفسير ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٥٤٤ حديث ٣٣٠ ، والبداية والنهاية ٦/١٢٧ ، وحدائق الأنوار ١/٢١٥ ، والشفا ١/٢٩٤ .

(٣) انظر الشفا ١/٢٩٤ .

(٤) بمعنى كفاية لسداد ديون الغرماء .

(٥) الجَداد والجِداد : أوان قطع الثمار ، والجَدّ : مصدر جدّ التمر يجدّ ، يقال الجَداد والجِداد والقَطاف والقِطاف والصَّرام والصِرام والحَصاد والحِصاد بالفتح والكسر ، بمعنى القطاف والحصاد . (لسان العرب ٣/١١٢) .

(٦) البيادر : مفردها بيدر ، وهو الموضع الذي يُداس فيه الطعام ، وهو للنخل كالجرن للحب . (لسان العرب ٤/٥٠) ولعل المقصود بالبيادر هنا أكوام .

(٧) انظر فتح الباري ٥/٦٠ باب ٩ من كتاب الإستقراض حديث ٢٣٩٦ و ٥/٤١٣ باب ٢٦ من كتاب الوصايا حديث ٢٧٨١ ، و ٦/٥٨٧ باب ٢٥ من كتاب المناقب حديث ٣٥٨٠ ، وسنن الدارمي ١/٢٨ باب ٧ حديث ٤٦ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٥٦٠ حديث ٣٤٥ ،=

(٢٠) قال أبو هريرة رضي الله عنه : أصاب الناس مخمصة ، فقال لي رسول الله ﷺ : « هل من شيء ؟ » قلت : نعم ، شيء من التمر في المِزود . قال : « فأتني به »، فأدخل يده ، فأخرج قبضة فبسطها ، ودعا بالبركة ، ثم قال : « ادع عشرة »، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كله ، وشبعوا ، وقال : « خذ ما جئت به ، وأدخل يدك واقبض منه ، ولا تكبّه »، فقبضت على أكثر ما جئت به ، فأكلت منه وأُطعمت حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر إلى أن قُتِل عثمان ، فانتُهب مني فذهب[1] .

ومعجزة تكثير الطعام ببركته ودعائه مروية عن بضعة عشر صحابياً ، ورواها عنهم أضعافهم من التابعين ، ثم مَن لا يُعدّ بعدهم . وأكثرها وردت في قصص مشهورة ومجامع مشهودة ، ولا يمكن التحدّث عنها إلاّ على وفق الصدق حذراً من التكذيب .

وإنّما حصّل النبي ﷺ أوّلاً الماء القليل أو الطعام القليل ، ثم كثّره ، ولم يخترع من بدء الأمر من العدم إلى الوجود الماء الكثير أو الطعام الكثير مراعاة للأدب بحسب الظاهر ليُعلم أنّ الموجد هو الله ، وإنّما حصلت البركة بسبب النبي ﷺ ، وإنْ كان التكثير أيضاً في الحقيقة من جانب الله كالإيجاد .

وهكذا فعله الأنبياء كما يظهر من معجزة إيليّا عليه السلام في تكثير الدقيق والزيت في بيت امرأة أرملة على ما صرح به في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول[2] .

= ودلائل النبوة للبيهقي ٦/١٤٩ ـ ١٥٠ ، وحدائق الأنوار ١/٢١٣ ، والبداية والنهاية ٦/١٣٤ ، والشفا ١/٢٩٥ ، والوفا ١/٤٢٥ .

(١) انظر دلائل النبوة للأصبهاني ٢/٥٥٨ حديث ٣٤١ و٣٤٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/١٠٩ ـ ١١١ ، والبداية والنهاية ٦/١٣٤ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٥١ ، والشفا ١/٢٩٥ ، والوفا ١/٤٣٥ .

(٢) انظر سفر الملوك الأول ١٧/٨ ـ ١٦ .

ومن معجزة اليسع عليه السلام في تكثير عشرين خبزاً من شعير وسنبل مفروك في منديل حتى أكل مائة رجل وفضل ، كما هو مصرح به في الباب الرابع من سفر الملوك الثاني[1].

ومن معجزة عيسى عليه السلام في تكثير خمسة أرغفة وسمكتين على ما صرح به في الباب الرابع عشر من إنجيل متّى[2].

(٢١) عن ابن عمر[3] رضي الله عنهما قال : (كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فدنا منه أعرابي ، فقال : «يا أعرابي أين تريد» ؟ قال : أهلي . قال : «هل لك إلى خير ؟ » قال : وما هو ؟ قال: «أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله »، قال : من يشهد لك على ما تقول ؟ قال : «هذه الشجرة السمرة»[4] وهي بشاطيء الوادي ، فأقبلت تخدّ[5] الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا ، فشهدت أنّه كما قال ، ثم رجعت إلى مكانها)[6].

---

(١) انظر سفر الملوك الثاني ٤/٤٢ ـ ٤٤ .

(٢) انظر إنجيل متّى ١٤/١٤ ـ ٢١ .

(٣) ابن عمر : هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطّاب القرشي العدوي ، ولد في مكة سنة ١٠ق. هـ/٦١٣م ، وهو شقيق حفصة أمّ المؤمنين والابن الأكبر لعمر رضي الله عنهم أجمعين، أسلم يوم أسلم أبوه وهاجر معه وعمره ١٠ سنوات ، وقد روي من ورعه وزهده وتحرّزه في الفتوى الشيء الكثير ، وكان واسع الإلمام بأخبار النبي ﷺ والصحابة مع حفظٍ جيّد وفهم دقيق ، وتوفي بمكة عام ٧٣هـ/٦٩٢م ، وهو آخر من مات بمكة من الصحابة ، وروى ٢٦٣٠ حديثاً . (الإصابة ٢/٣٤٧ ، والإستيعاب ٢/٣٤١ ، والتهذيب ٥/٣٢٨ ، والأعلام ٤/١٠٨ ، والقاموس الإسلامي ٥/١٨٨ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٧٨) .

(٤) السمرة : من شجر الطلح والجمع سَمُر وسَمُرات وأسْمُر في أدنى العدد ، والسَّمُر ضرب من العضاهِ ، وقيل : من الشجر صغار الورق قصار الشوك له برمة صفراء يأكلها الناس . (لسان العرب ٤/٣٧٩) .

(٥) في حاشية ط ، خ : أي تشقّ . اهـ . الخدّ والأخدود : الحفرة المستطيلة في الأرض وخدّ السيلُ الأرضَ : إذا شقّها بجريه . (لسان العرب ٣/١٦٠) .

(٦) انظر دلائل النبوّة للبيهقي ٦/١٤ ، وحدائق الأنوار ١/٢٢١ ، والبداية والنهاية ٦/١٤٤ و ٣١١ ، وسنن الدارمي ١/١٧ باب ٤ حديث ١٦ ، والشفا ١/٢٩٨ ، والوفا =

(٢٢) عن جابر رضي الله عنه : ذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته ، فلم ير شيئاً يستتر به ، فإذا بشجرتين بشاطيء الوادي ، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما ، فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال : «انقادي عليَّ بإذن الله» . فانقادت معه كالبعير المخشوش[١] الذي يصانع قائده .... وذكر جابر : أنه فعل بالأخرى كذلك ، حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال : «التئما عليَّ بإذن الله »، فالتأمتا ، فجلس خلفهما ، فخرجت أُحْضِر[٢]، وجلست أحدّث نفسي ، فالتفتّ فإذا رسول الله ﷺ مقبلاً والشجرتان قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق[٣].

(٢٣) عن ابن عباس[٤] رضي الله عنهما : [أنه ﷺ] قال لأعرابي : «أرأيت

= ١/٤٥٦ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٤٠ ، وقد روى أبو نعيم في دلائل النبوة ٢/٥٠٣ عدّة روايات عن غير ابن عمر .

(١) في حاشية ط ، خ : أي الذي جُعل في أنفه خِشاش ، وهو بالكسر عمود يربط عليه حبل . اهـ . ويقال له خِشاش ؛ لأنّه يخش في أنف البعير أي يدخل فيه ، فإنْ كان عموداً في عظم الأنف فهو الخِشاش ، ويشدّ به الزمام ليكون أسرع لانقياده ، وإن كان في اللحم فوق الأنف فهو العِران . (لسان العرب ٦/٢٩٦) .

(٢) في حاشية ط ، خ : أي أعدو . اهـ . احتضر الفرس : إذا عدا ، واستحضرته : أعديته ، والـحُضْر والحِضار : من عدْوِ الدواب ، والفعل : الإحضار ، والـحُضْر والإحضار : ارتفاع الفرس في عدْوِه ، وحاضرته حِضَاراً : عدوتُ معه . (لسان العرب ٤/٢٠١) .

(٣) انظر صحيح مسلم ١٨/١٤٣ في كتاب الزهد ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٥٠٥ حديث ٢٩٦ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٧ و١٨ ، والبداية والنهاية ٦/١١٠ و ١٤١ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٣٨ و ٢٤١ ، والشفا ١/٢٩٩ ، والوفا ١/٤٥٤ ، وحدائق الأنوار ١/٢٢٢ .

(٤) ابن عباس : هو أبو العباس عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ، حَبْر الأمة وابن عمّ رسول الله ﷺ ، وُلد في الشعب أثناء حصار المسلمين بمكة سنة ٣ق.هـ/٦١٩م ، فنشأ في المدينة ملازماً للرسول ﷺ ودعا الله له أن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل ، وبعد وفاة النبي ﷺ سكن ابن عباس في مكة ، وكان محدثاً متقناً للرواية ضابطاً للأخبار وفقيهاً عالماً ومفسراً كبيراً ، أخذ عنه كثيرون من التابعين ، وقد كف بصره في آخر عمره فسكن الطائف وتوفي فيها سنة ٦٨هـ/٦٨٧م وعمره ٧١ سنة ، وروى ١٦٦٠ حديثاً . (الإصابة ٢/٣٣٠ ، والإستيعاب=

إنْ دعوتُ هذا العَذْق[1] من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله ؟ » قال : نعم . فدعاه ، فجعل ينقز[2] حتى أتاه ، فقال : « ارجع ». فرجع إلى مكانه[3].

(٢٤) عن جابر رضي الله عنه : كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل ، وكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صُنِع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشار[4]. وفي رواية أنس : حتى ارتجّ المسجد لخواره[5]. وفي رواية سهل : وكثر بكاء الناس لِـمَا رأوا به . وفي رواية المطّلب : حتى تصدّع وانشق حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت[6].

= ٢/٣٥٠ ، والتهذيب ٥/٢٧٦ ، والأعلام ٤/٩٥ ، والقاموس الإسلامي ٥/٦١ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٧٨ ، ودائرة وجدي ٦/٩١) .

(١) العَذق : بالفتح النخلة بحملها وكل غصن له شعب ، وبالكسر عِذْق : العُرجون بما فيه من الشماريخ ، والقِنو من النخل والعنقود من العنب وجمعه أعذاق وعذوق . (لسان العرب ١٠/٢٣٨) .

(٢) ينقز : بمعنى يقفز ، يقال نقز ينقِز وينقُز نقزاً ، ونقزاناً : وثب صُعُدا ، والتنقيز : التوثيب . (لسان العرب ٥/٤١٩) .

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٦/١٥ ، والبداية والنهاية ٦/١٤٣ و ٣١١ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٤٠ ، والشفا ١/٣٠٣ ، والوفا ١/٤٥٧ ، وسنن الترمذي ١٣/١١١ في أبواب المناقب .

(٤) الناقة العُشَراء والعِشار : التي مضى لحملها عشرة أشهر ، وقيل ثمانية ، وقال الأزهري : والعرب يسمونها عِشاراً بعدما تضع ما في بطونها للزوم الاسم بعد الوضع كما يسمونها لقاحاً ، وقيل العُشَراء من الإبل كالنفساء من النساء ، وأكثر ما يُطلق على الخيل والإبل . (لسان العرب ٤/٥٧٢) .

(٥) خار يخور خواراً : صاح ، والخوار : صوت الثور وما اشتد من صوت البقرة والعِجْل . (لسان العرب ٤/٢٦١) .

(٦) انظر فتح الباري ٢/٣٩٧ باب ٢٦ من كتاب الجمعة حديث ٩١٨ ، و٦/٦٠١ باب ٢٥ من كتاب المناقب حديث ٣٥٨٣ و ٣٥٨٤ و ٣٥٨٥ ، وسنن ابن ماجه ١/٢٥٨ باب ١٩٦ حديث ١٤١٢ - ١٤١٥ ، وسنن الدارمي ١/٢٢ باب ٦ حديث ٣١ - ٤٢ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٥١٣ - ٥١٩ حديث ٣٠٢ - ٣١٠ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٦٦ - ٦٧ ، والبداية والنهاية ٦/١٤٤ - ١٥١ ، و٣١١ ، وحدائق الأنوار ١/٢٢٥ و٢/٦٥٢ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٤٧ ، والشفا ١/٣٠٣ ، والوفا ١/٤٨٨ وسنن الترمذي ١٣/١١١ في أبواب المناقب .

والخبر بأنين الجذع وحنينه باعتبار مبناه مشهور عن السلف والخلف ، وباعتبار معناه متواتر يفيد العلم القطعي ، رواه من الصحابة بضعة عشر ، منهم أبي بن كعب[1] وأنس بن مالك وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وسهل بن سعد الساعدي[2] وأبو سعيد الخدري[3] وبريدة وأم سلمة[4]

---

(١) أبي بن كعب : هو أبو المنذر وأبو الطفيل أبيّ بن كعب بن قيس الأنصاري النجّاري الخزرجي ، أحد أحبار اليهود بالمدينة ، وكان عارفاً بالقراءة والكتابة ومطلعاً على كتب أهل الكتاب وبشائرها بمحمد ﷺ ، ولما أسلم جعله النبي ﷺ أحد كُتّاب الوحي فكان أول من كتب الوحي لرسول الله ﷺ في المدينة ، فصار من كبار الصحابة وسيّد القرّاء ، ومن أصحاب الفتيا والتفسير ، شهد جميع المشاهد مع النبي ﷺ ، وشارك في جميع القرآن الكريم زمن أبي بكر ، وشهد وقعة الجابية مع عمر ، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس عند فتحها ، وله في الصحيحين ١٦٤ حديثاً ، توفي سنة ٢١هـ/٦٤٢م (الإصابة ١٩/١ ، والإستيعاب ٤٧/١ ، وتهذيب التهذيب ١٨٧/١ ، والأعلام ٨٢/١ ، والقاموس الإسلامي ١٧/١ ، والموسوعة الميسرة ص ٢٥ ، ودائرة وجدي ٣٧/١) .

(٢) سهل بن سعد الساعدي : هو أبو العباس سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الأنصاري الساعدي من مشاهير الصحابة ، ولد في المدينة قبل الهجرة ببضع سنوات ، وكان اسمه حزناً فسماه النبي ﷺ سهلاً ، وكان عمره عند وفاة النبي ﷺ ١٥ سنة ، وعاش نحو مئة سنة ، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة ، وكانت وفاته نحو سنة ٩١هـ/٧١٠م ، وله في كتب الحديث ١٨٨ حديثاً . (الإصابة ٨٨/٢ ، والإستيعاب ٩٥/٢ ، والتهذيب ٢٥٢/٤ ، والأعلام ١٤٣/٣ ، والقاموس الإسلامي ٥٤١/٣ ، ودائرة وجدي ٣١٦/٥) .

(٣) أبو سعيد الخدري : هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي ، ولد في المدينة سنة ١٠ ق.هـ/٦١٣م ، وكان ملازماً للنبي ﷺ فحفظ عنه كثيراً وروى ١١٧٠ حديثاً ، وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم ، وتوفي في المدينة سنة ٧٤هـ/٦٩٣م. (الإصابة ٣٥/٢ ، والإستيعاب ٨٩/٤ ، والتهذيب ٤٧٩/٣ ، والأعلام ٨٧/٣ ، والقاموس الإسلامي ٣٦٧/٣ ، ودائرة وجدي ١٣٣/٥) .

(٤) أمّ سلمة : هي أمّ المؤمنين هند بنت أبي أميّة بن المغيرة القرشية المخزومية ، ولدت عام ٢٨ ق.هـ/٥٩٦م ، واشتهر أبوها أبو أميّة بلقب زاد الراكب واسمه حذيفة أو سهيل بن المغيرة ، أسلمت أمّ سلمة قديماً ، وكانت أوّل مهاجرة إلى الحبشة ، فقد صحبت زوجها أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي (الذي هو ابن برّة عمّة رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة حيث أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب) ، وفي الحبشة رزقا سلمة ، ثم كانت أوّل مهاجرة إلى المدينة ، وفيها رزقا ابنهما=

والمطّلب بن أبي وداعة[1] رضي الله عنهم كلهم يحدّثون بمعنى هذا الحديث ، وإن كانت ألفاظهم مختلفة في باب التحديث فلا شكّ في حصول التواتر المعنوي[2].

(٢٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة . فلـمّا دخل رسول الله ﷺ المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسّها ، ويقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا** ﴾[3]، فما أشار إلى وجه صنم إلاّ وقع لقفاه ، ولا لقفاه إلاّ وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم[4].

= عمر ، وبعد استشهاد زوجها سنة ٣هـ تزوجها رسول الله ﷺ سنة ٤هـ بعد وفاة زوجته زينب الهلالية ، رافقته في عدة غزوات ، ولها آراء تدلّ على كمال عقلها كإشارتها على النبي ﷺ في الحديبية سنة ٦هـ بأن يبدأ بنحر هديه ليقتدي به أصحابه ، فعمل بمشورتها ، توفيت أمّ سلمة رضي الله عنها بالمدينة سنة ٦٢هـ/٦٨١م ودفنت في البقيع ، وكانت آخر زوجات النبي ﷺ وفاة ، وروت ٣٧٨ حديثاً . (الإصابة ٤/٤٢٣ و٤٥٨ ، والإستيعاب ٤/٤٥٤ ، والتهذيب ١٢/٤٥٥ ، والأعلام ٨/٩٧ ، والقاموس الإسلامي ٣/٤٤٤ ، والموسوعة الميسرة ص ١٩٠٤) .

(١) المطلب بن أبي وداعة : هو المطلب بن أبي وداعة السهمي القرشي ، واسم أبي وداعة : الحارث بن صبيرة ، أسلم المطلب يوم فتح مكة سنة ٨هـ ، وكان أبوه الحارث قد أسر يوم بدر فجاء ابنه المطلب إلى المدينة سرّاً وفدى أباه بأربعة آلاف درهم ، فكان أول أسير فُدِيَ من أسرى بدر . (الإصابة ٣/٤٢٥ ، والإستيعاب ٣/٤١٢ ، والتهذيب ١٠/١٧٩) .

(٢) التواتر المعنوي : المتواتر : ما رواه جماعة عن جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب حتى يصِل الحديث إلى النبي ﷺ ، فإنْ كان لفظ الحديث متقارباً يسمى المتواتر اللفظي ، وإن كان اللفظ متفاوتاً والمعنى واحد يسمى المتواتر المعنوي .

(٣) سورة الاسراء آية ٨١ .

(٤) انظر فتح الباري ٨/٤٠٠ باب ١٢ من كتاب التفسير حديث ٤٧٢٠ ، وصحيح مسلم ١٢/١٢٦ ـ ١٣٣ في فتح مكة من كتاب الجهاد والسير ، وسنن الترمذي ١١/٢٩٧ في أبواب التفسير ، وسيرة ابن هشام ٢/٤١٦ ، والبداية والنهاية ٤/٣٣٦ و٦/١٥٤ ، والشفا ١/٣٠٨ ، والوفا ١/٤٦٦ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٦٦٦ حديث ٤٤٦ و٤٤٧ ، وحدائق الأنوار ١/٢٢٨ و٢/٦٧٢ وكان فتح مكة عام ٨هـ/٦٢٩م .

(٢٦) دعا النبي ﷺ رجلاً إلى الإسلام فقال لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي . فقال ﷺ : «أرني قبرها». فأراه إيّاه . فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : «يا فلانة» ! قالت : لبيك وسعديك . فقال النبي ﷺ : « أتحبين أن ترجعي إلى الدنيا ؟ » فقالت : لا والله يا رسول الله ، إنّي وجدت الله خيراً لي من أبويّ ، ووجدت الآخرة خيراً من الدنيا[١].

(٢٧) ذبح جابر رضي الله عنه شاة وطبخها ، وثرد[٢] في جفنة ، وأتى بها رسولَ الله ﷺ ، فأكل القوم ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول لهم : «كلوا ولا تكسروا عظماً» ، ثم إنّه ﷺ جمع العظام ، ووضع يده عليها ، ثم تكلّم بكلام فإذا الشاة قامت تنفض ذَنَبها[٣].

(٢٨) عن سعد بن أبي وقاص[٤] رضي الله عنه : أنّ رسول الله ﷺ لَيُناوِلني

---

(١) انظر الشفا ١/٣٢٠ ، وفي ص ١٧٠ من كتاب الإعتقاد للبيهقي في حديث ربعي بن حراش شهادة أخيه بعدما مات لنبيّنا ﷺ بالرسالة ، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٦/٥٠ و ٥٥ .

(٢) ثرد الخبز ثَرْداً : كسره . (لسان العرب ٣/١٠٢) .

(٣) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٦/٣٣٢ أنّ الحافظ محمد بن المنذر ـ المعروف بيشكر ـ أورد في كتابه (العجائب والغرائب) بسنده أنّ رسول الله ﷺ جمع عظامها ثم دعا الله تعالى فعادت كما كانت فتركها في منزله .

(٤) سعد بن أبي وقاص : هو أبو إسحاق سعد بن مالك (ويكنى بأبي وقاص) بن أهيب القرشي الزهري ، ولد سنة ٢٣ ق.هـ/٦٠٠م ، وكان سابع من اعتنق الإسلام في مكة ، وهاجر وشهد بدراً وسائر المشاهد وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله وذلك في سرية عبيدة بن الحرث ، وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك ، وكان من الفرسان الشجعان وأحد حُرّاس رسول الله ﷺ في مغازيه ، قاد عدة معارك حاسمة فتح فيها العراق وبعض بلاد فارس كالقادسية وجلولاء ، وبنى أول مدينة شادها المسلمون وهي : الكوفة سنة ١٧هـ/٦٣٨م ، وولي إمارتها ثلاث سنين ونصف ، مات سنة ٥٥هـ/٦٧٥م في قصره بالعقيق شمال غربي المدينة بنحو ٣ كم ، فحمل على الأعناق ودفن في البقيع ، وروى ٢٧١ حديثاً . (الإصابة ٢/٣٣ ، والإستيعاب ٢/١٨ ، والتهذيب ٣/٤٨٣ ، والأعلام ٣/٨٧ ، والقاموس الإسلامي ٣/٣٣٤ ، والموسوعة الميسرة ص ٩٨١ ، ودائرة وجدي ٥/١٣٢) .

السهم لا نصل[1] به، فيقول : ارم به . وقد رمى رسول الله ﷺ يومئذ[2] عن قوسه حتى اندقت ، وأصيبت يومئذ عين قتادة - يعني ابن النعمان[3] - حتى وقعت على وجنته[4] فردّها رسول الله ﷺ ، فكانت أحسن عينيْه[5].

(٢٩) عن عثمان بن حنيف[6]: أنّ أعمى قال لرسول الله : ادع الله أن يكشف لي عن بصري . قال : فانطلق فتوضأ ثم صلِّ ركعتين ثم قل : اللهم إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمد نبيّ الرحمة ، يا محمد ، إنّي أتوجّه بك إلى ربك أن يكشف لي عن بصري ، اللهم شفّعْه فيَّ . قال : فرجع وقد كشف الله عن بصره[7].

---

(١) النصل : حديدة السهم والرمح ، وحديدة السيف ما لم يكن لها مقبض ، فإن كان لها مقبض فهو سيف ، والجمع أنصُل ونُصول ونِصال ، وقال ابن شميل : النصل هو السهم العريض الطويل والمشقص نصف النصل ، وأنصَل السهم ونصّله : جعل فيه النصل .(لسان العرب ١١/٦٦٢) .

(٢) قيل يوم بدر وقيل يوم الخندق ، والصواب يوم غزوة أُحُد .

(٣) قتادة بن النعمان : هو أبو عمرو قتادة بن النعمان بن زيد الأنصاري الظفري الأوسي وأخو أبي سعيد الخدري من أمّه ، وأحد الشجعان المشهورين ، وكانت معه راية بني ظفر يوم الفتح ، توفي سنة ٢٣هـ/٦٤٤م وعمره ٦٥ سنة، وصلى عليه عمر، وله ٧ أحاديث. (الإصابة ٣/٢٢٥ ، والإستيعاب ٣/٢٤٨ ، والتهذيب ٨/٣٥٧ ، والأعلام ٥/١٨٩) .

(٤) الوجنة : بفتح الجيم وسكونها : ما نتأ مِن لحم الخدّيْن . (لسان العرب ١٣/٤٤٣) .

(٥) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٣/١٠٠ و ٢٥١ - ٢٥٣ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٥١ ، والشفا ١/٣٢١ ، والوفا ١/٥٠٣ ، والبداية والنهاية ٦/٣٣٣ و ١٨٤ ، و٣/٣٢٠ و ٤/٣٨ ، وحدائق الأنوار ١/٢٤٣ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٦٢٢ و ٧٨٥ حديث ٤١٦ و٤١٧ و ٥٥٥ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٨٢ .

(٦) عثمان بن حُنَيْف : هو أبو عمرو عثمان بن حُنَيْف بن وهب الأنصاري الأوسي ، ولاّه عمر مساحة أرض العراق وضرْب الخراج والجزية على أهلها ، فبلغت جباية سواد الكوفة في زمنه أكثر من مليون درهم، وولاّه عليّ على البصرة، ثم سكن الكوفة إلى أن مات فيها سنة ٤١هـ/٦٦١م. (الإصابة ٢/٤٥٩ ، والتهذيب ٧/١١٢ ، والأعلام ٤/٢٠٥ ، والقاموس الإسلامي ٥/٢٦٧) .

(٧) انظر سنن الترمذي ١٣/٨٠ في أبواب الدعاء ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/١٦٦ - ١٦٨ ، والبداية والنهاية ٦/١٨٣ - ١٨٤ و٣٣٣ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ، والشفا ١/٣٢٢ .

(٣٠) ابن ملاعب الأسنّة[١] أصابه استسقاء[٢]، فبعث إلى النبي ﷺ . فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها فأعطاها رسوله . فأخذها متعجباً يَرى أنْ قد هُزِىء به . فأتاه بها وهو على شفا[٣] فشربها، فشفاه الله تعالى[٤].

(٣١) عن حبيب بن فديك[٥] أنّ أباه ابيضّت عيناه ، فكان لا يبصر بهما شيئاً ، فنفث رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر ، فرأيته يُدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين[٦].

---

(١) ملاعب الأسنّة: هو أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامري الكلابي، فارس قيس وأحد أبطال العرب في الجاهلية حتى ضرب به المثل فقيل: أفرس من ملاعب الأسنّة، ولقّب بذلك لقول أوْس بن حجر فيه:

فلاعب أطراف الأسنة عامر* فراح له حظ الكتيبة أجمع ذُكر في الصحابة والأغلب أنّه لم يُسلم ، لكنه قدِم على الرسول ﷺ فلم يُسلمِ ولم يبعد من الإسلام ، ويرد ذكره في حادث بئر معونة ؛ فهو الذي طلب من الرسول ﷺ رجالاً يدعون قومه للإسلام ويكونون في جواره ، فغدر بهم ابن أخيه عامر بن الطفيل بن مالك ، وكانت وفاة عامر (ملاعب الأسنة) سنة ١٠هـ/٦٣١م ، وهو عمّ الشاعر لبيد بن ربيعة بن مالك العامري . (انظر حدائق الأنوار ٥٤٢/٢ ، والأعلام ٢٥٥/٣ ، والإصابة ٢٥٨/٣ ، ودائرة وجدي ٢٨٣/٨ ، وتمثال الأمثال ٢٤٦/١ و ٣١٩ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١٨٤/٢) .

(٢) السِّقْي : ماء أصفر يقع في البطن ، استسقى بطنه استسقاء : أي اجتمع فيه ماء أصفر. (لسان العرب ٣٩٤/١٤) .

(٣) في حاشية كتاب الشفا ٣٢٢/١ : « قوله : على شفا : بفتح الشين المعجمة والقصر ، يقال : أشفى المريض على الموت ، وما بقي منه إلا شَفا : أي قليل » . وفي لسان العرب ٤٣٦/١٤ : والشفى : حَرْف كل شيء وحدّه ، وأشفى على الشيء : أشرف عليه ، وقال ابن السكيت : الشفى مقصور : بقية الهلال ، وبقية البصر ، وبقية النهار وما أشبهه ، ويقال للرجل عند موته : ما بقي منه إلا شفى : أي قليل .

(٤) الشفا ٣٢٢/١ .

(٥) حبيب بن فُدَيْك ، ويقال فُرَيْك بالراء ، ويقال فُوَيْك بالواو ، وكل ذلك بالتصغير ، وورد في البداية والنهاية أنّه ابن قُرَيْط أو مريط أو مدرك . (الإصابة ٣٠٨/١ ، والإستيعاب ٣٣٠/١ ، والبداية والنهاية ١٨٤/٦ و ٣٣٤) .

(٦) انظر دلائل النبوة للأصبهاني ٦٠١/٢ و ٧٨٥ حديث ٣٩٧ و ٥٥٦ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١٧٣/٦ ، والبداية والنهاية ١٨٤/٦ و ٣٣٤ ، والشفا ٣٢٣/١ .

(٣٢) تفل[١] في عيني عليّ رضي الله عنه يوم خيبر وكان رَمِدا[٢] فأصبح بارئاً[٣].

(٣٣) نفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرأت[٤].

(٣٤) أتته امرأة من خثعم[٥] معها صبي به بلاء لا يتكلم ، فأتي بماء ، فمضمض فاه وغسل يديه ، ثم أعطاها إياه ، وأمرها بسقيه ومسّه به ، فبرأ الغلام وعقل عقلاً يفضل عقول الناس[٦].

(٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما : جاءت امرأة بابن لها به جنون ، فمسح صدره ، فثعّ ثعّة[٧] فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود ، فشفي[٨].

---

(١) تفل يتفل تفلاً : بصق ، والتفل شبيه بالبزق وهو أقل منه ، والتفل بالفم لا يكون إلا ومعه شيء من الريق ، فإذا كان نفخاً بلا ريق فهو النفث ، فالبزق ثم التفل ثم النفث ثم النفخ . (لسان العرب ١١/٧٧) .

(٢) الرّمَد : هو وجع العين وانتفاخها . (لسان العرب ٣/١٨٥) .

(٣) انظر فتح الباري ٦/١١١ باب ١٠٢ من كتاب الجهاد حديث ٢٩٤٢ ، و٧/٤٧٦ باب ٣٨ من كتاب المغازي حديث ٤٢١٠ ، وصحيح مسلم ١٢/١٨٥ في كتاب الجهاد و١٥/١٧٦ ـ ١٧٩ في كتاب فضائل الصحابة ، وسنن ابن ماجه ١/٢٤ باب ١١ حديث ١٠٤ ، وسنن الترمذي ١٣/١٧٢ في أبواب المناقب ، ودلائل النبوة للبيهقي ٤/٢٠٥ ـ ٢١٣ و٦/١٧٩ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٧٨٦ حديث ٥٥٧ ، والبداية والنهاية ٤/٢٠٨ ـ ٢١١ و٦/٣٣٤ ، والشفا ١/٣٢٣ ، والوفا ١/٥١٧ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٣٣٤ ، وحدائق الأنوار ١/٢٤٤ .

(٤) انظر فتح الباري ٧/٤٧٥ باب ٣٨ من كتاب المغازي حديث ٤٢٠٦ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٤/٢٥١ ، والبداية والنهاية ٦/٣٣٤ ، والشفا ١/٣٢٣ .

(٥) خثعم : قبيلة عربية كانت ديارها تقع على الطريق بين الطائف وأبها . (معجم قبائل العرب ١/٣٣١) .

(٦) انظر دلائل النبوة للأصبهاني ٢/٥٩٨ حديث ٣٩٣ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع ١/٢٤٥ ، والشفا ١/٣٢٤ .

(٧) ثع ثعة : أي قاء : والثعة : المرّة الواحدة . (لسان العرب ٨/٣٩) .

(٨) انظر مسند أحمد ١/٢٣٩ و٢٥٤ و٤٦٨ ، وسنن الدارمي ١/١٩ باب ٤ حديث ١٩ ، =

(٣٦) انكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب[١] وهو طفل ، فمسح عليه ودعا له وتفل فيه ، فبرأ لحينه[٢].

(٣٧) كانت في كفّ شرحبيل الجعفي[٣] سلعة[٤] تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة ، فشكاها للنبي ﷺ ، فما زال يطحنها حتى رفعها ولم يبق لها أثر[٥].

(٣٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قالت أمي[٦]: يا رسول الله ، خادمك أنس ادع الله له فقال : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته . قال أنس : فوالله إنّ مالي لكثير ، وإنّ ولدي وولد ولدي ليعادّون اليوم على نحو المائة[٧].

= ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٦٠٠ حديث ٣٩٥ و ٢/٧٨٦ حديث ٥٥٧ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/١٨٢ و١٨٧ ، والشفا ١/٣٢٤ ، والوفا ١/٥١٨ ، والبداية والنهاية ٦/١٨٢ و ٣٣٢ .

(١) محمد بن حاطب : هو أبو القاسم محمد بن حاطب بن الحارث القرشي الجمحي ، هاجرت أمه مع زوجها حاطب إلى الحبشة فولدت محمداً في السفينة ، وهو أول من سُمّي محمداً في الإسلام من قريش ، وتوفي أبوه في الحبشة فقدمت به أمه المدينة مع أهل السفينتين ، وكانت وفاته ٧٤هـ/٦٩٣م . (الإصابة ٣/٣٧٢ ، والإستيعاب ٣/٣٣٧ ، والتهذيب ٩/١٠٦ ، والأعلام ٦/٧٥) .

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٦/١٧٤ ـ ١٧٥ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٦٠١ حديث ٣٩٨ ، والبداية والنهاية ٦/٣٣٤ ، والشفا ١/٣٢٤ .

(٣) شرحبيل الجعفي : قيل اسمه شراحيل ، وقيل هو شرحبيل بن أوس ، وقيل شرحبيل بن عبدالرحمن ، له صحبة وسكن البصرة. (الإصابة ٢/١٤٤ ، والإستيعاب ٢/١٤٤) .

(٤) السِّلعة : زيادة تحدث في الجسد مثل الغُدّة ، وقد تكون بين الجلد واللحم إذا غُمزت تحرّكت ، وتكون من حمّصة إلى بطيخة. (لسان العرب ٨/١٦٠) .

(٥) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٦/١٧٦ ، والبداية والنهاية ٦/١٨٥ ، والشفا ١/٣٢٤ .

(٦) أمّ أنس بن مالك هي : أمّ سُليم بنت ملحان الأنصارية أخت أمّ حرام ، ومناقبها كثيرة جداً ، وروى الشيخان حديث رؤية الرسول ﷺ أنها في الجنة. (التهذيب ١٢/٤٧١) .

(٧) انظر فتح الباري ١١/١٣٦ و ١٤٤ و١٨٢ باب ١٩ من كتاب الدعوات حديث ٦٣٣٤ ، وباب ٢٥ حديث ٦٣٤٤ وباب ٤٧ حديث ٦٣٧٨ ـ ٦٣٨١ ، وصحيح مسلم ١٦/٣٩ ـ ٤٠ في كتاب فضائل الصحابة ، وحدائق الأنوار ١/٢٥٠ ، والشفا ١/٣٢٥ ، والوفا ١/٥٢١ .

(٣٩) دعا على كسرى[١] حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه ، فلم تبق له باقية ، ولا بقيت لفارس رياسة في سائر أقطار الدنيا[٢].

(٤٠) عن أسماء بنت أبي بكر[٣] رضي الله عنهما : أنّها أخرجت جبة طيالسة[٤]، وقالت : إن رسول الله ﷺ كان يلبسها ، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها[٥].

وهذه المعجزات وإنْ لم يتواتر كل واحد منها فالقدر المشترك بينها متواتر بلا شبهة كشجاعة عليّ وسخاوة حاتم[٦]، وهذا القدر يكفي ، والحالات التي

---

(١) هو كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، قتله ابنه شيرويه سنة ٦٢٩م .

(٢) انظر فتح الباري ١٠٨/٦ باب ١٠١ من كتاب الجهاد حديث ٢٩٣٩ و١٢٦/٨ باب ٨٢ من كتاب المغازي حديث ٤٤٢٤ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٤٥٠/٢ حديث ٢٤١ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٣٨٧/٤ ـ ٣٩٤ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع ٥٧/١ و ٢٥٥ و ٦٢٩/٢ ، والبداية والنهاية ١٨/٥ و٢٩٩/٦ و٣٤٤ ، والشفا ٣٢٨/١ .

(٣) أسماء بنت أبي بكر الصديق : هي أسماء بنت عبدالله بن عثمان بن عامر التيمية القرشية وأخت عائشة لأبيها ، وصحابية من الفضليات ، ولدت سنة ٢٧ ق.هـ وأسلمت قديماً بمكة بعد سبعة عشر إنساناً ، هاجرت إلى المدينة وهي حامل ، فوضعت ابنها عبدالله في قُباء ، فكانت هي وابنها وزوجها الزبير بن العوام وأبوها الصديق وجدّها أبو قحافة من الصحابة ، ولقبت بذات النطاقين ، شهدت اليرموك مع ابنها وزوجها ، وبعد مقتل ابنها عبدالله عميت وماتت بعده بعشرة أيام في جمادى الأول سنة ٧٣هـ/٦٩٢م وعمرها ١٠٠ سنة ، وكانت محتفظة بعقلها ولم يسقط لها سنّ ، وهي آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة ، وأخبارها مع الحجاج مشهورة ، وقد روت ٥٦ حديثاً . (الإصابة ٢٢٩/٤ ، والإستيعاب ٢٣٢/٤ ، والتهذيب ٣٩٧/١٢ ، والأعلام ٣٠٥/١ ، والموسوعة ص ١٥٨ ، والقاموس الإسلامي ١٠٤/١ ، ودائرة وجدي ٣٣٩/١) .

(٤) الأصل في الطُّلْسَةِ : الغبرة إلى السواد ، والطّيْلس والطَّيْلَسان : ضرب من الأكسية أسود ، وجمعها طيالس وطيالسة ، دخلت فيه الهاء في الجمع للعجمة ؛ لأنّه فارسي معرّب. (لسان العرب ١٢٤/٦ ، والمعجم الوسيط ٥٦١/٢) .

(٥) انظر الشفا ٣٣١/١ .

(٦) حاتم : هو أبو عدّي حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني والد الصحابي عدّي بن حاتم ، وكان شاعراً جاهليّاً وفارساً شجاعاً ، اشتهر بالكرم حتى ضرب به المثل فقيل : (أجود من حاتم طيّ)، مولده ووفاته بنجد في القرن السادس الميلادي ، وإلى زوجته=

نقلها مرقس ولوقا كلها آحاد ليس اعتبارها مثل الأحاديث الصحيحة المرويّة بروايات الآحاد الثابتة أسانيدها المتصلة ، بل الحالات التي اتفق على نقلها الإنجيليون الأربعة آحاد لا يزيد اعتبارها عندنا على رواية الآحاد كما عرفت في الباب الأول .

المسلك الثاني : أنّه قد اجتمع فيه من الأخلاق العظيمة والأوصاف الجزيلة والكمالات العملية والعلمية والمحاسن الراجعة إلى النفس والبدن والنَّسَب والوطن ما يجزم العقل بأنّه لا يجتمع في غير نبيّ ، فإنّ كل واحد منها وان كان يوجد في غير النبي أيضاً ، لكنّ مجموعها ممّا لا يحصل إلّا للأنبياء ، فاجتماعها في ذاته ﷺ من دلائل النبوة ، وقد أقرّ المخالفون أيضاً بوجود أكثر هذه المحاسن في ذاته ﷺ .

مثلاً : إسبان هِمّيس المسيحي من الذين هم أشدّ أعداء النبي ﷺ والطاعنين في حقه ، لكنّه اضطر في الإقرار بوجود أكثر الأمور المذكورة في ذاته ﷺ ، كما نقل سيل قوله في مقدمة ترجمة القرآن في الصفحة السادسة من النسخة المطبوعة سنة ١٨٥٠م هكذا : « إنّه كان حسن الوجه وزكيا ، وكانت طريقته مرضيّة ، وكان الإحسان إلى المساكين شيمته ، وكان يعامل الكلّ بالخلق الحسن ، وكان شجاعاً على الأعداء ، وكان يعظّم اسم الله تعظيماً عظيماً ، وكان يشدّد على المفترين ، والذين يرمون البرآء ، والزانين ، والقاتلين ، وأهل الفضول ، والطامعين ، وشهود الزور تشديداً بليغاً . وكانت كثرة وعظه في الصبر والجود والرحمة والبِرّ والإحسان وتعظيم الأبوين والكبار وتوقيرهم وتكريمهم ، وكان عابداً مرتاضاً في الغاية » . انتهى كلامه .

= ماويّة بنت حُجْر الغسّانية وجّه بعض قصائده ، ويدور شعره حول الجود وكريم الأخلاق ، ولكنّ أكثره ضاع وبقي منه ديوان صغير طبع في لندن سنة ١٨٧٢م ، وتوفي حاتم سنة ٤٦ ق.هـ/٥٧٨م ، ودفن في جبل عوارض في بلاد طيّ . (الأعلام ٢/١٥١ ، والقاموس الإسلامي ٢/١ ، والموسوعة ص ٦٨٤ ، ودائرة وجدي ٣/٣٢٩ ، وأعلام المورد ص ٤٣) .

المسلك الثالث : من نظر إلى ما اشتملت شريعته الغرّاء عليه مما يتعلق بالاعتقادات والعبادات والمعاملات والسياسات والآداب والحِكَم علم قطعاً أنّها ليست إلاّ من الوضع الإلهي والوحي السماوي ، وأنّ المبعوث بها ليس إلاّ نبيّا ، وقد عرفت في الباب الخامس أنّ اعتراضات القسيسين عليها ضعيفة جداً ، منشؤها العناد الصرف والإعتساف .

المسلك الرابع : أنّه عليه السلام ادّعى بين قوم لا كتاب لهم ولا حكمة فيهم أنّي بعثت من عند الله بالكتاب المنير والحكمة الباهرة لأنوّر العالم بالإيمان والعمل الصالح ، وانتصب مع ضعفه وفقره وقلّة أعوانه وأنصاره مخالفاً لجميع أهل الأرض آحادهم وأوساطهم وسلاطينهم وجبابرتهم ، فضلّل آراءهم ، وسفّه أحلامهم ، وأبطل مِللهم ، وهدم دولهم ، وظهر دينه على الأديان في مدة قليلة شرقاً وغرباً ، وزاد على مرّ الأعصار والأزمان ، ولم يقدر الأعداء مع كثرة عَددهم وعُددهم وشدة شوكتهم وشكيمتهم وفرط تعصّبهم وحميّتهم وبذل غاية جهدهم في إطفاء نور دينه وطمس آثار مذهبه ، فهل يكون ذلك إلاّ بعون إلهي وتأييد سماوي ؟! .

ولنعم ما قال غمّالائيل[1] معلم اليهود لهم في حق الحواريّين : « ٣٥ ــ أيها الرجال الإسرائيليّون احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس في ما أنتم مزمعون أن تفعلوا (٣٦) لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس[2] قائلاً عن نفسه إنه

---

(١) غمّالائيل : هو ابن فدهصور ، ورئيس من سبط منسّي ، وحاخام يهودي ، وعضو في السنهدريم ورئيسه حسبما ورد عنه في التلمود ، وهو من الفرّيسيين وأحد اللاهوتيين اليهود المعروفين جداً في القرن الميلادي الأول ، وكان أول من طالب برفع القيود عن تلاميذ المسيح والكفّ عن اضطهادهم ، وهو من أساتذة بولس ، ومن ذرية الربي المشهور هليل ، ومات في منتصف القرن الميلادي الأول . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٤ و ٦٦٢) .

(٢) في حاشية ق : ادعى النبوة لليهود . اهـ . واسم ثوداس اختصار للاسم اليوناني ثيودورس ، وقد ادعى النبوة كذباً وتبعه ٤٠٠ رجل ، فقتل هو ومعظم أتباعه وتشتت الباقون . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٨) .

شيء . الذي التصق به عدد من الرجال نحو أربعمئة . الذي قُتِل وجميع الذين انقادوا إليه تبدّدوا وصاروا لا شيء (٣٧) بعد هذا قام يهوذا الجليلي[1] في أيّام الاكتتاب وأزاغ وراءه شعباً غفيراً فذاك أيضاً هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا (٣٨) والآن أقول لكم تنحّوا عن هؤلاء الناس واتركوهم لأنّه إنْ كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف يَنتقِض (٣٩) وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه لئلا توجَدوا محاربين لله أيضاً » ، كما هو مصرّح به في الباب الخامس من كتاب الأعمال .

والآية السادسة من الزبور الأول هكذا : « لأنّ الرب يعرف طريق الصدّيقين ، وطريقُ المنافقين تُهلِك » .

والآية السادسة[2] من الزبور الخامس هكذا : « وتُهلِك كلَّ الذين يتكلّمون بالكذب الرجل السافك الدماء والغاشّ يرذله الربّ » .

والآية السادسة عشرة من الزبور الرابع والثلاثين هكذا : « وجه الربّ على الذين يعملون المساوىء ليبيد من الأرض ذكرهم » .

وفي الزبور السابع والثلاثين[3] هكذا : « ١٧ ــ لأنّ سواعد الخطاة تنكسر والربّ يعضد الصدّيقين (٢٠) أمّا الخطاة فيهلكون وأعداء الربّ جميعاً إذْ يمجدون ويرتفعون يَبيدون وكالدخان يفنون »[4] .

---

(١) يهوذا الجليلي : كان رئيس حزب يطالب بالحرية وعدم الطاعة للرومان ، فتبعه جمع غفير في أيام الإكتتاب سنة ٦م ، ونجح في إعلان العصيان مدة من الزمان ثم انهزم ومات وتشتت أتباعه . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٩١) .

(٢) في خ ،ط : (السابعة) والصواب أنها (السادسة) حسب طبعتي سنة ١٨٤٤م و ١٨٦٥م .

(٣) في طبعة سنة ١٨٤٤م هو المزمور ٣٣ .

(٤) هاتان الفقرتان في طبعة سنة ١٨٤٤م هما ١٦ و ١٨ من المزمور ٣٦ .

فلو لم يكن محمد ﷺ من الصدّيقين لأهلك الرب طريقه ، ورذله ، وأباد ذكره من الأرض ، وكسر سواعده ، وأفناه كالدخان ، لكنه لم يفعل شيئاً منها فكان محمد ﷺ من الصدّيقين[1] ، ولعمري إنّ علماء البروتستانت في تكذيب الدين المحمدي محاربون لله ، لكنّ الوقت قريب فسوف يعلمون ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون** ﴾[2] ، ولا يقدرون على نقضه ألبتة كما وعد الله ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله** ﴾ أيْ دين الإسلام ﴿ **بأفواههم** ﴾ أي بأقوالهم الباطلة ﴿ **والله متمّ نوره** ﴾ أي : مبلغه غايته ﴿ **ولو كره الكافرون** ﴾[3] أي : اليهود والنصارى والمشركون . ولنعم ما قيل :

أَلا قُلْ لِـمَنْ ظَلّ لي حَاسِدا أَتَدْري على مَن أَسَأْتَ الأَدَبْ
أَسَــأْتَ عــلى الله في فِـعْـلِهِ كأَنّكَ لَـمْ تَرْضَ لي مَا وَهَبْ

المسلك الخامس : أنّه ظهر في وقت كان الناس محتاجين إلى من يهديهم إلى الطريق المستقيم ، ويدعوهم إلى الدين القويم ؛ لأنّ العرب كانوا على عبادة الأوثان ووأد البنات ، والفرس على اعتقاد الإلهين ووطء الأمّهات والبنات ،

---

(١) قال ابن الجوزي في كتابه الوفا بأحوال المصطفى ١/٥٢٤ : « قال ابن عقيل : ومن أكبر الدلائل على صدق نبينا ﷺ أنّ الباري سبحانه إنّما يمهل الكذاب يسيراً ثم يستأصله بالعذاب ، أفيجوز أن يمهل من يكذب عليه سنين ، ثم يثبت شريعته بعده ؟!

وقد أقدم على نسخ شريعتين قبله ، وحلّل السبت ، ثم ينصر أتباعه على الأمم ويؤيّد حكمته بالإعجاز ؟!

حاشاه أن يفعل ذلك ، إذْ لو فعله لم يتبيّن الصدق من المحال ، ألم تسمعه تعالى يقول : ﴿ **ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين** ﴾ (الحاقة ٤٤ و ٤٥) .

فمن طعن في صدقه ، طعن في عدل الباري وحكمته ؛ لأنّ الطعن يتوجّه على الـمُعِين » .

(٢) سورة الشعراء آية ٢٢٧ .

(٣) سورة الصف آية ٨ .

والتّرْك[1] على تخريب البلاد وتعذيب العباد ، والهند على عبادة البقر والسجود للشجر والحجر ، واليهود على الجحود ودين التشبيه وترويج الأكاذيب المفتريات ، والنصارى على القول بالتثليث وعبادة الصليب وصور القدّيسين والقدّيسات ، وهكذا سائر الفِرق في أودية الضلال والإنحراف عن الحق والإشتغال بالمحال ، ولا يليق بحكمة الله الملك المبين أن لا يرسل في هذا الوقت أحداً يكون رحمة للعالمين ، وما ظهر أحد يصلح لهذا الشأن العظيم ، ويؤسس هذا البنيان القويم غير محمد بن عبدالله ﷺ ، فأزال الرسوم الزائغة والمقالات الفاسدة ، وأشرقت شموس التوحيد وأقمار التنزيه ، وزالت ظلمة الشرك والثنوية والتثليث والتشبيه ـ عليه من الصلاة أفضلها ، ومن التحيات أكملها ـ وإليه أشار الله تعالى بقوله : ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير** ﴾[2]، قال الفخر الرازي[3] ـ قُدِّس سره ـ في

(١) الترك : اصطلاح يطلق في معناه الواسع على الشعوب التي تتكلم اللغة التركية في تركيا وروسيا السوفيتية وتركستان الصينية وشرقي إيران ، وهم فروع كثيرة اشتهر منها فرع الأتراك السلاجقة الذين ظهروا في القرن العاشر الميلادي ، وفرع الأتراك العثمانيين الذين ظهروا في القرن الخامس عشر الميلادي ، وقد استولى المسلمون على مملكة التركشي سنة ١٢١هـ/٧٣٩م على يد نصر بن سيّار ، ودخل الترك في الإسلام أفواجاً في القرن الرابع الهجري . (القاموس الإسلامي ٤٥٨/١ ، والموسوعة الميسرة ص ٥٠٥) .

(٢) سورة المائدة آية ١٩ .

(٣) فخر الدين الرازي : هو الإمام المفسّر أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الطبرستاني الرازي ، وهو قرشي ولد بالرّي عام ٥٤٤هـ/١١٥٠م فنسب إليها ، وكان أبوه خطيباً فعرف بابن خطيب الري ، جمع أنواع العلوم المختلفة حتى صار أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ، وكان يعظ ويؤلف بالعربية والفارسية نظماً ونثراً ، وعنه أخذ خلق كثير ، وكان أشعرياً يناظر المعتزلة ويشتغل بالتدريس، ثم انقطع للوعظ والتأليف ، وأشهر مؤلفاته تفسيره المسمى «مفاتيح الغيب» ويعرف بالتفسير الكبير ، وله المطالب العالية في الكلام . توفي بمدينة هراة عام ٦٠٦هـ/١٢١٠م . (كشف الظنون ١٧١٤/٢ و١٧٥٦ ، و١٠٧/٦ ،=

تفسير هذه الآية : « الفائدة في بعثة محمد ﷺ عند فترة من الرسل هي أنّ التغيير والتحريف قد تطرّق إلى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها ، وبسبب ذلك اختلط الحق بالباطل والصدق بالكذب ، وصار ذلك عذراً ظاهراً في إعراض الخلق عن العبادات ؛ لأنّ لهم أن يقولوا : يا إلهنا عرفنا أنّه لا بد من عبادتك ، ولكنّا ما عرفنا كيف نعبد ؟! فبعث الله تعالى في هذا الوقت محمداً عليه الصلاة والسلام إزالة لهذا العذر »[1]. انتهى كلامه بلفظه .

المسلك السادس : إخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته عليه السلام . ولـمّا كان القسيسون يغلّطون العوامّ في هذا الباب تغليطاً عظيماً استحسنت أن أُقدّم على نقل تلك الأخبار أموراً ثمانية تفيد للناظر بصيرة .

الأمر الأول : أنّ الأنبياء الإسرائيلية مثل إشعياء وإرميا ودانيال وحزقيال وعيسى عليهم السلام أخبروا عن الحوادث الآتية كحادثة بخت نصر وقورش واسكندر وخلفائه وحوادث أرض أدوم ومصر ونينوى وبابل ، ويبعد كل البعد أن لا يخبر أحد منهم عن خروج محمد ﷺ الذي كان وقت ظهوره كأصغر البقـول ثم صار شجرة عظيمة تتآوى طيور السماء في أغصانها[2]، فكسر الجبابرة والأكاسرة ، وشاع دينه في ديار الشام التي هي الأوطان الأصلية للأنبياء المذكورين شيوعاً تاماً ، وبلغ شرقاً وغرباً ، وغلب الأديان ، وامتدّ دهراً بحيث مضى على ظهوره مدة ألف ومائتين وثمانين إلى هذا الحين ، ويمتدّ إن شاء الله إلى آخر بقاء الدنيا ، وظهر في أمته ألوف ألوف من العلماء الربّانيين

= ومعجم المؤلفين ١١/٧٩ ، والأعلام ٦/٣١٣ ، والقاموس الإسلامي ٢/٤٦٥ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٨٥٢ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٤/١٤٢) .

(١) انظر تفسير الرازي ١١/١٩٥ .

(٢) هذا مقتبس من إنجيل متّى ١٣/٣١ ـ ٣٢ وهو ضمن مجموعة أمثال عن دين الإسلام ومحمد ﷺ ، ضربها المسيح ليفهم اليهود .

والحكماء المتقنين ، والأولياء ذوي الكرامات والمجاهَدات ، والسلاطين العظام ، وهذه الحادثة كانت أعظم الحوادث ، وما كانت أقل من حادثة أرض أدوم ونينوى[1] وغيرهما ، فكيف يجوّز العقل السليم أنّهم أخبروا عن الحوادث الضعيفة وتركوا الإخبار عن هذه الحادثة العظيمة ؟!

الأمر الثاني : أنّ النبي المتقدم إذا أخبر عن النبي المتأخر لا يشترط في إخباره أن يخبر بالتفصيل التام بأنّه يخرج من القبيلة الفلانية في السنة الفلانية في البلد الفلاني ، وتكون صفته كيت وكيت ، بل يكون هذا الاخبار في غالب الأوقات مجملاً عند العوام ، وأمّا عند الخواصّ فقد يصير جليّا بواسطة القرائن ، وقد يبقى خفيّا عليهم أيضاً لا يعرفون مصداقه إلاّ بعد ادّعاء النبي اللاحق أنّ النبي المتقدم أخبر عني ، وظهور صدق ادّعائه بالمعجزات وعلامات النبوة ، وبعد الادّعاء وظهور صدقه يصير جليّا عندهم بلا ريب ، ولذلك يعاتَبون كما عاتب المسيح عليه السلام علماء اليهود بقوله : « ويل لكم أيها الناموسيون [2] لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم » كما هو مصرح به في الباب الحادي عشر من إنجيل لوقا[3].

---

(١) في حاشية ق : بلدة يونس عليه السلام . اهـ .

(٢) الناموس لغة : صاحب السرّ المطلع على باطن أمرك ، والناموس : وعاء العلم ، والناموس : جبريل ، وتطلق ويراد بها الوحي والشريعة ، وفي إصطلاحِ العلوم الطبيعية يراد بها القانون الذي يحكم الكون وتتمشى بموجبه حوادثه ، كقانون الجاذبية مثلاً ، وأهل الكتاب يطلقون الناموس على التوراة التي تضم أسفار موسى الخمسة ، وسميت شريعة التوراة ناموساً لأنّ فيها صفات الناموس ، أي أنها تكوّن مجموعة قوانين للسلوك وضعت من قبل سلطة عليا منفذة تشرف على تطبيقها ومعاقبة من يخرج عليها ، والناموسي والناموسيون : هم المتضلعون في ناموس موسى المختصّون في تفسيره وتعليمه وشرحه في المدارس والمجامع ، وهم أشبه برجال القانون ، وقد اتخذوا ذلك العمل مهنة لهم ، وكانوا يسمون أحياناً الكتبة . (لسان العرب ٦/٢٢٤ ، والقاموس المحيط ٢/٢٦٦ ، والمعجم الوسيط ص ٩٥٤ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٨ ، ودائرة معارف القرن العشرين ١٠/٣٦٣) .

(٣) إنجيل لوقا ١١/٥٢ .

وعلى مذاق المسيحيين قد يبقى خفيًا على الأنبياء فضلاً عن العلماء ، بل قد يبقى خفيًا على النبي المخبِر عنه على زعمهم ، في الباب الأول من إنجيل يوحنا[1] هكذا : « ١٩ ــ وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويّين ليسألوه مَن أنت (٢٠) فاعترف ولم ينكر وأقرّ أنّي لست أنا المسيح (٢١) فسألوه إذاً ماذا . إيليّا[2] أنت فقال لست أنا . ألنبيّ أنت . فأجاب لا (٢٢) فقالوا له من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك (٢٣) قال أنا صوت صارخ في البريّة قوّموا طريق الرب كما قال إشعياء النبي (٢٤) وكان المرسلون من الفرّيسيين (٢٥) فسألوه وقالوا له فما بالك تعمّد إنْ كنت لست المسيح ولا إيليّا ولا النبي » ، والألف واللام في لفظ النبي الواقع في الآية ٢١ و ٢٥ للعهد ، والمراد : النبي المعهود[3] الذي أخبر عنه موسى عليه السلام في الباب الثامن عشر من سفر التثنية[4] على ما صرح به علماء المسيحية .

فالكهنة واللاويون كانوا من علماء اليهود ، وواقفين على كتبهم ، وعرفوا أيضاً أنّ يحيى عليه السلام نبيّ ، لكنّهم شكّوا في أنّه المسيح عليه السلام ، أو إيليّا عليه السلام ، أو النبي المعهود الذي أخبر عنه موسى عليه السلام ، فظهر منه أنّ علامات هؤلاء الأنبياء الثلاثة لم تكن مصرّحة في كتبهم بحيث لا يبقى الإشتباه للخواصّ فضلاً عن العوامّ ، فلذلك سألوا أولاً : أأنت المسيح ؟ فبعدما أنكر يحيى عليه السلام عن كونه مسيحاً سألوه : أأنت إيليّا ؟ فبعدما أنكر عن كونه إيليّا أيضاً سألوه : أأنت النبي المعهود ؟ ولو كانت

(١) في حاشية ق : أي يحيى عليه السلام . اهـ .

(٢) لفظ إيليّا يرد في كل موضع من طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م بلفظ ايلياس ، ولفظ يوحنا بلفظ يحيى .

(٣) في حاشية ق : أي سيدنا محمد . اهـ . ﷺ .

(٤) انظر سفر التثنية ١٨/١٥ ـ ٢٢ ، وتفصيل الكلام في ذلك يأتي في البشارة الأولى .

العلامات مصرّحة لما كان للشكّ مجال ، بل ظهر منه أنّ يحيـى عليه السلام لم يعرف نفسه أنّه إيليّا حتى أنكر ، فقال : لست أنا . وقد شهد عيسى أنّه إيليّا : في الباب الحادي عشر من إنجيل متّى قول عيسى في حق يحيـى عليهما السلام هكذا : « وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليّا المزمِع أن يأتي »[1] .

وفي الباب السابع عشر من إنجيل متّى هكذا : « ١٠ ــ وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة إنّ إيليّا ينبغي أن يأتي أولاً (١١) فأجاب يسوع وقال لهم إنّ إيليّا يأتي أولاً ويَردّ كل شيء (١٢) ولكنّي أقول لكم إنّ إيليّا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كلّ ما أرادوا كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألّم منهم (١٣) حينئذ فهم التلاميذ أنّه قال لهم عن يوحنا المعمدان » .

وظهر من العبارة الأخيرة أنّ علماء اليهود لم يعرفوه بأنّه إيليّا ، وفعلوا به ما فعلوا ، وأنّ الحواريين أيضاً لم يعرفوه بأنّه إيليّا مع أنّهم كانوا أنبياء في زعم المسيحيين وأعظم رتبة من موسى عليه السلام ، وكانوا اعتمدوا[2] من يحيـى ورأوه مراراً ، وكان مجيئه ضروريّا قبل إلههم ومسيحهم .

وفي الآية ٣٣ من الباب الأول من إنجيل يوحنا قول يحيـى هكذا : « وأنا لم أكن أعرفه لكنّ الذي أرسلني لأعمّد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمّد بالروح القدس » ، ومعنى قوله : « وأنا لم أكن أعرفه » على زعم القسّيسين : أنا لم أكن أعرفه معرفة جيدة بأنّه المسيح الموعود به . فعُلِم أنّ يحيـى عليه السلام ما كان يعرف عيسى عليه السلام معرفة يقينة بأنّه المسيح الموعود به إلى ثلاثين سنة ما لم ينزل الروح القدس . لعلّ كون ولادة المسيح من العذراء لم تكن من العلامات المختصّة بالمسيح ،

---

(١) إنجيل متّى ١١/١٤ .
(٢) في حاشية ق : أي اغتسلوا من يحيـى . اهـ .

وإلاّ فكيف يصحّ هذا ؟! لكنّي أقطع النظر عن هذا ، وأقول : إنّ يحيى أشرف الأنبياء الإسرائيلية بشهادة عيسى عليه السلام كما هو مصرّح به في الباب الحادي عشر من إنجيل متّى[١]، وأنّ عيسى عليه السلام إلهُه وربُّه على زعم المسيحيين ، وكان مجيئه ضروريّا قبل المسيح ، وكان كونه إيليّا يقيناً ، فإذا لم يعرف هذا النبي الأشرف نفسه إلى آخر العمر ، ولم يعرف إلهه وربَّه إلى المدة المذكورة ، وكذا لم يعرف الحواريون الذين هم أفضل من موسى وسائر الأنبياء الإسرائيلية مدة حياة يحيى أنّه إيليّا ، فماذا رتبة العلماء والعوامّ عندهم في معرفة النبي اللاحق بخبر النبي المتقدم عنه ، وتردّدهم فيه ؟!.

وقيافا رئيس الكهنة كان نبيّا على شهادة يوحنا كما هو مصرح به في الآية الحادية والخمسين من الباب الحادي عشر من إنجيله[٢]، وهو أفتى بقتل عيسى عليه السلام وكفّره وأهانه كما هو مصرح به في الباب السادس والعشرين من إنجيل متّى[٣]. ولو كانت علامات المسيح في كتبهم مصرّحة بحيث لا يبقى الإشتباه على أحد ماكان مجال هذا النبي المفتي بقتل إلهه وبكفره أن يفتي بقتله وكفره .

ونقل متّى ولوقا في الباب الثالث ، ومرقس ويوحنا في الباب الأول من أناجيلهم[٤] خبر إشعياء في حق يحيى عليهما السلام ، وأقرّ يحيى عليه السلام

(١) ففي إنجيل متّى ١١/١١ « الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه » .

(٢) انظر إنجيل يوحنا ١١/٤٩ ـ ٥١ و١٨/١٤ .

(٣) في خ ، ط : « السابع والعشرين » والصواب « السادس والعشرين » . ويمكن الرجوع لهذه الفتوى في إنجيل متّى ٢٦/٥٧ ـ ٦٨ ، ففيها النصّ على اسم قيافا . وأمّا الإصحاح السابع والعشرون فليس فيه الفتوى المذكورة ولا النص على اسم قيافا ، لكن فيه كلام مؤيد لها ويمكن الرجوع إلى إنجيل متّى ٢٧/١ ـ ٢ و١٢ ـ ١٣ و١٥ ـ ٢٦ و٤١ ـ ٤٢ و٦٢ ـ ٦٦ ففيه بيان أعمال رؤساء الكهنة في إيذاء عيسى وطلبهم من الوالي قتله مصلوباً وتسميته بالمضلّ .

(٤) انظر إنجيل متّى ٣/٣ ، ولوقا ٣/٤ ، ومرقس ١/٣ ، ويوحنا ١/٢٣ ففيهما نقْل عن سفر إشعياء ٤٠/٣ كما سيأتي .

بأنّ هذا الخبر في حقه على ما صرّح به يوحنا[١] .

وهذا الخبر في الآية الثالثة من الباب الأربعين من كتاب إشعياء هكذا : « صوت المنادي في البريّة سهلوا طريق الرب أصلحوا في البوادي سبيلاً لإلاهنا » .

ولم يذكر فيه شيء من الحالات المختصة بيحيى عليه السلام ، لا من صفاته ، ولا من زمان خروجه ، ولا مكان خروجه بحيث لا يبقى الإشتباه . ولو لم يكن ادّعاء يحيى عليه السلام بأنّ هذا الخبر في حقّه ، وكذا ادعاء مؤلّفي العهد الجديد لما ظهر هذا لعلماء المسيحيّين وخواصّهم فضلاً عن العوامّ ؛ لأنّ وصف النداء في البرية يعمّ أكثر الأنبياء الإسرائيلية الذين جاؤوا من بعد إشعياء عليه السلام ، بل يصدق على عيسى عليه السلام أيضاً ، لأنّه كان ينادي مثل نداء يحيى عليه السلام : « توبوا لأنّه قد اقترب ملكوت السماء »[٢] .

وسيظهر لك في الأمر السادس حال الإخبارات التي نقلها الإنجيليون في حقّ عيسى عليه السلام عن الأنبياء المتقدمين عليهم السلام[٣]. ولا ندّعي أنّ الأنبياء الذين أخبروا عن محمد ﷺ كان إخبار كل منهم بصفته مفصلاً بحيث لا يكون فيه مجال التأويل للمعاند .

قال الإمام الفخر الرازي في ذيل تفسير قوله تعالى : ﴿ **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون** ﴾[٤]: « واعلم أنّ الأظهر في الباء التي في

---

(١) يقصد إقرار يحيى الوارد في إنجيل يوحنا ١/٢٣ قال : « أنا صوت صارخ في البرية قوّموا طريق الرب كما قال إشعياء النبي » .

(٢) انظر إنجيل متّى ٣/٢ و ٤/١٧ .

(٣) فيزعم المسيحيون أنها منقولة بالإلهام ، ومع ذلك فقد بيّن المؤلف أنّ بعضها غلط يقيناً ، وبعضها محرف ، وبعضها لا يصدق على عيسى عليه السلام ، وستأتي .

(٤) سورة البقرة آية ٤٢ .

قوله ﴿ **بالباطل** ﴾ أنّها باء الإستعانة كالتي في قولك : كتبت بالقلم ، والمعنى : ولا تلبسوا الحق بسبب الشبهات التي توردونها على السامعين ؛ وذلك لأنّ النصوص الواردة في التوراة والإنجيل في أمر محمد عليكم كانت نصوصاً خفيّة يُحتاج في معرفتها إلى الإستدلال ، ثم إنّهم كانوا يجادلون فيها ، ويشوّشون وجه الدلالة على المتأمّلين فيها بسبب إلقاء الشبهات »[1] انتهى كلامه بلفظه .

قال المحقق عبدالحكيم السيالكوتي[2] في حاشيته على البيضاوي : « هذا فصل يحتاج إلى مزيد شرح وهو أنّه يجب أن يتصوّر أنّ كلّ نبيّ أتى بلفظة مُعرِّضة وإشارة مُدْرَجة لا يعرفها إلّا الراسخون في العلم ، وذلك لحكمة إلهية . وقد قال العلماء : ما انفكّ كتاب منزل من السماء من تضمّن ذكر النبي ﷺ ، لكن بإشارات ، ولو كان منجلياً للعوام لما عوتب علماؤهم في كتمانه ، ثم ازداد ذلك غموضاً بنقله من لسان إلى لسان ، من العبري إلى السرياني ، ومن السرياني إلى العربي . وقد ذَكَرَتْ محصلةُ ألفاظاً[3] من التوراة والإنجيل إذا اعتبرتها وجدتها دالة على صحة نبوته عليه السلام بتعريض هو عند الراسخين في العلم جليّ ، وعند العلماء خفي » انتهى كلامه بلفظه .

---

(١) انظر تفسير الرازي ٣/٤٩ .

(٢) عبدالحكيم السيالكوتي : هو القاضي عبدالحكيم بن شمس الدين محمد الهندي السيالكوتي البنجابي ، ولد وعاش ومات في مدينة سيالكوت التابعة للاهور في البنجاب الغربية (وهي الآن في باكستان الغربية) ، وكان من أكابر العلماء وخيارهم ، ولم يبلغ أحد من علماء الهند في وقته ما بلغ من الرفعة وعلو الشأن ، فقد أفنى عمره في طلب العلم وحلّ دقائقه فذاعت شهرته إبّان حكم السلطان شاهجهان ، فاتصل به وأكرمه وأنعم عليه بضياع تكفيه مؤنة السعي للعيش ليتفرغ للعلم ، وقد شملت مؤلفاته جملة حواشٍ في علوم العربية والمنطق والأصول والتفسير منها حاشية على تفسير البيضاوي ، وكانت وفاته سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م . (كشف الظنون ٥/٥٠٤ ، ومعجم المؤلفين ٥/٩٥ ، والأعلام ٣/٢٨٣ ، والقاموس الإسلامي ٣/٥٨١ ، والموسوعة الميسرة ص١٠٤٣ ، ودائرة وجدي ٥/٣٤٣) .

(٣) في خ : « وقد ذكر المحصلة ألفاظاً » ، والمكتوب في المتن حسب المقروءة .

الأمر الثالث : ادّعاء أنّ أهل الكتاب ما كانوا ينتظرون نبيّا آخر غير المسيح وإيليّا ادّعاء باطل ولا أصل له ، بل كانوا منتظرين لغيرهما أيضاً ؛ لما علمت في الأمر الثاني أنّ علماء اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام سألوا يحيى عليه السلام أوّلاً : أأنت المسيح ؟ ولما أنكر سألوه : أأنت إيليّا ؟ ولما أنكر سألوه : أأنت النبي ؟ أي : النبي المعهود الذي أخبر به موسى ، فعُلم أنّ هذا النبي كان منتظَراً مثل المسيح وإيليّا ، وكان مشهوراً بحيث ما كان محتاجاً إلى ذكر الاسم ، بل الإشارة إليه كانت كافية .

وفي الباب السابع من إنجيل يوحنّا بعد نقل قول عيسى عليه السلام هكذا : « ٤٠ ـ فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي (٤١) آخرون قالوا هذا هو المسيح » .

وظهر من هذا الكلام أيضاً أنّ النبي المعهود عندهم كان غير المسيح ، ولذلك قابلوه بالمسيح .

الأمر الرابع : ادّعاء أنّ المسيح خاتم النبيين ولا نبي بعده باطل لما عرفت في الأمر الثالث أنّهم كانوا منتظرين للنبي المعهود الآخر الذي يكون غير المسيح وإيليّا عليهم السلام ، ولـمّا لم يثبت بالبرهان مجيئه قبل المسيح فهو بعده ، ولأنّهم يعترفون بنبوة الحواريّين وبولس بل بنبوّة غيرهم أيضاً .

وفي الباب الحادي عشر من كتاب الأعمال هكذا : « ٢٧ ـ وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى أنطاكيه[1] (٢٨) وقام واحد منهم اسمه أغابوس[2] وأشار بالروح أنّ جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع

---

(١) هي أنطاكية التي في سوريا ، وقد ضُمّت لتركيا ضمن لواء الإسكندرونة سنة ١٩٣٩م .

(٢) أغابوس : يعتقد المسيحيون أنه نبيّ ظهر في القرن الميلادي الأول وكان معاصراً=

المسكونة الذي صار أيضاً في أيام كلوديوس قيصر »[1].

فهؤلاء كلهم كانوا أنبياء على تصريح إنجيلهم . وأخبر واحد منهم اسمه أغابوس عن وقوع الجدب العظيم .

وفي الباب الحادي والعشرين من الكتاب المذكور هكذا : « ١٠ ــ وبينما نحن مقيمون أيّاماً كثيرة انحدر من اليهودية[2] نبيّ اسمه أغابوس ١١ ــ فجاء إلينا وأخذ منطقة[3] بولس وربط يديْ نفسه ورجليه وقال : هذا يقوله الروح القدس . الرجل الذي له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود في أورشليم ويسلّمونه إلى أيدي الأمم » .

وفي هذه العبارة تصريح بكون أغابوس نبيّا .

وتارة يتمسّكون لإثبات هذا الادّعاء بقول المسيح المنقول في الآية الخامسة عشرة من الباب السابع من إنجيل متّى هكذا : « احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة » .

= لبولس ، وتنبأ بجوع عظيم وحصل الجوع فعلاً في أيام كلوديوس قيصر ، ويظن بعضهم أنّه من التلاميذ السبعين الذين أرسلهم المسيح . (قاموس الكتاب المقدس ص ٨٩) .

(١) كلوديوس قيصر : عاش ما بين ١٠ ق.م - ٥٤م ، وهو كلوديوس الأول والامبراطور الروماني الرابع ، وهو ابن دروسوس الأكبر وابن أخي تيبريوس ، وقد أقامه الجنود امبراطوراً في روما بعد مقتل سلفه كاليجولا سنة ٤١م ، فدعم الامبراطورية ووسّع رقعتها وضمّ بريطانيا إلى حكمه ، عطف على اليهود في بداية حكمه ثم نفاهم وسائر المسيحيين من روما ، ويقال بأنّ زوجته الرابعة أجريبينا الثانية (وهي ابنة أخيه) أغرته بتبني ابنها نيرون بن دوميتيوس فتبنّاه وعيّنه خليفة له ، ثم دست لزوجها كلوديوس الأول السمّ سنة ٥٤م فمات . (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٦٨ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٨٦ ، ودائرة وجدي ٤/٤٤٦ ، ومعجم أعلام المورد ص ١٩) .

(٢) في حاشية ق : أي الشام . اهـ . وكلمة اليهودية تطلق على القسم الجنوبي من فلسطين بما في ذلك القدس وما حولها ، وقد يتوسع في إطلاقها في العهد الجديد فتطلق على كل فلسطين ، وهذا الإطلاق هو المقصود هنا .

(٣) منطقة : هي النطاق ، أي الزنّار الذي يتمنطق به الإنسان فيشدّه حول وسطه لشدّ الثياب وحمل النقود . (لسان العرب ١٠/٣٥٤ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٩٧١) .

والتمسّك به عجيب ؛ لأنّ المسيح عليه السلام أمر بالإحتراز من الأنبياء الكذبة لا الأنبياء الصدقة أيضاً ، ولذلك قيّد بالكذبة . نعم ، لو قال : احترزوا من كل نبي يجيء بعدي لكان بحسب الظاهر له وجه للتمسّك ، وإن كان واجب التأويل عندهم لثبوت نبوة الأشخاص المذكورين . وقد ظهر الأنبياء الكذبة الكثيرون في الطبقة الأولى بعد صعوده ، كما يظهر من الرسائل الموجودة في العهد الجديد .

في الباب الحادي عشر من الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس هكذا : « ١٢ ــ ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجدوا كما نحن أيضاً في ما يفتخرون به (١٣) لأنّ مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح » .

فمقدسهم ينادي بأعلى نداء أنّ الرسل الكذبة الغدارين ظهروا في عهده ، وقد تشبهوا برسل المسيح .

وقال آدم كلارك المفسّر في شرح هذا المقام : « هؤلاء الأشخاص كانوا يدّعون كذباً أنّهم رسل المسيح ، وما كانوا رسل المسيح في نفس الأمر . وكانوا يعِظون ويجتهدون ، لكن مقصودهم ما كان إلّا جلب المنفعة » .

وفي الباب الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « أيّها الأحبّاء لا تصدّقوا كلّ روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله لأنّ أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم »[١] .

فظهر من العبارتين[٢] أنّ الأنبياء الكذبة قد ظهروا في عهد الحواريين .

وفي الباب الثامن من كتاب الأعمال هكذا : « ٩ ــ وكان قبلا في المدينة

---

(١) رسالة يوحنا الأولى ٤/١ .

(٢) وهما فقرة الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس ١١/١٣ ، وفقرة رسالة يوحنا الأولى ٤/١ .

رجل اسمه سيمون[1] يستعمل السحر ويدهش شعب السامرة قائلاً إنّه شيء عظيم (١٠) وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين هذا هو قوّة الله العظيمة » .

وفي الباب الثالث عشر من الكتاب المذكور هكذا[2]: « ولـمّا اجتازا[3] الجزيرة إلى بافوس[4] وجدا رجلاً ساحراً نبياً كذاباً يهودياً اسمه باريشوع »[5].

وكذا سيظهر الدجالون الكذابون يدّعي كلّ منهم أنّه المسيح كما أخبر عيسى عليه السلام وقال : « لا يضلّكم أحد فإنّ كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ويضلّون كثيرين »[6]، كما هو مصرّح به في الباب الرابع والعشرين من إنجيل متّى .

فمقصود المسيح عليه السلام التحذير من هؤلاء الأنبياء الكذبة والمسحاء

---

(١) سيمون : ساحر أدهش شعب السامرة بسحره ، ثم آمن على يد فيلبس ولكنه حاول أن يتاجر بالوظائف الكنسيّة فوبخه بطرس ، ثم أطلقت الكنيسة اسم السيمونية على كل من يتاجر بالوظائف الكنسية ، وصار لسيمون أتباع اسمهم السيمونيون ، ويعتبرون سيمون مسيحهم وفاديهم ، وهم شيعة صغيرة من شيع الغنوسيين ، ويقول عنهم أوريجانوس بأنهم ليسوا مسيحيين ، ولا دليل مع ايريناوس الذي يعتبر سيمون هو أبو الغنوسيين . (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٩٧) .

(٢) انظر سفر أعمال الرسل ٦/١٣ .

(٣) في حاشية ق : أي برنابا وبولس . اهـ . ويفهم هذا من فقرة سفر أعمال الرسل ٢/١٣ .

(٤) بافوس (باقوس) (باخوس): مدينة على الشاطيء الجنوبي الغربي لجزيرة قبرص وكانت ميناء في أيام الرومان ، وكان فيها هيكل للإله أفروديت ، وفيها ضرب الله عليم الساحر (باريشوع) بالعمى مدة ، وتدعى الآن بافو . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٦٠) .

(٥) باريشوع : متنبيء كذاب من أصل يهودي عُرف بـ (عليم الساحر أو اليماس أو الماس أو الماه) ، ظهر في مدينة بافوس في جزيرة قبرص في أيام حاكمها الروماني سرجيوس بولس ، ويقال بأنّ الله ضربه بالعمى إلى حين. (قاموس الكتاب المقدس ص ١١٤ و ١٥٨ و ٦٣٥).

(٦) إنجيل متّى ٢٤/٤ ـ ٥ .

الكذبة ، لا من الأنبياء الصادقين أيضاً ، ولذلك قال بعد القول المذكور في الباب السابع : « من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك[1] تيناً »[2] .

ومحمد ﷺ من الأنبياء الصادقين كما تدلّ عليه ثماره على ما عرفت في المسالك المتقدمة[3]، ولا اعتبار لمطاعن المنكرين كما ستعرف في الفصل الثاني . ولأنّ كل شخص يعلم أنّ اليهود ينكرون عيسى بن مريم عليهما السلام ، ويكذّبونه ، وليس عندهم رجل أشرّ منه من ابتداء العالم إلى زمان خروجه ، وكذا ألوف من الحكماء والعلماء الذين هم من أبناء صنف القسّيسين ـ وكانوا مسيحيّين ثم خرجوا عن هذه الملّة لاستقباحهم إياها ـ ينكرونه ويستهزئون به وبملّته ، وألّفوا رسائل كثيرة لإثبات آرائهم ، واشتهرت هذه الرسائل في أكناف العالم ، ويزيد متّبعوهم كل يوم في ديار أوربا ، فكما أنّ إنكار اليهود وهؤلاء الحكماء والعلماء في حق عيسى عليه السلام غير مقبول عندهم ، فكذا إنكار أهل التثليث في حقّ محمد ﷺ غير مقبول عندنا .

الأمر الخامس : الإخبارات التي نقلها المسيحيّون في حقّ عيسى عليه السلام لا تصدق عليه على تفاسير اليهود وتأويلاتهم ، ولذلك هم ينكرونه أشدّ

---

(١) في طبعة سنة ١٨٢٣م و ١٨٢٥م و ١٨٢٦م و ١٨٤٤م و ١٨٨٢م « العوسج »، والحسك والعوسج : كلاهما نباتات شوكية تنبت في الأراضي الجافة والحارة ؛ لأنها تعيش على القليل من الماء ، ويوجد منها في جنوب فلسطين ووادي الأردن . (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠٧ و ٥٢٩ و ٦٤٧) .

(٢) انظر إنجيل متّى ٧/١٦ ، ويقصد بالقول المذكور في الباب السابع هو فقرة إنجيل متّى ٧/١٥ « احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة » .

(٣) يقصد المسالك الخمسة التي فيها بيان معجزاته ﷺ ، وأخلاقه وصفاته الخاصّة به ، وما اشتملت عليه شريعته الغرّاء ، وظهوره بين قوم لا كتاب لهم ، وفي وقت كان الناس في حاجة إليه .

الإنكار ، وعلماء المسيحية لا يلتفتون في هذا الباب إلى تفاسيرهم وتأويلاتهم ويفسّرونها ويؤولونها بحيث تصدق في زعمهم على عيسى عليه السلام .

قال صاحب ميزان الحق في الفصل الثالث من الباب الأول في الصفحة ٤٦ من النسخة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٤٩م : « المعلّمون القدماء من الملّة المسيحية ادّعوا هذه الدعوى الصحيحة فقط أنّ اليهود أوّلوا الآيات التي كانت إشارة إلى يسوع المسيح بتأويلات غير صحيحة وغير لائقة ، وبيّنوها خلاف الواقع ». انتهى .

وقوله : « ادّعوا هذه الدعوى الصحيحة فقط » غلط يقينا ، لأنّ المعلمين القدماء كما ادّعوا هذه الدعوى ادّعوا أنّ اليهود حرفوا الكتب تحريفاً لفظيّاً كما عرفت في الباب الثاني .

لكنّي أقطع النظر عن هذا وأقول : كما أنّ تأويلات اليهود في الآيات المذكورة مردودة غير صحيحة وغير لائقة عند المسيحيّين ، كذلك تأويلات المسيحيّين في الإخبارات التي هي في حقّ محمد[1] ﷺ مردودة غير مقبولة عندنا . وسترى أنّ الإخبارات التي ننقلها في حقّ محمد ﷺ أظهر صدقاً من الإخبارات التي نقلها الإنجيليّون في حق عيسى عليه السلام ، فلا بأس علينا إنْ لم نلتفت إلى تأويلاتهم الفاسدة . وكما أنّ اليهود ادّعوا في حق بعض الإخبارات التي هي في حق عيسى عليه السلام على زعم المسيحيين أنّها في حق مسيحهم المنتظر ، أو في حق غيره ، أو ليست في حقّ أحد ، والمسيحيون يدّعون أنّها في حقّ عيسى عليه السلام ولا يبالون بمخالفتهم ، فكذا نحن لا نبالي بمخالفة المسيحيين في حقّ بعض الإخبارات التي هي في حق محمد ﷺ

---

(١) أي البشارات المحمديّة في كتب العهدين .

لو قالوا : إنّها في حق عيسى عليه السلام . وسترى أيضاً أنّ صدقها في حقّ محمد ﷺ أليق من صدقها في حقّ عيسى عليه السلام . فادّعاؤنا أحقّ من ادّعائهم .

الأمر السادس : مؤلفو العهد الجديد باعتقاد المسيحيّين ذوو إلهام ، وقد نقلوا الإخبارات في حق عيسى عليه السلام ، فيكون هذا النقل على زعمهم بالإلهام ، فأذكر نبذاً منها بطريق الأنموذج ليقيس المخاطب حال هذه الإخبارات بالإخبارات التي أنقلها في هذا المسلك في حقّ محمد ﷺ ، وإنْ سلك أحد من القسيسين مسلك الإعتساف ، وتصدّى لتأويل الإخبارات التي أنقلها في هذا المسلك يجب عليه أن يوجّه أوّلاً الإخبارات التي نقلها مؤلفو العهد الجديد في حق عيسى عليه السلام ليظهر للمنصف اللبيب حال الإخبارات التي نقلها الجانبان ، ويقابلهما باعتبار القوة والضعف ، وإنْ غمّض النظر عن توجيه الإخبارات العيسوية التي نقلها المؤلفون المذكورون ، وأوّل الإخبارات المحمديّة التي أنقلها في هذا المسلك يكون محمولاً على عجزه وتعصّبه ؛ لأنّك قد علمت في الأمر الثاني والخامس[1] أنّ المعاند له مجال واسع للتأويل في أمثال هذه الإخبارات ، وإنّما اكتفيت على نبذ مما نقله مؤلفو العهد الجديد؛ لأنّه إذا ظهر أنّ البعض منها غلط يقيناً ، والبعض منها محرّف ، والبعض منها لا يصْدق على عيسى عليه السلام إلاّ بالإدّعاء البحت والتحكم الصرف ـ ظهر أنّ حال الإخبارات الأخر التي نقلها المسيحيون الذين ليسوا ذوي إلهام ووحي يكون أسوأ ، فلا حاجة إلى نقلها .

---

(١) الأمر الثاني هو أنه لا يشترط أن يخبر النبي المتقدم عن النبي المتأخر خبراً تفصيليّاً ، والأمر الخامس هو أن اليهود ينكرون عيسى ويؤولون البشارات حتى لا تصدق عليه ، والنصارى لا يلتفتون لإنكارهم .

الخبر الأول : ما هو المنقول في الباب الأول من إنجيل متّى . وقد عرفت في بيان الغلط الخمسين في الفصل الثالث من الباب الأول أنّه غلط[1]، على أنّ كون مريم عذراء وقت الحبل غير مسلّم عند اليهود والمنكرين ، ولا يتمّ عليهم حجّة؛ لأنّها قبل ولادة عيسى عليه السلام كانت في نكاح يوسف النّجّار على تصريح الإنجيل[2]، واليهود المعاصرون لعيسى عليه السلام يقولون : إنّه ولد يوسف النّجّار كما هو مصرح به في الآية ٥٥ من الباب ١٣ من إنجيل متّى ، والآية ٤٥ من الباب ١ ، والآية ٤٢ من الباب ٦ من إنجيل يوحنّا[3]، وإلى الآن يقولون هكذا ، بل أشنع منه ، والعلامة الأخرى[4] المختصّة بعيسى عليه السلام غير مذكورة في هذا الخبر .

والخبر الثاني : ما هو المنقول في الآية السادسة من الباب الثاني من إنجيل متّى[5] ، وهو إشارة إلى الآية الثانية من الباب الخامس من كتاب ميخا[6]، ولا تطابق عبارة متّى عبارة ميخا ، وإحداهما محرفة ، وقد عرفت في الشاهد

---

(١) الخبر هو المذكور في إنجيل متّى ١/٢٢ - ٢٣ كما يلي « ٢٢ ـ وهذا كله كان لكي يتمّ ما قيل من الرب بالنبي القائل (٢٣) هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمّانوئيل الذي تفسيره الله معنا » .

(٢) انظر إنجيل متّى ١/١٨ .

(٣) ففي إنجيل متّى ١٣/٥٥ : « أليس هذا ابن النجار أليست أمّه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا » .

وفي إنجيل يوحنا ١/٤٥ « يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة » .

وفي إنجيل يوحنا ٦/٤٢ « وقالوا أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمّه » .

(٤) لعله يقصد بالعلامة الأخرى المختصة بعيسى عليه السلام أنّه يُدعى عِمّانوئيل ، ولم يسمّه أحد بهذا الإسم .

(٥) ففي إنجيل متّى ٢/٦ « وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل » .

(٦) ففي كتاب ميخا ٥/٢ « أمّا أنت يا بيت لحم أفراته وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » .

الثالث والعشرين من المقصد الأول من الباب الثاني أنّ محققيهم اختاروا تحريف عبارة ميخا ، لكنّ ادّعاءهم هذا لأجل محافظة الإنجيل فقط ، وعند المخالف باطل .

والخبر الثالث : ما هو المنقول في الآية الخامسة عشرة من الباب المذكور من إنجيل متّى(١).

والخبر الرابع : ما هو المنقول في الآية ١٧ و ١٨ من الباب المذكور(٢).

والخبر الخامس : ما هو المنقول في الآية الثالثة والعشرين من الباب المذكور(٣).

وهذه الأخبار الثلاثة غلط كما عرفت في الفصل الثالث من الباب الأول .

والخبر السادس : الآية التاسعة من الباب السابع والعشرين من إنجيل متّى(٤). وقد عرفت في الشاهد التاسع والعشرين من المقصد الثاني من الباب الثاني(٥) أنّه غلط . على هذا الحال يوجد في الباب الحادي عشر من كتاب زكريا ولا مناسبة له بالقصة التي نقلها متّى ؛ لأنّ زكريا عليه السلام بعدما ذكر اسمي

---

(١) ففي إنجيل متّى ٢ / ١٥ « وكان هناك إلى وفاة هيرودس لكي يتمّ ما قيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابني » ، وانظر الغلط الحادي والخمسين .

(٢) ففي إنجيل متّى ٢ /١٧ ـ ١٨ « ١٧ ـ حينئذ تمّ ما قيل بإرميا النبي القائل (١٨) صوت سمع في الرامة نوح وبكاء وعويل كثير، راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين » ، وانظر الغلط الثالث والخمسين .

(٣) ففي إنجيل متّى ٢ /٢٣ « وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتمّ ما قيل بالأنبياء إنّه سيدعى ناصرياً » وانظر الغلط الرابع والخمسين .

(٤) ففي إنجيل متّى ٢٧ / ٩ « حينئذٍ تمّ ما قيل بإرميا النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمّنوه من بني إسرائيل » .

(٥) انظر الغلط ٥٨ .

عَصَوَيْن[1] ورعْيَ قطيع غنم يقول هكذا : (ترجمة عربية سنة ١٨٤٤م) : « ١٢ ــ وقلت لهم إنْ حسُن في عينيكم فهاتوا أجري وإلّا فكفّوا فوزنوا أجري ثلاثين من الفضّة (١٣) وقال لي الرب ألقيها إلى صنّاع التماثيل ثمناً كريماً أثمنوني به فأخذت الثلاثين من الفضّة وألقيتها في بيت الرب إلى صنّاع التماثيل » .

فظاهر كلام زكريا أنّه بيان حال لا إخبار عن الحادثة الآتية ، وأن يكون آخذ الدراهم من الصالحين مثل زكريا عليه السلام لا من الكافرين مثل يهوذا[2] .

والخبر السابع : ما نقله مقدّسُهم بولس في الآية الخامسة[3] من الباب الأول من الرسالة العبرانية ، وقد عرفت حاله في الفصل الثالث أنّه غلط[4] لا يصْدق على عيسى عليه السلام .

والخبر الثامن : الآية الخامسة والثلاثون من الباب الثالث عشر من إنجيل متّى هكذا : « لكي يتمّ ما قيل بالنبيّ القائل سأفتح بأمثال فمي وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم » .

وهو إشارة إلى الآية الثانية من الزبور الثامن والسبعين ، لكنّه ادّعاء محض وتحكّم بحت ؛ لأنّ عبارة هذا الزبور هكذا : « ٢ ــ أفتح بالأمثال فمي وأنطق بالذي كان قديماً (٣) كل ما سمعناه وعرفناه وآباؤنا أخبرونا (٤) ولم يخفوه عن

---

(١) في حاشية ق : تثنية عصا . اهـ . وهي ما يُتّخذ من الخشب وغيره للتوكّؤ أو الضرب. (المعجم الوسيط ص ٦٠٦) .

(٢) أي يهوذا الاسخريوطي الذي دلّ الجنود على مكان المسيح عليه السلام .

(٣) في ط ، خ : « السادسة » والصواب أنها « الخامسة » ، وفيها يلي نصّ فقرة الرسالة العبرانية ١/٥ « أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً » .

(٤) انظر الغلط ٣٤ و ٣٥ .

أولادهم إلى الجيل الآخر إذْ يخبرون بتسابيح الربّ وقوّاته وعجايبه التي صنع (٥) إذْ أقام الشهادة في يعقوب ووضع الناموس في إسرائيل كل الذي أوصى آباءنا ليعرّفوا به أبناءهم (٦) لكيما يعلّم الجيل الآخر بنيهم المولودين فيقومون أيضاً ويخبرون به أبناءهم (٧) لكي يجعلوا اتكالهم على الله ولا ينسوا أعمال الله ويلتمسوا وصاياه (٨) لئلا يكونوا مثل آبائهم الجيل الأعوج الممرمر الجيل الذي لم يستقم قلبه ولا آمنت بالله روحه » .

وهذه الآيات صريحة في أنّ داود عليه السلام يريد نفسه ، ولذا عبّر عن نفسه بصيغة المتكلم ، ويروي الحالات التي سمعها من الآباء ليبلّغ إلى الأبناء على حسب عهد الله لتبقى الرواية محفوظة ، وبيّن من الآية العاشرة إلى الخامسة والستين حال إنعامات الله والمعجزات الموسوية وشرارة بني إسرائيل وما لحقهم بسببها ، ثم قال : « ٦٥ ـ واستيقظ الرب كالنائم مثل الجبار المفيق من الخمر (٦٦) فضرب أعداءه في الوراء وجعلهم عاراً إلى الدهر (٦٧) وأبعد محلة يوسف ولم يختر سبط أفرام[١] (٦٨) بل اختار سبط يهوذا لجبل صهيون[٢] الذي أحب (٦٩) وبنى مثل وحيد القرن قدسه وأسسه في الأرض إلى الأبد (٧٠) واختار داود عبده وأخذه من مراعي الغنم ومن خلف المرضعات أخذه (٧١) ليرعى يعقوب[٣] عبده وإسرائيل[٤] ميراثه (٧٢) فرعاهم بدَعة قلبه وبفهم يديه أهداهم » .

---

(١) في حاشية ق : أي أولاد أفرام بن سيدنا يوسف . اهـ .

(٢) في حاشية ق : بقرب بيت المقدس . اهـ .

(٣) في حاشية ق : أي أولاد يعقوب . اهـ .

(٤) إسرائيل : كلمة إسرائيل اسم أو صفة للنبي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وهي كلمة عبرية مكونة من مقطعين ، اسرا : بمعنى عبد ، وايل : **بمعنى إله أو الله** ، أي عبدالإله أو عبدالله ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بلفظ يعقوب ١٦ **مرّة ، وبلفظ** إسرائيل مرتين ، وكان له اثنا عشر ابناً ليس فيهم نبي غير يوسف عليه السلام ، **وهم** : رأوبين ، شمعون ، لاوي ، يهوذا ، يساكر ، زبولون ، دان ، نفتالي ، جاد ، أشير ، **يوسف** ، بنيامين . =

وهذه الآيات الأخيرة أيضاً دالّة صراحة في أنّ هذا الزبور في حق داود عليه السلام ، فلا علاقة لهذا بعيسى عليه السلام .

والخبر التاسع : في الباب الرابع من إنجيل متّى هكذا : « ١٤ ـ لكي يتمّ ما قيل بإشعياء النبي القائل (١٥) أرض زبولون[1] وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم[2] (١٦) الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً والجالسون في كورة الموت وضلاله أشرق عليهم نور » .

وهو إشارة إلى الآية الأولى والثانية من الباب التاسع من كتاب إشعياء ، وعبارته هكذا : « ١ ـ في الزمان الأول استحقت أرض زبلون وأرض نفتالي وفي الآخر تثقلت طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم (٢) الشعب السالك في الظلمة رأى نوراً عظيماً الساكنون في بلاد ظلال الموت أشرق عليهم نور » .

وفرْق ما بين العبارتين ، فإحداهما محرفة ، ومع قطع النظر عن هذا لا دلالة لكلام إشعياء على ظهور شخص ، بل الظاهر أنّ إشعياء عليه السلام يخبر أنّ حال سكان أرض زبلون ونفتالي كان سقيماً في سالف الزمان ، ثم صار حسناً

= ومنهم تناسل أسباط بني إسرائيل الاثنا عشر ، فبنو إسرائيل ـ الذين هم قوم موسى ـ هم اليهود من ذرية يعقوب عليه السلام (إسرائيل) ، ولما انفصل الأسباط العشرة بمملكة مستقلة في السامرة وعاصمتهم نابلس (شكيم) ملّكوا عليهم يربعام بن نباط وأطلقوا على مملكتهم (مملكة إسرائيل) تمييزاً لها عن مملكة يهوذا التي لم يبق فيها إلا سبطا يهوذا وبنيامين وبعض بني لاوي ، وبقيت عاصمتها القدس وكان ملكهم رحبعام بن سليمان ، وقد تطلق كلمة بني إسرائيل على جميع طوائف اليهود في أنحاء العالم ، وقد وردت كلمة بني إسرائيل في القرآن الكريم ٤١ مرّة . (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩ و ١٤٢ ، والقاموس الإسلامي ١/ ٩٤ ، ودائرة معارف القرن العشرين ١/ ٢٨٠ وسلاسل المناظرة ص ٤٣) .

(١) زبولون : هو عاشر أولاد يعقوب عليه السلام ، وأمّه ليئة ، وقد أنجب ثلاثة أولاد هم أجداد سبط زبولون ، وكانت أرضهم في أقصى شمال فلسطين غربي بحيرة الجليل (طبرية). (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٢٤) .

(٢) في حاشية ق : أي محل سكن الأجلاء . اهـ .

كما تدل عليه صيغ الماضي ، أعني : استخفّت وتثقلت ورأى وأشرق ، وإنْ عدلنا عن الظاهر وحملنا على المجاز بمعنى المستقبل ، وقلنا : إنّ رؤية النور وإشراقه عليهم عبارة عن مرور الصلحاء بأرضهم ، فادّعاء أنّ مصداق هذا الخبر عيسى عليه السلام فقط تحكّم صرف ؛ لأنّ كثيراً من الأولياء والصلحاء مرّ بتلك الأرض سيما أصحاب محمد ﷺ ، وأولياء أمته أيضاً الذين زالت ظلمة الكفر والتثليث من هذه الديار بسببهم ، وظهر نور التوحيد وتصديق المسيح كما ينبغي .

وأكتفي لخوف التطويل على هذا القدر ، ونقلت الأخبار الأخر أيضاً في « إزالة الأوهام » وغيره من مؤلّفاتي ، وبيّنتُ وجوه ضعفها .

الأمر السابع : أنّ أهل الكتاب سلفاً وخلفاً عادتهم جارية بأنّهم يترجمون غالباً الأسماء في تراجمهم ، ويوردون بدلها معانيها ، وهذا خبط عظيم ومنشأ للفساد ، وأنّهم يزيدون تارة شيئاً بطريق التفسير في الكلام الذي هو كلام الله في زعمهم، ولا يشيرون إلى الإمتياز، وهذان الأمران بمنزلة الأمور العاديّة عندهم . ومن تأمّل في تراجمهم المتداولة بألسنة مختلفة وجد شواهد تلك الأمور كثيرة . وأنا أورد أيضاً بطريق الأنموذج بعضاً منها :

الأول : في الآية الرابعة عشرة من الباب السادس عشر من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥م وسنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م هكذا : « لذلك دعت[١] اسم تلك البير بير الحيّ الناظرني »[٢]، فترجموا اسم البئر الذي كان في العبراني بالعربي .

---

(١) في حاشية ق : أي سارة . اهـ .

(٢) ومثلها في السامرية ، أمّا في طبعة سنة ١٨٦٥م « لذلك دُعيت البئر بئر لَحَيْ رُئي » ونفس الإسم ورد في سفر التكوين ٢٤/٦٢ و ٢٥/١١ .

الثاني : وفي الآية الرابعة عشرة من الباب الثاني والعشرين من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م هكذا : « سمّى إبراهيم اسم الموضع مكان يرحم الله زائره » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م : « ودعا اسم ذلك الموضع الرب يُرى » .

فترجم المترجم الأول الاسم العبراني بـ (مكان يرحم الله زائره) ، والمترجم الثاني بـ (الرب يرى)[1].

الثالث : وفي الآية العشرين من الباب الحادي والثلاثين من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥م وسنة ١٨٤٤م هكذا : « فكتم يعقوب أمره عن حميه » .

وفي ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٢٥م لفظ « لابان » موضع « حميه » ، فوضع مترجمو العربية لفظ « الحمي » موضع الاسم[2].

الرابع : وفي الآية العاشرة من الباب التاسع والأربعين من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥م وسنة ١٨٤٤م : « فلا يزول القضيب[3] من يهوذا والمدبّر من فخذه حتى يجيء الذي له الكلّ وإيّاه تنتظر الأمم » .

فقوله : « الذي له الكل » ترجمة لفظ « شيلوه » ، وهذه الترجمة موافقة للترجمة اليونانية .

---

(١) وفي السامرية : « ودعا إبراهيم اسم ذلك الموضع الله ينظر » ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م : « فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يَهْوَهْ يِرْاه » .

(٢) في السامرية سفر التكوين ٣١/٢٠ « واختلس يعقوب قلب لابان الارامي » . وفي طبعة سنة ١٨٦٥م « وخدع يعقوب قلب لابان الارامي » .

(٣) في حاشية ق : أي قضيب السلطنة . اهـ .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م : « فلا يزول القضيب من يهوذا والرسم من تحت أمره إلى أن يجيء الذي هو له وإليه يجتمع الشعوب » .

وهذا المترجم ترجم لفظ « شيلوه » بـ « الذي هو له » ، وهذه الترجمة موافقة للترجمة السريانية ، وترجم هذا اللفظ محققهم المشهور ليكلرك بـ « عاقبته » ، وفي ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٢٥م وقع لفظ « شَيْلا » ، وفي الترجمة اللاتينية ولْكيت « الذي سَيُرْسَل » ، فالمترجمون ترجموا لفظ « شيلوه » بما ظهر وترجّح عندهم[١]، وهذا اللفظ كان بمنزلة الاسم للشخص المبشَّر به .

الخامس : وفي الآية الرابعة عشرة من الباب الثالث من سفر الخروج في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥م وسنة ١٨٤٤م : « فقال الله لموسى : أَهْيَـهْ أشر أَهْيَـه »[٢].

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م : « قال له الأزلي الذي لا يزال » .

فلفظ « أهيه أشر أهيه » كان بمنزلة اسم الذات ، فترجمه المترجم الثاني بـ « الأزلي الذي لا يزال »[٣].

السادس : وفي الآية الحادية عشرة[٤] من الباب الثامن من سفر الخروج في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥م وسنة ١٨٤٤م هكذا : « وتبقى في النهر فقط » .

---

(١) ولذلك ورد الاسم في فقرة سفر التكوين ٤٩/ ١٠ في السامرية : « حتى أن يأتي سليمان وإليه تنقاد الشعوب » وفي طبعة سنة ١٨٦٥م : « حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب » .

(٢) وفي طبعة سنة ١٨٦٥م: « أَهْيَهْ الذي أَهْيَهْ » .

(٣) وهكذا في السامرية .

(٤) وكذلك التاسعة وفي جميع الطبعات أي ٩ و ١١ .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م هكذا : « تبقى في النيل[١] فقط »[٢].

السابع : وفي الآية الخامسة عشرة من الباب السابع عشر من سفر الخروج في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥م وسنة ١٨٤٤م هكذا : « فابتنى موسى مذبحاً ودعا اسمه : الربّ عظمتي » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م « وبنى مذبحاً وسماه : الله علمي »[٣].

وترجمة أردو موافقة لهذه الأخيرة فأقول مع قطع النظر عن الإختلاف : إنّ المترجمين ترجموا الاسم العبراني .

الثامن : وفي الآية الثالثة والعشرين من الباب الثلاثين من سفر الخروج في الترجمتين المذكورتين[٤] هكذا : « من ميعة فائقة » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م : « من المسك الخالص »[٥].

وبين الميعة والمسك فرْق مّا ، ففسّروا الاسم العبراني بما ترجّح عندهم .

التاسع : وفي الآية الخامسة من الباب الرابع والثلاثين من سفر التثنية في الترجمتين المذكورتين[٦] هكذا : « ومات موسى هناك عبدالرب » .

---

(١) النيل : أشهر أنهار العالم وأطولها ، فيبلغ طوله (٦٦٤٠) كم ، وهو حياة مصر ، وبعد القاهرة ينقسم إلى عدة فروع وكان الفراعنة يساوونه بأكبر الآلهة ويقدمون له القرابين . (معجم البلدان ٥/٣٣٤ ، والموسوعة الميسرة ص ١٨٦٩ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٩٨٩) .

(٢) فقرة سفر الخروج ٨/١١ في السامرية : « بل في الخليج تبقى » ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م « ولكنها تبقى في النهر » .

(٣) وهكذا في السامرية . أمّا في طبعة سنة ١٨٦٥م : « فبنى موسى مذبحاً ودعا اسمه يَهْوَه نِسِّي » .

(٤) أي في طبعة سنة ١٦٢٥م و١٨٤٤م .

(٥) وفي السامرية : « مسكا خالصاً » ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م : « مُرّاً قاطراً » .

(٦) هما طبعتا سنة ١٦٢٥م وسنة ١٨٤٤م .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م هكذا : « فمات هناك موسى رسول الله »[١].

فهؤلاء المترجمون لو بدّلوا في البشارات المحمدية لفظ « رسول الله » بلفظ آخر فلا استبعاد منهم .

العاشر : وفي الآية الثالثة عشرة من الباب العاشر من كتاب يوشع في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا : « أليس هو مكتوباً في سفر الأبرار » .
وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م : « أليس هو مكتوباً في سفر المستقيم » .

وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٨م لفظ « يا صار » موضع « الأبرار » أو « المستقيم » .

وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٤٥م لفظ « ياشَر »[٢].

وفي ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٢٥م لفظ « ياشا » .

لعلّ ياصار ، أو ياشر ، أو ياشا اسم مصنف الكتاب ، فترجم مترجمو العربية هذا الاسم على آرائهم بالأبرار أو المستقيم .

الحادي عشر : وفي الباب الثامن من كتاب إشعياء في الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٩م هكذا : « ١ ـ وخدا وندمرا فرمود كه لوحي بزرك بكير وازقلم كند كارد رباب مهر شالال جاشنر بنويس (٣) أورا مهر شالال جشنرنام بنه » ، وترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٢٥م توافقها .

---

(١) وفي السامرية « ومات هناك موسى عبدالله » ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م : « فمات هناك موسى عبدالرب » .

(٢) ومثلها تماماً طبعة سنة ١٨٦٥م « ياشر » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا : « ١ ـ وقال لي الرب خذلك مدرجاً عظيماً واكتب فيه بكتابة إنسان انتهب مستعملاً اسلب سريعاً (٣) . . . ادعوا اسمه اغنم بسرعة وانهب عاجلاً » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م : « ١ ـ وقال لي الرب خذ لك مدرجاً صحيحاً صحيفة حديدة كبيرة واكتب فيها بكتابة إنسان حاد ليصنع نهب الغنايم لأنه حضر (٣) . . . ادع اسمه اغنم بسرعة وانهبوا تجده » .

فكان اسم الابن مهر شالال جاشنر[١]، فترجم مترجمو العربية هذا الاسم على آرائهم ، وخالفوا فيما بينهم . ومع قطع النظر عن المخالفة زاد مترجم العربية المطبوعة سنة ١٨١١م ألفاظاً من قبل نفسه . فأمثال هؤلاء لو بدّلوا في البشارات المحمدية اسماً من أسماء النبي ﷺ ، أو زادوا شيئاً فلا استبعاد منهم لأنّ هذا الأمر يصدر عنهم بحسب عادتهم .

الثاني عشر : وفي الآية الرابعة عشرة من الباب الحادي عشر من إنجيل متّى في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م وسنة ١٨٤٤م[٢] هكذا : « فإنْ أردتم أن تقبلوا فهو إيليّا المزمع أن يأتي » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦م : « فإن أردتم أن تقبلوه فهذا هو المزمع بالإتيان » .

فالمترجم الأخير بدل لفظ « إيليّا » بـ « هذا » . فأمثال هؤلاء لو بدلوا اسماً من أسماء النبي ﷺ في البشارة فلا عجب .

---

(١) مهر شالال جاشنر (مهير شلال حاش بز) : اسم عبري معناه (مسرع إلى الغنيمة) أو (يُعجل السلب ويُسرع النهب) ، وهو اسم سمي به ابن إشعياء للدلالة على فتح ملك أشور دمشق والسامرة ونهبهما (قاموس الكتاب المقدس ص ٨١ وص ٩٢٧) .

(٢) وكذلك طبعة سنة ١٨٢٣م .

الثالث عشر : وفي الآية الأولى من الباب الرابع من إنجيل يوحنّا في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م وسنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م[١] هكذا : « لـمّا علم يسوع » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦م وسنة ١٨٦٠م[٢]: « لـمّا علم الرب » .

فبدّل المترجمان الأخيران لفظ « يسوع » الذي كان علم عيسى عليه السلام بـ « الرب » الذي هو من الألفاظ التعظيمية . فلو بدلوا اسماً من أسماء النبي ﷺ بالألفاظ التحقيريّة لأجل عادتهم وعنادهم فلا عجب .

وهذه الشواهد تدلّ على ترجمة الأسماء وإيراد لفظ آخر بدلها :

(١) في الباب السابع والعشرين من إنجيل متّى هكذا : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : إيلي إيلي لَـمَا شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني »[٣].

وفي الباب الخامس عشر من إنجيل مرقس هكذا : « وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً أُلُوي أُلُوي لَـمَا شبقتني . الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني »[٤].

فلفظ « أي إلهي إلهي لماذا تركتني » في إنجيل متّى ، وكذا لفظ « الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني » في إنجيل مرقس ، ليسا من كلام الشخص المصلوب يقيناً ، بل أُلْحقا بكلامه .

---

(١) وهكذا في طبعة سنة ١٨٢٣م .
(٢) وكذلك في طبعة سنة ١٨٦٥م وما بعدها .
(٣) إنجيل متى ٢٧/٤٦ .
(٤) إنجيل مرقس ١٥/٣٤ .

(٢) في الآية السابعة عشرة من الباب الثالث من إنجيل مرقس هكذا : « لقّبهما ببوانرجس يعني ابني الرعد »[١].

فلفظ « يعني ابني الرعد » ليس من كلام عيسى عليه السلام ، بل هو إلحاقي .

(٣) في الآية الحادية والأربعين من الباب الخامس من إنجيل مرقس هكذا : « وقال لها : طليثا[٢] قومي الذي تفسيره يا صبيّة لكِ أقول قومي » .

فهذا التفسير إلحاقي ليس من كلام عيسى عليه السلام .

(٤) في الآية الرابعة والثلاثين من الباب السابع من إنجيل مرقس في الترجمة المطبوعة سنة ١٨١٦م : « ونظر إلى السماء وتأوّه وقال إفّتا يعني انفتح »[٣].

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م « ونظر إلى السماء وتنهّد وقال إفّاثا الذي هو انفتح » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا « ونظر إلى السماء وتنهّد وقال له اثفتح الذي هو انفتح »[٤].

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠م هكذا : « ورفع نظره نحو السماء وأنّ[٥] وقال له أفّثا أي انفتح »[٦].

---

(١) هذا حسب ما في طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م ، أمّا في طبعة سنة ١٨٢٣م وسنة ١٨٤٤م « الذي هو ابنا الرعد » ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م « أي ابني الرعد » .
(٢) طَلِيثا : كلمة آرمية معناها : صبية . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٧٨) .
(٣) ومثلها ما في طبعة سنة ١٨٢٥م و١٨٢٦م .
(٤) ومثلها ما في طبعة سنة ١٨٢٣م .
(٥) في حاشية ق : من الأنين. اهـ . يقال : أنّ الرجل من الوجع يَئِنّ أنيناً. (لسان العرب ١٣/٢٨) .
(٦) ومثلها ما في طبعة سنة ١٨٦٥م وسنة ١٨٨٢م .

ومن هذه العبارة وإنْ لم يعلم صحّة اللفظ العبراني ـ أهو : إفّتا أو إفّاثا أو إثفتح أو إفّثا لأجل اختلاف التراجم التي منشأ اختلافها عدم صحة ألفاظ أصولها ـ لكنّه يُعلم يقيناً أن لفظ « أي انفتح » أو « الذي هو انفتح » إلحاقي ليس من كلام عيسى عليه السلام .

وهذه الأقوال المسيحية الأربعة التي نقلتُها من الشاهد الأول إلى ههنا تدل على أنّ المسيح عليه السلام كان يتكلم باللسان العبراني الذي كان لسان قومه ، وما كان يتكلم باليوناني وهو قريب القياس أيضاً ؛ لأنّه كان عبرانياً ابن عبرانية نشأ في قومه العبرانيين ؛ فنقل أقواله في هذه الأناجيل في اليوناني نقل بالمعنى ، وهذا أمر آخر زائد على كون أقواله مرويّة برواية الآحاد .

(٥) في الآية الثامنة والثلاثين من الباب الأول من إنجيل يوحنّا هكذا : « فقالا : ربي الذي تفسيره يا معلّم » .

فقوله : « الذي تفسيره يا معلّم »[١] إلحاقي ليس من كلامهما .

(٦) في الآية الحادية والأربعين من الباب المذكور في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م وسنة ١٨٤٤م : « قد وجدنا مَسِيّا الذي تأويله المسيح »[٢].

وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦م : « ما مسيح راكه ترجمة ان كرسطوس ميباشد يا فتيم » . وترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨١٤م توافق الفارسية .

فيُعلم من الترجمتين العربيتين أنّ اللفظ الذي قاله اندراوس هو « مسيّا »[٣]

---

(١) في طبعة سنة ١٨٢٣م و ١٨٤٤م : « فقالا له رابي الذي تأويله يا معلم » ، أمّا في طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م فلا ذكر لهذا التفسير والتأويل .

(٢) وكذلك هو نصّ طبعة سنة ١٨٢٣م ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م : « الذي تفسيره المسيح » ، وفي طبعة سنة ١٨٢٥م: وسنة ١٨٢٦م :« أي المسيح » .

(٣) مسيا : هي الصيغة العربية للكلمة اليونانية (مسياس) المأخوذة من الكلمة الآرامية (مشيخا) ومعناها مسيح . (قاموس الكتاب المقدس ص ٨٩٠) .

وأنّ « المسيح » ترجمته ، ومن الترجمة الفارسية وأردو أنّ اللفظ الأصل هو « المسيح » و« كرسطوس » ترجمته ، ويعلم من ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٣٩م أنّ اللفظ الأصل « خرسته » وأن « المسيح » ترجمته ، فلا يعلم من كلامهم أنّ اللفظ الأصل أيّ لفظ كان . أَمسِيّا ، أو المسيح ، أو خرسته ؟ وهذه الألفاظ وإنْ كان معناها واحداً لكن لا شكّ أنّ الذي قاله أندراوس هو واحد من هذه الثلاثة يقيناً . وإذا ذكر اللفظ والتفسير فلا بد من ذكر اللفظ الأصل أوّلاً ، ثم من ذكر تفسيره ، لكنّي أقطع النظر عن هذا وأقول : إنّ التفسير المشكوك أيًّا مّا كان إلحاقي ليس من كلام اندراوس .

(٧) في الآية الثانية والأربعين من الباب الأول من إنجيل يوحنا قول عيسى عليه السلام في حق بطرس الحواري في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م هكذا : « أنت تدعى ببطرس الذي تأويله الصخرة » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦م « ستسمى أنت بالصفا المفسَّر ببطرس »[١] .

وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦م : « ترا بكيفاس كه ترجمة ان سنك است ندا خواهند كرد » .

أمطر الله حجارة على تحقيقهم وتصحيحهم ، لا يتميز من كلامهم المفسِّر عن المفسَّر ، لكنّي أقطع النظر عن هذا وأقول : إنّ التفسير ليس من كلام المسيح عليه السلام ، بل هو إلحاقي . وإذا كان حال تراجمهم وحال تحقيقهم في لقب إلههم ولقب خليفته كما علمت فكيف نرجو منهم صحة بقاء لفظ محمد أو أحمد أو لقب من ألقابه ﷺ ؟! .

---

(١) ومثلها ما في طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م . وفي طبعة سنة ١٨٢٣م وسنة ١٨٤٤م : « أنت تدعى الصفا الذي تأويله بطرس » . وفي طبعة سنة ١٨٦٥م « أنت تدعى صفا الذي تفسيره بطرس » .

(٨) في الآية الثانية من الباب الخامس من إنجيل يوحنا في حق البِرْكة ، في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م « تُسمّى بالعبرانية بيت صيدا »[١].

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠م : « يقال لها بالعبرانية بيت حسدا »[٢].

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م : « تسمى بالعبرانية بيت حصدا أي بيت الرحمة » . فالإختلاف بين صيدا وحسدا وحصدا[٣] وإنْ كان ثمرة من ثمرات تصحيحهم الكتب السماوية ، لكنّي أقطع النظر عنه وأقول : المترجم الأخير زاد التفسير من جانب نفسه في الكلام الذي هو كلام الله في زعمه . فلو زادوا شيئاً بطريق التفسير من جانب أنفسهم في البشارات المحمدية فلا بُعد منهم .

(٩) في الآية السادسة والثلاثين من الباب التاسع من كتاب الأعمال هكذا : « وكان في يافا[٤] تلميذة اسمها طابيثا[٥] الذي ترجمته غزالة »[٦].

---

(١) ومثلها في طبعة سنة ١٨٢٣م .

(٢) ومثلها في طبعة سنة ١٨٦٥م ، وقريب منها ما في طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م : « تسمى بالعبرانية بيت حسد » .

(٣) بيت صيدا : بلدتان شمال بحيرة طبرية واحدة منهما شرقي نهر الأردن والثانية غربيه ، وليستا هما المقصودتين في هذا الموضع .

وأما بيت حسدا : فيظن أنه اسم أرامي معناه بيت الرحمة ، وفي أورشليم ثلاث برك ، تسمى واحدة منها بركة بيت حسدا ، وقد اشتهرت بخواصها الطبيّة لذلك كان المرضى يقصدونها للاغتسال فيها والاستشفاء بمائها . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٠١ وص ٢٠٣) .

(٤) يافا : مدينة فلسطينية قديمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمال غربي القدس بحوالي ٦٠ كم. (معجم البلدان ٥/٤٢٦ ، والموسوعة الميسرة ص ١٩٧٧ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٠٤٦) .

(٥) طابيثا : اسم أرامي معناه غزالة ، وهو اسم فتاة في مدينة يافا يعتقد المسيحيون أنها بعد مماتها أحياها الله على يد بطرس. (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٧٢) .

(٦) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٦٥م ، والبواقي قريبة منها جداً .

(١٠) في الآية الثامنة من الباب الثالث عشر من كتاب الأعمال في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م : « فناصبهما أليماس الساحر لأنّ هكذا يترجم اسمه »[١].

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠م « فقاومهما عليم الساحر لأنّ هكذا يترجم اسمه »[٢].

وفي بعض تراجم إردو لفظ « الماس » ، وفي بعضها « الماه » .

فمع قطع النظر عن الإختلاف في أنّ اسمه : اليماس أو عليم أو الماس أو الماه[٣]، أقول : إنّ ترجمة اسمه إلحاقية .

(١١) في آخر رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس[٤] في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦م هكذا : « ألا ومن لا يحبّ ربنا المسيح فليكن ملعوناً مارن أتى »[٥].

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا : « ومن لا يحب ربنا يسوع المسيح فليكن محروماً ماران أتا »[٦].

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠م : « إنْ كان أحد لا يحب الربّ يسوع المسيح فليكن أنا ثيما ماران أثا »[٧].

---

(١) وهكذا في طبعة سنة ١٨٢٣م .

(٢) وهكذا في طبعة سنة ١٨٦٥م .

(٣) ويقال له باريشوع حسب نص فقرة سفر أعمال الرسل ١٣/٦ .

(٤) الفقرة ٢٢ من الإصحاح ١٦ .

(٥) ومثلها طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م .

(٦) ومثلها طبعة سنة ١٨٢٣م .

(٧) ومثلها طبعة سنة ١٨٦٥م ، وأما في طبعة سنة ١٨٨٢م فورد ما يلي : « فليكن مبسلا ماران أتا » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م : « مَن لا يحبّ الربّ يسوع المسيح فليكن مفروزاً مارن أتى أي الربّ قد جاء » .

فمع قطع النظر عن صحة اللفظ الأصل ، أقول : إنّ المترجِم الأخير قد زاد من جانب نفسه التفسير وقال : « أي الرب قد جاء »[١].

وهذه شواهد التفسير ، فثبت مما ذكرنا أنّ ترجمة الأسماء أو تبديلها بألفاظ أخر ، وكذا إلحاق التفسيرات من جانب أنفسهم من عاداتهم الجِبلّيّة سلفاً وخلفاً ، فلا بُعد في أنْ ترجموا إسماً من أسماء النبي ﷺ أو بدّلوه بلفظ آخر أو زادوا بطريق التفسير أو غير التفسير شيئاً بحيث يخلّ الإستدلال بحسب الظاهر . ولا شكّ أنّ اهتمامهم في هذا الأمر كان زائداً على الإهتمام الذي كان لهم في مقابلة فرقهم ، وما قصّروا في التحريف في مقابلتهم على ما عرفت في الباب الثاني من قول هورن : « إنّ هذا الأمر أيضاً محقق أنّ بعض التحريفات القصْديّة صدرت من الذين كانوا من أهل الديانة والدين ، وكانت هذه التحريفات ترجَّح بعدهم لتؤيّد بها مسألة مقبولة أو يدفع بها الإعتراض الوارد ، مثلاً تُرِكَ قصداً الآية الثالثة والأربعون من الباب الثاني والعشرين من إنجيل لوقا[٢]؛ لأنّ بعض أهل الديانة ظنّوا أنّ تقوية المَلَك للرب منافٍ لألوهيته .

وتُركت قصداً في الباب الأول من إنجيل متّى هذه الألفاظ : « قبل أن يجتمعا » في الآية الثامنة عشرة ، وهذه الألفاظ : « ابنها البكر » في الآية

---

(١) وتابعه في ذلك كُتّاب قاموس الكتاب المقدس فأخذوا هذا التفسير من هذه الزيادة فقالوا ص ٨٣١ : « ماران اثا : عبارة ارامية معناها تعال أيها الرب » .
وأما كلمة انا ثيما فقالوا ص ١٢٠ بأنّها كلمة يونانية معناها (مفرز) أو (واقع تحت لعنة) أو (محروم) .

(٢) ففي إنجيل لوقا ٤٣/٢٢ « وظهر له ملاك من السماء يقوّيه » .

الخامسة والعشرين لئلا يقع الشك في البكارة الدائمة لمريم عليها السلام .

وبدل لفظ « اثني عشر » بـ « أحد عشر » في الآية الخامسة من الباب الخامس عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس[1] لئلا يقع إلزام الكذب على بولس ، لأنّ يهوذا الاسخريوطي كان قد مات قبل .

وتُرك بعض الألفاظ في الآية الثانية والثلاثين من الباب الثالث عشر من إنجيل مرقس[2]، وردَّ هذه الألفاظ بعض المرشدين أيضاً لأنّهم تخيلوا أنها مؤيدة لفرقة ايرين[3].

وزيد بعض الألفاظ في الآية الخامسة والثلاثين من الباب الأول من إنجيل لوقا[4] في الترجمة السريانية والفارسية والعربية واتهيوبك وغيرها من التراجم . وفي كثير من نقول المرشدين في مقابلة فرع يوتي كينس لأنّها كانت تنكر أنّ عيسى فيه صفتان » انتهى كلامه .

فإذا كانت خصلة أهل الدين والديانة ما عرفت فما ظنك بغير أهل الديانة ؟، بل الحق أنّ التحريف القصدي بالتبديل والزيادة والنقصان من خصائلهم كلهم أجمعين .

فبعض الإخبارات التي نقلها العلماء الأسلاف من أهل الإسلام مثل الإمام

---

(١) ففي طبعة سنة ١٨٢٥م و ١٨٢٦م و ١٨٦٥م والطبعات الحديثة بما فيها طبعة اللاتين ببيروت سنة ١٩٧٩م « للاثني عشر » ، وفي طبعة سنة ١٨٢٣م وسنة ١٨٤٤م وسنة ١٨٨٢م « للأحد عشر » .

(٢) ففي إنجيل مرقس ٣٢/١٣ « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلاّ الآب » .

(٣) أظنها تعتقد ببشرية عيسى .

(٤) ففي إنجيل لوقا ٣٥/١ « فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله » وفي طبعة سنة ١٩٨٣م وضعت كلمة (منك) بين قوسين هلاليين للدلالة على زيادتها حسب التنبيه المذكور في بداية هذه الطبعة .

القرطبي وغيره[1] ولا تجدها موافقة في بعض الألفاظ للتراجم المشهورة الآن ، فسببه غالباً هذا التغيير ؛ لأنّ هؤلاء العلماء من أهل الإسلام نقلوا من الترجمة العربية التي كانت رائجة في عهدهم ، وبعد زمانهم وقع الإصلاح في تلك الترجمة ، ويحتمل أن يكون ذاك السبب اختلاف التراجم ، لكنّ الأول هو المعتمد ؛ لأنّا نرى أنّ هذه العادة جارية إلى الآن في تراجمهم ورسائلهم .

ألا ترى إلى ميزان الحق أنّ نسخه ثلاث : الأولى : النسخة القديمة وردّ عليها صاحب (الإستفسار) ، ولما ردّ عليها وتنبّه مصنفها أصلح النسخة القديمة فزاد في بعض المواضع ، ونقّص في البعض ، وبدّل في البعض ، ثم طبع هذه النسخة المصلحة ، وكتب جواب الإستفسار وسماه بـ (حل الإشكال) .

ثم كتبتُ الردّ على تلك النسخة الثانية لميزان الحق ، ونبهت في كل موضع خالفتْ فيه هذه النسخة الجديدة للنسخة العتيقة وسميتُه بـ (معدِّل اعوجاج الميزان) ، لكنّ كتابي هذا لم يطبع في الهند لأجل بعض الحوادث .

وكتب بعض أحبابي[2] الرد على (حل الإشكال في جواب الإستفسار) وسماه بـ (الإستبشار) ، وطبع هذا الرد ، واشتهر في الهند ، وفي زمان طبعه واشتهاره كان مؤلف الميزان في الهند ، ومضت مدّة عشر سنين على طبعه وما كتب المؤلف المذكور في جوابه شيئاً .

---

(١) مثل ابن حزم الظاهري في الفصل ، والغزالي في الردّ الجميل ، والخزرجي في مقامع هامات الصلبان ، وابن تيمية في الجواب الصحيح ، وابن القيم في هداية الحيارى ، وأبي الفضل السعودي المالكي في المنتخب الجليل ، ومثل هذه الإخبارات أيضاً ما نقله المهتدون كابن ربّن الطبري في الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ ، وعبدالله الترجمان في تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب ، ونصر بن عيسى في النصيحة الإيمانية بفضح الملّة النصرانية ، والشيخ زيادة في كتابيْه البحث الصريح في أيّ دين هو الصحيح ، والأجوبة الجلية في دحض الدعوات النصرانية .

(٢) هو الشيخ محمد آل حسن ، مؤلف كتابيْ «الإستفسار» و«الإستبشار» .

وسمعتُ من بعض الثقات أنّه أصلح في المرة الثالثة الميزان الذي طبعه بالتركي ، وغيّر في المواضع التي رأى فيها التغيير واجباً ، مثل التغيير في ابتداء الفصل الثاني من الباب الأوّل وغيره . ومَن رأى الإستفسار ولم تصل إليه النسخة القديمة للميزان ، بل وصلت إليه النسخة الثانية أو الثالثة ، وأراد أن يصحح نقل صاحب الإستفسار لكلام مؤلف الميزان بهاتين النسختين ــ وجده غير متطابق بهما في بعض المواضع .

وكذا من رأى معدل اعوجاج الميزان ولم تصل إليه النسخة الأولى ولا الثانية ، بل وصلت إليه النسخة الثالثة التركية ، وأراد تصحيح النقل بهذه التركية ــ وجد في بعض المواضع النقل غير متطابق بها ، فإن لم يكن واقفاً على هذا التغيير والإصلاح يظنّ أنّ الرادّ الناقل أخطأ في النقل ، وليس كذلك ، بل حصل هذا الأمر من تغيير المردود عليه وتحريفه ، والـرادّ الناقل مصيب . فالحاصل أنّ أمثال هذا الإصلاح والتحريفات جارية في كتبهم وتراجمهم ورسائلهم إلى هذا الحين .

الأمر الثامن : أنّ بولس وإنْ كان عند أهل التثليث في رتبة الحواريين ، لكنّه غير مقبول عندنا ولا نعدّه من المؤمنين الصادقين ، بل هو من المنافقين الكذّابين، ومعلمي الزور، والرسل الخدّاعين الذين ظهروا بالكثرة بعد عروج المسيح كما عرفت في الأمر الرابع ، وهو خرّب الدين المسيحي ، وأباح كل محرّم لمعتقديه . وكان في ابتداء الأمر مؤذياً للطبقة الأولى من المسيحيين جهراً ، لكنه لما رأى أنّ هذا الإيذاء الجهري لا ينفع نفعاً معتداً به دخل على سبيل النفاق في هذه الملّة ، وادّعى رسالة المسيح وأظهر الزهد الظاهريّ ، ففعل في هذا الحجاب ما فعل وقَبِله أهل التثليث لأجل زهده الظاهري ، ولأجل إفراغ ذمتهم عن جميع التكاليف الشرعية - كما قَبِل أُناس كثيرون من المسيحيين في

القرن الثاني مُنْتَس[1] الذي كان زاهداً مرتاضاً وادّعى : أنّه هو الفارقليط[2] الموعود به ، فقبلوه لأجل زهده ورياضته كما سيجيء ذكره في البشارة الثامنة عشرة ـ وردّه[3] المحقّقون من علماء الإسلام سلفاً وخلفاً .

قال الإمام القرطبي رحمه الله في كتابه في حق بولس هذا مجيباً لبعض القسيسين في بحث مسألة الصوم هكذا : « قلنا ذلك [أي بولس] هو الذي أفسد عليكم أديانكم ، وأعمى بصائركم وأذهانكم . ذلك هو الذي غيّر دين المسيح الصحيح الذي لم تسمعوا له بخبر ، ولا وقفتم منه على أثر ـ على ما تقدّم ـ هو الذي صرفكم عن القِبْلة ، وحلّل لكم كل محرّم كان في الملّة . ولذلك كثرت أحكامه عندكم وتداولتموها بينكم »[4] . انتهى كلامه بلفظه .

وقال صاحب (تخجيل مَن حرّف الإنجيل)[5] في الباب التاسع من كتابه في بيان فضائح النصارى في حق بولس هذا ، هكذا : « وقد سلبهم بولس هذا من الدين بلطيف خداعه . إذْ رأى عقولهم قابلة لكل ما يُلقى إليها ، وقد طمس هذا الخبيث رسوم التوراة »[6] انتهى كلامه بلفظه .

[وفي المجلد الثاني من فتوح الشام قول مقوقس سلطان مصر في خطاب أركان دولته هكذا : « وقد أضلّكم بولس وأغواكم حين غرّ بكم وبدّل شرعكم

(١) منتس : متنبيء كذاب ظهر في آسيا الصغرى في القرن الثاني الميلادي ، وكان قد ادّعى لنفسه الرسالة سنة ١٧٧م وتبعه أناس كثيرون .

(٢) في حاشية ق : الفارقليط من أسماء سيدنا محمد كما قاله أهل السير . اهـ .

(٣) الضمير يرجع إلى بولس .

(٤) انظر كتاب الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ص٤٢٣ .

(٥) تخجيل مَن حرف الإنجيل للشيخ أبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري ، ومنتخبه لأبي الفضل المالكي السعودي، وقد فرغ من تأليفه سنة ٩٤٢هـ.

(٦) انظر ص ١٢٩ من «المنتخب الجليل من تخجيل مَن حرف الإنجيل» ، مطبعة التمدن بعابدين سنة ١٣٢٢هـ .

وسمّاكم باسم لا يليق بكم ، وكيف وقد عاد بكم من الطريق الواضح وأحلّ لكم جميع ما حُرّم عليكم من قبل ، وهذا هو عين المحال وداعية العمى أن تتعدّوا ما قال نبيكم ، وكيف ينبغي لروح الله عيسى بن مريم أن يكلمكم بما لم يرسله الله إليكم . ثم إنّ بولس قال لكم إنّه أحلّ لكم الخنزير[1] وشُرْب الخمر وارتكاب المعاصي ما ظهر منها وما بطن ، فأطعتم أمره وصدّقتم قوله ، وحاشا المسيح أن يفعل ذلك »[2]. انتهى كلامه .

وقال يوقنّا[3] صاحب حلب[4] ـ وقد كان أسلم ـ في خطاب بنته ناصحاً لها هكذا : « وإنّما غرّر بالنصارى وحيّدهم[5] عن طريق الحق رجل يقال له بولس ، كان من اليهود ، أضلّهم عن الطريق المستقيم وشرع لهم الضلال

---

(١) الخنزير : حيوان ثديي يرتع في القاذورات رتوعاً مفرطاً ، وهو أقذر الحيوانات ولا يجترّ طعامه ، ولحمه يولد الأمراض ؛ لأنّه مرتع للديدان الخطيرة كالدودة الوحيدة ودودة التريشين ، وقد ورد تحريمه في التوراة والقرآن ، وكان العرب الوثنيون لا يأكلونه، وفي عصر انتيخوس (انتيوكس) ابيفانس كان يمتحن اليهود بأكلهم لحم الخنزير للتأكد من مفارقتهم دينهم. (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٠ ، ودائرة وجدي ٦٩٧/٣ ، والموسوعة الميسرة ص ٧٦٦) .

(٢) انظر كتاب فتوح الشام لأبي عبدالله محمد بن عمر الواقدي ، طبعة دار الجيل ببيروت ٤٨/٢ .

(٣) يوقنا : كان أبوه ملك حلب عدة سنين ، وكان هرقل طاغية الروم يهابه ويوقّره ، فلما مات آل ملكه إلى ابنيه يوقنا ويوحنا، أمّا يوحنا فكان راهباً دارساً للإنجيل ومتعبداً في الكنائس والأديرة ، فتولى الملك أخوه الأكبر يوقنا، وكان بطلاً شجاعاً وجامعاً للأموال ، أسلم أخوه يوحنا أثناء حصار أبي عبيدة لمدينة حلب فقتله أخوه يوقنا ، وبعد فتح حلب أسلم يوقنا كذلك . (فتوح الشام للواقدي ٢٤٦/١ و٢٧٣) .

(٤) حلب : ثانية المدن السورية بعد دمشق ، وتبعد عنها حوالي ٣٥٠ كم إلى الشمال، وهي تقع في شمال غربي سوريا قرب الحدود التركية ، وكانت مزدهرة أيام الحكم البيزنطي لوقوعها على طريق الرافدين والأناضول، وقد فتحها أبو عبيدة عام ١٥هـ/٦٣٦م . (القاموس الإسلامي ١٣١/٢ ، ومعجم البلدان ٢٨٢/٢ ، والموسوعة الميسرة ص ٧٣٢) .

(٥) أي جنّبهم ، وحايده محايدة : جانبه . (لسان العرب ١٥٩/٣) .

القديم » انتهى كلامه][1].

وهكذا أقوال علمائنا الآخرين . فكلامه[2] عندنا مردود ، ورسائله المنضمّة بالعهد العتيق[3] كلها واجبة الرد ، ولا نشتري قوله بحبة خردل ، فلا أنقل عن أقواله في هذا المسلك شيئاً ، ولا يكون قوله حجة علينا .

وإذْ عرفت هذه الأمور الثمانية أقول : إنّ الإخبارات الواقعة في حق محمد ﷺ توجد كثيرة إلى الآن أيضاً مع وقوع التحريفات في هذه الكتب . ومَن عرف أوّلاً طريق إخبار النبي المتقدم عن النبي المتأخر على ما عرفت في الأمر الثاني ، ثم نظر ثانياً بنظر الإنصاف إلى هذه الإخبارات وقابلها بالإخبارات التي نقلها الإنجيليّون في حق عيسى عليه السلام ـ وقد عرفت نبذاً منها في الأمر السادس ـ جزم بأنّ الإخبارات المحمدية في غاية القوة .

وأنقل في هذا المسلك عن الكتب المعتبرة عند علماء البروتستانت ثماني عشرة بشارة[4]:

---

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٣/٢ ، والقولان السابقان المنقولان عن مقوقس سلطان مصر وعن يوقنا صاحب حلب أخذتهما من المخطوطة وليسا في المطبوعة ولا في المقروءة .

(٢) الضمير يرجع إلى بولس .

(٣) رسائل بولس تطبع مضمومة إلى العهد الجديد وهي ١٤ رسالة، فهي من ملحقات الأناجيل ، والنصارى الآن يطبعون العهد الجديد كله بما فيه رسائل بولس ويضمونه إلى العهد العتيق ويسمون هذا المجموع (بيبل) أو الكتاب المقدس .

(٤) ذكر المؤلف في بيان المغالطة الثانية من الباب الثاني تنبيهاً مفاده أنّ بعض البشارات المنقولة عن أهل الكتاب توجد في الكتب الإسلامية القديمة ولا توجد الآن في الكتب المسلّمة عند أهل الكتاب ، فلعلها كانت موجودة في الكتب المفقودة التي لم يبق منها عند أهل الكتاب سوى الاسم ، وسأنقل هذه البشارات في المتن من طبعة سنة ١٨٤٤م ، وفي الهامش من طبعة سنة ١٨٦٥م ، وأما بشارات العهد الجديد فسأنقلها في المتن من طبعة سنة ١٨٦٥م وفي الحاشية من الطبعات الأخرى .

البشارة الأولى : في الباب الثامن عشر من سفر التثنية هكذا :
« ١٧ ــ فقال الربّ لي نعم جميع ما قالوا (١٨) وسوف أقيم لهم نبيّا مثلك من بين إخوتهم وأجعل كلامي في فمه ويكلّمهم بكل شيء آمره به (١٩) ومن لم يطع كلامه الذي يتكلّم به باسمي فأنا أكون المنتقم من ذلك (٢٠) فأمّا النبي الذي يجتري بالكبرياء ويتكلّم في اسمي ما لم آمره بأنّه يقوله أم باسم آلهة غيري فليقتل (٢١) فإن أجبت وقلت في قلبك كيف أستطيع أن أميّز الكلام الذي لم يتكلّم به الرب (٢٢) فهذه تكن لك آية أنّ ما يكن قاله ذلك النبي في اسم الربّ ولم يحْدُث فهذا الربّ لم يكن تكلّم به بل ذلك النبي صوّره في تعظّم نفسه ولذلك لا تخشاه »(١).

وهذه البشارة ليست بشارة يوشع عليه السلام كما يزعم الآن أحبار اليهود ، ولا بشارة عيسى عليه السلام كما زعم علماء البروتستانت ، بل هي بشارة سيدنا محمد ﷺ لعشرة أوجه :

الوجه الأول : قد عرفت في الأمر الثالث أنّ اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبيّا آخر مبشراً به في هذا الباب ، وكان هذا المبشّر به عندهم غير المسيح ، فلا يكون هذا المبشّر به يوشع ولا عيسى عليهما السلام .

والوجه الثاني : أنّه وقع في هذه البشارة لفظ : « مثلك » ، ويوشع وعيسى عليهما السلام لا يصحّ أن يكونا مثل موسى عليه السلام .

---

(١) نصّ بشارة سفر التثنية ١٨/١٧ ـ ٢٢ في طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي : « ١٧ ــ قال لي الربّ قد أحسنوا في ما تكلموا (١٨) أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به (١٩) ويكون أنّ الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه (٢٠) وأمّا النبي الذي يُطغي فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي (٢١) وإنْ قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب (٢٢) فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدُث ولم يصِر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه » .

أمّا أوّلاً : فلأنّهما من بني إسرائيل ، ولا يجوز أن يقوم أحد من بني إسرائيل مثل موسى كما تدل عليه الآية العاشرة من الباب الرابع والثلاثين من سفر التثنية وهي هكذا: [« ولم يقم بعد ذلك نبيّ في إسرائيل مثل موسى يعرفه الربّ وجهاً لوجه » ، فإن قام أحد مثل موسى بعده من بني إسرائيل يلزم تكذيب هذا القول][1] .

وأما ثانياً : فلأنّه لا مماثلة بين يوشع وبين موسى عليهما السلام ؛ لأنّ موسى عليه السلام صاحب كتاب وشريعة جديدة مشتملة على أوامرَ ونواهٍ ، ويوشع ليس كذلك ، بل هو متّبع لشريعته .

وكذا لا توجد المماثلة التامة بين موسى وعيسى عليهما السلام ؛ لأنّ عيسى عليه السلام كان إلهاً ورباً على زعم النصارى ، وموسى عليه السلام كان عبداً له .

وأنّ عيسى عليه السلام على زعمهم صار ملعوناً لشفاعة الخلق كما صرّح به بولس في الباب الثالث من رسالته إلى أهل غلاطيه[2]، وموسى عليه السلام ما صار ملعوناً لشفاعتهم .

وأنّ عيسى عليه السلام دخل الجحيم بعد موته كما هو مصرّح به في عقائد أهل التثليث ، وموسى عليه السلام ما دخل الجحيم .

وأنّ عيسى عليه السلام صلب على زعم النصارى ليكون كفارة لأمته ، وموسى عليه السلام ما صار كفارة لأمته بالصلب .

---

(١) مابين القوسين المعقوفتين ساقط من المطبوعة وأخذته من خ ، ق .

(٢) ففي رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٣/١٣ « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذْ صار لعنة لأجلنا لأنّه مكتوب : ملعون كل من عُلِّق على خشبة » .

وأنّ شريعة موسى مشتملة على الحدود والتعزيرات وأحكام الغسل والطهارات والمحرمات من المأكولات والمشروبات ؛ بخلاف شريعة عيسى عليه السلام فإنّها فارغة عنها على ما يشهد به هذا الإنجيل المتداول بينهم .

وأنّ موسى عليه السلام كان رئيساً مطاعاً في قومه نفّاذاً لأوامره ونواهيه ، وعيسى عليه السلام لم يكن كذلك .

[وأنّ موسى عليه السلام ولد من الأبوين ، وعيسى عليه السلام ولد بلا أب من عذراء ، وأنّ موسى عليه السلام كان صاحب زوجة وأولاد بخلاف عيسى عليه السلام][1].

الوجه الثالث : أنّه وقع في هذه البشارة لفظ : « من بين إخوتهم »[2]. ولا شكّ أنّ الأسباط الأثني عشر كانوا موجودين في ذلك الوقت مع موسى عليه السلام حاضرين عنده ، فلو كان المقصود كون النبي المبشّر به منهم قال: (منهم) أو (من بينهم) أو (من خلفهم)[3]، لا (من بين إخوتهم) ؛ لأنّ الإستعمال الحقيقي لهذا اللفظ أن لا يكون المبشر به له علاقة الصلبية والبطنية ببني إسرائيل ، كما جاء لفظ (الإخوة) بهذا الإستعمال الحقيقي في وعد الله هاجر في حق إسماعيل[4] عليه السلام في الآية الثانية عشرة من الباب السادس

---

(١) مابين المعقوفتين ساقط من المطبوعة والمقروءة وأخذته من خ .

(٢) في النسخة السامرية : « من جملة إخوتهم مثلك » .

(٣) قوله : « أومن بينهم أومن خلفهم » ساقط من ط ، ق وأخذته من خ فقط .

(٤) إسماعيل : هو النبي ابن النبي إسماعيل بن إبراهيم بن تارح (آزر) من نسل سام بن نوح ، وأمّه هاجر المصرية ، وهو الابن الأكبر لأبيه ، فقد ولد وعمر إبراهيم ٨٦ سنة ، فأخذه أبوه مع أمّه وأسكنهما في فاران (مكة) حوالي سنة ٢٧٩٣ ق.هـ ، وفي إحدى زيارات إبراهيم لهما في مكة امتحنه الله بذبح إسماعيل ، فاستجابا دون تردد ، ولكن الله فداه بكبش عظيم وأمرهما ببناء الكعبة فبنياها ، وقد تزوج إسماعيل امرأة من جرهم الثانية من قحطان فولدت له اثني عشر ذكراً هم آباء القبائل العربية ، ومنهم قيدار جدّ عدنان ، ولذلك يعتبر إسماعيل رأس السلالة العربية الثالثة المعروفة بالمستعربة ، فقد اصطلح النسابون على جعل العرب ثلاثة أقسام ، فالعرب البائدة =

عشر من سفر التكوين ، وعبارتها في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا : « وقبالة جميع إخوته ينصب المضارب » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م : هكذا « بحضرة جميع إخوته يسكن »[1].

وجاء بهذا الإستعمال أيضاً في الآية الثامنة عشرة من الباب الخامس والعشرين من سفر التكوين في حق إسماعيل في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا « منتهى إخوته جميعهم سكن » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م هكذا : « أقام بحضرة جميع إخوته »[2].

والمراد بالإخوة ههنا بنو عيسو وإسحاق وغيرهم من أبناء إبراهيم عليهم السلام .

وفي الآية الرابعة عشرة من الباب العشرين من سفر العدد هكذا : « ثم

= كعاد وثمود وجرهم الأولى ، والعرب العاربة ، وهم: عرب اليمن من ولد قحطان فهم القحطانيون ، والعرب المستعربة أو المتعربة ، وهم نسل إسماعيل بن إبراهيم وسكنوا في شمال الجزيرة ، فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان ، وبعضهم يقول بأنّ قحطان من ولد إسماعيل فيكون إسماعيل جد العرب كلها ، وقد توفي إسماعيل بمكة وعمره ١٣٠ سنة ، وقد ورد اسمه في القرآن ١٢ مرة .

(السيرة النبوية لابن هشام ١/٥-٧ ، والأعلام ١/٣٠٦ ، والقاموس الإسلامي ١/١٠٥ ، وقاموس الكتاب المقدس ص٧٣ ، ودائرة وجدي ١/٣٤٠) .

(١) في النسخة السامرية : « وحول كلّ إخوته يسكن » ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م : « وأمام جميع إخوته يسكن » .

(٢) في النسخة السامرية : « حول كل إخوته نزل » ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م : « أمام جميع إخوته نزل » .

أرسل موسى رسلاً من قادس[1] إلى ملك أدوم قائلاً : هكذا يقول أخوك إسرائيل إنك قد علمت كل البلاء الذي أصابنا »[2].

وفي الباب الثاني من سفر التثنية هكذا : « ٢ ــ وقال لي الربّ (٤) ثمّ أوْصِ الشعب وقل لهم إنكم ستجوزون في تخوم إخوتكم بني عيسو الذين في ساعير وسيخشونكم (٨) فلما جزنا إخوتنا بني عيسو الذين يسكنون ساعير . . . »[3] الخ .

والمراد بإخوة بني إسرائيل بنو عيسو . ولا شكّ أنّ إستعمال لفظ : (إخوة بني إسرائيل) في بعض منهم كما جاء في بعض المواضع من التوراة استعمال مجازي ، ولا تترك الحقيقة ، ولا يصار إلى المجاز ما لم يمنع عن الحمل على المعنى الحقيقي مانع قوي . ويوشع وعيسى عليهما السلام كانا من بني إسرائيل فلا تصدق هذه البشارة عليهما .

الوجه الرابع : أنّه وقع في هذه البشارة لفظ « سوف أقيم »[4] ويوشع عليه السلام كان حاضراً عند موسى عليه السلام داخلاً في بني إسرائيل ، نبيّا في هذا الوقت[5]، فكيف يصدق عليه هذا اللفظ .

الوجه الخامس : أنّه وقع في هذه البشارة لفظ « أجعل كلامي في فمه » ، وهو إشارة إلى أنّ ذلك النبي ينزل عليه الكتاب وإلى أنّه يكون أمّيّـاً حافظاً

---

(١) قادس : اسم منطقة في جنوب فلسطين ، سكنها بنو إسرائيل أثناء التّيه ، ويظن أنها جنوب بئر السبع بحوالي ٨٠ كم وغربي وادي العربة . (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٠٨) .

(٢) وفي السامرية : « هكذا قال أخوك إسرائيل » ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م : « هكذا يقول أخوك إسرائيل » .

(٣) وهكذا وردت بلفظ الإخوة في السامرية وفي طبعة سنة ١٨٦٥م في جميع هذه المواضع .

(٤) أي بصيغة الإستقبال .

(٥) كان يوشع معاصراً لموسى وكان فتاه وخليفته .

للكلام . وهذا لا يصْدق على يوشع عليه السلام لانتفاء كلا الأمرين فيه[1] .

الوجه السادس : أنّه وقع في هذه البشارة « ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا أكون المنتقم من ذلك » . فهذا الأمر لـمّا ذُكِر لتعظيم هذا النبي المبشَّر به فلا بد أن يمتاز ذلك المبشَّر به بهذا الأمر عن غيره من الأنبياء . فلا يجوز أن يراد بالإنتقام من المنكر العذاب الأخروي الكائن في جهنم ، أو المحن والعقوبات الدنيوية التي تلحق المنكرين من الغيب ؛ لأنّ هذا الإنتقام لا يختصّ بإنكار نبي دون نبي ، بل يعمّ الجميع ، فحينئذ يُراد بالإنتقام الإنتقام التشريعي ، فظهر منه أنّ هذا النبي يكون مأموراً من جانب الله بالإنتقام من منكره ، فلا يصدق على عيسى عليه السلام ؛ لأنّ شريعته خالية عن أحكام الحدود والقصاص والتعزير والجهاد .

الوجه السابع : في الباب الثالث من كتاب الأعمال في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا : « ١٩ ــ فتوبـوا وارجعوا كي تُمحى خطاياكم (٢٠) حتى أن إذا تأتي أزمنة الراحة من قدّام وجه الرب ويرسِل المنادى به لكم وهو يسوع المسيح (٢١) الذي إياه ينبعي للسماء أن تقبله إلى الزمان الذي يستردّ فيه كل شيء تكلّم به الله على أفواه أنبيائه القديسين منذ الدهر (٢٢) إنّ موسى قال إنّ الرب إلهكم يقيم لكم نبيّا من إخوتكم مثلي له تسمعون في كل ما يكلمكم به (٢٣) ويكون كل نفس لا تسمع ذلك النبي تهلك من الشعب »[2] .

---

(١) فقد كان يوشع قارئاً للتوراة عاملاً بها ولم ينزل عليه كتاب مستقل .

(٢) نصّ الفقرتين ٢٢ و٢٣ من طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م كما يلي : « ٢٢ ــ لأنّ موسى قال للآباء : سيبعث لكم الرب إلهكم من إخوتكم نبياً مثلي فأطيعوه في كلّ ما يكلمكم به (٢٣) فكل نفس لا تسمع كلام ذلك النبي تهلك من بين القوم إهلاكاً » .

ونصهما في طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي : « ٢٢ ــ فإنّ موسى قال للآباء : إنّ نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون في كلّ ما يكلمكم به (٢٣) ويكون أنّ كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب » . وانظر كذلك سفر أعمال الرسل ٧/٣٧ .

وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦م وسنة ١٨٢٨م وسنة ١٨٤١م وسنة ١٨٤٢م هكذا : « ١٩ ـ توبة نمائيد وبازكشت كنيد تاكه كناهان شما محو شود تاكه زمان تازة كير ازحضور خدا وند بيابيد (٢٠) ويسوع مسيح راكه ندا بشمامي شود باز فرستد (٢١) زيراكه بايدكه اسمان أو رانكاهد ارد تاوقت ثبوت انجه خدا وند بزبان بيغمبران مقدس خود ازايام قديم فرموده است (٢٢) كه موسى بيدران ماكفت كه خداي شما خدا وند بيغمبري رامثل من ازبراي شما ازميان برادران شما مبعوث خواهد نمود وهرجه أبوشماكويد شماراست كه اطاعت نمائيد (٢٣) واينجنين خواهد لودكه هركس كه سخن ان بيغمبر رانشنوداز قوم بريده خواهد شد » .

فهذه العبارة سيما بحسب التراجم الفارسية تدل صراحة على أنّ هذا النبي غير المسيح عليه السلام ، وأنّ المسيح لا بدّ أن تقبله السماء إلى زمان ظهور هذا النبي . ومَن ترك التعصب الباطل من المسيحيين وتأمل في عبارة بطرس ظهر له أنّ هذا القول من بطرس يكفي لإبطال ادّعاء علماء البروتستانت أنّ هذه البشارة في حق عيسى عليه السلام .

وهذه الوجوه السبعة التي ذكرتها تصْدق في حق محمد ﷺ على أكمل صدق ؛ لأنّه غيرُ المسيح عليه السلام ، ويماثل موسى عليه السلام في أمور كثيرة :

(١) كونه عبدالله ورسوله .

(٢) كونه ذا الوالدين .

(٣) كونه ذا نكاح وأولاد .

(٤) كون شريعته مشتملة على السياسات المدنية .

(٥) كونه مأموراً بالجهاد .

(٦) اشتراط الطهارة وقت العبادة في شريعته .

(٧) وجوب الغسل للجنب والحائض والنفساء في شريعته .

(٨) اشتراط طهارة الثوب من البول والبراز .

(٩) حرمة غير المذبوح وقرابين الأوثان .

(١٠) كون شريعته مشتملة على العبادات البدنية والرياضات الجسمانية .

(١١) أمره بحد الزنا .

(١٢) تعيين الحدود والتعزيرات والقصاص .

(١٣) كونه قادراً على إجرائها .

(١٤) تحريم الربا .

(١٥) أمره بإنكار من يدعو إلى غير الله .

(١٦) أمره بالتوحيد الخالص .

(١٧) أمره الأمة بأن يقولوا له عبدالله ورسوله ، لا ابن الله أو الله ـ والعياذ بالله .

(١٨) موته على الفراش .

(١٩) كونه مدفوناً كموسى .

(٢٠) عدم كونه ملعوناً لأجل أمته .

(٢١) كونه رئيساً مطاعاً قادراً على إجراء أوامره ونواهيه مثل موسى[١] .

---

(١) رقم (٢١) أخذته من خ فقط وليس هو في ط ، ق .

وهكذا أمور أخر تظهر إذا تُؤمّل في شريعتهما ، ولذلك قال الله تعالى في كلامه المجيد : ﴿ **إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً** ﴾[١] .

وكان من إخوة بني إسرائيل ؛ لأنّه من بني إسماعيل ، وأُنزل عليه الكتاب ، وكان أمّياً جُعل كلام الله في فمه ، وكان ينطق بالوحي كما قال الله تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى ● إن هو إلاّ وحي يوحي** ﴾[٢] ، وكان مأموراً بالجهاد ، وقد انتقم الله لأجله من صناديد قريش والأكاسرة والقياصرة[٣] وغيرهم ، وظهر قبل نزول المسيح من السماء ، وكان للسماء أن تقبل المسيح عليه السلام إلى ظهوره ليردّ كل شيء إلى أصله ، ويمحق الشرك والتثليث وعبادة الأوثان . ولا يرتاب أحد من كثرة أهل التثليث في هذا الزمان الأخير ؛ لأنّ هذا الصادق المصدوق قد أخبرنا على أتمّ تفصيل وأكمل وجه بحيث لا يبقى ريب مّا بكثرتهم وقت قرب ظهور المهدي[٤] رضي الله عنه ، وهذا الوقت قريب إن شاء الله ، وسيظهر الامام ، ويظهر الحق عن قريب ، ويكون الدين كله لله . جعلنا الله من أنصاره وخدامه . آمين .

الوجه الثامن : أنّه صرّح في هذه البشارة بأنّ النبي الذي يَنسِب إلى الله ما لم يأمره يُقتل ، فلو لم يكن محمد ﷺ نبيّاً حقاً لكان يُقتل ، وقد قال الله في القرآن المجيد أيضاً : ﴿ **ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل ● لأخذنا منه باليمين ● ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾[٥] وما قُتِل ، بل قال الله في حقه : ﴿ **والله يعصمك من**

---

(١) سورة المزمل آية ١٥ . (٢) سورة النجم آية ٣ ـ ٤ .

(٣) الأكاسرة : جمع كسرى وهو لقب ملوك الفرس ، والقياصرة : جمع قيصر وهو لقب ملوك الروم .

(٤) لم يرد ذكره في القرآن ولا في أحاديث صحيحيْ البخاري ومسلم ، وورد ذكره عند غيرهما ، والمقصود به عند أهل السنة رجل صالح يأتي في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً .

(٥) سورة الحاقة آية ٤٤ ـ ٤٦ .

الناس ﴾[1]، وأوفى وعده ، ولم يقدر على قتله أحد حتى لقي الرفيق الأعلى ﷺ ، وعيسى عليه السلام قتل وصلب على زعم أهل الكتاب[2]، فلو كانت هذه البشارة في حقه لزم أن يكون نبيّـاً كاذباً كما يزعمه اليهود ـ والعياذ بالله .

الوجه التاسع : أنّ الله بين علامة النبي الكاذب أنّ إخباره عن الغيب المستقبل لا يخرج صادقاً . ومحمد ﷺ أخبر عن الأمور الكثيرة المستقبلة كما علمت في المسلك الأول ، وظهر صدقه فيها ، فيكون نبيّـاً صادقاً لا كاذباً .

الوجه العاشر : أن علماء اليهود سلّموا كونه مبشّراً به في التوراة ، لكنّ بعضهم أسلم وبعضهم بقي في الكفر ، كما أنّ قيافاً ـ وكان رئيس الكهنة ونبيّاً على زعم يوحنا ـ عرف أنّ عيسى هو المسيح الموعود به ، ولم يؤمن ، بل أفتى بكفْره وقَتْلِه كما صرح به يوحنا في الباب الحادي عشر والثامن عشر من إنجيله[3].

ومن حديث مخيريق[4] ـ وكان حَبْراً عالماً كثير المال من النخل ـ وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته ، وغلبت عليه ألفة دينه فلم يزل على ذلك حتى كان يوم

---

(١) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٢) في سفر التثنية ١٨/ ٢٠ في طبعة سنة ١٨٤٤م « فليُقْتَل » ، فبُدِّلت هذه اللفظة في طبعة سنة ١٨٦٥م فأصبحت « فيموت ذلك النبي » ، والسرّ في ذلك أنّ النصارى تنبهوا إلى إجماع العالم مؤمنه وكافره على أنّ نبينا محمداً ﷺ لم يقتل رغم كثرة الأعداء ، وأنه مات موتاً طبيعياً ، وأنّ هذه البشارة تصدق في حقه دون المسيح ، لذلك غيروا كلمة القتل إلى الموت الذي هو أعمّ من القتل ـ والنبي الصادق والكاذب كلاهما يموتان ، وقد مات الأنبياء الصادقون والمتنبئون الكذابون .

(٣) انظر إنجيل يوحنا ١١/٤٥ ـ ٥٧ ، و١٨/١ ـ ٢٤ .

(٤) مخيريق : هو مخيريق النضري الإسرائيلي أحد بني ثعلبة ، وكان من كبار علماء اليهود وأغنيائهم ، وهو من بني النضير ، وقال الواقدي والبلاذري : إنه من بني قينقاع ، أسلم يوم أحد وأوصى بجميع أمواله للنبي ﷺ وكانت سبع حوائط ، ثم قاتل الكفار حتى استشهد رضي الله عنه سنة ٣هـ/٦٢٥م فجعل النبي ﷺ أمواله صدقة على المسلمين .(الإصابة ٣/٣٩٣ ، والأعلام ٧/١٩٤) .

أحد ، وكان يوم السبت ، فقال : (يا معشر اليهود : والله إنكم لتعلمون أنّ نصر محمد عليكم لحق)، قالوا : فإنّ اليوم يوم السبت ، قال : (لا سبت)، ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى النبي ﷺ بأُحد ـ وكان يوم السبت ـ ، وعهِد إلى مَن وراءه من قومه : إنْ قُتلت هذا اليوم فمالي لمحمد يصنع فيه ما أراه الله تعالى ، فقاتل حتى قُتِل ، فكان رسول الله ﷺ يقول : « مخيريق خير يهود »، وقَبض رسول الله ﷺ أمواله ، فعامّة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ بيت المدراس[2]، فقال : « أَخرِجوا إليّ أعلمكم »، فقالوا : عبدالله بن صوريا[3]. فخلا به رسول الله ﷺ ، فناشده بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المنّ والسلوى وظلّلهم من الغمام : « أتعلم أني رسول الله »؟ قال : اللهم نعم ، وإنّ القوم يعرفون ما أعرف ، وإنّ صفتك ونعتك لَـمبيّن في التوراة ، ولكنْ حسدوك ، قال : « فما يمنعك أنت »؟ قال : أكره خلاف قومي ، عسى أن يتبعوك ويسلموا فأُسلم[4].

وعن صفية بنت حيي[5] رضي الله عنها : لـمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة

---

(١) انظر الوفا ١/١٠٣ ، والشفا ١/٣٦٣ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١/٥١٨ و ٢/٨٨ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ١/٩٠ رقم ٣٨ .

(٢) بيت المدراس : هو بيت لليهود كانوا يتدارسون فيه كتابهم. (السيرة النبوية لابن هشام ص ٢٥٢ وص ٥٥٨ من المجلد الأول) .

(٣) عبدالله بن صوريا : هو عبدالله بن صوريا الإسرائيلي ، ويقال ابن صور ، وهو عالم من أحبار اليهود ، ناشده الرسول ﷺ في قصة الزانيين اليهوديين المحصنين ، فأقرّ بأنّ حكمهما في التوراة الرجم ، وشهد بنبوة محمد ﷺ وأسلم ، ويقال بأنّه جحد نبوته بعد ذلك وارتدّ إستجابة لرغبة قومه اليهود. (الإصابة ٢/٣٢٦) .

(٤) انظر الوفا ١/٩٢ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١/٥٦٤) .

(٥) صفيّة بنت حيي : هي أم المؤمنين صفيّة بنت حيي بن أخطب الإسرائيلية ، من سبط هارون بن عمران ، قُتِل زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري يوم خيبر وصارت صفية =

ونزل قباء[1] غدا عليه أبي حيي بن أخطب[2] وعمّي أبو ياسر بن أخطب[3] مغلسين[4] فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس ، فأتيا كالّيْنْ[5] كسلانيْنْ ساقطيْنْ يمشيان الـهُوَيْنا[6]، فهششْتُ[7] إليهما ، فما التفت إليّ أحد منهما مع ما بهما من الهمّ ، فسمعت عمّي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو [أي المبشر به في التوراة][8]؟ قال : نعم والله ، قال : أتثبته وتعرفه ؟ قال : نعم ، قال : فما

= مع السبي فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه ، وأسلمت فاعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها ، وكانت وليمتها بالسويق والتمر ما فيها شحم ولا لحم ، سألها رسول الله ﷺ عن أثر لطمة في وجهها فأخبرته أنّها رأت في المنام أنّ القمر وقع في حجرها ، فذكرت ذلك لأمها فلطمتها على وجهها قائلة : إنك لتمدّين عنقك أن تكوني عند ملك العرب ، وفي رواية ابن هشام أنّ الذي لطمها هو زوجها كنانة ، وقد توفيت رضي الله عنها بالمدينة المنورة في رمضان سنة ٥٠هـ/٦٧٠م وروت ١٠ أحاديث. (الإصابة ٣٤٦/٤ ، والإستيعاب ٣٤٦/٤ ، والتهذيب ٤٢٩/١٢ ، والأعلام ٢٠٦/٣ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٢٥) .

(١) قباء : قرية جنوب المدينة المنورة بحوالي ٢ كم وهي الآن من أحيائها ، سمّيت باسم بئر فيها ، وكانت فيها مساكن عمرو بن عوف من الأنصار ، ومسجدها أوّل مسجد أسس في الإسلام . (معجم البلدان ٣٠١/٤) .

(٢) حيي بن أخطب : هو حيي بن أخطب النضري من زعماء يهود بني النضير ، ومن حلفاء الخزرج، وكان يُنعت بسيّد الحاضر والبادي ، وكان من الأشدّاء العتاة ، فآذى المسلمين في المدينة المنورة بمكره وكيده ، ولما أجلي بنو النضير سكن حيي في خيبر وألّب الأحزاب لغزو المدينة ، وأغرى بني قريظة بنقض عهدهم مع رسول الله ﷺ أثناء غزوة الخندق ، وقد قتل في غزوة بني قريظة في الخندق سنة ٥هـ/٦٢٦م . (الأعلام ٢٩٢/٢ ، والقاموس الإسلامي ١٩٢/٢) .

(٣) أبو ياسر بن أخطب شقيق حيي بن أخطب .

(٤) الغَلَس : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح ، فهو أول الصبح حتى ينتشر في الآفاق. (لسان العرب ١٥٦/٦) .

(٥) كلّ الرجل من المشي يكِل كَلّا وكَلَالا وكلالة: إذا أعيا وتعب ، وكَلّ السيف : لم يقطع . (لسان العرب ٥٩١/١١) .

(٦) الـهُوَيْنا من الهَوْن : وهو الرفق والتؤدة والسكينة ، والأهون مؤنثه الـهُوْنى وتصغيرها الـهُوَيْنا. (لسان العرب ٤٤٠/١٣) .

(٧) هشِشت : بمعنى بشِشت وفرحت بكسر الشين الأولى وفتحها. (لسان العرب ٣٦٤/٦) .

(٨) جملة تفسيرية من المؤلف .

في نفسك منه ؟ قال : عداوته ـ والله ـ ما بقيت أبداً[1].

[فتلك عشرة كاملة][2] .

فإنْ قيل : إنّ إخوة بني إسرائيل لا تنحصر في بني إسماعيل ؛ لأنّ بني عيسو وبني أبناء قطورا[3] زوجة إبراهيم عليهما السلام من إخوتهم أيضاً ـ قلت : نعم ، هؤلاء أيضاً من إخوة بني إسرائيل ، لكنّهم لم يظهر أحد منهم يكون موصوفاً بالأمور المذكورة ، ولم يكن وعد الله في حقهم أيضاً ، بخلاف بني إسماعيل فإنّهم كان وعد الله في حقهم لإبراهيم ولهاجر عليهما السلام مع أنّه لا يصحّ أن يكون مصداق هذا الخبر بني عيسو على ما هو مقتضى دعاء إسحاق عليه السلام المصرّح به في الباب السابع والعشرين من سفر التكوين[4].

ولعلماء البروتستانت اعتراضان نقلهما صاحب الميزان في كتابه المسمى بـ (حل الإشْكال في جواب الإستفسار) :

الأول : أنّه وقع في الآية الخامسة عشرة من الباب الثامن عشر من سفر التثنية هكذا : « فإنّ الرب إلهك يقيم من بينك من بين إخوتك . . . » الخ .

---

(١) انظر السيرة النبويّة لابن هشام ١/٥١٨ و٢/٣٣٦ ، والوفا ١/١٠٢ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ١/٨٩ رقم ٣٧ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٥٣٣ ، والبداية والنهاية ٣/٢٣٠ .

(٢) في المطبوعة بعد نهاية الوجه العاشر هذه العبارة « فتلك عشرة كاملة » وهذه العبارة ليست في المخطوطة .

(٣) قطورة : زوجة إبراهيم بعد موت سارة ، وقد ولدت له ستة بنين. (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٣٩) .

(٤) الإصحاح ٢٧ من سفر التكوين كلّه في بيان كيف خدع يعقوب أباه إسحاق حتى نال البركة وحده وانفرد بها دون أخيه عيسو ، ودعا إسحاق ليعقوب بالدعاء التالي المذكور في الفقرتين ٢٨ و ٢٩ وهما كما يلي : « ٢٨ ــ فليعطيك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر (٢٩) ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل كن سيداً لاخوتك وليسجد لك بنو أمك ليكن لاعنوك ملعونين ومبارِكوك مباركين » .

فلفظ « من بينك » يدلّ دلالة ظاهرة على أنّ هذا النبي يكون من بني إسرائيل لا من بني إسماعيل .

والثاني : أنّ عيسى عليه السلام نسب هذه البشارة إلى نفسه ، فقال في الآية السادسة والأربعين من الباب الخامس من إنجيل يوحنّا : « إنّ موسى كتب في حقّـي » .

أقول : آية التثنية على وفق التراجم الفارسية وتراجم أردو هكذا : « فإنّ الرب إلهك يقيم من بينك من بين إخوتك نبيّـاً مثلي فاسمع منه »[1] والقسّيس أيضاً نقلها هكذا .

والجواب : أن اللفظ المذكور لا ينافي مقصودنا ؛ لأنّ محمداً عليه السلام لـمّا هاجر إلى المدينة ، وبها تكامل أمره ، وقد كان حَوْل المدينة بلاد اليهود كخيبر وبني قينقاع والنضير وغيرهم فقد قام من بينهم ، ولأنّه إذا كان من إخوتهم فقد قام من بينهم ، ولأنّ قوله : « من بين إخوتك » بدل من قوله « من بينك » ، بدل اشتمال على رأي ابن الحاجب ومتبعيه القائلين بكفاية علاقة الملابسة غير الكلّية والجزئيّة في تحقق هذا البدل ، نحو : جاءني زيد أخوه ، وجاءني زيد غلامه، وبدل إضراب على رأي ابن مالك[2]، وعلى كِلا التقديرين

---

(١) فقرة سفر التثنية ١٨/١٥ في طبعة سنة ١٨٤٤م هكذا : « فإنّ نبيا من شعبك ومن إخوتك مثلي يقيمه لك الرب إلهك فاسمع منه » ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م هكذا : « يقيم لك الرب إلهك نبيّاً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون » .

وفي السامريّة هكذا : « نبيًا من جملة إخوتك مثلي يقيم لك الله إلهك ومنه تسمعون » .

(٢) ابن مالك : هو أبو عبدالله جمال الدين : محمد بن عبدالله الطائي الجيّاني الأندلسي المعروف بابن مالك ، وكانت ولادته في بلدة جيّان بالأندلس سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م ، وقد نبغ في علوم اللغة العربية حتى صار أحد أئمتها ، وألف فيها تآليف كثيرة أشهرها الألفية في النحو ، وهي أرجوزة من ألف بيت في علم النحو وسمّاها : الخلاصة ، واشتهرت باسم الألفية ، ولها شروح كثيرة أشهرها شرح ابن عقيل وعليه حاشية للسيوطي سماها (السيف الصقيل على شرح ابن عقيل) . (كشف الظنون ١/١٥١ ، والأعلام ٦/٢٣٣ ، والقاموس الإسلامي ١/١٦٥).

الـمُبْدَل منه غير مقصود ، ويدلّ على كونه غير مقصود أنّ موسى عليه السلام لـمّا أعاد هذا الوعد من كلام الله في الآية الثامنة عشرة لا يوجد فيه لفظ « من بينك » . ونقل بطرس الحواري أيضاً هذا القول[1]، ولا يوجد فيه هذا اللفظ كما علمت في الوجه السابع . وكذا نقله استفانوس[2] أيضاً ولا يوجد في نقله أيضاً هذا اللفظ كما صرح به في الباب السابع من كتاب الأعمال ، وعبارته هكذا : « هذا هو موسى الذي قال لبني إسرائيل نبيّـاً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون »[3]، فسقوطه في هذا الموضع دليل على كونه غير مقصود ، فاحتمال البدل قويّ جداً .

وقال صاحب الإستفسار : (إنّ لفظ « من بينك » إلحاقي زيد تحريفاً ، ويدل عليه ثلاثة أمور :

الأول : أنّ المخاطبين في هذا الموضع كانوا بني إسرائيل كلهم لا البعض ، فقوله : « من بينك » خطاب إلى جميع القوم ، فصار لفظ : « من إخوتك » لغواً محضاً لا معنى له ، لكنّ لفظ « من إخوتك » جاء في الموضع الآخر أيضاً فيكون صحيحاً ، ولفظ « من بينك » إلحاقيّاً زيد تحريفاً .

والثاني : أنّ موسى عليه السلام لـمّا نقل كلام الله لإثبات قوله لا يوجد فيه هذا اللفظ ، ولا يجوز أن يكون ما قال موسى مخالفاً لما قاله الله .

والثالث : أنّ الحواريين كلما نقلوا هذا الكلام لا يوجد فيه لفظ : « من بينك » .

---

(١) يقصد ما في سفر أعمال الرسل ٣/٢٢ و٧/٣٧ .

(٢) استفانوس : قد يكون هيلينيّا ـ أي ليس يونانياً أصلياً ـ وقد انتُخب ضمن سبعة رجال للقيام بتوزيع التقدمات على الفقراء ، فكان هؤلاء السبعة أول شمامسة في الكنيسة المسيحية ، وقد شهد اليهود ضده بأنه يجدّف على الله وعلى موسى ، وأنه ضد الشريعة ، فحكم عليه مجلس السنهدريم بالرجم ولم يستمع لدفاعه عن نفسه . (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢) .

(٣) انظر سفر أعمال الرسل ٧/٣٧ .

وإن قلتم : إنّ المحرِّف إذا حرف فَلِمَ لَمْ يحرِّف الكلام كله ؟ قلت : نحن نرى في محكمات العدالة دائماً أنّ القبالجات[1] المحرَّفة يثبت تحريف الألفاظ المحرفة فيها من مواضع أخرى منها غالباً ، وأنّ شهود الزور يُؤخذون ببعض بياناتهم . فالوجه الوجيه على أنّ عادة الله جارية بأنّه لا يهدي كيد الخائنين ، ويُظهِر خيانة خائن الدين بمقتضى مرحمته . فبمقتضى هذه العادة يصدر عن الخائن شيء مّا تظهر به خيانته ، على أنّه لا توجد ملّة يكون أهلها كلهم خائنين ، فالخائنون الذين حرّفوا كتب العهدين كان لهم لِحاظ مّا من جانب بعض المتديّنين فلذلك ما بدّلوا الكُلّ) . انتهى .

أقول : هذا الجواب بالنسبة إلى عادة أهل الكتاب أنسب كما عرفت في الأمر السابع .

وأقول في الجواب عن الاعتراض الثاني : إنّ آية الإنجيل هكذا : « لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنّه هو كتب عني »[2]، وليس فيها تصريح بأنّ موسى عليه السلام كتب في حقه في الموضع الفلاني ، بل المفهوم منه أنّ موسى كتب في حقه . وهذا يصدق إذا وجد في موضع من مواضع التوراة إشارة إليه . ونحن نسلّم هذا الأمر كما ستعرفه في ذيل البشارة الثالثة . لكنا ننكر أن يكون قوله إشارة إلى هذه البشارة للوجوه التي عرفتها .

وقد ادّعى هذا المعترض في الفصل الثالث من الباب الثاني من الميزان أنّ

---

(١) في حاشية ق : هي الحجج . اهـ . أي الوثائق ، والـحُجَج والـحِجاج : مفردها حُجّة وهي : الدليل والبرهان ، والقَبالة : وثيقة يلتزم بها الإنسان أداء عمل أو دين أو غير ذلك والقِبالة : الكفالة . (المعجم الوسيط ص ١٥٧ و٧١٢) .

(٢) إنجيل يوحنا ٥/٤٦ وهذا نصّ طبعة سنة ١٨٦٥م ، وفي طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م : « لأنكم لو آمنتم بموسى لآمنتم بي لأنّه قد كتب في حقي » ، وفي طبعة سنة ١٨٢٣م أو سنة ١٨٤٤م : « فلو كنتم آمنتم لموسى آمنتم أيضاً لي لأن ذاك كتب من أجلي » .

الآية الخامسة عشرة من الباب الثالث من سفر التكوين إشارة إليه[1]. فهذا القدر يكفي لتصحيح قول عيسى عليه السلام ، نعم ، لو قال عيسى عليه السلام : إنّ موسى عليه السلام ما أشار في أسفاره الخمسة إلى نبي من الأنبياء إلّا إليّ لكان لهذا التوهّم مجال في ذلك الوقت .

البشارة الثانية : الآية الحادية والعشرون من الباب الثاني والثلاثين من سفر التثنية هكذا : « هم أغاروني بغير إلاه وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة وأنا أيضاً أغيرهم بغير شعب وبشعب جاهل أغضبهم »[2].

والمراد بشعب جاهل : العرب ؛ لأنّهم كانوا في غاية الجهل والضلال ، وما كان عندهم علم : لا من العلوم الشرعيّة ، ولا من العلوم العقليّة ، وما كانوا يعرفون سوى عبادة الأوثان والأصنام ، وكانوا محقّرين عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر الجارية[3]. فمقصود الآية أنّ بني إسرائيل أغاروني بعبادة المعبودات الباطلة فأغيرهم باصطفاء الذين عندهم محقّرون وجاهلون . فأوفى بما وعد ، فبعث من العرب النبي ﷺ فهداهم إلى الصراط المستقيم كما قال الله تعالى في سورة الجمعة : ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو**

---

(١) ففي سفر التكوين ٣/١٥ « وأضع عداوة بينكِ وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها هو يسحق رأسكِ وأنتِ تسحقين عقبه » .

(٢) نصّ بشارة سفر التثنية ٣٢/٢١ في طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي : « هم أغاروني بما ليس إلهاً أغاظوني بأباطيلهم فأنا أغيرهم بما ليس شعباً بأمة غبية أغيظهم » . وفي التوراة السامرية كما يلي : « هم أسخطوني بغير قادر أكادوني بهبائهم وأنا أغيرهم بغير قوم بشعب ساقط أكيدهم » .

(٣) هاجر الجارية : تقول العرب هاجر وآجر ، فيبدلون الألف من الهاء ، وهي جارية مصرية كانت في خدمة سارة زوجة إبراهيم عليه السلام ، وقد بلغت سارة من العمر ٧٦ عاماً ولم تنجب فأذنت لإبراهيم بالدخول على جاريتها هاجر فولدت له إسماعيل ، ثم أسكنها وابنها في مكة ، وفيها توفيت ودفنت بالحجر . (قاموس الكتاب المقدس ص٩٩٣ ، وسيرة ابن هشام ١/٦) .

عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾[1]. وليس المراد بالشعب الجاهل اليونانيين كما يُفهم من ظاهر كلام مقدّسهم بولس في الباب العاشر من الرسالة الرومية[2]، لأنّ اليونانيّين قبل ظهور عيسى عليه السلام بأزيد من ثلاثمائة سنة كانوا فائقين على أهل العالم كلهم في العلوم والفنون . وكان جميع الحكماء المشهورين مثل سقراط[3] وبقراط[4] وفيثاغورس وأفلاطون وأرسطاطاليس وأرشميدس[5] وبليناس واقليدس[6] وجالينوس وغيرهم الذين كانوا أئمة الإلهيات والرياضيات

(١) سورة الجمعة آية ٢ .

(٢) فقد ذكر اليونانيين في الفقرة ١٢ ، وذكر هذه البشارة في الفقرة ١٩ ، فيتوهّم الناظر أنّه جعل اليونانيين مصداق هذه البشارة ، وليس كذلك .

(٣) سقراط : فيلسوف يوناني من أثينا عاش مابين ٤٧٠ ـ ٣٩٩ ق.م ، ولم يترك أثراً مكتوباً ، وحارب الوثنية وعبادة الأصنام ، وسجل حياته وتعاليمه تلميذه أفلاطون في (محاوراته) ، ويعدّ سقراط ألدّ أعداء السوفسطائية الذين زعموا أنّ الموجودات خيالات لا حقيقة لها ، فأوقعوا به لدى الحكومة اليونانية ، فسجن وحكم عليه بالموت ، ويعتبر هو وأفلاطون وأرسطو واضعي أسس الثقافة الغربية. (القاموس الإسلامي ٣٨٨/٣ ، والموسوعة الميسرة ص ٩٨٥ ، ودائرة وجدي ١٨٠/٥ ، وأعلام المورد ص ٨٠) .

(٤) أبقراط (بقراط) : طبيب عاش ما بين ٤٦٠ ـ ٣٧٠ ق.م ، وكانت ولادته في جزيرة كوس (قوص) ، ودراسته في أثينا ، وقد تقدّم علم الطب على يديه كثيراً بعدما فصله عن الخرافات والشعوذات ، وقد عَرَفه العرب باسم بقراط ، وترجموا مؤلفاته الكثيرة في علم الطب إلى العربية وأضافوا إليها شروحاً وتفاسير. (القاموس الإسلامي ١٥/١ ، والموسوعة الميسرة ص ٧ ، ودائرة وجدي ٢٦/١) .

(٥) أرشميدس (أرخميدس): رياضي وفيزيقي عاش مابين عام ٢٨٧ ـ ٢١٢ ق.م ، وهو مخترع اغريقي ، مولده ووفاته في مدينة سيراقوسة (سيراكوزة) على الشاطيء الشرقي لجزيرة صقلية ، وكان يهتم بالتجارب العلمية، فاكتشف قوانين كثيرة صار بها من أكبر علماء الهندسة الأقدمين ، وهو الذي اكتشف المرايا الخاصة بإحراق السفن عن بعد بواسطة الأشعة الشمسية . (الموسوعة الميسرة ص ١١٨ ، ودائرة وجدي ١٨٠/١ ، وأعلام المورد ص ٨) .

(٦) إقليدس : عالم يوناني عاش مابين عامي (٣٣٠ ـ ٢٧٥ ق.م) نشأ في الإسكندرية ، وأنشأ فيها مدرسة مشهورة ، واشتهر هو بنظرياته الهندسية ، وله فيها مؤلفات منها كتابه (أصول الهندسة) الذي تُرجم إلى العربية ، وشرحه كثيرون في القرن الثاني الهجري . (القاموس الإسلامي ١٥٢/١ ، والموسوعة الميسرة ص ١٨٥ ، ودائرة وجدي ٤٣٣/١ ، وأعلام المورد ص ٣٠) .

والطبيعيات وفروعها قبل عيسى عليه السلام ، وكان اليونانيون في عهده على غاية درجة الكمال في فنونهم ، وكانوا واقفين على أحكام التوراة وقصصها وسائر كتب العهد العتيق أيضاً بواسطة ترجمة سِبْتَوَاجَنْت[1] التي ظهرت في اللسان اليوناني قبل المسيح بمقدار مائتين وست وثمانين (٢٨٦) سنة ، لكنهم ما كانوا معتقدين للملّة الموسوية ، وكانوا متفحصين عن الأشياء الحِكمية الجديدة كما قال مقدّسهم هذا في الباب الأول من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس هكذا : « ٢٢ ـ لأنّ اليهود يسألون آية واليونانيّين يطلبون حِكْمة (٢٣) ولكننا نحن نكرز[2] بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيّين جهالة » .

فلا يجوز أن يكون المراد بالشعب الجاهل اليونانيّين . فكلام مقدسهم في الرسالة الرومية إمّا مؤوّل أو مردود ، وقد عرفت في الأمر الثامن أنّ قوله ساقط عن الاعتبار عندنا .

البشارة الثالثة : في الباب الثالث والثلاثين من سفر التثنية في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا : « وقال جاء الربّ من سيناء وأشرق لنا من ساعير[3] استعلن من جبل فاران[4] ومعه ألوف الأطهار في يمينه سنّة من

---

(١) في حاشية ق : بمعنى سبعين . اهـ . وتسمى كذلك الترجمة السبعينية .

(٢) في حاشية ق : نبشر . اهـ . والكرز : الوعظ والتبشير .

(٣) ساعير (سعير) : اسم لجبال فلسطين ، واسم لقرية من قرى الناصرة بين طبرية وعكا ، بينما يفهم من قاموس الكتاب المقدس أنّ سعير هي المنطقة الواقعة جنوب البحر الميت في جنوب فلسطين . (انظر معجم البلدان ٣/١٧١ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٦٣ و ٤٦٦) .

(٤) فاران : اسم مكة بالعبرانية ، وقيل اسم لجبال مكة ، وقد تطلق على جبال الحجاز كلها ، بينما يفهم من قاموس الكتاب المقدس أنّ فاران هي صحراء جنوب فلسطين المتاخمة لسيناء والممتدة إلى إيلات (العقبة) على الخليج ، فجعلت فاران بين سيناء وسعير ، وهو أمر ظاهر الخطأ . (معجم البلدان ٤/٢٢٥ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٦٣ وص ٦٦٧) .

نار »[1]، فمجيئه من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام ، وإشراقه من ساعير إعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام ، واستعلانه من جبل فاران إنزاله القرآن ؛ لأنّ فاران جبل من جبال مكة .

في الباب الحادي والعشرين من سفر التكوين في حال إسماعيل عليه السلام هكذا : « ٢٠ ـ وكان الله معه ونمي وسكن في البرّيّة وصار شابّاً يرمي بالسهام (٢١) وسكن برّيّة فاران وأخذت له أمّه امرأة من أرض مصر »[2].

ولا شكّ أنّ إسماعيل عليه السلام كانت سكونته بمكة ، ولا يصحّ أن يُراد أنّ النار لما ظهرت من طور سيناء ظهرت من ساعير ومن فاران أيضاً ، فانتشرت في هذه المواضع ، لأنّ الله لو خلق ناراً في موضع لا يقال : جاء الله من ذلك الموضع إلاّ إذا اتّبع تلك الواقعة وحْي نزل في ذلك الموضع ، أو عقوبة ، أو ما أشبه ذلك ، وقد اعترفوا أنّ الوحْي اتّبع تلك في طور سيناء ، فكذا لا بدّ أن يكون في ساعير وفاران[3].

---

(١) انظر سفر التثنية ٢/٣٣ ، وهي في طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي : « فقال جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم». وفي السامرية: «ولهم لمع من جبل فاران ومعه ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم».

(٢) فقرتا سفر التكوين ٢١/٢٠ ـ ٢١ في طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي : « ٢٠ ـ وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية ، وكان ينمو رامي قوس (٢١) وسكن في برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » . وفي التوراة السامرية : « ٢٠ ـ فكان الله مع الفتى وكبر وسكن في البرية وكان شديد القوس (٢١) وسكن في برية فاران وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر » .

(٣) مضمون هذه البشارة موافق لمضمون قوله تعالى في سورة التين : ﴿ **والتين والزيتون ● وطور سينين ● وهذا البلد الأمين** ﴾ ففيه إشارة لأماكن بعثة الأنبياء الثلاثة ، لكن لـمّا كان المقصود في القرآن التعظيم تدرّج من الأدنى إلى الأعلى ؛ لأنّ رسالة موسى أعظم من رسالة عيسى ، ورسالة محمد أعظم من رسالتيهما صلى الله عليهم وسلم ، وكذلك مكة أقدس وأشرف من سيناء والقدس ، ولـمّا كان المقصود في التوراة الخبر التاريخي ذُكرت هذه الأماكن الثلاثة مرتبة حسب زمان بعثة الأنبياء الثلاثة ، فشبّه بعثة موسى بمجيء الفجر ، وبعثة عيسى بشروق الشمس وبعثة محمد بالظهور والإستعلان في كبد السماء الذي هو أوضح من سابقيه وبه يتمّ النور على الخلائق ويكتمل .

البشارة الرابعة : في الآية العشرين من الباب السابع عشر من سفر التكوين وعَدَ الله - في حق إسماعيل عليه السلام - إبراهيمَ عليه السلام في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا : « وعلى إسماعيل استجبت لك هو ذا أباركه وأكبّره وأكثّره جداً فسيلد اثني عشر رئيساً وأجعله لشعب كبير »[١].

وقوله : « اجعله لشعب كبير » يشير إلى محمد ﷺ لأنّه لم يكن في ولد إسماعيل مَن كان لشعب كبير غيره[٢]، وقد قال الله تعالى ناقلاً دعاء إبراهيم وإسماعيل في حقّه عليهم السلام في كلامه المجيد أيضاً : ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾[٣].

وقال الإمام القرطبي في الفصل الأول من القسم الثاني من كتابه : « وقد تفطّن بعض النبهاء ممن نشأ على لسان اليهود وقرأ بعض كتبهم فقال : يخرج مما ذُكر من عبارة التوراة في موضعين اسم محمد ﷺ بالعدد على ما يستعمله اليهود فيما بينهم :

الأول : قوله : « جداً جداً » فهو بتلك اللغة : بمادماد ، وعدد هذه الحروف اثنان وتسعون ؛ لأنّ الباء اثنان ، والميم أربعون ، والألف واحد ، والدال أربعة ، والميم الثانية أربعون ، والألف واحد ، والدال أربعة . وكذلك

---

(١) بشارة سفر التكوين ١٧ / ٢٠ في طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي : « وأمّا إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثّره كثيراً جداً اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة » . وفي السامرية : «وفي إسماعيل استجبت منك هو ذا باركته وأثمره وأكثره جداً جداً اثنا عشر رئيساً يولد وسأجعله شعباً عظيماً» .

(٢) ولم يأت من نسل إسماعيل نبي غيره .

(٣) سورة البقرة آية ١٢٩ .

الميم من (محمد) أربعون ، والحاء ثمانية ، والميم أربعون ، والدال أربعة[1].

والثاني : قوله : « لشعب كبير » ، فهو بتلك اللغة : لُغَوى غَدُول . فاللام عندهم ثلاثون ، والغين ثلاثة ؛ لأنه عندهم في مقام الجيم إذْ ليس في لغتهم جيم ولا صاد ، والواو ستة ، والياء عشرة ، والغين أيضاً ثلاثة ، والدال أربعة ، والواو ستة ، واللام ثلاثون . فمجموع هذه أيضاً اثنان وتسعون »[2] انتهى كلامه بتلخيص مّا[3].

وعبدالسلام كان من أحبار اليهود ، ثم أسلم في عهد السلطان المرحوم بايزيد[4] خان ، وصنف رسالة صغيرة سماها بـ(الرسالة الهادية)[5]، فقال فيها : « إنّ أكثر أدلة أحبار اليهود بحرف الجمّل الكبير وهو حرف أبجد ، فإنّ

---

(١) صورتها كما يلي : (بماد ماد) :

ب م أ د م أ د

٢ + ٤٠ + ١ + ٤ + ٤٠ + ١ + ٤ = ٩٢

وحروف كلمة محمد حسابها كما يلي :

م ح م د

٤٠ + ٨ + ٤٠ + ٤ = ٩٢

(٢) وصورتها كما يلي (لغوي غدول) :

ل غ و ي غ د و ل

٣٠ + ٣ + ٦ + ١٠ + ٣ + ٤ + ٦ + ٣٠ = ٩٢

(٣) انظر الإعلام ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(٤) بايزيد : هو السلطان بايزيد الثاني بن السلطان محمد الفاتح ، ولد عام ٨٥١هـ/١٤٤٧م، وقد خلف أباه في الحكم عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م ، أعاد بناء القسطنطينية بعد أن دمرها زلزال عام ١٥٠٩م ، وقامت الإنكشارية بحركة أرغمت السلطان على أن يتنازل عن العرش لابنه سليم الأول الذي أعلن خلع أبيه عام ١٥١٢م ، ومات في نفس العام ، له مسجدان فاخران الأول في اسطنبول والثاني في أدرنه. (القاموس الإسلامي ١/٢٦٧ ، والموسوعة الميسرة ص ٣٢٢ ، ودائرة وجدي ٢/٥٧٠) .

(٥) الرسالة الهادية : لعبد السلام الدفتري ، وكان يحفظ التوراة بتمامها فصار دفتريّا ، أسلم وكتب هذه الرسالة للرد على اليهود ، وله جامع وأوقاف. (كشف الظنون ٢/٢٠٢٧) .

أحبار اليهود حين بنى سليمان النبي عليه السلام بيت المقدس اجتمعوا وقالوا : يبقى هذا البناء أربعمائة وعشر سنين ، ثم يعرض له الخراب لأنهم حسبوا لفظة : بزات »[1].

ثم قال : « واعترضوا على هذا الدليل بأنّ الباء في (بمادماد) ليست من نفس الكلمة ، بل هي أداة وحرف جيء به للصلة ، فلو أُخرج منه اسم (محمد) لاحتاج إلى باء ثانية ، ويقال : ببمادماد . قلنا : من المشهور عندهم إذا اجتمع الباءان أحدهما أداة والآخر من نفس الكلمة تحذف الأداة ، وتبقى التي هي من نفس الكلمة . وهذا شائع عندهم في مواضع غير معدودة فلا حاجة إلى إيرادها » انتهى كلامه بلفظه .

أقول : قد صرّح العلماء بأنّ من أسمائه ﷺ (مادماد) كما في شفاء القاضي عياض[2] .

البشارة الخامسة : الآية العاشرة من الباب التاسع والأربعين من سفر التكوين هكذا ـ ترجمة عربية سنة ١٨٢٢م وسنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م :

---

(١) وصورتها كما يلي : (بزات) .

ب ز أ ت

٢ + ٧ + ١ + ٤٠٠ = ٤١٠

(٢) القاضي عياض : هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي ، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في زمانه ، ولد في سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م في ميناء سبتة على ساحل المغرب الشمالي ، ثم انتقل إلى قرطبة في جنوب الأندلس طلباً للعلم ، فبرع في علوم الحديث ، وكان ذكيّاً يقِظاً دقيق الفهم ، ولي قضاء سبتة ثم غرناطة ثم انتقل إلى قرطبة ، ثم رجع إلى المغرب وتوفر على التأليف ، له مصنفات كثيرة أشهرها كتابه . (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) وهو من المؤلفات الفريدة في موضوعها ، وقد دسّ يهودي السم للقاضي عياض فتوفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م . (كشف الظنون ٢/١٠٥٢ ، و٥/٨٠٥ ، ومعجم المؤلفين ٨/١٦ ، والأعلام ٥/٩٩ ، والقاموس الإسلامي ٥/٥٨٠ ، والموسوعة الميسرة ص ١٢٤٦) والاسم الذي ذكره المؤلف في كتاب الشفا ١/٢٣٤ .

« فلا يزول القضيب من يهوذا والمدبّر من فخذه حتى يجيء الذي له الكلّ وإيّاه تنتظر الأمم » .

ترجمة عربية سنة ١٨١١م : « فلا يزول القضيب من يهوذا والرسم من تحت أمره إلى أن يجيء الذي هو له وإليه تجتمع الشعوب » .

ولفظ « الذي له الكل » أو « الذي هو له » ترجمة لفظ « شَيْلُوه »[١]. وفي ترجمة هذا اللفظ اختلاف كثير فيما بينهم ، وقد عرفته في الأمر السابع أيضاً[٢] .

وقال عبدالسلام في (الرسالة الهادية) هكذا : « لا يزول الحاكم من يهوذا ولا راسم من بين رجليه حتى يجيء الذي له وإليه يجتمع الشعوب » .

وفي هذه الآية دلالة على أن يجيء سيدنا (محمد) عليه السلام بعد تمام حكم موسى وعيسى ؛ لأنّ المراد من الحاكم هو موسى ؛ لأنّه بعد يعقوب ما جاء صاحب شريعة إلى زمان موسى إلاّ موسى ، والمراد من الراسم هو عيسى ؛ لأنّه بعد موسى إلى زمان عيسى ما جاء صاحب شريعة إلا عيسى ، وبعدهما ما جاء صاحب شريعة إلاّ محمد ، فعُلم أنّ المراد من قول يعقوب في آخر الأيام هو نبينا محمد عليه السلام ؛ لأنّه في آخر الزمان بعد مضي حكم الحاكم والراسم ما جاء إلاّ سيدنا محمد عليه السلام . ويدلّ عليه أيضاً قوله : « حتى يجيء الذي له » ـ أي الحكم ـ بدلالة مساق الآية وسياقها .

---

(١) ولذلك وردت فقرة سفر التكوين ٤٩/١٠ في طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي : « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شِيلون وله يكون خضوع شعوب » . وبذلك قال كتاب قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٦ ، لكنهم قالوا في نفس الصفحة : « وقد حار العلماء في تفسير شيلون وفهم المقصود منها » ، فأقول : سبب الحيرة هو التعصب الأعمى ومن ترك التعصب والهوى من علماء أهل الكتاب قال بأنّ المقصود منها هو محمد ﷺ بلا ريب ، وانطباقها عليه ظاهر .

(٢) أي جرت عادة أهل الكتاب سلفاً وخلفاً أنّهم غالباً يترجمون الأسماء بمعانيها ، ويزيدون في كلام الله شيئاً بطريق التفسير وكان الشاهد الرابع من الأمر السابع عن ترجمات لفظ شيلوه .

وأمّا قوله : « وإليه تجتمع الشعوب » فهي علامة صريحة ودلالة واضحة على أنّ المراد منها هو سيدنا محمد ؛ لأنّه ما اجتمعت الشعوب إلاّ إليه ، وإنّما لم يذكر الزبور لأنّه لا أحكام فيه ، وداود النبي تابع لموسى ، والمراد من خبر يعقوب[1] هو صاحب الأحكام » انتهى كلامه بلفظه .

أقول : إنّما أراد من الحاكم موسى عليه السلام ؛ لأنّ شريعته جبريّة انتقاميّة ، ومن الراسم عيسى عليه السلام لأنّ شريعته ليست بجبرية ولا انتقاميّة[2] .

وإنْ أُريد من القضيب : السلطنة الدنياويّة ، ومن المدبّر : الحاكم الدنياوي - كما يُفهم من رسائل القسيسين من فرقة البروتستانت ومن بعض تراجمهم - فلا يصحّ أن يراد بـ « شيلوه » مسيح اليهود كما هو مزعومهم ، ولا عيسى عليه السلام كما هو مزعوم النصارى .

أمّا الأول : فظاهر ؛ لأنّ السلطنة الدنياوية والحاكم الدنياوي زالا من آل يهوذا من مدة هي أزيد من ألفيْ سنة من عهد بخت نصر[3] ، ولم يُسمع إلى الآن حسيس مسيح اليهود .

وأما الثاني : فلأنّهما زالتا من آل يهوذا أيضاً قبل ظهور عيسى عليه السلام بمقدار ستمائة سنة من عهد بخت نصر ، وهو أجلى بني يهوذا إلى بابل ، وكانوا

---

(١) أي كلامه في سفر التكوين ٤٩/١٠ ، وهو نصّ البشارة الخامسة .

(٢) عيسى عليه السلام لم يكن صاحب شريعة مستقلة ، وإنّما كان عاملاً بشريعة التوراة ، ومقصود المؤلف أنّ موسى عليه السلام كان قادراً على إجراء أحكام شريعة التوراة ، وإلزام بني إسرائيل بتنفيذها ، ومعاقبة المخالفين ، بينما عيسى عليه السلام لم يكن قادراً على إجراء أحكام التوراة على بني إسرائيل ولا معاقبة المخالفين لأحكامها ، وسيرة حياته في الأناجيل الأربعة تشهد بذلك .

(٣) فقد كان التدمير الكلي لمملكة يهوذا وعاصمتها القدس على يد نبوخذنصر سنة ٥٨٦ ق.م ، وتاريخ تأليف إظهار الحق هو سنة ١٨٦٤م فيكون ٥٨٦ + ١٨٦٤ = ٢٤٥٠ سنة .

في الجلاء ثلاثاً وستين سنة لا سبعين ـ كما يقول بعض علماء البروتستانت تغليطاً للعوام وقد عرفته في الفصل الثالث من الباب الأول ـ ، ثم وقع عليهم في عهد أنتيوكس[1] ما وقع ؛ فإنّه عزل أونياس حبر اليهود وباع منصبه لأخيه ياسون بثلاثمائة وستين وزنة ذهب يقدّمها له خراجاً كل سنة ، ثم عزله وباع ذلك لأخيه مينالاوس بستمائة وستين وزنة ، ثم شاع خبر موته فطلب ياسون أن يستردّ لنفسه الكهنوت ، ودخل أورشليم بألف من الجنود ، فقتل كل من كان يظنه عدواً له ، وهذا الخبر كان كاذباً ، فهجم أنتيوكس على أورشليم وامتلكها ثانية في سنة ١٧٠ قبل ميلاد المسيح ، وقتل من أهلها أربعين ألفاً ، وباع مثل ذلك عبيداً ـ وفي الفصل العشرين من الجزء الثاني من مرشد الطالبين في بيان الجدول التاريخي في الصفحة ٤٨١ من النسخة المطبوعة سنة ١٨٥٢ من الميلاد « انه نهبت أورشليم ، وقتل ثمانون ألفاً » انتهى ـ وسلب ما كان في الهيكل من الأمتعة النفيسة التي كانت قيمتها ثمانمائة وزنة ذهب ، وقرّب خنزيره وقوداً على المذبح للإهانة ، ثم رجع إلى أنطاكية ، وأقام فيلبس[2] أحد الأرذال حاكماً على اليهودية . وفي رحلته الرابعة إلى مصر أرسل أبولونيوس بعشرين ألفاً من جنوده ، وأمرهم أن يخرّبوا أورشليم ، ويقتلوا كل من بها من الرجال ، ويسبوا النساء والصبيان ، فانطلقوا إلى هناك ، وبينما كان الناس في المدينة مجتمعين للصلاة يوم السبت هجموا عليهم على غفلة فقتلوا الكلّ إلاّ من أفلت إلى الجبال أو اختفى في المغاير ، ونهبوا أموال المدينة ، وأحرقوها ، وهدموا أسوارها ، وأخربوا منازلها ، ثم ابتنوا لهم من بسائط ذلك الهدم قلعة حصينة

---

(١) أنتيوكس : وهو أنطيوخوس الرابع (أنتيخس أبيفانس) وقد حكم سوريا ما بين سنتي ١٧٥ ـ ١٦٣ ق.م ، وكان يمتحن اليهود بأكل لحم الخنزير ليتأكد من عدم تمسكهم بشريعة دينهم . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٦ و ٣٥٠ ، والموسوعة الميسرة ص ٣٤٧) .

(٢) هو فليبس أخو أنطيوخوس أبيفانس بالرضاعة ، وأحد أصدقائه المفضلين . (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٠١) .

على جبل أكْرا[1]. وكانت العساكر تشرف منها على جميع نواحي الهيكل ، ومن دنا منه يقتلونه ، ثم أرسل أنتيوكس أثانيوس ليعلّم اليهود طقوس[2] عبادة الأصنام اليونانية ، ويقتل كل من لا يمتثل ذلك الأمر ، فجاء أثانيوس إلى أورشليم ، وساعده على ذلك بعض اليهود الكافرين ، وأبطل الذبيحة اليومية[3]، ونسخ كل طاعة للدين اليهودي عموماً وخصوصاً ، وأحرق كل ما وجده من نسخ كتب العهد العتيق بالفحص التام ، وكرّس الهيكل للمشتري[4]، ونصب صورة ذلك على مذبح اليهود ، وأهلك كل من وجده مخالفاً أمر أنتيوكس ، ونجا متاثياس الكاهن مع أبنائه الخمسة في هذه الداهية ، وفرّوا إلى وطنهم مُودين في سِبْط دان فانتقم من هؤلاء الكفار انتقاماً ما قدروا عليه على استطاعته[5] كما هو مصرح به في التواريخ ، فكيف يصدق هذا الخبر على عيسى عليه السلام ؟!

وإنْ قالوا : إنّ المراد ببقاء السلطنة والحكومة امتياز القوم ـ كما يقول بعضهم الآن ـ قلنا : هذا الأمر كان باقياً إلى ظهور محمد ﷺ ، وكانوا في أقطار العرب ذوي حصون وأملاك غير مطيعين لأحد مثل يهود خيبر وغيرهم كما تشهد به التواريخ ، وبعد ظهور محمد ﷺ ضُربت عليهم الذلّة والمسكنة ، وصاروا في كل إقليم مطيعين للغير ، فالأليق أن يكون المراد بـ (شيلوه) النبي ﷺ لا مسيح

(١) جبل اكرا : هو الطرف الشمالي من جبل صهيون الواقع في جنوب شرقي القدس ، ويوسفيوس المؤرخ اليهودي هو الذي دعاه باسم اكرا أو المدينة السفلى . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٣٠) .

(٢) في حاشية ق : أي أصول . اهـ .

(٣) في حاشية ق : كانوا كل يوم يقرّبون ذبيحة . اهـ .

(٤) المشتري : هو أكبر الكواكب ، ويبلغ قطره حوالي ١٣٨٧٦٠ كم ، وكتلته قدر كتلة الأرض ٣١٦ مرة تقريباً ، ويقع بين المريخ وزحل ، ويدور حول محوره في ٩ ساعات و ٥٥ دقيقة ، ولا يفوقه في اللمعان سوى الزهرة ، وأحياناً المريخ . (الموسوعة الميسرة ص ١٧٠٤) .

(٥) ما : نافية ، والمعنى : فانتقم أبولونيوس من اليهود إنتقاماً ما قدر اليهود عليه لعجزهم عن رده ، ولاستطاعة أبولونيوس عليهم .

اليهود ولا عيسى عليه السلام .

البشارة السادسة : الزبور الخامس والأربعين هكذا : « ١ ــ فاض قلبي كلمة صالحة أقول أنا أعمالي للملك لساني قلم كاتب سريع الكتابة (٢) بهيٌّ في الحسن أفضل من بني البشر (٣) انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الدهر (٤) تقلّد سيفك على فخذك أيها القوي بحسنك وجمالك (٥) استلّه ، وانجح واملك من أجل الحق والدّعة والصدق وتهديك بالعجب يمينك (٦) نبلك مسنونة أيها القويّ الشعوب تحتك يسقطون في قلب أعداء الملك (٧) كرسيّك يا الله إلى دهر الدّاهرين عصا الإستقامة عصا ملكك (٨) أحببت البرّ وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن البهجة أفضل من رفقائك (٩) المرّ والميعة والسليخة[1] من ثيابك من منازلك الشريفة العاج التي أبهجتك (١٠) بنات الملوك في كرامتك قامت الملكة من عن يمينك مشتملة بثوب مذهّب موشّى (١١) اسمعي يا بنت وانظري وانصتي بأذنيك وانسي شعبك وبيت أبيك (١٢) فيشتهي الملك حسنك لأنّه هو الربّ إلهك وله تسجدين (١٣) بنات صور[2] يأتينك بالهدايا لوجهك يصلّى كل أغنياء الشعب (١٤) كل مجد ابنة الملك من داخل مشتملة بلباس الذهب

---

(١) المرّ والميعة والسليخة : أنواع من البخور والعطور . (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤٧ ، و٨٥٢ و ٩٤٠) .

(٢) صور : بضم الأول وسكون الواو : مدينة مبنيّة على جزيرة في الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، وهي أعظم مدن العالم القديم ، يرجع تاريخها إلى القرن ١٦ ق.م ، ومنذ القرن ١١ ق.م حتى عام ٧٧٤ ق.م كانت عاصمة الدولة الفينيقية وأكبر موانئهم ، وبلغت قمّة مجدها إبّان القرن ١٠ ق.م ، وجاء ذكر مِلكها حيرام في التوراة إذْ كان حليفاً لداود وسليمان ، وكان يرسل لهما الصنّاعين والمواد لبناء الهيكل وغيره ، وقد اشتهرت في العالم القديم بصناعاتها وبأساطيلها التجارية التي كانت تجوب البحار ، والصوريّون هم الذين أسسوا مدينة قرطاجة (في تونس) في القرن ٩ ق.م ، ونظراً لموقعها الاستراتيجي استولى عليها الفراعنة والآشوريون فالبابليون فالفرس ، ثم استولى عليها الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق.م بعد حصار دام سبعة أشهر ، ثم استولى عليها السلوقيّون ثم الرومان ، وفتحها المسلمون في خلافة عمر رضي الله عنه =

الموشى (١٥) يبلغن إلى الملك عذارى في إثرها قريباتها إليك يقدّمن (١٦) يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن إلى هيكل الملك (١٧) ويكون بنوك عوضا من آبائك وتقيمنهم رؤساء على سائر الأرض (١٨) سأذكر اسمك في كل جيل وجيل من أجل ذلك تعترف لك الشعوب إلى الدهر وإلى دهر الداهرين »[1].

وهذا الأمر مسلم عند أهل الكتاب أنّ داود عليه السلام يبشّر في هذا الزبور بنبي يكون ظهوره بعد زمانه ، ولم يظهر إلى هذا الحين عند اليهود نبي يكون موصوفاً بالصفات المذكورة في هذا الزبور . ويدّعي علماء البروتستانت أنّ هذا النبي عيسى عليه السلام ، ويدّعي أهل الإسلام سلفاً وخلفاً أنّ هذا النبي محمد ﷺ .

فأقول : إنّه ذكر في هذا الزبور من صفات النبي المبشّر به هذه الصفات :

١ ــ كونه حسيناً .

٢ ــ كونه أفضل البشر .

٣ ــ كون النعمة منسكبة على شفتيه .

٤ ــ كونه مبارَكاً إلى الدهر .

٥ ــ كونه متقلّداً بالسيف .

٦ ــ كونه قوياً .

= على يد يزيد وأخيه معاوية بن أبي سفيان ، واتخذها هشام بن عبدالملك قاعدة بحرية ، وتقع مدينة صور الآن في جنوب لبنان وتبعد عن بيروت إلى الجنوب مسافة ٧٥ كم ، وفي منتصف المسافة بينهما تقع مدينة صيدا. (معجم البلدان ٤٣٣/٣ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٣٥ ، والقاموس الإسلامي ٣٥٠/٤ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٥٥٩) .

(١) هذا نص طبعة سنة ١٨٤٤م في المزمور ٤٤ ، وقريب منه نصّ طبعة سنة ١٨٦٥م ، لكنه في المزمور ٤٥/١ ـ ١٧ .

٧ ــ كونه ذا حق ودعة وصدق .

٨ ــ كون هداية يمينه بالعجب .

٩ ــ كون نبله مسنونة .

١٠ ــ سقوط الشعب تحته .

١١ ــ كونه محباً للبر ومبغضاً للإثم .

١٢ ــ خدمة بنات الملوك إياه .

١٣ ــ إتيان الهدايا إليه .

١٤ ــ انقياد كل أغنياء الشعب له .

١٥ ــ كون أبنائه رؤساء الأرض بدل آبائهم .

١٦ ــ كون اسمه مذكوراً جيلاً بعد جيل .

١٧ ــ مدح الشعوب إياه إلى دهر الداهرين .

وهذه الأوصاف كلها توجد في محمد ﷺ على أكمل وجه .

أمّا الأول : فلأنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال : « ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ ، كأنّ الشمس تجري في وجهه ، وإذا ضحك يتلألأ في الجدار »[1] .

---

(١) انظر الوفا ٦٤/٢ ، والشفا ٦١/١ ، والبداية والنهاية ١٧/٦ ، وحدائق الأنوار ٨١٩/٢ . وقد وردت أحاديث في صفات النبي عن عدد من الصحابة في فتح الباري ٥٦٣/٦ باب ٢٣ من كتاب المناقب ، وفي صحيح مسلم ٣٦/١٥ عدة أبواب من كتاب الفضائل ، وفي دلائل النبوة للبيهقي ١٩٤/١ جماع أبواب صفة رسول الله ﷺ ، وفي السيرة النبوية للذهبي ص ٢٩٠ ـ ٢٩٣ .

وعن أمّ معبد[١] رضي الله عنها قالت في بعض ما وصفته به : « أجمل الناس من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب » .

وأما الثاني : فلأنّ الله تعالى قال في كلامه المحكم : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض** ﴾[٢] الآية . وقال أهل التفسير : أراد بقوله : ﴿ **ورفع بعضهم درجات** ﴾[٣] محمداً ﷺ . أي : رفعه على سائر الأنبياء من وجوه متعددة[٤]. وقد أشبع الكلام في تفسير هذه الآية الإمام الهمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير[٥].

وقال ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر »[٦]. أي : لا أقول ذلك فخراً لنفسي بل تحدّثاً بنعمة ربي .

وأما الثالث : فغير محتاج إلى البيان ، حتى أقرّ بفصاحته الموافق والمخالف . وقال الرواة في وصف كلامه : إنّه كان أصدق الناس لهجة ، فكان من

---

(١) أمّ معبد : هي عاتكة بنت خالد بن منقذ الخزاعية رضي الله عنها زوجة أبي معبد ، وقد مرّ بها رسول الله ﷺ في طريق هجرته وعندها شاة لا تحلب فمسح النبي ﷺ ضرعها فحلبت لبناً كثيراً ، وأسلمت أمّ معبد وبايعت في نفس اليوم . وقد قال الواقدي بأن شاة أم معبد عاشت إلى عام الرمادة ، قالت أمّ معبد فكنّا نحلبها صبوحاً وغبوقاً وما في الأرض لبن قليل ولا كثير ، ووصْفها النبي ﷺ كان ضمن حديثها لزوجها بعد رجوعه إليها في الخيمة . (الإصابة ٤/٤٩٧ ، والإستيعاب ٤/٣٦٧ و٤٩٥ ، والتهذيب ١٢/٤٧٩ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١/٢٧٦ و٢/٤٩٣ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٤٣٦ حديث ٢٣٨ ، والوفا ١/٣٨٢ و٢/٦٤ ، والشفا ١/٦١ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٢٨ وص ٣٠٧ ، وحدائق الأنوار ١/٣٧٥ ، والبداية والنهاية ٣/٢٠٩ ـ ٢١٣ و٦/٣٤) .

(٢) ، (٣) سورة البقرة آية ٢٥٣ .

(٤) انظر تفسير البيضاوي ص ٥٧ ، وتفسير أبي السعود ١/٣٨١ .

(٥) انظر تفسير الرازي ٦/٢٠٧ ـ ٢١٩ .

(٦) انظر صحيح مسلم ١٥/٣٦ في كتاب الفضائل ، وسنن الترمذي ١٣/١٠٢ في أبواب المناقب ، وسنن ابن ماجه ٢/٤٥٠ باب ٣٧ حديث ٤٣٦٣ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ١/٧٠ حديث ٢٣ و٢٤ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع ١/١٧٧ .

الفصاحة بالمحل الأفضل والموضع الأكمل .

وأما الرابع : فلأنّ الله تعالى قال : ﴿ **إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً** ﴾[1].

وألوف ألوف من الناس يصلون عليه في الصلوات الخمس .

وأما الخامس : فظاهر ، وقد قال هو بنفسه : « أنا رسول الله بالسيف »[2].

وأما السادس : فكانت قوته الجسمانية على الكمال ، كما ثبت أنّ ركانة[3] خلا برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة قبل أن يُسلم . فقال : « يا ركانة : ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه »؟ فقال : لو أعلم ـ والله ـ ما تقول حقاً لا تبعتك ، فقال : « أرأيت إنْ صرعتك أتعلم أنّ ما أقول حق »؟ قال : نعم ، فلما بطش به ﷺ أضجعه لا يملك من أمره شيئاً ، ثم قال : يا محمد عُـدْ . فصرعه أيضاً فقال : يا محمد : إنّ ذا لعجب ، فقال ﷺ : « وأعجب من ذلك إنْ شئت أن أريكه إن اتقيت الله وتبعت أمري » . قال : ماهـو؟ قال : « أدعو لك هذه الشجرة » . فدعاها ، فأقبلت حتى وقفت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم . فقال لها : ارجعي مكانك . فرجع ركانة إلى قومه فقال : يا بني عبد مناف[4]! ما رأيت أسحر منه . ثم أخبرهم بما رأى . وركانة

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦ .

(٢) مسند أحمد ٢/٥٠ و٩٢ عن ابن عمر .

(٣) ركانة : هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي ، صارع النبي ﷺ قبل الهجرة ، ولم يسلم إلّا يوم الفتح ، توفي في المدينة في أول خلافة معاوية حوالي سنة ٤١هـ . (الإصابة ١/٥٢٠ ، والتهذيب ٣/٢٨٧) .

(٤) عبد مناف : هو عبد مناف بن قصي بن كلاب ، من قريش من عدنان من أجداد الرسول ﷺ ، يسمّى قمر البطحاء ، وكان له أمر قريش بعد موت أبيه ، قيل اسمه المغيرة ولقبه : عبد مناف ، وأبناؤه هم : المطلب وهاشم وعبد شمس ونوفل وأبو عمرو ، وأبو عبيد ، والنسبة إليه =

هذا كان من الأقوياء والمصارعين المشهورين[1].

وأما شجاعته : فقد قال ابن عمر رضي الله عنهما : « ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود من رسول الله ﷺ »[2].

وقال عليّ كرم الله وجهه : « وإنّا كنّا إذا حمي البأس واحمرّت الحدق[3] اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه . ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشدّ الناس يومئذ بأسا »[4].

وأما السابع : فلأنّ الأمانة والصدق من الصفات الجبليّة[5] له ﷺ ، كما قال النضر بن الحارث[6] لقريش : « قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم

= منافيّ ، مات بمكة ، وعلى بنيه اقتصر النبي ﷺ حين أُنزل عليه ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ . (طبقات ابن سعد ٧٤/١ ، والأعلام ١٦٦/٤ ، وحدائق الأنوار ٣٠٧/١) .

(١) انظر قصة ركانة السابقة في دلائل النبوة للأصبهاني ٥٠٨/٢ حديث ٢٩٩ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢٥٠/٦ ، وسيرة ابن هشام ٣٩٠/١ ، والشفا ٣٠٢/١ ، والبداية والنهاية ١١٣/٣ .

(٢) سنن الدارمي ٣٣/١ باب ١٠ حديث ٦٠ وانظر الشفا ١١٦/١ .

(٣) الحدقة : السواد الأعظم في العين ، والجمع حدق وأحدق وحِداق ، والتحديق : شدة النظر بالحدقة ، وكلّ شيء أحاط بشيء فقد أحدق به ، ويقال هو من رماة الـحَدَق : أي حاذق ماهر في النضال. (لسان العرب ٣٨/١٠ ، والمعجم الوسيط ص ١٦١) .

(٤) انظر الشفا ١١٦/١ ، وروى مثله مسلم ١٢٠/١٢ في غزوة حنين من كتاب الجهاد عن البراء ، وحدائق الأنوار ٨٣٤/٢ .

(٥) أي هو ﷺ مجبول عليها، فهي له طبيعة وخِلْقة . (لسان العرب ٩٨/١١) .

(٦) النضر بن الحارث : هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف من بني عبدالدار من قريش ، وهو من شجعان قريش ووجوهها وشياطينها ، وصاحب لوائها في بدر ، وله اطلاع على كتب الفرس وغيرهم ، أسر في بدر ثم قُتِل وقيل مات من جراحه سنة ٢هـ/٦٢٤م . (الإصابة ٥٥٥/٣ و٥٥٧ ، والإستيعاب ٥٦٧/٣ ، والأعلام ٣٣/٨ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٣٢٤/١ و٣٥٨ و٦٤٤ و٧١٠) .

فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغَيْه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم قلتم إنّه ساحر ، لا ـ والله ـ ما هو بساحر »[1].

وسأل هرقل عن حال النبي ﷺ أبا سفيان[2] فقال : « هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا »[3].

وأما الثامن : فلأنّه رمى يوم بدر[4] وكذا يوم حنين[5] وجوه الكفار بقبضة

---

(١) انظر السيرة النبوية للذهبي ص ٩٠ .

(٢) أبو سفيان : هو صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي ، ولد عام ٥٧ ق.هـ/٥٦٧م ، ويلتقي نسبه مع رسول الله ﷺ في عبد مناف ، وهو والد معاوية ويزيد وعتبة ، ووالد أمّ المؤمنين أمّ حبيبة رضي الله عنها ، وكان تاجراً كبيراً يتاجر مع بلاد الشام والعجم ، ومن أشراف قريش وصديق العباس ونديمه في الجاهلية ، قاد جيوش المشركين في غزوتي أحد والخندق ، وأسلم يوم الفتح سنة ٨هـ قبل دخول رسول الله ﷺ إلى مكة ، وشهد معه غزوة حنين فأعطاه من غنائمها ، وفُقِئت إحدى عينيه في غزوة الطائف وفقئت الأخرى في يوم اليرموك ، عاش ٨٨ سنة ، وتوفي في المدينة وقيل في الشام سنة ٣١هـ/٦٥٢م . (الإصابة ٢/١٧٨ ، والإستيعاب ٤/٨٥ ، والتهذيب ٤/٤١١ ، والأعلام ٣/٢٠١ ، والقاموس الإسلامي ٣/٣٨١ ، والموسوعة ص ٣٤) .

(٣) انظر فتح الباري ١/٣١ باب ٦ من كتاب بدء الوحي حديث ٧ و٦/١٠٩ باب ١٠٢ من كتاب الجهاد حديث ٢٩٤٠ و٨/٢١٤ باب ٤ من كتاب التفسير حديث ٤٥٥٣ ، وصحيح مسلم ١٢/١٠٤ في باب كتب النبي ﷺ من كتاب الجهاد والسير ، وحدائق الأنوار ٢/٦٣١ و١/٥٨ و٣٠٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٤/٣٧٧ـ٣٨٦ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٤٤٢ـ٤٤٩ حديث رقم ٢٣٩ ، و٢٤٠ ، والوفا ٢/٤٤٥ـ٤٥٣ ، والبداية والنهاية ٤/٢٩٢ـ٢٩٨ و٥/١٧ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٠٧ ، وقد بعث النبي ﷺ كتابه إلى هرقل مع دحية الكلبي .

(٤) يوم بدر : أي يوم غزوة بدر ، وهو يوم ١٧ رمضان سنة ٢هـ/الموافق ١٩ أو ٢٠ آذار (مارس) سنة ٦٢٤م وسمته سورة الأنفال آية ٤١ يوم الفرقان ، والصحابة الذين حضروا غزوة بدر يسمّون بالبدريين ، وبدر : اسم موضع مشهور على الطريق القديم بين مكة والمدينة شرقي ساحل البحر الأحمر ، ويبعد عن المدينة حوالي ١٦٠ كم ، وبه ماء أسفل وادي الصفراء ، وفيه سهل لين . (معجم البلدان ١/٣٥٧ القاموس الإسلامي ١/٢٨٧ ، والموسوعة الميسرة ص ٣٣٢ ، ودائرة وجدي ٢/٦٧) .

(٥) يوم حنين : أي يوم غزوة حنين ، ورد بهذا الإسم في سورة التوبة آية ٢٥ ، وحنين اسم=

تراب ، فلم يبق مشرك إلّا شغل بعينه ، فانهزموا ، وتمكّن المسلمون منهم قتلاً وأسراً[1]، فأمثال هذه من عُجْب هداية يمينه .

وأما التاسع : فلأنّ كون أولاد اسماعيل أصحاب النبل في سالف الزمان غير محتاج إلى البيان ، وكان هذا الأمر مرغوباً له ، وكان يقول : « ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو[2] بأسهمه »[3]. ويقول : « ارموا بني إسماعيل فإنّ أباكم كان رامياً »[4]. ويقول عليه السلام : « مَن تعلّم الرمي ثم تركه فليس منّا »[5].

وأما العاشر : فلأنّ الناس دخلوا أفواجاً أفواجاً في دين الله في مدة حياته .

وأما الحادي عشر : فمشهور يعترف به المعاندون أيضاً كما عرفت في المسلك الثاني .

وأما الثاني عشر : فقد صارت بنات الملوك والأمراء خادمة للمسلمين في

= مكان جبلي ، وفيه وادٍ بين مكة والطائف ، جرت فيه معركة حنين سنة ٨هـ/٦٢٩م بعد فتح مكة بأيام قلائل . (معجم البلدان ٢/٣١٣ ، والقاموس الإسلامي ٢/١٧٣) .

(١) وانظر حدائق الأنوار ١/٢٦٦ و٢/٦٨٣ .

(٢) في حاشية ق : أي يشتغل . اهـ .

(٣) انظر صحيح مسلم ١٣/٦٤ في فضل الرمي من كتاب الإمارة ، وسنن الترمذي ١١/٢١٤ في تفسير سورة الأنفال من أبواب التفسير ، ومسند أحمد ٤/١٥٧ .

(٤) انظر فتح الباري ٦/٩١ باب ٧٨ من كتاب الجهاد حديث ٢٨٩٩ ، و٦/٤١٣ باب ١٢ من كتاب الأنبياء حديث ٣٣٧٣ ، و٦/٥٣٧ باب ٤ من كتاب المناقب حديث ٣٥٠٧ ، وسنن ابن ماجه ٢/١٣٩ باب ١٩ من أبواب الجهاد حديث ٢٨٤٢ ، ومسند أحمد ١/٣٦٤ ، و٤/٥٠ .

(٥) انظر صحيح مسلم ١٣/٦٥ في فضل الرمي من كتاب الإمارة ، وسنن أبي داود ٣/١٣ في باب الرمي من كتاب الجهاد حديث ٢٥١٣ ، وسنن النسائي ٦/٢٢٢ في كتاب الخيل ، وسنن ابن ماجه ٢/١٣٩ باب ١٩ من أبواب الجهاد حديث ٢٨٤١ ، وسنن الدارمي ٢/١٢٤ باب ١٤ من كتاب الجهاد حديث ٢٤١٠ .

الطبقة الأولى ، ومنها شَهْرَبَانو بنت يَزْدَجِرْد[1] كسرى فارس كانت تحت الإمام الهمام الحسين رضي الله عنه .

وأما الثالث عشر والرابع عشر : فلأنّ النجاشي ملك الحبشة ومنذر بن ساوى[2] ملك البحرين وملك عُمان[3] انقادوا وأسلموا ، وهرقل قيصر الروم أرسل إليه بهديّة ، والمقوقس ملك القبط[4] أرسل إليه ثلاث جوارٍ وغلاماً أسود وبغلة شهباء[5] وحماراً أشهب وفرساً وثياباً وغيرها .

وأما الخامس عشر : فقد وصل من أبنائه[6] الإمام الحسن رضي الله عنه إلى الخلافة ، وألوفٌ في أقاليم مختلفة من الحجاز واليمن ومصر والمغرب والشام

(١) يزدجرد : هو يزدجرد الثالث بن شهريار بن كسرى آخر ملوك الساسانيين في بلاد الفرس ملّكوه سنة ١٣هـ/٦٣٢م وعمره ٢١ سنة ، وكان كلما فتح المسلمون بلداً لجأ إلى آخر ، فقد التجأ في خلافة عمر إلى حلوان ثم إلى أصفهان ثم إلى كرمان ثم إلى خراسان ثم إلى مرو حتى قتل سنة ٣١هـ/٦٥١م ، وبمقتله انقرضت الدولة الساسانية الفارسية . (دائرة وجدي ٧/١٨٠ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٣٠٨ و٣/٥٩ وأعلام المورد ص ٩١) .

(٢) المنذر بن ساوى : هو المنذر بن ساوى بن الأخنس العبدي التميمي الدارمي ، أمير في الجاهلية والإسلام ، وكان حاكم البحرين ، كتب إليه النبي ﷺ كتاباً قبل فتح مكة وأرسله مع العلاء بن الحضرمي فأسلم ، ولم يصحّ خبر وفوده على النبي ﷺ ، واستمر المنذر في حكم البحرين إلى أن توفي سنة ١١هـ/٦٣٣م بعد وفاة النبي ﷺ بقليل . (الإصابة ٣/٤٥٩ ، والأعلام ٧/٢٩٣ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٥٧٦ و٦٠٧ ، والوفا ٢/٤٧٤) .

(٣) ملك عمان : هو جيفر بن الجلندي ، وقد أرسل الرسول ﷺ كتابه إلى ابني الجلندي الأزديين جيفر وأخيه عبد (عيّاد) مع عمرو بن العاص فأسلما . (انظر البداية والنهاية ٤/٣٠٤ ، والشفا ١/٢٤٨ ، والوفا ٢/٤٧٣ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٠٧) .

(٤) المقوقس : هو جريج بن مينا بن قرقب ويلقب بالمقوقس ، وكان أميراً على القبط بمصر من قِبل ملك الروم ، وقد أرسل له الرسول ﷺ كتاباً مع حاطب بن أبي بلتعة بعد رجوعه من الحديبية ، وقد أنكر ابن الأثير ذكر ابن منده له في الصحابة ، لأنّ المقوقس بقي نصرانياً وفي زمنه فتح المسلمون مصر في خلافة عمر . (الإصابة ٣/٥٣٠ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٠٧ ، والوفا ١/٨٤ و٢/٤٤١ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٤/٣٩٥ ، والبداية والنهاية ٤/٣٠٣) .

(٥) الشُّبهة : لون بياض يتخلله سواد ، فإذا غلب البياض على السواد فهو أشهب ، وهي شهباء . (لسان العرب ١/٥٠٨) .

(٦) الضمير راجع إلى النبي ﷺ .

وفارس والهند وغيرها فازوا بالسلطنة والإمارة العالية ، وإلى الآن[1] أيضاً في ديار الحجاز واليمن وغيرهما توجد الأمراء والحكام من نسله ﷺ . وسيظهر ـ إن شاء الله ـ المهدي رضي الله عنه من نسله ، ويكون خليفة الله في الأرض ، ويكون الدين كله لله في عهده الشريف .

وأما السادس عشر والسابع عشر : فلأنّه ينادي ألوف ألوف جيلاً بعد جيل في الأوقات الخمسة بصوت رفيع في أقاليم مختلفة : [أشهد أن لا إله إلاّ الله و][2] أشهد أنّ محمداً رسول الله ، ويصلّي عليه في الأوقات المذكورة غير المحصورين من المصلين ، والقراء يحفظون منشوره ، والمفسّرون يفسِّرون معاني فرقانه ، والوعّاظ يبلّغون وعظه ، والعلماء والسلاطين يصِلون إلى خدمته ويسلّمون عليه من وراء الباب ، ويمسحون وجوههم بتراب روضته[3]، ويرجون شفاعته .

ولا يصدق هذا الخبر في حق عيسى عليه السلام كما يدّعيه علماء البروتستانت ادّعاء باطلاً ، لأنّهم يدّعون أنّ الخبر المندرج في الباب الثالث والخمسين من كتاب إشعياء في حق عيسى عليه السلام ، ووقع في هذا الخبر في حقه هكذا : « ليس له منظر وجمال ورأيناه ولم يكن منظر واشتهيناه مهانا وآخر الرجال رجل الأوجاع مختبراً بالأمراض وكان مكتوماً وجهه ومرذولاً فلم نحسبه . . . . ونحن

(١) تاريخ تأليف (إظهار الحق) سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٤م .

(٢) ليست في المخطوطة ولكنها توجد في المطبوعة .

(٣) العبارة كناية عن الصلاة في الروضة الشريفة ، والروضة : اسم يطلق على جانب من الحجرة النبوية ، وتعرف كذلك بالمصلى النبوي ، واشتق اسمها من الحديث الصحيح (مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) وقد رواه البخاري في باب ٥٣ من كتاب الرقاق وباب ١٦ من كتاب الإعتصام ، وهو في فتح الباري ١١/٤٦٥ رقم ٦٥٨٨ و١٣/٣٠٤ رقم ٧٣٣٥ ، كما رواه الترمذي في المناقب ٦٧ ، والنسائي في المساجد ٧ ومالك في الموطأ في القبلة ١٠ و١١ ، وأحمد في عدة مواضع من مسنده) .

حسبناه كأبرص ومضروباً من الله ومخضوعاً . . . والربّ شاء أن يسحقه »[1].

وهذه الأوصاف ضد الأوصاف التي في الزبور المذكور ، فلا يصدق عليه[2] كونه حسيناً ، [ولا كونه فصيحاً بل كان كلامه بالبساطة][3]، ولا كونه قويّـاً ، وكذا لا يصدق عليه كونه متقلّداً بالسيف ، ولا كون نبله مسنونة [بل لـمّا سلّ بطرس الحواري السيف قال له : « اجعل سيفك في الغمد » كما هو مصرّح به في الباب الثامن عشر من إنجيل يوحنا][4]، ولا انقياد الأغنياء ، ولا إرسالهم إليه الهدايا بل هم على زعم النصارى أخذوه وأهانوه واستهزؤوا به وضربوه بالسياط ثم صلبوه ، وما كان له زوجة ولا ابن ، فلا يصدق دخول بنات الملوك في بيته ، ولا كون أبنائه بدل آبائه رؤساء الأرض .

(فائدة) : ترجمة الآية الثامنة[5] التي نقلتها مطابقة للترجمة الفارسية للزبور التي كانت عندي ولتراجم أردو للزبور ، وموافقة لنقل مقدسهم بولس لأنّه نقل هذه الآية في الباب الأول من الرسالة العبرانية هكذا (ترجمة عربية سنة ١٨٢١م وسنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م): « أحببت البر وأبغضت الإثم لذلك مسحك الله إلهك بدهن الفرح أفضل من أصحابك » .

والتراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦م وسنة ١٨٢٨م وسنة ١٨٤١م ، وتراجم أردو المطبوعة سنة ١٨٣٩م وسنة ١٨٤٠م وسنة ١٨٤١م مطابقة للتراجم العربية ، فالترجمة التي تكون مخالفة لما نقلت تكون غير صحيحة ويكفي لردّها إلزاماً كلام مقدسهم ، وقد عرفت في مقدمة الباب الرابع أنّ

---

(١) انظر سفر إشعياء ٥٣/٢ ـ ٤ و١٠ ، وهو نص طبعة سنة ١٨٤٤م .
(٢) أي عيسى عليه السلام .
(٣) (٤) مابين الأقواس المعقوفة ساقط من المطبوعة ولا يوجد في المقروءة ، وأخذته من المخطوطة فقط ، والعبارة المشار إليها في إنجيل يوحنا ١٨/١١ .
(٥) يقصد فقرة المزمور ٤٥/٨ .

إطلاق لفظ (الإله والرب) وأمثالهما جاء على العوام فضلاً عن الخواص ، والآية السادسة من الزبور الثاني والثمانين هكذا : « أنا قلت إنكم آلهة وبنو العليّ كلكم » .

فلا يَرِد ما قال صاحب مفتاح الأسرار : « إنّه وقع في الآية المذكورة هكذا : (أحببت البرّ وأبغضت الشرّ من أجل ذلك يا الله مسح إلهك بدهن البهجة أفضل من رفقائك) ولا يقال لشخص غير المسيح يا الله مسح إلهك »؛ الخ ؛ لأنّا لا نسلّم **أولاً** : صحة ترجمته لكونها مخالفة لكلام مقدسهم . **وثانياً** : لو قطعنا النظر عن عدم صحتها **أقول** : ادعاؤه صريح البطلان ؛ لأن لفظ : (الله) ههنا بالمعنى المجازي لا الحقيقي ، ويدل عليه قوله : « إلهك » ؛ لأنّ الإله الحقيقي لا إله له ، فإذا كان بالمعنى المجازي يصدق في حق محمد ﷺ كما يصدق في حق عيسى عليه السلام .

البشارة السابعة : في الزبور المائة والتاسع والأربعين هكذا : « ١ ـــ سبحوا الربّ سبحاً جديداً تسبحته في مجمع الأبرار (٢) فليفرح إسرائيل بخالقه وبنو صهيون يبتهجون بملكهم (٣) فليسبحوا اسمه بالمصاف بالطبل والمزمار يرتلوا له (٤) لأنّ الربّ يُسَرّ بشعبه ويشرّف الودعا بالخلاص (٥) تفتخر الأبرار بالمجد ويبتهجون على مضاجعهم (٦) ترفيع الله في حلوقهم وسيوف ذات فمين في أياديهم (٧) ليصنعوا انتقاماً في الأمم وتوبيخات في الشعوب (٨) ليقيّدوا ملوكهم بالقيود وأشرافهم بأغلال من حديد (٩) ليصنعوا بهم حُكْماً مكتوباً . هذا المجد يكون لجميع أبراره »[1].

---

(١) وفيما يلي نصّ الفقرات ٦ و٧ و٨ و٩ من هذه البشارة من طبعة سنة ١٨٦٥م : « ٦ ـ تنويهات الله في أفواههم وسيف ذو حدّيْن في يدهم (٧) ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب (٨) لأسْر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد (٩) ليجروا بهم الحكم المكتوب كرامة هذا الجميع اتقيائه . هللويا » .

ففي هذا الزبور عبّر عن المبشّر به بالملك ، وعن مطيعيه بالأبرار ، وذكر من أوصافهم افتخارهم بالمجد وترفيع الله في حلوقهم ، وكون سيوف ذات فمين في أياديهم ، وانتقامهم من الأمم ، وتوبيخاتهم للشعوب ، وأسرهم الملوك والأشراف بالقيود والأغلال من حديد .

فأقول : المبشّر به محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، وتصدق جميع الأوصاف المذكورة في هذا الزبور عليه وعلى أصحابه ، وليس المبشر به سليمان عليه السلام ؛ لأنّه ما وسّع مملكته على مملكة أبيه على زعم أهل الكتاب ؛ ولأنّه صار مرتداً عابد الأصنام في آخر عمره على زعمهم ، ولا عيسى بن مريم عليهما السلام ؛ لأنّه بمراحل[1] عن الأوصاف المذكورة فيه ؛ لأنّه أُسر ثم قُتِل على زعمهم ، وكذا أُسر أكثر حوارييه بالقيود والأغلال ، ثم قُتِلوا بأيدي الملوك والأشراف الكفار .

البشارة الثامنة : في الباب الثاني والأربعين من كتاب إشعياء هكذا : « ٩ ــ التي قد كانت أوّلاها قد أتت وأنا مخبر أيضاً بالأحداث قبل أن تحدث وأسمعكم إياها (١٠) سبّحوا للربّ تسبيحة جديدة حمده من أقاصي الأرض راكبين في البحر وملؤه الجزائر وسكانهن (١١) يرتفع البرية ومدنها في البيوت تحلّ قيدار[2] سبحوا يا سكان الكهف من رؤوس الجبال يصيحون (١٢) يجعلون للربّ كرامة وحمده يخبرون به في الجزائر (١٣) الرب كجبار يخرج مثل

---

(١) أي بعيد مراحل كثيرة عن انطباق الأوصاف المذكورة عليه .

(٢) في حاشية ق : من أولاد إسماعيل جدّ النبي ﷺ . اهـ . وقَيْدار : هو الولد الثاني لإسماعيل وأشهر أولاده ، وقد ملّكه أخواله على الحجاز ، وكانت بلادهم أيضاً تسمى بلاد قيدار ، وكانوا بارعين في الحرب ماهرين في الرمي بالقوس ، ويظن البعض أن الملك قيدار امتدت سلطنته من شرق الأردن إلى حدود مصر ، ومن نسل قيدار عدنان ومن نسلهما النبي ﷺ . (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥١ ، ودائرة وجدي ٦/٢٤٥) .

رجل مقاتل يهوش الغيرة يصوّت ويصيح على أعدائه يتقوى (١٤) سكتّ دائماً صمتّ صبرت صبراً فأتكلم مثل الطالقة أبدد وأبتلع معاً (١٥) أخرّب الجبال والآكام وكل نباتهنّ أجفّف وأجعل الأنهار جزائر والبحيرات أجفّفهنّ (١٦) وأقيد العمي في طريق لم يعرفوها والسبل لم يعلموا أسيّرهم فيها أصيّر أمامهم الظلمة نوراً والعقب سهلاً هذا الكلام صنعته لهم ولا أخذلهم (١٧) اندبروا إلى ورائهم فليخزوا خزيا المتوكلون على المنحوتة القائلون للمسبوكة إنْ أنتم آلهتنا »[١].

والآية السابعة عشرة في الترجمة الفارسية هكذا : « كسانيكه برشكل تراشيده توكل دار ند هزيمت وبشيماني تمام خواهند يافت » .

وظهر من الآية التاسعة أنّ إشعياء عليه السلام أخبر أوّلاً : عن بعض الأشياء ، ثم يخبر عن الأخبار الجديدة الآتية في المستقبل ، فالحال الذي يخبر عنه هذه الآية إلى آخر الباب غير الحال الذي أخبر عنه قبلها ، ولذلك قال في الآية الثالثة والعشرين هكذا : « مَن هو بينكم أن يسمع هذا يصغي ويسمع الآتية »[٢].

---

(١) نص بشارة سفر إشعياء ٤٢/٩-١٧ في طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي : « ٩ ـ هوذا الأوليّات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها قبل أن تنبت أعلمكم بها (١٠) غنوا للرب أغنيّة جديدة تسبيحه من أقصى الأرض . أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها (١١) لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار . لتترنم سكان سالع . من رؤوس الجبال ليهتفوا (١٢) ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر (١٣) الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيْرته يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه (١٤) قد صمت منذ الدهر سكت تجلدت كالوالدة أصيح أنفخ وأنخر معا (١٥) أخرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعل الأنهار يبساً وأنشف الأجام (١٦) وأسير العمي في طريق لم يعرفوها في مسالك لم يدروها أمشّيهم . أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجات مستقيمة . هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم (١٧) قد ارتدوا إلى الوراء يخزى خزياً المتكلون على المنحوتات القائلين للمسبوكات أنتن آلهتنا » .

(٢) وفي طبعة سنة ١٨٦٥م فقرة سفر إشعياء ٤٢/٢٣ « مَن منكم يسمع هذا يصغى ويسمع لما بعد » .

والتسبيحة الجديدة عبارة عن العبادة على النهج الجديد التي هي في الشريعة المحمدية ، وتعميمها على سكان أقاصي الأرض وأهل الجزائر وأهل المدن والبراري إشارة إلى عموم نبوته ﷺ ، ولفظ « قيدار » أقوى إشارة إليه ؛ لأنّ محمداً ﷺ في أولاد قيدار بن إسماعيل .

وقوله : « من رؤوس الجبال يصيحون » إشارة إلى العبادة المخصوصة التي تؤدّى في أيام الحج ؛ يصيح ألوف ألوف من الناس بـ (لبيك اللهم لبيك) .

وقوله : « حمده يخبرون به في الجزائر » إشارة إلى الأذان يخبر به ألوف ألوف في أقطار العالم في الأوقات الخمسة بالجهر .

وقوله : « الرب كجبار يخرج مثل رجل مقاتل يهوش الغيرة » يشير إلى مضمون الجهاد إشارة حسنة بأنّ جهاده وجهاد تابعيه يكون لله وبأمره خالياً عن حظوظ الهوى النفسانية ، ولذلك عبّر الله عن خروج هذا النبي وخروج تابعيه بخروجه .

وبيّن في الآية الرابعة عشرة سبب مشروعية الجهاد . وأشار في الآية السادسة عشر إلى حال العرب لأنّهم كانوا غير واقفين على أحكام الله ، وكانوا يعبدون الأصنام ، وكانوا مبتلَين بأنواع الرسوم القبيحة الجاهلية كما قال الله تعالى في حقهم : ﴿**وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾[1].

وقوله : « ولا أخذلهم » إشارة إلى كون أمته أمة مرحومة ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾[2]، وإلى تأييد شريعته .

وقوله : « فليخزوا خزيا المتوكلون على المنحوته القائلون للمسبوكة إن أنتم آلهتنا » وعْـدٌ بأنّ عابدي الأصنام والأوثان كمشركي العرب وعابدي الصليب

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٤ ، وسورة الجمعة آية ٢ .
(٢) سورة الفاتحة آية ٧ .

وصور القدّيسين يحصل لهم الخزي والهزيمة التامة ، ووفّى بما وعد ؛ فإنّ مشركي العرب وهرقل عظيم الروم وكسرى فارس ما قصّروا في إطفاء النور الأحمدي ، لكنّهم ما حصل لهم سوى الخزي التامّ ، وعاقبة الأمر لم يبق أثر الشرك في إقليم العرب ، وزالت دولة كسرى مطلقاً ، وزالت حكومة أهل الصليب من الشام مطلقاً ، وأمّا في الأقاليم الأخر فمن بعضها امحى أثره مطلقاً كبخارى[1] وكابل[2] وغيرهما ، ومن بعضها قلّ كالهند والسند[3] وغيرهما ، وانتشر التوحيد شرقاً وغرباً .

البشارة التاسعة : في الباب الرابع والخمسين من كتاب إشعياء هكذا :

« ١ ـ سبّحي أيتها العاقر التي لست تلدين أنشدي بالحمد وهلّلي التي لم تلدي

---

(١) بخارى : من أكبر مدن ما وراء النهر في تركستان ، فُتحت في خلافة معاوية سنة ٥٤هـ/٦٧٤م ، ثم صارت إحدى المراكز العلمية الكبرى في آسيا الوسطى ، وإليها ينسب إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري ، وهي عاصمة إمارة بخارى الواقعة على حدود أفغانستان الشمالية ، وهذه الإمارة صارت إحدى الجمهوريات السوفياتية بعد الثورة البلشفية ، وقسمت أراضيها سنة ١٩٢٤م بين جمهوريات أوزبكستان وطاجسكتان وتركمانستان ، وأما مدينة بخارى نفسها فهي الآن تابعة لجمهورية أوزبكستان .

(معجم البلدان ١/٣٥٣ ، والقاموس الإسلامي ١/٢٨١ والموسوعة ص ٣٣١ ودائرة وجدي ٢/٥٤) .

(٢) كابل : مدينة في خراسان فتحها المسلمون في أيام مروان بن الحكم رابع خلفاء بني أمية ، وقد اتخذها الامبراطور المغولي ظهير الدين محمد بابر قاعدة ملكه سنة ١٥٠٤ ـ ١٥١٩م ، ومنها انطلق لتأسيس الامبراطورية الإسلامية في قلب الهند ، وهي الآن عاصمة أفغانستان وتقع في شمالها الشرقي .

(معجم البلدان ٤/٤٢٦ ، والقاموس الإسلامي ١/١٤٤ ، والموسوعة الميسرة ص ١٤١٤ ، ودائرة وجدي ٨/٤) .

(٣) السند : بلاد محيطة بنهر السند تحدّها الهند من الجنوب الشرقي ، وتحدّها أفغانستان من الشمال الغربي ، ويمرّ فيها نهر السند (الأندوس) الذي ينبع من جبال الهملايا غربي التبت ويمرّ في كشمير وباكستان الغربية ثم يصب في بحر العرب ، وقد تعددت الحملات لفتح السند وأشهرها الحملة التي قادها محمد بن القاسم الثقفي بن أخي الحجاج سنة ٨٩هـ/٧٠٧م (معجم البلدان ٣/٢٦٧ ، والقاموس الإسلامي ٣/٥١٦ ، والموسوعة الميسرة ص ١٠٢٢) .

من أجل أنّ كثير هم بنـو الوحشة أفضل من بين ذات رجل يقول الرب (٢) أوسعي موضع خيمتكِ وسرادق مضاربكِ ابسطي لا تشفقي طوّلي حبالكِ وثبّتي أوتادكِ (٣) لأنكِ تنفذين يمنة ويسرة وزرعكِ يرث الأمم ويعمر المدن الخربة (٤) لا تخافي لأنّكِ لا تخزين ولا تخجلين فإنك لا تستحيين من أجل أنكِ خزي صبائكِ تنساه وعار ترمّلكِ لا تذكرين أيضاً (٥) فإنْ يولى عليك الذي صنعك رب الجنود اسمه وفاديكِ قدّوس إسرائيل إلاه جميع الأرض يُدعى (٦) إنما الربّ دعاكِ مثل الامرأة المطلقة والحزينة الروح وزوجة منذ الصباء مرذولة قال إلاهكِ (٧) لساعة في قليل تركتك وبرحمات عظيمة أجمعكِ (٨) في ساعة الغضب أخفيت قليلاً وجهي عنكِ وبالرحمة الأبدية رحمتكِ قال فاديكِ الربّ (٩) مثلما في أيام نوح لي هذا الذي حلفت له ألاّ أصبّ أيضاً مياه نوح على الأرض هكذا حلفت أن لا أغضب عليكِ وأن لا أوبّخكِ[1] (١٠) فإنّ الجبال ترتجف والتلال تتزلزل ورحمتي لا تزول عنكِ وعهد سلامي لا يتحرك قال رحيمكِ الربّ (١١) فقيرة مستأصلة بعاصف بلا تعزية ها أنذا أبلّط بالرتبة حجارتكِ وأؤسسكِ بالسفير (١٢) وأجعل يسبا محاصنكِ وأبوابكِ حجارة منقوشة وجميع حدودك لأحجار مشتهية (١٣) جميع بنيكِ متعلّمين من الربّ وكثرة السلام لبنيكِ (١٤) وبالبرّ تؤسَّسين فابتعدي من الظلم لأنك لا تخافين ومن الهيبة لأنها لا تقرب منكِ (١٥) ها يأتي الجار الذي لم يكن معي والذي كان غريباً يقترب إليكِ (١٦) ها أنذا خلقت صائغاً[2] الذي ينفخ في النار جمراً ويُخرج إناء لعَمَلِه وأنا خلقت قَتولا للإهلك (١٧) كلّ إناء مجبول ضدّكِ لا ينجح وكل لسان يخالفكِ في القضاء تحكمين عليه هذا هو ميراث عبيد الرب وعَدْلهم

(١) في حاشية ق : أي كما لا يعود الطوفان بعد طوفان نوح كذلك أنت . اهـ .
(٢) في حاشية ق : أي سيدنا محمد ﷺ . اهـ .

عندي يقول الرب »[1].

فأقول : المراد بـ « العاقر » في الآية الأولى مكة المعظمة ؛ لأنها لم يظهر فيها نبي بعد إسماعيل عليه السلام ، ولم ينزل فيها وحي بخلاف أورشليم ؛ لأنّه ظهر فيها الأنبياء الكثيرون ، وكثر فيها نزول الوحي .

و « بنو الوحشة » عبارة عن أولاد هاجر ؛ لأنّها كانت بمنزلة المطلّقة المخرجة من البيت ساكنة في البر ، ولذلك وقع - في حق إسماعيل - في وعد الله هاجر : « هذا سيكون إنساناً وحشياً » كما هو مصرح به في الباب السادس عشر من سفر التكوين[2].

---

(١) نصّ بشارة سفر إشعياء ٥٤/١ - ١٧ في طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي :

« ١ ــ ترنمي أيتها العاقر التي لم تلدي أشيدي بالترنّم أيتها التي لم تمخض لأنّ بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب (٢) أوسعي مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك ، لا تمسكي أطيلي أطنابك وشدّدي أوتادك (٣) لأنكِ تمتدّين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلكِ أمماً ويعمر مدناً خربة (٤) لا تخافي لأنك لا تخزين ولا تخجلي لأنكِ لا تستحين فإنكِ تنسين خزي صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد (٥) لأنّ بعلكِ هو صانعكِ ربّ الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل إله كلّ الأرض يدعى (٦) لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاكِ الرب وكزوجة الصبا إذا رذلت قال الهكِ (٧) لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعكِ (٨) بفيضان الغضب حجبت وجهي عنكِ لحظة وبإحسان أبدي أرحمكِ قال وليكِ الرب (٩) لأنه كمياه نوح هذه لي . كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك (١٠) فإنّ الجبال تزول والآكام تتزعزع أمّا إحساني فلا يزول عنكِ وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمكِ الرب (١١) أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية ها أنذا ابني بالاثمدْ حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك (١٢) وأجعل شُرفكِ ياقوتاً وأبوابكِ حجارة بهرمانية وكل تخومكِ حجارة كريمة (١٣) وكل بنيكِ تلاميذ الرب وسلام بينكِ كثيراً (١٤) بالبرّ تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منكِ (١٥) ها إنهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندي . مَن اجتمع عليكِ فإليكِ يسقط (١٦) ها أنذا قد خلقت الحداد الذي ينفخ الفحم في النار ويخرج آلة لعمله وأنا خلقت المهلك ليخرب (١٧) كل آلة صُوّرت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه هذا هو ميراث عبيد الرب وبرّهم من عندي يقول الرب » .

(٢) ففي سفر التكوين ١٦/١١ - ١٢ « ١١ ــ وقال لها ملاك الرب ها أنتِ حبلى فتلدين ابناً وتدْعين اسمه إسماعيل لأنّ الرب قد سمع لمذلتك (١٢) وانه يكون إنساناً وحشياً » .

و « بنو ذات رجل » عبارة عن أولاد سارا . فخاطب الله مكة آمراً لها بالتسبيح والتهليل وإنشاد الشكر ؛ لأجل أنّ كثيرين من أولاد هاجر صاروا أفضل من أولاد سارا ، فحصلت الفضيلة لها بسبب حصول الفضيلة لأهلها ، ووفّى بما وعد بأن بعث محمداً ﷺ ـ رسولاً أفضل البشر خاتم النبيين ـ من أهلها في أولاد هاجر ، وهو المراد بـ « الصائغ الذي ينفخ في النار جمراً » ، وهو القَتول الذى خُلق لإهلاك المشركين .

وحصل لها الوسعة بواسطة هذا النبي ما حصل لغيرها من المعابد في الدنيا ، إذْ لا يوجد في الدنيا معبد مثل الكعبة[1] من ظهور محمد ﷺ إلى هذا الحين ، والتعظيم الذي يحصل لها من القرابين في كل سنة من مدة ألف ومائتين وثمانين لم يحصل لبيت المقدس إلّا مرتين : مرة في عهد سليمان عليه السلام لما فرغ من بنائه ، ومرة في السنة الثامنة عشرة من سلطنة يوشيا . ويبقى هذا التعظيم لمكة إلى آخر الدهر ـ إن شاء الله ـ كما وعد الله بقوله : « لا تخافي لأنّك لا تخزين ولا تخجلين فإنك لا تستحيين » ، وبقوله : « برحمات عظيمة أجمعك . . . . وبالرحمة الأبدية رحمتكِ » ، وبقوله : « حلفت أن لا أغضب عليكِ وأن لا أوبخكِ » ، وبقوله : « رحمتي لا تزول عنك وعهد سلامي لا يتحرك » .

وملَك زرعُها شرقاً وغرباً ، وورثوا الأمم ، وعمروا المدن في مدة قليلة لا تتجاوز اثنتين وعشرين سنة من الهجرة[2]، ومثل هذه الغلبة في مثل هذه

---

(١) الكعبة لغة : البيت المربع ، وأُطلقت على البيت الحرام لارتفاعها وتكعيبها أي تربيعها ، فطول ضلعها الذي فيه الميزاب والذي يقابله (١٠) أمتار ، وطول ضلعها الذي فيه الباب والذي يقابله (١٢) متراً ، وتسمّى البيت ، والبيت العتيق ، والبيت الحرام وهي قبلة المسلمين ، ويقال بأنها سُرّة الأرض .

(معجم البلدان ٤/٤٦٣ ، ولسان العرب ١/٧١٨ ، والموسوعة الميسرة ص ١٤٦٥ ، ودائرة وجدي ٨/١٤٢ ـ ١٥٣) .

(٢) من حوادث سنة ٢٢هـ فتح همذان وقزوين والري وجرجان وطبرستان وأذربيجان وشهرزور وطرابلس الغرب وبرقة . (انظر كتاب الكامل لابن الأثير ٣/١٠ ـ ١٩) .

المدة القليلة لم يسمع من عهد آدم عليه السلام إلى زمان محمد ﷺ لمن يدّعي الدين الجديد ، وهذا مفاد قول الله : « وزرعكِ يرث الأمم ويعمر المدن الخربة » ، وسلاطين الإسلام سلفاً وخلفاً اجتهدوا اجتهاداً تامّـاً في بناء الكعبة والمسجد الحرام وتزيينها ، وحفر الآبار والبِرك والعيون في مكة ونواحيها ، ومن المدة الممتدة هذه الخدمة الجليلة متعلقة بسلاطين آل عثمان[1] - غفر الله لأسلافهم ، ورضي الله عنهم ، وزاد الله إقبال أخلافهم ، ووسع مملكتهم في الجهات ، ووفقهم للعدل والحسنات - فهم خدموا ويخدمون الحرمين المعظمين - أدام الله شرفهما - من هذه المدة إلى هذا الحين كما هي حتى صار لقب خادم الحرمين الشريفين عندهم أشرف الألقاب وأعزها ، والغرباء يحبّون مجاورتها من ظهور الإسلام إلى هذا الحين سيما في هذا الزمان ، وألوف من الناس يَصِلون إليها في كل سنة من أقاليم مختلفة وديار بعيدة .

ووفّى بما وعد بقوله : « كل إناء مجبول ضدّكِ لا ينجح » ؛ لأنّ كل شخص من المخالف قام بضدها أذلّه الله كما وقع بأصحاب الفيل : روي أنّ أبرهة بن الصباح الأشرم[2] ملك اليمن من قِبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء[3]

---

(١) سلاطين آل عثمان : ينتسبون إلى عثمان الأوّل بن أرطغرل أحد أمراء التركمان التابعين للأتراك السلاجقة ، وهو مؤسس الامبراطورية العثمانية التي عاشت ٦٢٣ سنة وحكمها ٤٠ حاكماً ، وقد التقى الشيخ رحمت الله في زياراته لتركيا باثنين منهم هما السلطان عبدالعزيز والسلطان عبدالحميد الثاني ، وكان إلغاء الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٣م . (القاموس الإسلامي ٥/ ٢٠ و ١٠٨ و ١٤٤ و ٢٠١ و ٢٧٦ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٨٠ - ١١٨٧ ، ودائرة وجدي ٢/ ٥٤٦)

(٢) أبرهة بن الصباح الأشرم : كان جندياً في جيش أرياط القائد الحبشي الذي كان والياً على اليمن من قِبل النجاشي ، ثم قَتل أبرهةُ القائدَ أرياط واستقلّ بحكم اليمن سنة ٥٣١م ، فأقرّه النجاشي ، قام بحملته المشهورة لهدم الكعبة سنة ٥٧٠م ، فدمّره الله بالطير الأبابيل كما في سورة الفيل. (دلائل النبوة للأصبهاني ١/ ١٧٨ - ١٨٩ الأحاديث رقم ٨٤ - ٨٨ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٧ - ٦٩ ، والقاموس الإسلامي ١/ ٩ ، والموسوعة الميسرة ص ٦ ، ودائرة وجدي ١/ ١٨ ، وانظر تفسير سورة الفيل في جميع التفاسير) .

(٣) صنعاء : من أقدم مدن العالم وأجملها ، وهي الآن عاصمة اليمن الشمالي ، واسمها=

وسماها القليس[1]، وأراد أن يصرف إليها الحاجّ ، وحلف أن يهدم الكعبة ، فخرج بالحبشة[2]، ومعه فيل له اسمه محمود ـ وكان قويّـاً عظيماً ـ وأفيال أخرى، فخرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة[3] ليرجع، فأبى ، وعبّـأ جيشه ، وقدّم الفيل ، فكانوا كلّما وجّهوه إلى الحرم برك ولم يبرح . وإذه وجّهوه إلى اليمن أو إلى غيرها من الجهات هرول ، فأرسل الله طيراً مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر

= القديم (أزال) ، ولكن الحبشة لـمّا دخلوها ورأوها حصينة سمّوها صنعاء ومعناه حصينة ، وقيل أخذ اسمها من جودة الصنعة في ذاتها ، والنسبة إليها صنعاني على غير قياس ، وهي شمالي عدن وجنوب نجران ، وترتفع عن سطح البحر ٢٣٥٠ متراً ، وشرقي البحر الأحمر بحوالي ١٥٠ كم . (معجم البلدان ٣/٤٢٥ ، والقاموس الإسلامي ٤/٣٤٢ ، الموسوعة الميسرة ١١٣٣ ، ودائرة وجدي ٥/٥٨٠) .

(١) القليس (القلّيس) : تصغير قلس ، وهو الحبل يعمل من ليف النخل أو خوصه ، وهو اسم الكنيسة التي بناها أبرهة بن الصباح الحبشي بصنعاء في اليمن في القرن السادس الميلادي ليصرف حجّ العرب إليها ، وسميت القليس لارتفاعها وعلو بنائها ومنه القلانس لأنها على الرؤوس ، ولما أتمّ بناءها كتب إلى النجاشي يخبره بنيّته فيها ، فسمع بذلك عربي من النّسَأة أحد بني فقَيْم بن عدي بن عامر ، فخرج الفقيمي حتى أتى القليس وقعد فيها ولطخ جدرانها بالقاذورات ، فغضب أبرهة لهذا الفعل وسار ليهدم الكعبة ، فكانت قصة أصحاب الفيل . (معجم البلدان ٤/٣٩٤ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١/٤٣ ، والموسوعة الميسرة ص ١٣٩٣ ، ولسان العرب ٦/١٨٠) .

(٢) في حاشية ق : أي بعسكر الحبشة . اهـ .

(٣) تِهَامة : مأخوذة لغة من التَّهَم وهو شدة الحرّ وركود الريح ، وسُمّيت تهامة لشدة حرّها وركود ريحها ، وهي المنطقة المسايرة للبحر الأحمر من الشرق الواقعة غربي سلسلة جبال السّراة ، وهي شريط ساحلي يمتد من خليج العقبة شمالاً إلى مضيق باب المندب (عدن) في جنوب الجزيرة ، ويعرف بالغور ويختلف اتساع هذا الشريط فهو ضيق في الشمال ويزداد اتساعاً كلما اتجهنا إلى الجنوب ، وقد يقال للتمييز تهامة الحجاز (وهي المقصودة هنا) ، وتهامة عسير وتهامة اليمن ، وعلى هذا تكون جميع المدن الساحلية في السعودية واليمن تهامية ، وبعضهم أدخل مكة نفسها ضمن تهامة ، ولذلك يسمى الرسول ﷺ التهامي لأنّه من أهل مكة . (معجم البلدان ٢/٦٣ ، والقاموس الإسلامي ١/٥٠٣ ، والموسوعة الميسرة ص ٥٥٢ ، ودائرة وجدي ٦/٢٢٨ ، والمعجم الوسيط ص ٩٠) .

من الحمصة ، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره ، وعلى كل حجر اسم مَن يقع عليه ، ففرّوا ، وهلكوا في كل طريق ومنهل[1]، ودَوِيَ[2] أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه[3]، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ، وانفلت وزيره أبو يكسوم[4] وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي ، فقصّ عليه القصة ، فلما أتمّها وقع عليه الحجر ، فخّر ميتاً بين يديه ، وقد أخبر الله عن حال هؤلاء في سورة الفيل .

وبحسب الوعد المذكور لا يدخل الأعور الدجال مكة ، ويرجع خائباً كما جاء في الأحايث الصحيحة .

البشارة العاشرة : في الباب الخامس والستين من كتاب إشعياء هكذا : « ١ ـ طلبوني[5] الذين لم يسألوني قبلا ووجدوني الذين لم يطلبوني قلت ها أنذا إلى الأمّة الذين لم يدعوا باسمي (٢) بسطتّ يديّ طول النهار إلى شعب غير مؤمن[6] الذي يسلك بطريق غير صالح وراء أفكارهم (٣) الشعب الذي يغضبني أمام وجهي دائماً الذين يذبحون في البساتين ويذبحون على اللَّبِن (٤) الذين يسكنون في القبور وفي مساجد الأوثان يرقدون الذين يأكلون لحم

---

(١) المنهل : المشرب والمورد إذا كان على الطريق ، وما كان على غير الطريق لا يدعى منهلاً إلا مضافاً للقوم أو المكان ، والمنازل التي في المفاوز على طريق السفار مناهل؛ لأنّ فيها ماء . (لسان العرب ١١/٦٨١) .

(٢) في حاشية ق : دَوَى بالقصر بمعنى مَرَض . اهـ . ويقال : دَوِي : إذا هلك بمرض باطن . (لسان العرب ١٤/٢٧٩ والمعجم الوسيط ص ٣٠٥) .

(٣) الأنامل : جمع أنملة وهو المفصل الأعلى الذي فيه الظفر من الأصبع ، والجمع أنامل وأنملات وهي رؤوس الأصابع ، والآراب : مفردها الإرْب وهو العضو ، ويقال أرِبَ الرجل : إذا تساقطت أعضاؤه . (انظر لسان العرب ١/٢١٠ و١١/٦٧٩) .

(٤) وكان أبرهة نفسه يكنّى بأبي يكسوم باسم ابنه الأكبر الذي خلفه على اليمن .

(٥) في حاشية ق : هم العرب . اهـ .

(٦) في حاشية ق : اليهود والنصارى . اهـ .

الخنزير[١] والمرق المنجس في آنيتهم (٥) الذين يقولون ابعد عني لا تقرب مني لأنك نجس هؤلاء يكونون دخاناً في رجزي ناراً متّقدة طول النهار (٦) ها مكتوب قدّامي لا أسكت بل أردّ وأكافي جزاء في حضنهم »[٢].

فالمراد بـ « الذين لم يسألوني » و « الذين لم يطلبوني » العرب ؛ لأنّهم كانوا غير واقفين على ذات الله وصفاته وشرائعه ، فما كانوا سائلين عن الله وطالبين له ، كما قال الله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ **لقد منّ الله على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإنْ كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾[٣]، ولا يجوز أن يُراد بهم اليونانيون[٤] كما عرفت في البشارة الثانية ، والوصف المذكور في الآية الثانية والثالثة يصدق على كل واحد من اليهود والنصارى ، والأوصاف المذكورة في الآية الرابعة

---

(١) في حاشية ق : النصارى . اهـ .

(٢) نص بشارة سفر إشعياء ٦٥/١ ـ ٦ في طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي : (١ ـ أصغيتُ إلى الذين لم يسألوا . وُجدت من الذين لم يطلبوني . قلت هأنذا هأنذا لأمّة لم تسمّ باسمي (٢) بسطت يديّ طول النهار إلى شعب متمرد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره (٣) شعب يغيظني بوجهي دائماً يذبح في الجنّات ويبخر على الآجر (٤) يجلس في القبور ويبيت في المدافن يأكل لحم الخنزير وفي آنيته مرق لحوم نجسة (٥) يقول قف عندك لا تدن مني لأني أقدس منك هؤلاء دخان في أنفي نار متقدة كل النهار (٦) ها قد كتب أمامي « لا أسكت بل أجازي أجازي في حضنهم »).

(٣) سورة آل عمران آية ١٦٤ .

(٤) اليونانيون : هم سكان بلاد اليونان ، واسمها الاغريقي القديم هيلاس أو آلاس ، وهي شبه جزيرة تقع في جنوب شرق أوروبا ، في القسم الشمالي الشرقي من حوض البحر الأبيض المتوسط ، وجوانبها مرصعة بالجزر الصغيرة ، ويفصلها بحر إيجه عن غرب تركيا (آسيا الصغرى) ، ويفصلها البحر الأيوني (اليوناني) عن إيطاليا ، وتحدّها بلغاريا ويوغسلافيا من الشمال ، وتحدّها البانيا من الشمال الشرقي ، واليونان تشكل الجزء الجنوبي من بلاد البلقان ، وعاصمتها أثينا ، وكان أهلها وثنيون ، وانتشرت فيهم أنواع المعارف والعلوم ، ثم دخلوا في النصرانية على المذهب الأرثوذكسي ، وكان اليونانيون القدماء يسمّون أنفسهم بالهلينيّين ، ولغتهم هي الإغريقية القديمة (الهيلينية) ، وتنتمي إلى الهندو أروبية . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٢ وص ١١٢٨ ، والموسوعة الميسرة ص ١٧٥ و ١٩٩٥ ، ودائرة وجدي ١٠/١٠٤٦) .

ألصق بحال النصارى ، كما أنّ الوصف المذكور في الخامسة ألصق بحال اليهود . فردّهم الباري واختار الأمة المحمدية .

البشارة الحادية عشرة : في الباب الثاني من كتاب دانيال في حال الرؤيا التي رآها بخت نصر ملك بابل ونسي ، ثم بيّن دانيال عليه السلام بحسب الوحي تلك الرؤيا وتفسيرها : « ٣١ ـ فكنتَ أنتَ الملك ترى وإذْ تمثال واحد جسيم وكان التمثال عظيماً ورفيع القامة واقفاً قبالك ومنظره مخوفاً (٣٢) رأس هذا التمثال هو من ذهب ابريز والصّدر والذراعان من فضّة والبطن والفخذان من نحاس (٣٣) والساقان من حديد والقدمان قسمة منهما من حديد وقسمة من خزف (٣٤) فكنت ترى هكذا حتى انقطع حجر من جبل لا بيدين وضرب التمثال في قدميه من حديد ومن خزف فسحقهما (٣٥) فانسحق حينئذ معاً الحديد والخزف والنحاس والفضّة والذهب وصارت كغبار البيدر في الصيف فذرّتها الريح ولم يوجد لها مكان والحجر الذي قد ضرب التمثال صار جبلاً عظيماً وأملأ الأرض بأسرها (٣٦) فهذا هو الحلم ونبيء أيضاً قدامك يا أيها الملك بتفسيره (٣٧) أنت هو مِلِك الملوك . وإلاه السماء أعطاك الـمُلْك والقوة والسلطان والمجد (٣٨) وجميع ما يسكن فيه بنو الناس ووحوش الحقل وأعطى بيدك طيور السماء أيضاً وجعل جميع الأشياء تحت سلطانك فأنت هو الرأس من الذهب (٣٩) وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك من فضّة ومملكة ثالثة أخرى من نحاس وتتسلّط على جميع الأرض (٤٠) والمملكة الرابعة تكون مثل الحديد كما الحديد يسحق ويغلب الجميع هكذا هي تسحق وتكسر جميع هذه (٤١) أمّا فيما رأيت قسمة القدمين وأصابعهما من خزف الفاخوري وقسمة من حديد تكون المملكة مفترقة وإنْ كان يخرج من نصبة[1] الحديد حسبما رأيت الحديد

---

(١) في حاشية ق : أي في قوة الحديد . اهـ .

مختلطاً بالخزف من طين (٤٢) وأصابع القدمين قسمة من حديد وقسمة من خزف فتكون المملكة بقسمة صلبة وبقسمة مسحوقة (٤٣) فيما رأيت الحديد مختلطاً بالخزف من طين أنهم يختلطون بزرع بشري بل لا يتلاصقون مثل ما ليس بممكن أن يمتزج الحديد بالخزف (٤٤) فأمّا في أيام تلك الممالك يبعث إلاه السماء مملكة وهي لن تنقض قطّ أبديّاً ومُلْكها لا يعطى لشعب آخر وهي تسحق وتُفني جميع هذه الممالك أجمعين وهي تثبتن إلى الأبد (٤٥) وكما رأيت أنّ من جبل انقطع حجر لا بيدين وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضّة والذهب فالإله العظيم أظهر للملك ما سيأتي من بعد والحلم هو حقيقي وتفسيره . آمين »[١].

---

(١) نص بشارة سفر دانيال ٢/٣١ـ ٤٥ في طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي : « ٣١ ـ أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم . هذا التمثال العظيم البهي جداً وقف قبالتك ومنظره هائل (٣٢) رأس هذا التمثال من ذهب جيد . صدره وذراعاه من فضّة وبطنه وفخذاه من نحاس (٣٣) ساقاه من حديد . قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف (٣٤) كنت تنظر إلى أنْ قُطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما (٣٥) فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كعصافة البيدر في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان . أمّا الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها (٣٦) هذا هو الحلم فنخبر بتعبيره قدّام الملك (٣٧) أنت أيّها المِلك ملك ملوك لأن إله السماوات أعطاك مملكة واقتداراً وسلطاناً وفخراً (٣٨) وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك وسلّطك عليها جميعها فأنت هذا الرأس من ذهب (٣٩) وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض (٤٠) وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدقّ ويسحق كل شيء وكالحديد الذي يُكسِّر تسحق وتكسر كل هؤلاء (٤١) وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين (٤٢) وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قوياً والبعض قَصِماً (٤٣) وبما رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين فإنهم يختلطون بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك كما أنّ الحديد لا يختلط بالخزف (٤٤) وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتُفنِي كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد (٤٥) لأنك رأيت أنه قد قُطِع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب . الله العظيم قد عرّف المِلك ما سيأتي بعد هذا . الحلم حق وتعبيره يقين » .

فالمراد بالمملكة الأولى سلطنة بخت نصر ، وبالمملكة الثانية سلطنة المادِيّين[1] الذين تسلطوا بعد قتل بلشاصر بن بخت نصر[2] كما هو مصرح به في الباب الخامس من الكتاب المذكور[3]، وسلطنتهم كانت ضعيفة بالنسبة إلى سلطنة الكلدانيين . والمراد بالمملكة الثالثة سلطنة الكيانيين[4] لأنّ قورش ملك إيران الذي هو بزعم القسيسين كَيْخُسُرُو تسلّط على بابل قبل ميلاد المسيح بخمسمائة وست وثلاثين سنة ، ولما كان الكيانيون على السلطنة القاهرة فكأنّهم كانوا متسلّطين على جميع الأرض . والمراد بالمملكة الرابعة سلطنة اسكندر ابن فَيْلَقُوس الرومي[5] الذي تسلط على ديار فارس قبل ميلاد المسيح بثلاثمائة وثلاثين سنة ، فهذا السلطان كان في القوة بمنزلة الحديد ، ثم جعل هذا السلطان سلطنة فارس منقسمة إلى طوائف الملوك فبقيت هذه السلطنة ضعيفة

---

(١) المادِيّون : يتصلون بالفرس من ناحية الجنس واللغة والتاريخ ، وقد ظهروا كقوة كبيرة في منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، فتوسعت مملكتهم ، ثم اتحدوا مع الفرس سنة ٥٨٨ ق.م فسُمّيت المملكة مملكة مادي وفارس ، فاستطاعوا هزيمة الآشوريين والإستيلاء على بابل سنة ٥٣٩ ق.م أو ٥٣٦ ق.م فعين كورش على بابل الملك داريوس المادي نائباً عنه . (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٥ وص ٨٣٠) .

(٢) بلشاصر بن بختنصر : هو ابن بختنصر وخليفته وآخر ملوك الكلدانيين ، تولى الملك سنة ٥٥٣ ق.م ، وحكم إلى أن استولى كورش الفارسي على مدينة بابل سنة ٥٣٩ أو ٥٣٦ ق.م (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٠٨ و ٧٩٥) .

(٣) ففي سفر دانيال ٥/ ٣٠ و ٣١ مايلي : « ٣٠ ـ في تلك الليلة قتل بيلشاصر ملك الكلدانيين (٣١) فأخذ المملكة داريوس المادي وهو ابن اثنتين وستين سنة » .

(٤) الكيانيون : أي الفرس الذين منهم كورش ، وهذه هي الامبراطورية الفارسية الأولى ، وقد دامت مملكتهم إلى سنة ٣٣١ ق.م عندما انتصر الإسكندر الأكبر المقدوني على آخر ملوك الفرس دارا واستولى على جميع ممتلكاته . (دائرة وجدي ١/ ٣١٦ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٠١) .

(٥) هو الإسكندر الكبير الرومي ابن فيليب (فيليبس) الثاني المقدوني ، وكان حكمه من سنة ٣٣٦ ـ ٣٢٣ق.م ، وقد ذكر البيضاوي في تفسيره الآية ٨٣ من سورة الكهف أنه هو ذو القرنين . (انظر تفسير البيضاوي ص ٣٩٩) .

إلى ظهور الساسانيين[1] ثم صارت قوية بعد ظهورهم ، فكانت ضعيفة تارة وقوية تارة ، وفي عهد أنُو شِرْوَان[2] ولد محمد بن عبدالله ﷺ ، وأعطاه الله السلطنة الظاهرية والباطنية ، وقد تسلّط متبعوه في مدة قليلة شرقاً وغرباً على جميع ديار فارس التي كانت هذه الرؤيا وتفسيرها متعلقيْنْ بها . فهذه هي السلطنة الأبدية التي لا تنقضي ، وملكها لا يُعطى لشعب آخر ، وسيظهر كمالها عن قريب في زمان الإمام الهمام المهدي رضي الله عنه ، لكنّ الوهن والضعف يقع قبل ظهوره بمدّة قليلة كما يشاهد بعض علاماته الآن ، ثم يزول بظهوره ، ويكون الدين كله لله ، فهذا الحجر الذي انقطع لا بيدين من جبل ، وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب ، وصار جبلاً عظيماً ، وأملأ الأرض بأسرها هو محمد ﷺ .

البشارة الثانية عشرة : نقل يهوذا الحواري[3] في رسالته الخبر الذي تكلم

---

(1) الساسانيون : ينتسبون إلى ساسان جد الملك أردشير الأول الذي أسس الدولة الساسانية في بلاد فارس سنة ٢٢٦ م ، وأطلق عليها اسم جده ساسان ، وقد دامت دولة الفرس الساسانيين أكثر من أربعة قرون حكم خلالها ٣٢ ملكاً وملكة ، وكان آخرهم يزدجرد الثالث الذي تولى الحكم سنة ٦٣٢م وفي عهده كان قد بدأ أول صدام بين المسلمين والفرس ثم قتل عام ٣١هـ/٦٥١م ودخلت جميع أرجاء مملكته في الإسلام في خلافة عثمان ، وكان يعرف ملوك الدولة الساسانية بلقب الأكاسرة ومفردها كسرى . (الكامل في التاريخ ٣٠٨/٢ و٥٩/٣ ، والقاموس الإسلامي ١٨٧/٣ ، والموسوعة الميسرة ص٩٤٣ ، ودائرة وجدي ٥٩/٦ و١٧٩/٧) .

(2) أنو شروان : هو كسرى الأول بن قباذ ، أعظم ملوك آل ساسان مكانة ، وأشهر أكاسرتها بأسا ومروءة وعدلاً ، فلقب بالملك العادل ، وهو الذي انتصر على الروم وحكم معظم بلادهم ، وقد دام حكمه نصف قرن من سنة ٥٢٦ ـ ٥٧٩م واتخذ المدائن عاصمة له ، وفي عهده ولد محمد ﷺ ، وبعث في عهد حفيده كسرى الثاني ابرويز بن هرمز ، وكان قد خلف أباه في الحكم سنة ٥٩٠ وبقي إلى أن توفي سنة ٦٢٨ . (القاموس الإسلامي ٢٠٧/١ و١٨٩/٣ ، والموسوعة الميسرة ص١٤٦٣) .

(3) يهوذا الحواري : هو المدعو لبّاوس أو تداوس ، وهو أخو يعقوب الحواري أو ابنه ، وإليه تنسب رسالة يهوذا ، وهو أحد الحواريين الاثني عشر ، وهو غير يهوذا الاسخريوطي ، ولكن علماء النصارى الآن لا ينسبون هذه الرسالة إلى يهوذا الحواري أخي يعقوب الحواري ابن حلفي ، وإنما=

به أخنوخ الرسول[1] الذي كان سابعاً من آدم عليه السلام ومن عروجه إلى ميلاد المسيح مدة ثلاثة آلاف وسبع عشرة سنة على زعم مؤرخيهم ، وأنا أنقل عبارته من الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م[2]: « الربّ قد جاء في ربواته المقدّسة[3] ليداين الجميع ويبكّت جميع المنافقين على كل أعمال نفاقهم التي نافقوا فيها وعلى كلّ الكلام الصعب الذي تكلّم به ضد الله الخطاة المنافقون »[4].

وقد عرفت في مقدمة الباب الرابع أنّ استعمال لفظ (الرب) بمعنى المخدوم والمعلم شائع فلا حاجة إلى الإعادة . وأمّا لفظ (المقدّس) أو (القدّيس) فيطلق في العهدين على المؤمن الموجود في الأرض إطلاقاً شائعاً :

(١) الآية الأولى من الباب الخامس من سفر أيوب هكذا : « فادعو الآن إن كان لك مجيباً وإلى أحد من القدّيسين التفت » .

فالمراد بالقديسين هنا المؤمنون الموجودون على الأرض . أمّا عند علماء

= ينسبونها إلى يهوذا أحد إخوة الرب ، وكان أقل شهرة من أخيه يعقوب رئيس الكنيسة في أورشليم ، والذي تنسب إليه رسالة يعقوب أيضاً ، والرسالتان من الرسائل الكاثوليكية الشاملة الجامعة ، ولا ينسبها المحققون الآن إلى يهوذ ويعقوب الحواريين بل إلى يهوذا ويعقوب أخوي الرب . (انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٨٠٩ و ١٠٧٦ و ١٠٩١ ـ ١٠٩٢ ، والموسوعة الميسرة ص ١٩٨٦ ، وتاريخ كنيسة المسيح ص ٢٠ ـ ٢١) .

(١) في حاشية ق : إدريس عليه السلام . اهـ .

(٢) وهذا هو نص طبعة سنة ١٨٢٣م كذلك .

(٣) في حاشية ق : الصحابة . اهـ .

(٤) نص بشارة رسالة يهوذا في الفقرتين ١٤ و ١٥ في طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي : « ١٤ ـ وتنبأ عن هؤلاء أيضاً أخنوخ السابع من آدم قائلاً هو ذا قد جاء الرب في ربوات قدّيسيه (١٥) ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجار » .

البروتستانت فظاهر ، وأمّا عند علماء الكاثوليك فلأن مطهرهم[1] ـ الذي هو موضع آلام أرواح الصالحين إلى أن يحصل لها النجاة بمغفرة البابا ـ وجد بعد المسيح عليه السلام ولم يكن في زمن أيوب .

(٢) والآية الثانية من الباب الأول من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس هكذا : « إلى جماعة الله التي بقورنثية المقدسين بيسوع المسيح مدعوين قدّيسين »[٢]. الخ .

فالمراد بالمقدّسين والقدّيسين المؤمنون بالمسيح الموجودون في قورنثية .

(٣) والآية الثالثة عشرة من الباب الثاني عشر من الرسالة الرومية هكذا : « مشاركين لحاجة القديسين »[٣] الخ .

(٤) و (٥) : في الباب الخامس عشر منها هكذا : « ٢٥ ــ ولكن الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القدّيسين (٢٦) لأنّ أهل مكدونيّة[٤] وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين في أورشليم »[٥].

---

(١) في حاشية ق : هي واسطة بين جهنّم والجنة . اهـ .

(٢) (٣) نص طبعة سنة ١٨٢٣م و ١٨٤٤م .

(٤) مكدونية (مقدونيا) : إقليم في جنوب شرق أوروبا في شبه جزيرة البلقان شمال بلاد اليونان ، وتحده أخائية (أخيا) من الجنوب ، كما يحدّه من الجنوب الشرقي بحر ايجه ، وقد خضعت دولتها القديمة للفرس سنة ٥٠٠ ق.م . وفي عهد ملكها فيليب الثاني (٣٥٩ ـ ٣٣٦ ق.م) ـ الذي انتصر على الإغريق ووسع مملكته ـ أصبحت مكدونية أقوى دولة في شبه جزيرة البلقان ، ثم خلفه ابنه الإسكندر الأكبر الذي فتح أطراف العالم وقهر الفرس وتوفي سنة ٣٢٣ ق.م .

تم فتحها ودخول الإسلام إليها على يد الأتراك العثمانيين في القرن الخامس عشر الميلادي وبقيت تحت حكمهم حتى سنة ١٩١٣م عندما اتحدت اليونان وبلغاريا وصربيا ضد تركيا، فاحتلتها وتقاسمتها ، فهي حالياً مقسمة إلى ثلاث وحدات سياسية بين يوغسلافيا وبلغاريا واليونان ، وعاصمتها في اليونان سالونيك (معجم البلدان ١٧٣/٥ ، والموسوعة ص ١٧٣٠ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٩١٠ ، ودائرة وجدي ٣٠٨/٩) .

(٥) هذا نص طبعة سنة ١٨٦٥م .

فالمراد بالقدّيسين في الموضعين المؤمنون الموجودون في أورشليم .

(٦) والآية الأولى من الباب الأول من الرسالة إلى أهل فيلبسيوس هكذا : « من بولس وطيماثاوس عبديْ يسوع المسيح إلى جميع القدّيسين بيسوع المسيح الذين بفيلبسيوس »[١] الخ .

فالمراد بالقديسين ههنا المؤمنون الموجودون بفيلبسيوس .

(٧) ووقع في الآية العاشرة من الباب الخامس من الرسالة الأولى إلى تيموثاوس في حال الشماسات[٢] هكذا : « غسلت أرجل القديسين »[٣]. فالمراد بالقدّيسين ههنا المؤمنون الموجودون على الأرض بوجهين :

الأول : أنّ القدّيسين الموجودين في السماء أرواح ليس لهم أرجل .

والثاني : أن الشماسات لا يمكنهن العروج إلى السماء .

وإذا عرفت استعمال لفظ (الرب) و (المقدّس) أو (القديس) فأقول : إنّ المراد بـ (الرب) : محمد ﷺ ، وبـ (الربوات المقدسة) : الصحابة[٤]، والتعبير عن مجيئه بـ (قد جاء) لكونه أمراً يقينياً ، فجاء محمد ﷺ في ربواته المقدسة فدان الكفار ، وبكّت المنافقين والخطاة على أعمال النفاق ، وعلى أقوالهم القبيحة في الله ورسله . فبكّت المشركين لعدم تسليم توحيد الله ورسالة رسله مطلقاً وعبادتهم الأصنام والأوثان ، وبكّت اليهود على تفريطهم في حق عيسى

---

(١) هذا نص طبعة سنة ١٨٢٣م وسنة ١٨٤٤م ، وفيلبسيوس هي مدينة فيلبي .
(٢) في حاشية ق : النساء اللائي يخدمن المعبد . اهـ .
(٣) هذا نص طبعة سنة ١٨٦٥م .
(٤) الصحابة : هم أصحاب النبي ﷺ ومفردها صحابي ، والصحابي في العرف هو من رأى النبي ﷺ وطالت صحبته معه وإن لم يرو عنه ، وقيل وإن لم تطل صحبته ، وقيل في تعريف الصحابي : من لقي النبي ﷺ مؤمناً ومات على الإسلام . (التعريفات ص ١٣٧ ، والقاموس الإسلامي ٤/٢٥١ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١١١٤) .

ومريم عليهما السلام وبعض عقائدهم الواهية ، وبكّت أهل التثليث مطلقاً على تفريطهم في توحيد الله وإفراطهم في حق عيسى عليه السلام ، وبكّت أكثرهم على عبادة الصليب والتماثيل وبعض عقائدهم الواهية .

البشارة الثالثة عشرة[1]: في الباب الثالث من إنجيل متّى هكذا : « ١ ـ وفي تلك الأيام جاء يوحنّا المعمدان يكرز[2] في بريّة اليهودية (٢) قائلاً توبوا لأنّه قد اقترب ملكوت السماوات »[3].

وفي الباب الرابع من إنجيل متّى هكذا : « ١٢ ـ ولـمّا سمع يسوع أنّ يوحنّا أُسلِم انصرف إلى الجليل (١٧) من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا لأنّه قد اقترب ملكوت السماوات[4] (٢٣) وكان يسوع يطوف كلّ الجليل يعلّم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت » الخ .

وفي الباب السادس من إنجيل متّى في بيان الصلاة التي علّمها عيسى عليه السلام تلاميذه هكذا : « ليأتِ ملكوتك »[5].

ولـمّا أرسل الحواريين إلى البلاد الإسرائيليّة للدعوة والوعظ وصّاهم بوصايا منها هذه الوصية أيضاً : « وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين : إنّه قد اقترب ملكوت السماوات » كما هو مصرح به في الباب العاشر من إنجيل متّى[6].

---

(١) جميع نصوص هذه البشارة من طبعة سنة ١٨٦٥م ، وبما أنّ هذه البشارة واردة في جميع الطبعات بألفاظ قريبة جداً من نصها هنا وورد في جميعها التبشير بلفظ (ملكوت السماوات) أو (ملكوت الله) فرأيت عدم نقلها هنا .

(٢) في حاشية ق : أي يبشر . اهـ .

(٣) في حاشية ق : أي المراد النبوة . اهـ .

(٤) انظر إنجيل مرقس ١/١٤ و ١٥ .

(٥) هذه هي العبارة ١٠ من عبارات الصلاة المذكورة في إنجيل متّى ٦/٩ـ١٣ .

(٦) إنجيل متّى ١٠/٧ .

ووقع في الباب التاسع من إنجيل لوقا هكذا : « ١ ـ ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوّة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمراض (٢) وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى » .

وفي الباب العاشر من إنجيل لوقا هكذا : « ١ ـ وبعد ذلك عيّن الربّ سبعين آخرين أيضاً وأرسلهم . . . [الخ] (٢) فقال لهم . . . [الخ] (٨) وأيّة مدينة دخلتموها وقبلوكم فكلوا مما يقدم لكم (٩) واشفوا المرضى الذين فيها وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله (١٠) وأيّة مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى شوارعها وقولوا (١١) حتى الغبار الذي لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم ولكن اعلموا هذا : أنه قد اقترب منكم ملكوت الله » .

فظهر أنّ كُلّاً من يحيى وعيسى والحواريين والتلاميذ السبعين بشّر بملكوت السماوات ، وبشّر به[1] عيسى عليه السلام بالألفاظ التي بشّر به[1] بتلك الألفاظ يحيى عليه السلام ، فعُلم أنّ هذا الملكوت كما لم يظهر في عهد يحيى عليه السلام ، فكذلك لم يظهر في عهد عيسى عليه السلام ، ولا في عهد الحواريين والسبعين ، بل كُلّ منهم مبشّر به[1] ومخبر عن فضله ومترج لمجيئه ، فلا يكون المراد بملكوت السماوات طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة عيسى عليه السلام ، وإلا لما قال عيسى عليه السلام والحواريون والسبعون « إنّ ملكوت السماوات قد اقترب » ، ولَـمّا علّم التلاميذ أن يقولوا في الصلاة : « وليأت ملكوتك » ؛ لأنّ هذه الطريقة قد ظهرت بعد ادّعاء عيسى عليه السلام النبوة بشريعته ، فهو[2] عبارة عن طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة محمد ﷺ .

---

(١) الضمير في (به) راجع إلى ملكوت السماوات .
(٢) أي ملكوت السماوات .

فهؤلاء كانوا يبشرون بهذه الطريقة الجليلة . ولفظ : « ملكوت السماوات » بحسب الظاهر يدل على أنّ هذا الملكوت يكون في صورة السلطنة لا في صورة المسكنة ، وأنّ المحاربة والجدال فيه مع المخالفين يكونان لأجله ، وأنّ مبنى قوانينه لا بدّ أن يكون كتاباً سماوياً . وكل من هذه الأمور يصدق على الشريعة المحمدية .

وما قال علماء المسيحية : « إنّ المراد بهذا الملكوت شيوع الملّة المسيحية في جميع العالم وإحاطتها كلّ الدنيا بعد نزول عيسى عليه السلام » فتأويل ضعيف خلاف الظاهر ، وتردّه التمثيلات المنقولة عن عيسى عليه السلام .

في الباب الثالث عشر من إنجيل متّى مثلاً قال : « يشبه ملكوت السماوات إنساناً زرع زرعاً جيداً في حقله » ، ثم قال : « يشبه ملكوت السماوات حبّة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله » ثم قال : « يشبه ملكوت السماوات خميرة أخذتها امرأة وخبّأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع »[1] .

فشبه ملكوت السماوات بإنسان زارع لا بنمو الزراعة وحصودها ، وكذلك شبّه بحبة خردل لا بصيرورتها شجرة عظيمة ، وشبّه بخميرة لا باختمار جميع الدقيق ، وكذا يردّ هذا التأويلَ قولُ عيسى عليه السلام بعد بيان التمثيل المنقول في الباب الحادي والعشرين من إنجيل متّى هكذا : « لذلك أقول لكم إنّ ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطَى لأمة تعمل أثماره » .

فإنّ هذا القول يدلّ على أنّ المراد بـ(ملكوت السماوات) طريقة النجاة نفسها لا شيوعها في جميع العالم وإحاطتها كل العالم ، وإلّا لا معنى لنزع

(١) انظر هذه الأمثال الثلاثة في إنجيل متّى ١٣/٢٤ و٣١ و٣٣ ، ومثال الخميرة مذكور أيضاً في إنجيل لوقا ١٣/٢١ .

الشيوع والإحاطة من قوم وإعطائهما لقوم آخرين ، فالحق أنّ المراد بهذا الملكوت هي المملكة التي أخبر عنها دانيال عليه السلام في الباب الثاني من كتابه[1]، فمصداق هذا الملكوت وتلك المملكة نبوة محمد ﷺ . والله أعلم ، وعلمه أتمّ .

البشارة الرابعة عشرة : في الباب الثالث عشر من إنجيل متّى هكذا : « ٣١ ــ قدّم لهم مثلاً آخر قائلاً : يشبه ملكوت السماوات حبّة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله (٣٢) وهي أصغر جميع البذور ولكن متى نمت فهي أكبر البقول[2] وتصير شجرة حتى إنّ طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها »[3].

فملكوت السماء طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة محمد ﷺ ، لأنّه نشأ في قوم كانوا حقراء عند العالم لكونهم أهل البوادي غالباً ، وغير واقفين على العلوم والصناعات محرومين عن اللذات الجسمانية والتكلّفات الدنياويّة سيما عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر ، فبعث الله منهم محمداً ﷺ ، فكانت شريعته في ابتداء الأمر بمنزلة حبة خردل أصغر من الشرائع بحسب الظاهر ، لكنها لعمومها نمت في مدة قليلة وصارت أكبرها ، وأحاطت شرقاً وغرباً حتى إنّ الذين لم يكونوا مطيعين لشريعة من الشرائع تشبّثوا بذيل شريعته .

البشارة الخامسة عشرة : في الباب العشرين من إنجيل متّى هكذا : « ١ ــ فإنّ ملكوت السماوات يشبه رجلاً ربّ بيت خرج مع الصبح ليستأجر

---

(١) يقصد رؤيا الملك بختنصر المذكورة في سفر دانيال ٢/٣١ ـ ٤٥ ، وهي البشارة الحادية عشرة .

(٢) مفردها : بقل : وهو نبات عشبي يغتذي الإنسان به أو بجزء منه دون تحويله صناعيّاً . (المعجم الوسيط ص ٦٦) .

(٣) لاحظ قوله تعالى في آية ٢٩ من سورة الفتح بخصوص النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ﴿ ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ﴾ ، وهذا المثل نفسه مذكور في إنجيل مرقس ٤/٣١ ـ ٣٢ ، وفي إنجيل لوقا ١٣/١٨ ـ ١٩ .

فَعَلَةً لكَرْمه (٢) فاتفق مع الفَعَلَة على دينار في اليوم وأرسلهم إلى كَرْمه (٣) ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياماً في السوق بطّالين (٤) فقال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم . فمضوا (٥) وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك (٦) ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياماً بطّالين فقال لهم لماذا وقفتم ههنا كلّ النهار بطّالين (٧) قالوا له لأنه لم يستأجرنا أحد . قال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحقّ لكم (٨) فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله : ادع الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئاً من الآخرين إلى الأوّلين (٩) فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا ديناراً ديناراً (١٠) فلما جاء الأوّلون ظنوا أنّهم يأخذون أكثر فأخذوا هم أيضاً ديناراً ديناراً (١١) وفيما هم يأخذون تذمّروا على ربّ البيت (١٢) قائلين هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحرّ (١٣) فأجاب وقال لواحدٍ منهم : يا صاحب ما ظلمتك أما اتفقت معي على دينار (١٤) فخذ الذي لك واذهب فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك (١٥) أو ما يحلّ لي أن أفعل ما أريد بمالي أم عينك شرّيرة لأني أنا صالح (١٦) هكذا يكون الآخرون أولين والأوّلون آخرين لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتَخبون »[1] .

---

(١) نصّ بشارة إنجيل متّى ٢٠/١ ـ ١٦ متقارب في جميع النسخ ، وأكتفي بنقل الفقرة ١٦ لتعلق المثل بها ، ونصها في طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م كما يلي : « فهكذا يتقدّم المتأخّرون ويتأخّر المتقدّمون لأن المدعوّين كثيرون والمنتخبين قليلون » .

ونصها في طبعة سنة ١٨٢٣م وسنة ١٨٤٤م كما يلي : « كذلك يكون الآخرون أولين والأولون آخرين من أجل أن المدعوين كثير فأمّا المختارين قليل » ، ونصها في طبعة سنة ١٨٨٢ كما يلي : « فعلى هذا المثال يكون الآخرون أولين والأولون آخرين لأن المدعوين كثيرون والمختارين قليلون » .

وفقرة إنجيل متّى ٢٠/١٦ مذكورة في إنجيل متّى ١٩/٣٠ و٢٢/١٤ ، وفي إنجيل مرقس ١٠/٣١ ، وفي إنجيل لوقا ١٣/٣٠ .

وقد روى البخاري ثلاثة أحاديث في معنى هذا المثل في كتاب الإجارة باب ٨ الإجارة إلى نصف =

فالآخرون أمة محمد ﷺ ، فهم يقدَّمون في الأجر ، وهم الآخرون الأولون كما قال النبي ﷺ : « نحن الآخرون السابقون »[1]، وقال : « إنّ الجنة حرّمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرّمت على الأمم حتى تدخلها أمتي »[2].

البشارة السادسة عشرة : في الباب الحادي والعشرين من إنجيل متّى هكذا : « ٣٣ ـ اسمعوا مثلاً آخر : كان إنسان ربّ بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج[3] وحفر فيه معصرة وبرجا وسلّمه إلى كرّامين وسافر (٣٤) ولـمّا قرب

= النهار ، وباب ٩ الإجارة إلى صلاة العصر ، وباب ١١ الإجارة من العصر إلى الليل ، وهي في فتح الباري ٤/٤٤٥ ـ ٤٤٧ في الأحاديث رقم ٢٢٦٨ و ٢٢٦٩ و ٢٢٧١ ، وأكتفي بذكر أولها رقم ٢٢٦٨ ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر اجراء فقال : من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط ؟ فعملت اليهود . ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط ؟ فعملت النصارى . ثم قال : من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين ؟ فأنتم هم . فغضبت اليهود والنصارى فقالوا : ما لنا أكثر عملاً وأقل عطاء ؟ قال : هل نقصتكم من حقكم ؟ قالوا لا . قال فذلك فضلي أوتيه من أشاء » .

(١) انظر فتح الباري ١/٣٤٥ باب ٦٨ من كتاب الوضوء حديث ٢٣٨ و ٢/٣٥٤ و ٣٨٢ باب ١ و ١٢ من كتاب الجمعة حديث ٨٧٦ و ٨٩٦ و ٦/١١٦ باب ١٠٩ من كتاب الجهاد حديث ٢٩٥٦ و٦/٥١٥ باب ٥٤ من كتاب الأنبياء حديث ٣٤٨٦ و١١/٥١٧ باب ١ من كتاب الأيمان والنذور حديث ٦٦٢٤ و١٢/٢١٥ باب ١٥ من كتاب الديات حديث ٦٨٨٧ و ١٢/٤٢٣ باب ٤٠ من كتاب التعبير حديث ٧٠٣٦ و ١٣/٤٦٤ باب ٣٥ من كتاب التوحيد حديث ٧٤٩٥ ، وصحيح مسلم ٦/١٤٢ ـ ١٤٤ في كتاب الجمعة ، وسنن النسائي ٣/٨٥ ـ ٨٧ في كتاب الجمعة ، وسنن ابن ماجه ١/١٩٥ باب ٧٨ من أبواب إقامة الصلاة حديث ١٠٦٩ و ٢/٤٤٦ باب ٣٤ من أبواب الزهد حديث ٤٣٤٤ ، ومسند أحمد ٢/٢٤٣ و ٢٤٩ و ٢٧٤ و ٣١٢ و ٣٤١ و ٤٧٣ و ٥٠٢ و ٥٠٤ ، وسنن الدارمي ١/٣٢ باب ٨ من المقدمة حديث ٥٥ ، وفي بعض المواضع السابقة ورد بلفظ (الأولون) بدل (السابقون) وهو مطابق تماماً لنص هذه البشارة .

(٢) رواه الدارقطني عن عمر بن الخطاب وقال : غريب (انظر حادي الأرواح ص ٧٧) ، وروى قريباً من معناه ابن ماجه في سننه ٢/٤٤٥ في باب ٣٤ من أبواب الزهد حديث ٤٣٣٩ وفيه : « وأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوؤوا أنتم ومَن صلح من ذراريكم مساكن في الجنة » .

(٣) في حاشية ق : سياج ككتاب : الحائط ، وما أحيط به على شيء مثل النخل والكرم . اهـ . وقد سيّج على الكرم أي جعل له حظيرة من الشجر أو من الشوك حوله لئلا يُتَسَوَّر . (لسان العرب ٢/٣٠٣) .

وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرّامين ليأخذ أثماره (٣٥) فأخذ الكرّامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً (٣٦) ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأوّلين ففعلوا بهم كذلك (٣٧) فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابني (٣٨) وأمّا الكرّامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلمّوا نقتله ونأخذ ميراثه (٣٩) فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه (٤٠) فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرّامين (٤١) قالوا له[1]: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً رديّا ويسلّم الكرم إلى كرّامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها (٤٢) قال لهم يسوع أما قرأتم قطّ في الكتب: الحجر الذي رفضه البنّاؤون هو قد صار رأس الزاوية من قِبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا (٤٣) لذلك أقول لكم: إنّ ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره (٤٤) ومَن سقط على هذا الحجر يترضّض ومَن سقط هو عليه يسحقه (٤٥) ولـمّا سمع رؤساء الكهنة والفرّيسيّون أمثاله عرفوا أنه تكلّم عليهم »[2].

أقول: إنّ « ربّ بيت » كناية عن الله، و« الكَرْم » كناية عن الشريعة، و« أحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبرجا » كنايات عن بيان المحرمات والمباحات والأوامر والنواهي، وإنّ « الكرامين الأردياء » كناية عن اليهود كما فهم رؤساء الكهنة والفرّيسيون أنّه تكلّم عليهم، و« أرسل عبيده » كناية عن الأنبياء عليهم السلام، و« الابن » كناية عن عيسى عليه السلام ـ وقد عرفت في الباب الرابع أنّه لا بأس بإطلاق هذا اللفظ عليه ـ وقد قتله اليهود أيضاً في زعمهم، و« الحجر الذي رفضه البناؤون » كناية عن محمد ﷺ، و« لأمة

(١) في حاشية ق: أي لعيسى. اهـ.

(٢) نفس هذا المثل في إنجيل مرقس ١٢/١ ـ ١٢، وفي إنجيل لوقا ٢٠/٩ ـ ١٩، ونصه متقارب جداً في جميع الطبعات.

تعمل أثمارہ » كناية عن أمته ﷺ ، وهذا هو الحجر الذي كلّ مَن سقط عليه ترضّض ، وكل مَن سقط هو عليه سحقه .

وما ادّعى علماء المسيحية بزعمهم أنّ هذا الحجر عبارة عن عيسى عليه السلام فغير صحيح لوجوه :

الأول : أنّ داود عليه السلام قال في الزبور المائة والثامن عشر هكذا : « ٢٢ ــ الحجر الذي رذله البناؤون هو صار رأساً للزاوية (٢٣) من قبل الرب كانت هذه وهي عجيبة في أعيننا »[١].

فلو كان هذا الحجر عبارة عن عيسى عليه السلام وهو من اليهود من آل يهوذا من آل داود ، فأيّ عجب في أعين اليهود عموماً لكون عيسى عليه السلام رأس الزاوية سيما في عين داود عليه السلام خصوصاً ؛ لأنّ مزعوم المسيحيين أنّ داود عليه السلام يعظّم عيسى عليه السلام في مزاميره تعظيماً بليغاً ، ويعتقد الألوهية في حقه بخلاف آل إسماعيل ؛ لأنّ اليهود كانوا يحقّرون أولاد إسماعيل غاية التحقير ، وكان كون أحد منهم رأساً للزاوية عجيباً في أعينهم .

والثاني : أنّه وقع في وصف هذا الحجر « ومَن سقط على هذا الحجر يترضّض ومَن سقط هو عليه يسحقه » ، ولا يصدق هذا الوصف على عيسى عليه السلام لأنه قال : « وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه لأنّي لم آت لأدين العالم بل لأخلّص العالم » كما هو في الباب الثاني عشر من إنجيل يوحنا[٢]، وصِدْقه على محمد ﷺ غير محتاج إلى البيان ؛ لأنّه كان مأموراً بتنبيه الفجار الأشرار ، فإن سقطوا عليه ترضّضوا ، وإن سقط هو عليهم سحقهم .

---

(١) هذا نص طبعة سنة ١٨٤٤م في مزمور ١١٧ ، وفيما يلي نص طبعة سنة ١٨٦٥م في مزمور ١١٨/٢٢ ـ ٢٣ « ٢٢ ــ الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية (٢٣) من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا » .

(٢) انظر إنجيل يوحنا ١٢/٤٧ .

والثالث : قال النبي ﷺ : « مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أُحسن بنيانه تُرك منه موضع لَبِنةٍ فطاف به النظّار يتعجبون من حسن بنيانه إلّا موضع تلك اللّبِنة ، ختم بي البنيان وختم بي الرسل »[١].

ولما ثبتت نبوّته بالأدلة الأخرى كما ذكرت نبذاً منها في المسالك السابقة فلا بأس بأن أستدل في هذه البشارة بقوله[٢] أيضاً .

والرابع : أنّ المتبادر من كلام المسيح أنّ هذا الحجر غير الابن[٣].

البشارة السابعة عشرة : في الباب الثاني من المشاهدات هكذا : « ٢٦ ــ ومن يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأمم (٢٧) فيرعاهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف كما أخذت أنا أيضاً من عند أبي (٢٨) وأعطيه كوكب الصبح (٢٩) مَن له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس » .

فهذا الغالب الذي أُعطي سلطاناً على الأمم ويرعاهم كالقضيب من حديد

---

(١) انظر فتح الباري ٦/٥٥٨ باب ١٨ من كتاب المناقب حديث ٣٥٣٤ و ٣٥٣٥ ، وصحيح مسلم ١٥/٥٠ ـ ٥٢ في كتاب الفضائل ، وسنن الترمذي ١٠/٣٠٢ في أبواب الأمثال ، وفي ١٣/١٠١ في أبواب المناقب ، ومسند أحمد ٢/٢٥٦ و٣١٢ و٣٩٨ و٤١٢ و٣/٣٦١ و ٥/١٣٧ ، ولم أجده بهذا النص الذي ذكره المؤلف وأكتفي بذكر رواية البخاري ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » ، ومثله نص مسلم غير أنه قال : « من زاوية من زواياه » .

(٢) أي بقول النبي محمد ﷺ .

(٣) أي صيغة كلام المسيح تدل على أنه لم يتكلم عن نفسه وإنما عن آخر سيأتي بعده ؛ لأنّ الابن أخذه الكرّامون وقتلوه ثم يأتي بعد ذلك الحجر الذي يسحق الخصوم ، فكيف يكون الابن هو الحجر ؟ فالتفريق واضح بين نفسه وبين هذا الحجر ، ويدل غضب الكهنة كذلك على أن هذا النبي ليس من بني إسرائيل ، وأنّ الأمّة المقصودة هي غيرهم ، ولو كان النبي منهم لم يغضبوا ، لأنّه لم يخالف إرادتهم وهواهم .

هو محمد ﷺ ، كما قال الله في حقه : ﴿ وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾[1].

وقد سماه سطيح الكاهن[2]: صاحب الهراوة ، روي أنّ ليلة ولادته ﷺ انشق إيوان كسرى أنوشروان[3]، وسقط من ذلك أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغارت بحيرة ساوة[4] بحيث صارت يابسة ، ورأى الموبذان[5] في نومه أنّ إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً[6] فقطعت

---

(١) سورة الفتح آية ٣ .

(٢) سطيح الكاهن : هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب الغسّاني من بني مازن من الأزد ، وهو من أهل الجابية من مشارف الشام ، ويعرف بسطيح الذئبي نسبة إلى جده ذئب ، وكان سطيح كاهناً عمّر طويلاً في الجاهلية ، وكان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه ، وإنما قيل له سطيح لأنّه كان دائماً منبسطاً على الأرض لا يقدر على القيام والقعود ، وكانت علته لين عظامه ، وما فيه عظم قوي سوى رأسه فسُطِح على الأرض ، وقيل كان يطوى كما يطوى الثوب والحصير ، وكان له قرين وصاحب من الجن يسترق السمع ويأتيه بالأخبار ، وقد ارتبط اسمه بكاهن آخر كان معاصراً له هو : شق بن صعب ، ويُذكر سطيح كثيراً في الشعر رمزاً على صحة الرأي ، وقد توفي بالجابية سنة ٥٢ ق. هـ/٥٧٢م بعد مولد رسول الله ﷺ بحوالي سنة . (الأعلام ١٤/٣ ، والموسوعة ص ٩٨٠ ، والقاموس الإسلامي ٣٢٦/٣ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١٥/١ ـ ١٨ ، ودائرة وجدي ١٢٦/٥) .

(٣) هو الملك كسرى الأول أنو شروان بن قباذ الذي حكم من سنة ٥٢٦ ـ ٥٧٩م ، وكانت ولادة النبي ﷺ في عهده سنة ٥٧٠م أو ٥٧١م ، وكلمة (إيوان) كلمة فارسية معربة تطلق على القاعة الكبيرة في قصر الملك ، وكان قصر كسرى بالمدائن ، وفي لسان العرب ٤٠/١٣ أنّ الإيوان : الصّفة العظيمة ، وهو أعجمي .

(٤) بحيرة ساوة : ساوة : مدينة في إيران في المنتصف بين الرّي وهمذان ، جنوب غربي طهران ، وقد أقيمت على سهل يرويه نهر قره صو ، والنسبة إليها ساويّ وساوجي ، وبالقرب منها بحيرة ارتبط اسمها تاريخياً بسلسلة الحوادث التي وقعت ليلة مولد النبي ﷺ إعلاء لشأنه وتمهيداً لبعثته ، فكان غيضان ماء بحيرة ساوة من أعلام نبوّته . (معجم البلدان ١٧٩/٣ ، والقاموس الإسلامي ٢١٥/٣) .

(٥) الموبذان : في حاشية ق : لفظ معرب . اهـ . وهو لقب يطلق على حاكم المجوس وكاهنهم . (دائرة وجدي ٤٨٨/٩) .

(٦) الصعاب : جمع صعب والانثى صعبة ، وهو خلاف السهل ونقيض الذلول ، فالصعاب أي الشدائد ، والعِراب : أي عربية ليس فيها عرق هجين. (انظر لسان العرب ٥٢٣/١ و ٥٩٠) .

دجلة[1] وانتشرت في بلاده ، فخاف كسرى من حدوث هذ الأمور ، وأرسل عبدالمسيح[2] إلى سطيح الكاهن الذي كان في الشام ، ولـمّا وصل عبدالمسيح إليه وجده في سكرات الموت ، فذكر هذه الأمور عنده ، فأجاب سطيح : « إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وغاضت[3] بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاماً ، ولا الشام لسطيح مناماً . يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات ، وكل ما هو آت آت » . ثم مات سطيح من ساعته ، ورجع عبدالمسيح فأخبر أنوشروان بما قال سطيح ، فقال كسرى : إلى أن يملك أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمور ، فملك منهم عشرة في أربع سنين ، وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه . فهلك آخرهم يزدجرد في خلافته[4]. والهِراوة ـ بكسر الهاء ـ العصا الضخيمة .

و « كوكب الصبح » عبارة عن القرآن ، قال الله في سورة النساء :

---

(١) دجلة : لا تدخله الألف واللام ، وهو نهر في العراق يمرّ ببغداد ويبلغ طوله ١٧١٨ كم منها ٣٠٠ كم داخل تركيا فيكون ٨٢ ٪ من طوله داخل العراق ، وهو ينبع من المرتفعات الواقعة جنوب شرق تركيا ويقع شرقي نهر الفرات ، والمنطقة الواقعة بينهما تسمى بلاد ما بين النهرين ، ويلتقيان شمال البصرة ليكوّنا شطّ العرب الذي يصب في الخليج قرب الفاو . (معجم البلدان ٢/٤٤٠ ، والموسوعة الميسرة ص ٧٨٥ ، والقاموس الإسلامي ٢/٣٤٨) .

(٢) عبدالمسيح : هو ابن أخت سطيح الكاهن ، واسمه : عبدالمسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بُقَيْلَة الغساني ، شاعر من أهل الحيرة في العراق ومن الدهاة والمعمّرين ، عاش زمناً طويلاً ، في الجاهلية وأدرك الإسلام وظلّ على النصرانية واجتمع به خالد بن الوليد في الحيرة ، وقد توفي سنة ١٢هـ/٦٣٣م . (الأعلام ٤/١٥٣ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١/١٥) .

(٣) غاض : أي قل فنضب ، يقال : غاض الماء يغيض غيضاً : نقص وذهب وغار . (لسان العرب ٧/٢٠١) .

(٤) انظر حوادث القصة السابقة في الوفا ١/١٦٥ ـ ١٦٨ ، والشفا ١/٣٦٦ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ١/١٧٤ ـ ١٧٧ حديث رقم ٨٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١/١٢٦ ـ ١٢٩ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ١١ ـ ١٤ . وحدائق الأنوار لابن الديبع ١/١١٤ ـ ١١٦ و١٣١ ، والبداية والنهاية ٢/٢٩١ ـ ٢٩٤ .

﴿ وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ﴾[1]، وفي سورة التغابن : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ﴾[2].

قال صاحب (صولة الضيغم)[3] بعد نقل هذه البشارة : « قلت للقسّيسَيْن ويت ووليم عند المناظرة : إنّ صاحب هذا القضيب الحديد محمد ﷺ ، فاضطربا بسماع هذا الأمر ، وقالا : إنّ عيسى عليه السلام حكم بهذا لكنيسة ثياتيرا[4] فلا بد أن يكون ظهور مثل هذا الشخص هناك ، ومحمد ﷺ ما راح هناك . قلت : هذه الكنيسة في أيّة ناحية كانت ؟ فرجعا إلى كتب اللغة ، وقالا : كانت في أرض الروم قريبة من استانبول[5] قلت : راح أصحاب محمد

---

(١) سورة النساء آية ١٧٤ .

(٢) سورة التغابن آية ٨ .

(٣) في حاشية ق : عباس علي . اهـ .

(٤) ثياتيرا : مدينة قديمة في الأناضول ـ آسيا الصغرى ـ في مقاطعة ليديا شمال شرق أزمير ، وكانت فيها إحدى كنائس آسيا الصغرى السبع ، وتُدعى هذه المدينة الآن (اق حصار) (اكحصار) ، وهي قرب أزمير . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٩ ، والموسوعة الميسرة ص ٥٨٨) .

(٥) استانبول : (اسلامبول) (بيزنطة) (القسطنطينية) : هي مدينة الآستانة الواقعة في أقصى غرب شمال تركيا ، وهي مدينة قديمة أسسها الإغريق عام ٦٥٨ ق.م باسم بيزنطة ، وغدت مركزاً تجارياً هامّاً بسبب موقعها على ضفتي مضيق البسفور بين البحر الأسود وبحر مرمرة ، فيقع جزء منها في أقصى شرق أوروبا وجزء في أقصى غرب آسيا ، وهي تطلّ على القرن الذهبي ، وقد اختارها الامبراطور قسطنطين الأول ابن هيلانة عام ٣٣٠م عاصمة لملكه ، فوسّعها وشيّد حولها الأسوار المنيعة ، وسماها باسمه ، وقد صمدت لهجمات الغزاة عبر التاريخ ، وعند أسوارها استشهد أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه عام ٦٧٠م ، فتحها الأتراك العثمانيون بعد حصار دام ٥٣ يوماً عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م بقيادة محمد الثاني فلقب بالفاتح ، وصار اسمها اسلامبول ، أي الإسلام الكثير ، وتسمّى دار السعادة ، وظلت عاصمة الامبراطورية العثمانية حتى عام ١٩٢٢م ، وهي تزخر بالعمائر الإسلامية من مساجد ومدارس ، وفيها الآن مقر بطاركة الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك واللاتين والأرمن . (معجم البلدان ١/٢١٢ و ٤/٣٤٧ ، والموسوعة الميسرة ص ١٣٨ وص ٤٦٦ وص ١٣٨٠ ، ودائرة وجدي ٢/٥٦٤ ، والقاموس الإسلامي ١/٨٣) .

ﷺ في خلافة الفاروق الأعظم عمر رضي الله عنه إلى هذه البلاد ، وفتحوها ، وبعد الصحابة رضي الله عنهم كان المسلمون أيضاً متسلّطين عليها في أكثر الأوقات ، ثم تسلّط سلاطين آل عثمان ـ أدام الله سلطنتهم ـ من المدة المديدة وهم متسلّطون إلى هذا الحين[1]، فهذا الخبر صريح في حق محمد ﷺ » . انتهى كلامه .

قلت : الفاضل عباس علي الجاجَموي الهندي صنّف أوّلاً كتاباً كبيراً في ردّ أهل التثليث وسمّاه (صولة الضيغم على أعداء ابن مريم)، ثم ناظر هو ـ رحمه الله ـ ويت ووليم القسّيسينْ في بلدة كانفور من بلاد الهند وألزمهما ، ثم اختصر كتابه وسمى المختصر (خلاصة صولة الضيغم) ، ومناظرته كانت قبل أن أناظر صاحب ميزان الحق في أكبر آباد بمقدار اثنتين وعشرين سنة[2].

البشارة الثامنة عشرة : وهذه البشارة واقعة في آخر أبواب إنجيل يوحنا ، وأنا أنقل عن التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٢١م وسنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م في بلدة لندن فأقول :

في الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا : « ١٥ ــ إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي (١٦) وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد (١٧) روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله لأنّه ليس يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم (٢٦) والفارقليط روح القدس الذي يرسله الآب باسمي هو يعلّمكم كل شيء وهو يذكّركم كلّما قلته لكم (٣٠) والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنوا » .

(١) سقطت الخلافة العثمانية في مطلع القرن العشرين وألغيت رسمياً سنة ١٩٢٣م .

(٢) كانت مناظرة الشيخ رحمت الله للدكتور فندر في رجب سنة ١٢٧٠هـ الموافق ابريل (نيسان) سنة ١٨٥٤م ، فتكون مناظرة الفاضل عباس علي الجاجموي مع القسيسين ويت ووليم سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م أو١٨٣٣م .

وفي الباب الخامس عشر من إنجيل يوحنا هكذا : « ٢٦ ــ فأمّا إذا جاء الفارقليط الذي أُرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من الآب ينبثق هو يشهد لأجلي (٢٧) وأنتم تشهدون لأنّكم معي من الابتداء » .

وفي الباب السادس عشر من إنجيل يوحنا هكذا : « ٧ ــ لكنّي أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنّي إنْ لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط فأمّا إن انطلقت أرسلته إليكم (٨) فإذا جاء ذاك فهو يوبّخ العالم على خطيّة وعلى برّ وعلى حكم (٩) أمّا على الخطيّة فلأنهم لم يؤمنوا بي (١٠) وأمّا على البرّ فلأني منطلق إلى الآب ولستم تروني بعد (١١) وأمّا على الحكم فإنّ أركون[١] هذا العالم قَدْ دين (١٢) وإنّ لي كلاماً كثيراً أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن (١٣) وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلّمكم جميع الحق لأنّه ليس ينطق من عنده بل يتكلّم بكلّ ما يسمع ويخبركم بما سيأتي (١٤) وهو يمجدني لأنّه يأخذ مما هو لي ويخبركم (١٥) جميع ما هو للآب فهو لي فمن أجل هذا قلت إنّ مما هو لي يأخذ ويخبركم »[٢] .

---

(١) في حاشية ق : أي الشيطان . اهـ . وورد اسمه في هذا الموضع في بعض الطبعات بلفظ (رئيس هذا العالم) ، وفي بعضها بلفظ (سيد هذا العالم) ، وفي بعضها بلفظ (ملك هذه الدنيا) ، وقد يرد اسمه في مواضع متفرقة بلفظ إبليس أو بعلزبول . وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بلفظ إبليس ١١ مرة ، وبلفظ الشيطان مفرداً ٧٠ مرة ، وبلفظ الجمع : الشياطين ١٨ مرة ، وهو مخلوق من النار وشرير مفسد كافر يوسوس في الصدور ليغوي بني آدم ويضلهم عن توحيد الله وطاعته . وقد حذرنا القرآن الكريم منه وأمرنا بعداوته . (القاموس الإسلامي ١/١٥ و ٤/٢١٦ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٥ و١٨٣) .

(٢) النصوص الثلاثة لهذه البشارة متقاربة جداً في جميع الطبعات القديمة والحديثة ، ولذلك رأيت عدم نقل أي منها اكتفاء بالمتن المنقول ، لكن اسم المبشر به ورد في طبعات سنة ١٨٢١م وسنة ١٨٢٣م وسنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م وترجمة الخوري يوسف عون بلفظ « فارقليط » و« بارقليط » و« روح الحق » ، وفي طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م بلفظ « المعزّي » و« روح الصدق » ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م وسنة ١٩٧٠م و١٩٧١م و١٩٧٦م و١٩٨٣م و١٩٨٥م بلفظ « المعزي » و« روح الحق » ، وفي طبعة دار المشرق ببيروت سنة ١٩٨٢م بالمطبعة الكاثوليكية بإذن بولس باسيم النائب الرسولي للاّتين بلفظ « المؤيّد » و« روح الحق » .

وأنا أقدّم قبل بيان وجه الاستدلال بهذه العبارات أمرين :

الأمر الأول : أنّك قد عرفت في الأمر السابع أنّ أهل الكتاب سلفاً وخلفاً عادتهم أن يترجموا غالباً الأسماء ، وأنّ عيسى عليه السلام كان يتكلم باللسان العبراني لا باليوناني ، فإذا لا يبقى شك في أنّ الإنجيلي الرابع[1] ترجم اسم المبشر به باليوناني بحسب عادتهم ، ثم مترجمو العربية عرّبوا اللفظ اليوناني بـ (فارقليط) .

وقد وصلت إلي رسالة صغيرة بلسان أردو من رسائل القسيسين في سنة ألف ومائتين وثمان وستين من الهجرة ، وكانت هذه الرسالة طبعت في كلكته ، وكانت في تحقيق لفظ (فارقليط) ، وادّعى مؤلفها أنّ مقصوده أن ينبّه المسلمين على سبب وقوعهم في الغلط من لفظ (فارقليط) ، وكان ملخص كلامه : « إنّ هذا اللفظ معرّب من اللفظ اليوناني ، فإن قلنا : إنّ هذا اللفظ اليوناني الأصل (باراكلي طوس) فيكون بمعنى المعزّي والمعين والوكيل ، وإن قلنا : إنّ اللفظ الأصل (بيركلوطوس) يكون قريباً من معنى محمد وأحمد ، فمن استدلّ من علماء الإسلام بهذه البشارة فَهِمَ أنّ اللفظ الأصل (بيركلوطوس) ومعناه قريب من معنى محمد وأحمد . فادّعى أنّ عيسى عليه السلام أخبر بمحمد أو أحمد ، لكن الصحيح أنّه : بارا كلي طوس » . انتهى ملخص كلامه .

فأقول : إنّ التفاوت بين اللفظين يسير جداً ، وإنّ الحروف اليونانية كانت متشابهة ، فتبدّل بيركلوطوس بباراكلي طوس في بعض النُّسَخ من الكاتب قريب من القياس ، ثم رجح أهل التثليث المنكرون هذه النسخة على النُّسَخ الأخر . ومن تأمل في الباب الثاني من هذا الكتاب والأمر السابع من هذا المسلك

---

(١) في حاشية ق : يوحنا . اهـ . وترتيب الأناجيل الأربعة عند النصارى كما يلي : متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا .

السادس بنظر الإنصاف اعتقد يقيناً بأنّ مثل هذا الأمر من أهل الديانة من أهل التثليث ليس ببعيد ، بل لا يبعد أن يكون من المستحسنات .

والأمر الثاني : أنّ البعض ادّعوا قبل ظهور محمد ﷺ أنّهم مصاديق لفظ فارقليط ، مثلاً (منتنس) المسيحي ـ الذي كان في القرن الثاني من الميلاد ، وكان مرتاضاً شديداً وأتقى عهده ـ ادّعى في قرب سنة ١٧٧ من الميلاد في آسيا الصغرى الرسالة . وقال : إني هو الفارقليط الموعود به الذي وعد بمجيئه عيسى عليه السلام ، وتبعه أناس كثيرون في ذلك كما هو مذكور في بعض التواريخ ، وذكر وليم ميور حاله وحال متبعيه في القسم الثاني من الباب الثالث من تاريخه بلسان أردو المطبوع سنة ١٨٤٨ من الميلاد هكذا : « إنّ البعض قالوا : إنه ادّعى أنّي (فارقليط) يعني المعزي روح القدس ، وهو كان أتقى ومرتاضاً شديداً ولأجل ذلك قبله الناس قبولاً زائداً ». انتهى كلامه .

فعلم أنّ انتظار فارقليط كان في القرون الأولى المسيحية أيضاً ، ولذلك كان الناس يدّعون أنّهم مصاديقه ، وكان المسيحيون يقبلون دعاويهم .

وقال صاحب (لب التواريخ)[1]: « إنّ اليهود والمسيحيين من معاصري محمد ﷺ كانوا منتظرين لنبي فحصل لمحمد من هذا الأمر نفع عظيم ؛ لأنّه ادّعى أنّي هو ذاك المنتظر ». انتهى ملخص كلامه .

فيعلم من كلامه أيضاً أنّ أهل الكتاب كانوا منتظرين لخروج نبي في زمان النبي ﷺ ، وهو الحق ؛ لأنّ النجاشي ملك الحبشة لـمّا وصل إليه كتاب محمد ﷺ فقال : « أشهد بالله إنّه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب » ، وكتب

---

(١) لبّ التواريخ : فارسي مختصر ، لأمير يحيى بن عبداللطيف القزويني الشيعي المتوفي سنة ٩٦٠هـ ، وجعله على أربعة أقسام أولها في سيرة النبي ﷺ ، وفرغ من تأليف الكتاب سنة ٩٤٨هـ . (كشف الظنون ٢/١٥٤٧ و٤/٤٠٠ و٦/٥٣٠) .

الجواب ، وكتب في الجواب : « أشهد أنك رسول الله صادقاً ومصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك [أي جعفر بن أبي طالب] وأسلمت على يديه لله رب العالمين » ، وهذا النجاشي قبل الإسلام كان نصرانياً[1].

وكتب المقوقس ملك القبط في جواب كتاب النبي ﷺ هكذا : « لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أمّا بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه ، وقد علمت أنّ نبيّـاً قد بقي وقد كنت أظنّ أنّه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك » ، والمقوقس هذا وإن لم يُسلم لكنه أقرّ في كتابه أنّه قد علم أنّ نبيّـاً قد بقي ، وكان نصرانياً[2].

فهذان المِلكان ما كانا يخافان في ذلك الوقت من محمد ﷺ لأجل شوكته الدنياوية .

وجاء الجارود بن العلاء[3] في قومه إلى رسول الله ﷺ فقال : « والله لقد

---

(١) انظر كتاب الرسول للنجاشي مع عمرو بن أمية الضمري في فتح الباري ٣/١١٦ و ١٨٦ و ١٩٩ و ٢٠٢ في أبواب ٤ و ٥٣ و ٥٤ و ٦٠ و ٦٤ من كتاب الجنائز في الأحاديث رقم ١٢٤٥ و ١٣١٧ و ١٣١٨ و ١٣٢٠ و ١٣٢٧ و ١٣٢٨ و ١٣٣٣ و ١٣٣٤ ، وفي ٧/١٩١ باب ٣٨ من كتاب مناقب الأنصار الأحاديث ٣٨٧٧ ـ ٣٨٨١ ، وفي صحيح مسلم ٧/٢١ في كتاب الجنائز ، وسنن ابن ماجه ١/٢٨١ باب ٣٣ من أبواب الجنائز حديث ١٥٣٣ ـ ١٥٣٧ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١/٢٨ من المقدمة و ٢/٢٨٥ ـ ٣١٠ و ٤/٣٤٣ و ٤١٠ ، والوفا ٢/٤٦٤ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ١١٤ و ١٣٩ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١/٣٣٣ و ٢/٢٧٦ و ٦٠٧ ، والبداية والنهاية ٣/٧٣ ـ ٨٥ ، وحدائق الأنوار ١/٧٢ و ٢/٧٣٣ .

وقصة النجاشـي مع وفد قريش في دلائل النبوة للأصبهاني ١/٣١٧ ـ ٣٣١ الأحاديث ١٩٣ ـ ١٩٦ و ٢/٧١١ حديث رقم ٤٩٥ .

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٤/٣٩٥ ، والوفا ١/٨٤ و ٢/٤٤١ ، والإصابة ٣/٥٣٠ ، والبداية والنهاية ٤/٣٠٣ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٠٧ .

(٣) الجارود بن العلاء : هو أبو المنذر وقيل أبو غياث : بشر بن المعلّى بن العلاء ، وقيل بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى العبدي ، من بني جذيمة ، وكان سيد عبدالقيس وأحد الفرسان والشجعان المخضرمين في الجاهلية والإسلام ، ولقب بالجارود لأنّه غزا بكر بن وائل في الجاهلية=

جئت بالحق ونطقت بالصدق ، والذي بعثك بالحق نبيّـاً لقد وجدت وصفك في الإنجيل ، وبشّر بك ابن البتول[1]، فطول التحية لك ، والشكر لمن أكرمك ، لا أثر بعد عين ، ولا شكّ بعد يقين ، مدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله » ، ثم آمن قومه[2]. وهذا الجارود كان من علماء النصارى ، وقد أقرّ بأنه قد « بشّر بك ابن البتول » أي عيسى عليه السلام . فظهر أنّ المسيحيين أيضاً كانوا منتظرين لخروج نبي بشّر به عيسى عليه السلام .

فإذا علمت ذلك فأقول : إنّ اللفظ العبراني الذي قاله عيسى عليه السلام مفقود ، واللفظ اليوناني الموجود ترجمته ، لكنّي أترك البحث عن الأصل ، وأتكلم على هذا اللفظ اليوناني ، وأقول : إنْ كان اللفظ اليوناني الأصل بيركلوطوس فالأمر ظاهر ، وتكون بشارة المسيح في حق محمد ﷺ بلفظ هو قريب من معنى محمد وأحمد ، وهذا وإنْ كان قريب القياس بلحاظ عاداتهم لكني أترك هذا الاحتمال ؛ لأنّه لا يتمّ عليهم إلزاماً ، وأقول : إنْ كان اللفظ اليوناني الأصل باراكلي طوس كما يدّعون فهذا لا ينافي الاستدلال أيضاً ؛ لأنّ

= فاستأصلهم ، وكان نصرانياً ، أسلم لـمّا قدم في وفد عبدالقيس سنة ٩ أو ١٠هـ على النبي ﷺ ، فسُرّ بإسلامه وقرّبه وأدناه وكان الجارود صهر أبي هريرة ، وكان معه في البحرين لما أرسله عمر ، وقد استشهد الجارود بأرض فارس سنة ٢٠هـ/٦٤١م في خلافة عمر في عقبة الطين ، فسميت بعقبة الجارود ، وقيل في نهاوند مع النعمان بن مقرن . (الإصابة ٢١٦/١ ، والإستيعاب ٢٤٧/١ ، والأعلام ٥٥/٢ ، والقاموس الإسلامي ٥٥٣/١) .

(١) أي عيسى بن مريم ، وتسمى مريم البتول لأنّها منقطعة عن الأزواج ولا أرب لها فيهم ، والتبتل : ترك النكاح وترك الدنيا والإنقطاع إلى الله . (لسان العرب ٤٣/١١ ، والقاموس الإسلامي ٢٧٢/١ ، والقاموس المحيط ٣٤٢/٣) .

(٢) انظر فتح الباري ١٢٩/١ في باب ٤٠ من كتاب الإيمان حديث ٥٣ ، وصحيح مسلم ١٧٩/١ ـ ١٩٤ في كتاب الإيمان ، وحدائق الأنوار ٦٥١/٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٣٢٣/٥ ـ ٣٢٩ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٥٧٥/٢ ، والبداية والنهاية ٥٣/٥ ـ ٥٦ .

معناه المعزي[1] والمعين والوكيل على ما بيّن صاحب الرسالة ، أو الشافع كما يوجد في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦م ، وهذه المعاني كلها تصدق على محمد ﷺ .

وأنا أبين الآن **أوّلاً** : أنّ المراد بفارقليط النبي المبشر به ، أعني محمداً ﷺ لا الروح النازل على تلاميذ عيسى عليه السلام يوم الدار الذي جاء ذكره في الباب الثاني من كتاب الأعمال[2]، وأذكر **ثانياً** : شبهات علماء المسيحية وأجيب عنها فأقول :

أمّا الأول[3] فيدل عليه أمور :

١) أنّ عيسى عليه السلام قال أوّلاً : « إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي » ثم أخبر عن فارقليط . فمقصوده عليه السلام أن يعتقد السامعون بأنّ ما يلقى عليهم بعد ضروري واجب الرعاية ، فلو كان فارقليط عبارة عن الروح النازل يوم الدار لما كانت الحاجة إلى هذه الفقرة ؛ لأنّه ما كان مظنوناً أن يستبعد الحواريون نزول الروح عليهم مرة أخرى ، لأنّهم كانوا مستفيضين به من قبل أيضاً ، بل لا مجال للاستبعاد أيضاً لأنّه إذا نزل على قلب أحد ، وحلّ فيه يظهر أثره لا محالة ظهوراً بيّناً ، فلا يُتصوّر إنكار المتأثر منه ، وليس ظهوره عندهم في صورة يكون فيه مظنة الاستبعاد ، فهو عبارة عن النبي المبشّر به ، فحقيقة الأمر أنّ المسيح عليه السلام لما علم بالتجربة وبنور النبوة **أنّ الكثيرين** من أمته ينكرون النبي المبشر به عند ظهوره فأكّد أولاً بهذه **الفقرة ، ثم** أخبر عن مجيئه .

---

(١) وفي المورد للبعلبكي ص ٦٥٦ : Paraclete : البارقليط المعزّي .
وفي سيرة ابن هشام ١/٢٣٣ : « والمنحمنّا بالسريانيّة : محمد ، وهو بالرومية : البرقليطس ﷺ » .

(٢) انظر سفر أعمال الرسل ٢/١ ـ ٤ .

(٣) وهو أنّ المراد بفارقليط محمد أو أحمد وهو المبشّر به .

٢) أنّ هذا الروح متحد بالآب مطلقاً ، وبالابن نظراً إلى لاهوته اتحاداً حقيقياً ، فلا يصدق في حقه « فارقليط آخر » بخلاف النبي المبشر به ، فإنّه يصدق هذا القول في حقه بلا تكلّف .

٣) أنّ الوكالة والشفاعة من خواصّ النبوة لا من خواص هذا الروح المتحد بالله ، فلا يصدقان على الروح ، ويصدقان على النبي المبشر به بلا تكلّف .

٤) أنّ عيسى عليه السلام قال : « هو يذكّركم كل ما قلته لكم » .

ولم يثبت من رسالة من رسائل العهد الجديد أنّ الحواريين كانوا قد نسوا ما قاله عيسى عليه السلام وهذا الروح النازل يوم الدار ذكّرهم إياه .

٥) أنّ عيسى عليه السلام قال : « والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنوا » .

وهذا يدل على أنّ المراد به ليس الروح ؛ لأنّك قد عرفت في الأمر الأول أنّه ما كان عدم الإيمان مظنوناً منهم وقت نزوله ، بل لا مجال للاستبعاد أيضاً ، فلا حاجة إلى هذا القول ، وليس من شأن الحكيم العاقل أن يتكلم بكلام فضول فضلاً عن شأن النبي العظيم الشأن . فلو أردنا به النبي المبشّر به يكون هذا الكلام في محلّه وفي غاية الإستحسان لأجل التأكيد مرّة ثانية .

٦) أنّ عيسى عليه السلام قال : « هو يشهد لأجلي » .

وهذا الروح ما شهد لأجله بين أيدي أحد ؛ لأنّ تلاميذه الذين نزل عليهم ما كانوا محتاجين إلى الشهادة ؛ لأنّهم كانوا يعرفون المسيح حق المعرفة قبل نزوله أيضاً ، فلا فائدة للشهادة بين أيديهم ، والمنكرون الذين كانوا محتاجين للشهادة ، فهذا الروح ما شهد بين أيديهم بخلاف محمد ﷺ ، فإنّه شهد لأجل المسيح عليه السلام ، وصدّقه ، وبرّأه عن ادّعاء الألوهية الذي هو أشدّ أنواع

الكفر والضلال ، وبرّأ أمّه عن تهمة الزنا ، وجاء ذكر براءتها في القرآن في مواضع متعددة[1]، وفي الأحاديث في مواضع غير محصورة .

٧) أنّ عيسى عليه السلام قال : « وأنتم تشهدون لأنّكم معي من الابتداء » .

وهذه الآية في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦م هكذا : « وتشهدون أنتم أيضاً لأنّكم كنتم معي من الابتداء » .

[وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٢٥م هكذا : (وستشهدون أنتم أيضاً لأنّكم كنتم معي من الابتداء)][2].

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠م هكذا : « وتشهدون أنتم أيضاً لأنّكم معي من الابتداء »[3].

فيوجد في هذه التراجم الثلاث لفظ (أيضاً)[4]، وكذا يوجد في التراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦م وسنة ١٨٢٨م وسنة ١٨٤١م ، وفي ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨١٤م وترجمة لفظ : (أيضاً) . فلفظ (أيضاً) سقط من التراجم التي نقلت عنها عبارة يوحنا سهواً أو قصداً ، فهذا القول يدلّ دلالة ظاهرة على أنّ شهادة الحواريين غير شهادة فارقليط ، فلو كان المراد به الروح النازل يوم

---

(١) انظر سورة آل عمران ٣٣ ـ ٦٣ ، وسورة النساء ١٥٥ ـ ١٧٣ ، وسورة المائدة ٧٢ ـ ٧٥ و ١١٠ ـ ١١٨ ، وسورة مريم ١٦ ـ ٣٦ ، وسورة المؤمنون ٥٠ ، وسورة التحريم ١٢ .

(٢) ما بين القوسين المعقوفين ساقط من المطبوعة والمقروءة وأخذته من المخطوطة .

(٣) وهذا هو نص طبعة سنة ١٨٦٥م وما بعدها .

(٤) ولفظ (أيضاً) موجود كذلك في طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م وسنة ١٨٦٥م و ١٩٧٠م و ١٩٧١م و ١٩٧٦م و ١٩٨٣م وسنة ١٩٨٥م ، وطبعة دار المشرق وترجمة يوسف عون ، ولم يسقط إلا من الطبعة العربية المطبوعة سنة ١٨٢٣م و ١٨٤٤م ، ونص المتن منقول عنها .

الدار فلا توجد مغايرة الشهادتين ؛ لأنّ الروح المذكور لم يشهد شهادة مستقلة غير شهادة الحواريين ، بل شهادة الحواريين هي شهادته بعينها ؛ لأنّ هذا الروح مع كونه إلهاً متحداً بالله اتحاداً حقيقيّاً بريئاً من النزول والحلول والإستقرار والشكل التي هي من عوارض الجسم والجسمانيات نزل مثل ريح عاصفة ، وظهر في أشكال ألسنة منقسمة كأنّها من نار ، واستقرّت على كل واحد منهم يوم الدار[1]، فكان حالهم كحال من عليه أثر الجن ، فكما أنّ قول الجنّ يكون قوله في تلك الحالة فكذلك كانت شهادة الروح هي شهادة الحواريين ، فلا يصحّ هذا القول بخلاف ما إذا كان المراد به النبي المبشّر به فإنّ شهادته غير شهادة الحواريين .

٨) أنّ عيسى عليه السلام قال : « إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط فأمّا إن انطلقت أرسلته إليكم » .

فعلّق مجيئه بذهابه[2]. وهذا الروح عندهم نزل على الحواريين في حضوره لـمّا أرسلهم إلى البلاد الإسرائيليّة ، فنزوله ليس بمشروط بذهابه ، فلا يكون مراداً بفارقليط ، بل المراد به شخص لم يستفض منه أحد من الحواريين قبل زمان صعوده ، وكان مجيئه موقوفاً على ذهاب عيسى عليه السلام ، ومحمد ﷺ كان كذلك ؛ لأنّه جاء بعد ذهاب عيسى عليه السلام ، وكان مجيئه موقوفاً على ذهاب عيسى عليه السلام ؛ لأنّ وجود رسولين ذوي شريعتين مستقلتين في زمان واحد غير جائز ، بخلاف ما إذا كان الآخر مطيعاً لشريعة الأول ، أو يكون كل من الرسولين مطيعاً لشريعة واحدة ؛ لأنّه يجوز في هذه الصورة وجود اثنين أو أكثر في زمان واحد ومكان واحد ، كما ثبت وجودهم ما بين زماني موسى وعيسى عليهما السلام .

---

(١) انظر سفر أعمال الرسل ٢/١ ـ ١٣ .
(٢) أي علّق مجيء الفارقليط بذهاب عيسى .

٩) أنّ عيسى عليه السلام قال : « يوبّخ العالم » .

فهذا القول بمنزلة النص الجلي لمحمد ﷺ ؛ لأنّه وبّخ العالم ـ سيما اليهود على عدم إيمانهم بعيسى عليه السلام ـ توبيخاً لا يشكّ فيه إلّا معاند بحت ، وسيكون ابنه الرشيد محمد المهدي رفيقاً لعيسى عليه السلام في زمان قتل الدجال الأعور ومتابعيه بخلاف الروح النازل يوم الدار ، فإنّ توبيخه لا يصحّ على أصول أحد ، وما كان التوبيخ منصب الحواريين بعد نزوله أيضاً ؛ لأنّهم كانوا يدعون إلى الملّة بالترغيب والوعظ .

وما[1] قال رانكين في كتابه المسمى بـ (دافع البهتان) ـ الذي بلسان أردو في ردّه على خلاصة صولة الضيغم : « إنّ لفظ التوبيخ لا يوجد في الإنجيل ولا في ترجمة من تراجم الإنجيل ، وهذا المستدلّ أورد هذا اللفظ ليصدق على محمد صدقاً بيّناً لأجل أنّ محمداً وبّخ وهدّد كثيراً ، إلّا أنّ مثل هذا التغليط ليس من شأن المؤمنين والخائفين من الله » انتهى كلامه ـ فمردود[2]. وهذا القسيس إمّا جاهل غالط أو مغلّط ليس له إيمان ولا خوف من الله ؛ لأنّ هذا اللفظ يوجد في التراجم العربية المذكورة التي نقلت عنها عبارة يوحنا ، وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١م في الرومية العظمى ، وعبارة الترجمة العربية المطبوعة في بيروت سنة ١٨٦٠م هكذا : « ومتى جاء ذاك يبكّت العالم على خطيّة . . . » الخ .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦م وسنة ١٨٢٥م ، وفي التراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦م وسنة ١٨٢٨م وسنة ١٨٤١م يوجد لفظ : (الإلزام) ، ولفظا التبكيت والإلزام أيضاً قريبان من التوبيخ ، لكن لا شكاية منه؛ لأنّ مثل هذا الأمر من عادات علماء البروتستانت، ولذلك ترى أنّ مترجمي

---

(١) في حاشية ق : مبتدأ . اهـ . لأنها اسم موصول .

(٢) في حاشية ق : خبر . اهـ .

الفارسية وأردو تركوا لفظ : (فارقليط) لشهرته عند المسلمين في حقّ محمد ﷺ ، ومترجم ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٣٩م فاق هؤلاء أسلافه أيضاً حيث أرجع إلى (الروح) ضمائر المؤنث ليحصل الإشتباه للعوام أنّ مصداق هذا اللفظ مؤنث وليس بمذكر .

١٠) قال عيسى عليه السلام : « أمّا على الخطيّة فلأنّهم لم يؤمنوا بي » .

وهذا يدلّ على أنّ فارقليط يكون ظاهراً على منكري عيسى عليه السلام موبخاً لهم على عدم الإيمان به ، والروح النازل يوم الدار ما كان ظاهراً على الناس موبخاً لهم .

١١) قال عيسى عليه السلام : « وإنّ لي كلاماً كثيراً أقوله لكم ولكنّكم لستم تطيقون حمله الآن » .

وهذا ينافي إرادة الروح النازل يوم الدار ؛ لأنّه ما زاد حكماً على أحكام عيسى عليه السلام ؛ لأنّه على زعم أهل التثليث كان أمر الحواريين بعقيدة التثليث وبدعوة أهل العالم كله ، فأيّ أمر حصل لهم أزيد من أقواله التي قالها لهم إلى زمان صعوده ؟! نعم ، بعد نزول هذا الروح أسقطوا جميع أحكام التوراة التي هي ما عدا بعض الأحكام العشرة المذكورة في الباب العشرين من سفر الخروج[1]، وحلّلوا جميع المحرمات ، وهذا الأمر لا يجوز في حقه أن يقال : إنّهم ما كانوا يستطيعون حمله ؛ لأنّهم استطاعوا حمل سقوط حكم تعظيم السبت الذي هو أعظم أحكام التوراة الذي كان اليهود ينكرون كون عيسى عليه السلام مسيحاً موعوداً به لأجل عدم مراعاته هذا الحكم ، فقبول سقوط جميع الأحكام كان أهون عندهم ، نعم ، قبول زيادة الأحكام ـ لأجل ضعف الإيمان وضعف القوة إلى زمان صعوده كما يعترف به علماء البروتستانت ـ

(١) انظر سفر الخروج ٢٠/٢ ـ ١٧ ، وسفر التثنية ٥/٦ ـ ٢١ .

كان خارجاً عن استطاعتهم ، فظهر أنّ المراد بـ (فارقليط) نبي تزاد في شريعته أحكام بالنسبة إلى الشريعة العيسوية ويثقل حملها على المكلَّفين الضعفاء ، وهو محمد ﷺ .

(١٢) أنّ عيسى عليه السلام قال : « لأنّه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع » .

وهذا يدلّ على أنّ فارقليط يكون بحيث يكذّبه بنو إسرائيل ، فاحتاج عيسى عليه السلام أن يقرّر حال صدقه فقال هذا القول ، ولا مجال لمظنّة التكذيب في حق الروح النازل يوم الدار ،على أنّ هذا الروح عندهم عين الله ، فلا معنى لقوله : « بل يتكلّم بكلّ ما يسمع » ، فمصداقه محمد ﷺ ، فإنّه كان في حقه مظنّة التكذيب ، وليس هو عين الله ، وكان يتكلم بما يوحى إليه كما قال الله تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى ● إن هو إلاّ وحي يوحى** ﴾[١]، وقال : ﴿ **إن أتبع إلاّ ما يوحى إليّ** ﴾[٢]، وقال : ﴿ **قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن أتبع إلاّ ما يوحى إلي** ﴾[٣].

(١٣) أنّ عيسى عليه السلام قال : « لأنّه يأخذ مما هو لي » .

وهذا لا يصدق على الروح ؛ لأنّه عند أهل التثليث قديم وغير مخلوق ، وقادر مطلق ليس له كمال منتظر ، بل كلّ كمال من كمالاته حاصل له بالفعل ، فلا بدّ أن يكون الموعود به من الجنس الذي يكون له كمال منتظر ، ولـمّا كان هذا الكلام موهماً أن يكون هذا النبي مطيعاً لشريعته[٤] دفعه بقوله فيما بعد

---

(١) سورة النجم آية ٣ ـ ٤ .
(٢) سورة الأنعام آية ٥٠ ، وسورة يونس آية ١٥ ، وسورة الأحقاف آية ٩ .
(٣) سورة يونس آية ١٥ .
(٤) أي لشريعة عيسى .

« جميع ما هو للآب فهو لي فمن أجل هذا قلت إنّ مما هو لي يأخذ » . يعني أنّ كل شيء يحصل لفارقليط من الله فكأنّه يحصل منّي كما اشتهر : من كان لله كان الله له ، فلأجل هذا قلت : إنّ مما هو لي يأخذ .

وأما الثاني ـ أعني[1] الشبهات التي يوردها علماء البروتستانت ـ فخمسة :

الشبهة الأولى : « جاء في هذه العبارة تفسير فارقليط بروح القدس وروح الحق ، وهما عبارتان عن الأقنوم الثالث . فكيف يصحّ أن يراد بفارقليط محمد ﷺ » ؟ .

أقول في الجواب : إنّ صاحب ميزان الحق يدّعي في تأليفاته كون ألفاظ : « روح الله ، وروح القدس ، وروح الحق ، وروح الصدق ، وروح فم الله » بمعنى واحد .

قال في الفصل الأول من الباب الثاني من مفتاح الأسرار في الصفحة ٥٣ من النسخة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٥٠م : « إنّ لفظ : روح الله ، ولفظ : روح القدس ، في التوراة والإنجيل بمعنى واحد » انتهى . فادّعى أنّ هذين اللفظين يستعملان بمعنى واحد في العهدين .

وقال في حلّ الإشكال في جواب كشف الأستار : « مَن له شعور مّا بالتوراة والإنجيل فهو يعرف أنّ ألفاظ روح القدس وروح الحق وروح فم الله وغيرها بمعنى روح الله ، فلذلك ما رأيت إثباته ضرورياً » انتهى .

فإذا عرفت هذا القول فنحن نقطع النظر عن صحة ادّعائه وعدم صحته ههنا ، ونسلّم ترادف هذه الألفاظ على زعمه ، لكنّا ننكر أنّ استعمالها في كل موضع من مواضع العهدين بمعنى الأقنوم الثالث[2]، ونقول قولاً مطابقاً

---

(١) قوله : « الثاني أعني » ليست في المطبوعة والمخطوطة وأخذته من المقروءة .
(٢) أي روح القدس (جبريل) الذي هو الأقنوم الثالث من الثالوث الإلهي بزعم النصارى .

لقوله : مَن له شعور مّا بكتب العهدين يعرف أنّ هذه الألفاظ تستعمل في غير الأقنوم الثالث كثيراً :

في الآية الرابعة عشرة من الباب السابع والثلاثين من كتاب حزقيال قول الله تعالى في خطاب ألوف من الناس الذين أحياهم بمعجزة حزقيال عليه السلام هكذا : « وأعطيت روحي فيكم » .

ففي هذا القول روح الله بمعنى النفس الناطقة الإنسانية لا بمعنى الأقنوم الثالث الذي هو عين الله على زعمهم .

وفي الباب الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا (ترجمة عربية سنة ١٨٦٠م): « ١ ـ أيها الأحبّاء لا تصدّقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح . هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم (٢) بهذا تعرفون روح الله كل روح يعترف بيسوع المسيح أنّه قد جاء في الجسد فهو من الله (٦) نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ومن ليس من الله لا يسمع لنا من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال » .

وهذه الجملة الواقعة في الآية الثانية « بهذا تعرفون روح الله » في التراجم الأخر هكذا :

ترجمة عربية سنة ١٨٢١م وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤م: « وبهذا يعرف روح الله »[١]. ترجمة عربية سنة ١٨٢٥م: « فإنكم تميزون روح الله »[٢].

ولفظ « روح الله » في الآية الثانية ، ولفظ « روح الحق » في الآية السادسة بمعنى الواعظ الحق ، لا بمعنى الأقنوم الثالث . ولذلك ترجم مترجم ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٤٤م لفظ « كل روح » بـ « كل واعظ » ، ولفظ « الأرواح »

(١) وكذلك في طبعة سنة ١٨٢٣م .
(٢) وكذلك في طبعة سنة ١٨٢٦م .

بـ « الواعظين » في الآية الأولى ، ولفظ « روح » في الآية الثانية بـ « الواعظ من جانب الله » ، ولفظ « روح الحق » في الآية السادسة بـ « الواعظ الصادق » وترجم لفظ « روح الضلال » بـ « الواعظ المضل » ، وليس المراد بروح الله وروح الحق الأقنوم الثالث الذي هو عين الله على زعمهم ، وهو ظاهر . فتفسير « فارقليط » بروح القدس وروح الحق لا يضرنا ؛ لأنّهما بمعنى الواعظ الحق ، كما أنّ لفظ « روح الحق وروح الله » بهذا المعنى في الرسالة الأولى ليوحنا ، فيصحّ إطلاقهما على محمد ﷺ بلا ريب .

الشبهة الثانية : « أنّ المخاطبين بضمير : (كم)[1] الحواريون . فلا بدّ أن يظهر فارقليط في عهدهم ، ومحمد [ﷺ] لم يظهر في عهدهم » .

أقول : هذا أيضاً ليس بشيء ؛ لأنّ منشأه أنّ الحاضرين وقت الخطاب لا بدّ أن يكونوا مرادين بضمير الخطاب ، وهو ليس بضروري في كل موضع ، ألا ترى أنّ قول عيسى عليه السلام في الآية الرابعة والستين من الباب السادس والعشرين من إنجيل متّى في خطاب رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع هكذا : « وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوّة وآتياً على سحاب السماء » . وهؤلاء المخاطبون قد ماتوا ، ومضت على موتهم مدة هي أزيد من ألف وثمانمائة ، وما رأوه آتياً على سحاب السماء ، فكما أنّ المراد بالمخاطبين ههنا الموجودون من قومهم وقت نزوله من السماء فكذلك فيما نحن فيه المراد الذين يوجدون وقت ظهور فارقليط .

الشبهة الثالثة : « أنّه وقع في حق فارقليط أنّ العالم لا يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه ، وهو لا يصدق على محمد [ﷺ] لأنّ الناس رأوه وعرفوه » .

---

(١) في حاشية ق : أي بضمير لفظ : كم . اهـ .

أقول : هذا أيضاً ليس بشيء وهم أحوج الناس تأويلاً في هذا القول بالنسبة إلينا ؛ لأنّ روح القدس عين الله عندهم والعالم يعرف الله أكثر من معرفة محمد ﷺ ، فلا بدّ أن يقولوا : إنّ المراد بالمعرفة : المعرفة الحقيقية الكاملة . ففي صورة التأويل لا اشتباه في صدق هذا القول على محمد ﷺ ،

ويكون المقصود أنّ العالم لا يعرفه معرفة حقيقية كاملة ، وأنتم تعرفونه معرفة حقيقية كاملة . والمراد بالرؤية : المعرفة ، ولذا لم يعد عيسى عليه السلام لفظ (الرؤية) بعد لفظ (أنتم) ، بل قال : وأنتم تعرفونه .

ولو حملنا الرؤية على الرؤية البصرية يكون نفي الرؤية محمولاً على ماهو المراد في قول الإنجيلي الأول[1] في الباب الثالث عشر من إنجيله ـ وأنقل عبارته عن الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦م وسنة ١٨٢٥م : « ١٣ ــ فلذلك أضرب لهم الأمثال لأنّهم ينظرون ولا يبصرون ويسمعون ولا يستمعون ولا يفهمون (١٤) وقد كمل فيهم تنبّأ إشعياء حيث قال : إنكم تسمعون سمعاً ولا تفهمون وتنظرون نظراً ولا تبصرون »[2] ـ فلا إشكال أيضاً .

وأمثال هذين الأمرين وإن كانت معاني مجازية ، لكنها بمنزلة الحقيقة العرفية ، ووقعت في كلام عيسى عليه السلام كثيراً :

في الآية السابعة والعشرين من الباب الحادي عشر من إنجيل متّى هكذا : « وليس أحد يعرف الابن إلّا الآب ولا أحد يعرف الآب إلّا الابن ومَن أراد الابن أن يعلن له » .

---

(١) أي متّى .
(٢) وهو نصّ طبعة سنة ١٨٢٦م كذلك ، وفي سائر النسخ النص متقارب .

وفي الآية الثامنة والعشرين من الباب السابع من إنجيل يوحنا هكذا : « الذي أرسلني هو حقّ الذي أنتم لستم تعرفونه » .

وفي الباب الثامن من إنجيل يوحنا هكذا : « ١٩ ـ لستم تعرفونني أنا ولا أبي لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً (٥٥) ولستم تعرفونه . . . » الخ . أي الله .

وفي الآية الخامسة والعشرين من الباب السابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا : « أيها الآب البارّ : إنّ العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك » .

وفي الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا : « ٧ ـ لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه (٨) قال له فيلبّس[١] : يا سيد أرنا الآب وكفانا (٩) قال له يسوع أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبّس الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب » .

فالمراد في هذه الأقوال بالمعرفة : المعرفة الكاملة ، وبالرؤية : المعرفة . وإلاّ لا تصحّ هذه الأقوال يقيناً ؛ لأنّ العوامّ من الناس كانوا يعرفون عيسى عليه السلام فضلاً عن رؤساء اليهود والكهنة والمشايخ والحواريين ، ورؤية الله بالبصر في هذا العالم ممتنعة عند أهل التثليث أيضاً .

الشبهة الرابعة : « أنّه وقع في حق فارقليط أنّه مقيم عندكم وثابت فيكم ، ويظهر من هذا القول أنّ فارقليط كان في وقت الخطاب مقيماً عند الحواريين وثابتاً فيهم . فكيف يصدق على محمد » ؟ ﷺ .

أقول : إنّ هذا القول في التراجم الأخرى هكذا : ـ ترجمة عربية سنة

(١) هو فيلبس الحوراي أحد الاثني عشر على حسب سياق القصة .

١٨١٦م وسنة ١٨٢٥م - « لأنّه مستقر معكم وسيكون فيكم »[١]، والتراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦م وسنة ١٨٢٨م وسنة ١٨٤١م ، وترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨١٤م وسنة ١٨٣٩م كلها مطابقة لهاتين الترجمتين ، وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠م هكذا : « ماكث معكم ويكون فيكم »[٢]، فظهر أنّ المراد بقوله : « ثابت فيكم » الثبوت الإستقبالي يقيناً فلا اعتراض به بوجه من الوجوه .

بقي قوله : «مقيم عندكم»، **فأقول**: لا يصحّ حمل هذا القول على معنى : هو مقيم عندكم الآن ؛ لأنّه ينافي قوله : « أنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر » ، وقوله : « قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنوا » وقوله : « إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط » . وإذا أُوّل نقول : إنّه بمعنى الإستقبال ، كما أنّ القول الذي بعده بمعنى الإستقبال ، ومعناه : يكون مقيماً عندكم في الإستقبال ، فلا خدشة في صدقه أيضاً على محمد ﷺ ، والتعبير عن الإستقبال بالحال بل بالماضي في الأمور المتيقنة كثير في العهدين : ألا ترى أنّ حزقيال عليه السلام أخبر أوّلاً عن خروج يأجوج ومأجوج في الزمان المستقبل وإهلاكهم حين وصولهم إلى جبال إسرائيل ، ثم قال في الآية الثامنة من الباب التاسع والثلاثين في كتابه هكذا : « ها هو جاء وصار يقول الربّ الإله هذا هو اليوم الذي قلت عنه » .

فانظروا إلى قوله : « ها هو جاء وصار » ، وهذا القول في الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٩م هكذا : « اينك رسيد وبوقوع بيوست » فعبّر عن الحال المستقبل بالماضي لكونه يقيناً لا شك فيه ، وقد مضت مدة أزيد من ألفين

(١) وهو نصّ طبعة سنة ١٨٢٦م كذلك .
(٢) وهو نصّ طبعة سنة ١٨٦٥م كذلك .

وأربعمائة وخمسين سنة[1] ولم يظهر خروجهم .

وفي الآية الخامسة والعشرين من الباب الخامس من إنجيل يوحنا هكذا : « الحقّ الحقّ أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون » .

فانظروا إلى قوله : « وهي الآن » وقد مضت مدة أزيد من ألف وثمانمائة ولم تجيء هذه الساعة ، وإلى الآن أيضاً مجهولة لا يعرف أحد متى تجيء .

الشبهة الخامسة : في الباب الأول من كتاب الأعمال هكذا : « ٤ ــ وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني (٥) لأنّ يوحنا عمّد بالماء وأمّا أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير » . « وهذا يدل على أنّ فارقليط هو الروح النازل يوم الدار ، لأنّ المراد بموعد الآب هو فارقليط » .

أقول : الادّعاء بأنّ المراد بموعد الآب هو فارقليط ادّعاء محض ـ بل هو غلط لثلاثة عشر وجهاً وقد عرفتها ـ بل الحق أنّ الأخبار عن فارقليط شيء ، والوعد بإنزال الروح عليهم مرة أخرى شيء آخر ، وقد وفّى الله بالوعدين . وقد عبّر بالوعد الأول بمجيء فارقليط ، وههنا بموعد الآب ، غاية الأمر أنّ يوحنا نقل بشارة فارقليط ولم ينقلها الإنجيليون الباقون ، ولوقا نقل موعد نزول الروح الذي نزل يوم الدار ولم ينقله يوحنا ، ولا بأس فيه ، فإنّهم قد يتفقون في نقل الأقوال الخسيسة كركوب عيسى عليه السلام على الحمار وقت الذهاب إلى

---

(١) عاش حزقيال في أوائل القرن ٦ ق.م .

أورشليم اتفق على نقله الأربعة[1]، وقد يتخالفون في نقل الأحوال العظيمة . ألا ترى أنّ لوقا انفرد بذكر إحياء ابن الأرملة[2] من الأموات في نايين[3]، وبذكر إرسال عيسى عليه السلام سبعين تلميذاً[4]، وبذكر إبرائه عشرة برص[5]، ولم يذكر هذه الحالات أحد من الإنجيليين مع أنّها من الحالات العظيمة ، وأنّ يوحنا انفرد بذكر وليمة العرس في قانا الجليل[6]، وظهر من يسوع فيه معجزة تحويل الماء خمراً[7]، وهذه المعجزة أوّل معجزاته ، وسبب ظهور مجده وإيمان التلاميذ به ، وبذكر إبرائه السقيم[8] في بيت صيدا[9] في أورشليم ، وهذه أيضاً معجزة عظيمة والمريض كان مريضاً من ثمانٍ وثلاثين سنة ، وبذكر قصة امرأة أخذت في زناء[10]، وبذكر إبراء الأكمه ، وهذا أيضاً من أعظم معجزاته ، وهي مصرحة بها في الباب التاسع[11]، وبذكر إحياء

---

(١) انظر إنجيل متّى ٢١/١ ـ ١١ ، وإنجيل مرقس ١١/١ ـ ١٠ ، وإنجيل لوقا ١٩/٢٨ ـ ٣٦ ، وإنجيل يوحنا ١٢/١٢ ـ ١٦ .

(٢) انظر إنجيل لوقا ٧/١١ ـ ١٧ .

(٣) في حاشية ق : اسم بلدة . اهـ . وهي بلدة في الجليل في شمال فلسطين جنوب شرقي الناصرة بـ ٩ كم ، واسمها الآن نين . (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٤٨) .

(٤) انظر إنجيل لوقا ١٠/١ ـ ١٧ .

(٥) انظر إنجيل لوقا ١٧/١١ ـ ١٩ .

(٦) قانا الجليل : قانا بلدة قديمة في الجليل ، وقد تكون هي خربة قانا الواقعة شمالي الناصرة بثمانية أميال ، وقد تكون هي كفر كنا الواقعة شمال شرقي الناصرة بأربعة أميال ، وكلتاهما في الجليل غربي بحرية طبرية . (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٠٩ ، والموسوعة الميسرة ص ١٣٦٣) .

(٧) انظر إنجيل يوحنا ٢/١ ـ ١١ .

(٨) انظر إنجيل يوحنا ٥/١ ـ ٩ .

(٩) اعترف كتاب قاموس الكتاب المقدس بأن كلمة (صيدا) محذوفة من بعض النسخ ، وأنّ المقصود هي بركة بيت حسدا في القدس . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٠١ و٢٠٣) .

(١٠) انظر إنجيل يوحنا ٨/٢ ـ ١١ .

(١١) انظر إنجيل يوحنا ٩/١ ـ ٣٨ .

العازار من بين الأموات[1]، ولم يذكرها أحد من الإنجيليّين مع أنّها حالات عظيمة ، وهكذا حال متّى ومرقس فإنّهما انفردا بذكر بعض المعجزات والحالات التي لم يذكرها غيرهما .

ولما طال البحث في هذا المسلك فلنقتصر على هذا القدر من البشارات التي نقلتها عن كتبهم المعتبرة عندهم في زماننا ، وأمّا البشارات التي توجد في كتب أخرى هي ليست معتبرة عندهم في زماننا فما نقلتها[2]. وبعدما فرغت أنقل عنها بشارة واحدة أيضاً على سبيل الأنموذج ، فأقول :

نقل القسيس سيل في مقدمة ترجمته للقرآن المجيد من إنجيل برنابا بشارة محمدية هكذا : « اعلم يا برنابا أنّ الذنب وإن كان صغيراً يجزي الله عليه لأنّ الله غير راض عن الذنب ولـمّا أحبتني أمي وتلاميذي لأجل الدنيا سخط الله لأجل هذا الأمر وأراد باقتضاء عدله أن يجزيهم في هذا العالم على هذه العقيدة غيـر اللائقة ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنّم ولا يكون لهم أذيّة هناك وإنّي وإنْ كنت بريّا لكنّ بعض الناس لما قالوا في حقي إنّه الله وابن الله كره الله هذا القول واقتضت مشيئته بأن لا تضحك الشياطين يوم القيامة عليّ ولا يستهزئون بي فاستحسن بمقتضى لطفه ورحمته أن يكون الضحك والاستهزاء في الدنيا بسبب موت يهوذا ويظن كل شخص أني صلبت لكنّ هذه الإهانة والإستهزاء تبقيان إلى أن يجيء محمد رسول الله فإذا جاء في الدنيا ينبّه كل مؤمن على هذا الغلط وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس »[3]، انتهى ترجمة كلامه .

---

(١) انظر إنجيل يوحنا ١١/١ ـ ٤٥ ، وهو مذكور باسم لعازار .

(٢) لأن الكتب ينكرها النصارى لا تقوم بها الحجة عليهم ولا يتم بها الإلزام .

(٣) هذا النص في الفصل ٢٢٠/١٧ ـ ٢٠ ، وفيما يلي النص العربي الذي ترجمه الدكتور خليل سعادة ونشره محمد رشيد رضا وهو كما يلي : « ١٣ ـ أجاب يسوع : سل ما شئت يا برنابا أجبك (١٤) فقال حينئذ الذي يكتب : يا معلم إذا كان الله رحيماً فلماذا عذبنا بهذا المقدار بما =

أقول : هذه البشارة عظيمة ، وان اعترضوا : « أنّ هذا الإنجيل ردّه مجالس علمائنا السلف » ، **أقول** : لا اعتبار لردهم وقبولهم كما علمت بما لا مزيد عليه في الباب الأول ، وهذا الإنجيل من الأناجيل القديمة ، ويوجد ذكره في كتب القرن الثاني والثالث ، فعلى هذا كتب هذا الإنجيل قبل ظهور محمد ﷺ بمئين سنة . ولا يقدر أحد أن يخبر بغير الإلهام بمثل هذا الأمر قبل وقوعه بمئين سنة ، فلا بدّ أن يكون هذا قول عيسى عليه السلام .

وإن قالوا : « إنّ أحداً من المسلمين حرّف هذا الإنجيل بعد ظهور محمد » ﷺ - قلت : هذا الإحتمال بعيد جداً لأنّ المسلمين ما التفتوا إلى هذه الأناجيل الأربعة أيضاً ، فكيف إلى إنجيل برنابا ؟! ويبعد أن يؤثّر تحريف أحد من المسلمين في إنجيل برنابا تأثيراً تتغيّر به النسخ الموجودة عند المسيحيين أيضاً . وهم يزعمون أنّ علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين أسلموا نقلوا

= جعلنا نعتقد أنك كنت ميتاً ؟ (١٥) ولقد بكتك أمك حتى أشرفت على الموت (١٦) وسمح الله أن يقع عليك عار القتل بين اللصوص على جبل الجمجمة وأنت قدوس الله (١٧) أجاب يسوع : صدقني يا برنابا أنّ الله يعاقب على كلّ خطيئة مهما كانت طفيفة عقاباً عظيماً لأنّ الله يغضب من الخطيئة (١٨) فلذلك لما كانت أمّي وتلاميذي الأمناء الذين كانوا معي أحبوني قليلاً حباً عالمياً أراد الله البَـرّ أن يعاقب على هذا الحبّ بالحزن الحاضر حتى لا يعاقب عليه بلهيب الجحيم (١٩) فلمّا كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئاً في العالم أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنني أنا الذي متّ على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة (٢٠) وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله (٢١) وبعد أن تكلم يسوع بهذا قال : إنّك لعادل أيها الرب إلهنا لأنّ لك وحدك الإكرام والمجد بدون نهاية » . ويوجد النص الصريح على اسم محمد رسول الله ﷺ في الفصل ١١٢ و١٣٦ و١٦٣ ، وفيما يلي نقل بعض فقرات الفصل ١١٢ كما يلي :

« ١٣ ــ فاعلم يا برنابا أنّه لأجل هذا يجب عليّ التحفظ وسيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة من نقود (١٤) وعليه فإني على يقين مِنْ أن مَنْ يبيعني يقتل باسمي (١٥) لأن الله سيصعدني من الأرض وسيغيّر منظر الخائن حتى يظنّه كلّ أحد إياي (١٦) ومع ذلك فإنه لـمّا يموت شرّ ميتة أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم (١٧) ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة» .

عن كتب العهدين البشارات المحمدية وحرفوها . فعلى زعمهم أقول : إنّ هؤلاء العلماء الكبار حرّفوا على زعمهم ولم يؤثّر تحريف هؤلاء في كتبهم التي كانت موجودة عندهم في مواضع هذه البشارات ، فكيف أثّر تحريف بعض المسلمين في إنجيل برنابا في النُّسَخ التي كانت عندهم ؟! فهذا الإحتمال واهٍ ضعيف جداً واجب الرد .

تنبيه : نقلنا هذا الإخبار[١] أولاً في كتاب (الإعجاز العيسوي) عن الترجمة المطبوعة سنة ١٨٥٠م من الميلاد ، وطبع هذا الكتاب سنة ١٢٧١ من الهجرة ، وسنة ١٨٥٤ من الميلاد ، واشتهر في أقطار الهند . وتراجمهم وكتبهم تتغيّر في الطبع المتأخر بالنسبة إلى الطبع المتقدم تغيّراً مّا كما قد نبهت في مقدمة الكتاب أيضاً ، فإن لم يجد الناظر هذه البشارة في بعض نسخ الترجمة المذكورة[٢] المطبوعة في سنة غير السنة المذكورة فلا يقع في شك سيما إذا كان هذا البعض من النسخ المطبوعة في سنة متأخرة عن ألف وثمانمائة وأربع وخمسين من الميلاد ؛ لأنّ علماء البروتستانت لو أسقطوا في طبعهم هذه البشارة من الترجمة المذكورة فلا يستبعد من عادتهم التي صارت بمنزلة الأمر الطبيعي لهم .

وقال الفاضل حيدر علي القرشي في كتابه المسمى بـ(خلاصة سيف المسلمين) الذي هو بلسان أردو في الصفحة ٦٣ و ٦٤ : « إنّ القسيس أوسكان الأرمني[٣] ترجم كتاب إشعياء باللسان الأرمني في سنة ألف وستمائة وست

(١) يقصد الإخبار عن محمد رسول الله ﷺ في إنجيل برنابا والذي نقله عن ترجمة سيل المطبوعة سنة ١٨٥٠م .

(٢) أي ترجمة سيل للقرآن .

(٣) الأرمن نسبة إلى أرمينيا التي هي إقليم جبلي يقع جنوب القوقاز ، وهي الآن إحدى جمهوريات الإتحاد السوفيتي المحيطة ببحيرة فان ، وقد اعتنق أهلها النصرانية وأغلبهم على المذهب الأرثوذكسي ، وقليل منهم على المذهب الكاثوليكي ، وهاجر كثير منهم في مطلع القرن العشرين إلى بعض البلاد العربية .

(القاموس الإسلامي ١/٧٣ ، ومعجم البلدان ١/١٦٠ ، والموسوعة الميسرة ص١٢٣) .

وستين ، وطبعت هذه الترجمة في سنة ألف وسبعمائة وثلاث وثلاثين في مطبعة أنتوني بورتولي ، ويوجد في هذه الترجمة في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة : (سبحوا لله تسبيحاً جديداً ، وأثر سلطنته على ظهره[1] واسمه أحمد)[2] انتهت . وهذه الترجمة موجودة عن الأرامن فانظروا فيها » انتهى كلامه .

أقول: هذه الترجمة لم تصل إليّ، وما اطّلعتُ عليها، لكنّ هذا الفاضل لعله رآها واطلع عليها، ولاشكّ أنّ هذه الفقرة عظيمة النفع ـ وإن لم تكن هذه الترجمة معتبرة عند علماء البروتستانت ـ ومَن أسلم من علماء اليهود والنصارى في القرن الأول شهد بوجود البشارات المحمدية في كتب العهدين مثل عبدالله بن سلام[3] وابنيْ سعية[4].

---

(١) المقصود بقوله : « أثر سلطنته على ظهره » خاتم النبوة ، وقد ورد فيه عدة أحاديث رواها ابن الجوزي في كتابه الوفا بأحوال المصطفى ١/٦٧ ـ ٦٩ ، وفي كتاب السيرة النبوية للذهبي ص ٣٠٢ ـ ٣٠٤ .

(٢) في طبعة سنة ١٨٤٤م وسنة ١٨٦٥م يوجد كلام قريب منها ولكن بدون ذكر اسم أحمد ، وهو في سفر إشعياء ٤٢/١٠ ـ ١١ .

(٣) عبدالله بن سلام : هو أبو يوسف عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري من بني قينقاع ، ومن كبار أحبار اليهود بالمدينة المنورة ، ويتصل نسبه بيوسف بن يعقوب عليهما السلام ، كان حليفاً للأنصار ، وخرج في جماعة لينظروا إلى رسول الله ﷺ عند قدومه المدينة مهاجراً ، فعرف أن وجهه ليس بوجه كذاب فآمن به وأسلم ، وكان اسمه الـحُصَيْن فسماه الرسول ﷺ عبدالله ، وشهد فتح بيت المقدس مع عمر عام ١٥هـ/٦٣٦م ، وتوفي بالمدينة سنة ٤٣هـ/٦٦٣م . وله ٢٥ حديثاً . (الإصابة ٢/٣٢٠ ، والإستيعاب ٢/٣٨٢ ، والتهذيب ٥/٢٤٩ ، والأعلام ٤/٩٠ ، والقاموس الإسلامي ٥/١٨٦) ، وانظر قصة إسلامه ومجادلته لقومه وما ورد فيه من آيات في فتح الباري ٧/١٢٨ و٢٧٢ باب ١٩ و ٥١ من كتاب مناقب الأنصار الأحاديث ٣٨١٢ و٣٨١٣ و٣٩٣٨ ، والوفا ١/٥١١ ، والشفا ١/٢٤٧ و ٣٦٤ ، والبداية والنهاية ٣/٢٣٠ ـ ٢٣٢ و٦/١٩٥ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١/٣٣ ـ ٣٥ في المقدمة و٢/٥٢٦ ـ ٥٣٢ و٦/٢٦٠ ـ ٢٦٢ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٣٥٢ ـ ٣٥٣ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٤٥٩ ـ ٤٦١ حديث ٢٤٦ و٢٤٧ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١/٥١٦ ـ ٥١٧ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٥٩) .

(٤) هما ثعلبة وأسيد أو (أسد) ، وأبوهما سعية (سعنة) بن عريض (غريض) بن عاديا الأزدي =

وبنيامين[1] ومخيريق وكعب الأحبار وغيرهم من علماء اليهود ، ومثل بحيرا[2]

= التيماوي نسبة إلى تيماء ، وسعية هو ابن أخ السموأل بن عاديا اليهودي صاحب حصن تيماء في الجاهلية ، وقد أدرك سعية الجاهلية والإسلام فأسلم ومات في آخر خلافة معاوية ، وهم نفر من اليهود من بني هدل إخوة بني قريظة وليسوا من بني قريظة ولا من بني النضير ولكنهم بنو عم القوم ، وفيهما مع ابن سلام وأسد بن عبيد نزلت آية ١١٣ من سورة آل عمران (ليسوا سواء . . .) . (الإصابة ٢/٤٣ و١١٣ ، والأعلام ٣/١٠٤ ، والموسوعة الميسرة ص ١٠١٦) .

وانظر قصتهما في السيرة النبوية لابن هشام ١/٢١٣ و٥٥٧ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ١/٩٤ـ٩٦ حديث ٤٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٨٠ـ٨١ و٤/٣١ـ٣٢ ، والشفا ١/٣٦٤ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٦٧ ، وهما غير اليهودي الذي أسلم زيد بن سعنة الواردة قصته في دلائل النبوة للأصبهاني ١/١٠٨ـ١١٢ حديث ٤٨ ، وفي دلائل النبوة للبيهقي ١/٣٣ـ٣٤ في المقدمة و٦/٢٧٨ـ٢٨١) .

(١) بنيامين : هكذا في المخطوطة والمطبوعة ، ولكنه في كتاب الشفا بلفظ (ابن يامين) وبلفظ (يامين) ، وهو أبو كعب : يامين بن عمير بن كعب بن عمرو بن جحاش من بني النضير أسلم على ماله فأحرزه وحسن إسلامه ، وهو من كبار الصحابة ، وقد زوّد اثنين من البكائين تمرا وناضحا له فارتحلاه ، ولما علم يامين أنّ ابن عمّه عمرو بن جحاش أراد أن يلقي الرحى على الرسول ﷺ جعل يامين لرجل جُعلا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله . (الإصابة ٣/٦٤٨ ، والإستيعاب ٣/٦٧٨ ، والشفا ١/٣٦٤ ، والسيرة النبويّة للذهبي ٢/١٩٢ و٥١٨ ، وفي الإصابة ٣/٦٤٩ أنّ يامين ابن يامين الإسرائيلي قال أنا أشهد بمثل ما شهد عبدالله بن سلام .

(٢) بحيرا (بحيرى) : لقب راهب نصراني اسمه جرجيس ويقال : سرجيس وسرجيوس ـ وقيل بأنه حبر يهودي من أحبار يهود تيماء من بني عبدالقيس ـ وكانت صومعته في بصرى بحوران من أعمال الشام وتقع على طريق القوافل من الحجاز إلى الشام ، مرّ به النبي ﷺ وعمره ما بين ٩ ـ ١٢ سنة مع عمه أبي طالب في قافلة تجارية ، فعرفة الراهب بحيرى ببعض صفاته الخَلقية والخُلقية وأخبر عمه بأنه النبي المبشر به في الكتب السماوية وأوصاه بحمايته من اليهود خاصة ، فرجع به من بصرى ولم يجاوزها (الإصابة ١/١٧٦ ، والقاموس الإسلامي ١/٢٨١ ، والموسوعة الميسرة ص ٣٣٠) .

وانظر قصته كاملة في سنن الترمذي ٣/١٠٦ـ١٠٧ في أبواب المناقب والسيرة النبوية لابن هشام ١/١٨٠ـ١٨٣ ، والوفا بأحوال المصطفى ١/٢١٨ـ٢٢٢ ، والشفا ١/٣٦٤ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ١/٢١٩ حديث ١١٠ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٢٤ ـ ٢٩ ، والطبقات لابن سعد ١/١٢٠ ـ ١٢١ ، وحدائق الأنوار ١/١١٨ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢٨ ـ ٣٠ ، والبداية والنهاية ٢/٢٥٠ .

ونسطورا الحبشي[1] وضغاظر[2] ـ وهو الأسقف الرومي الذي أسلم على يد دحية الكلبي[3] وقت الرسالة فقتلوه ـ والجارود والنجاشي، والقسوس والرهبان الذين جاؤوا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وغيرهم من علماء النصارى. وقد اعترف بصحة نبوته وعموم رسالته هرقل قيصر الروم[4]، ومقوقس صاحب مصر، وابن صوريا وحيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب، وغيرهم ممن حملهم الحسد على الشقاء ولم يسلموا[5].

---

(١) نسطور الحبشي: ذكر اسمه في الشفا ١/٣٦٤ وقال الحبشي احتراز عن نسطور الشام الذي رأى الرسول عندما كان مسافراً مع ميسرة في تجارة خديجةوقال: ما جلس تحت هذه الشجرة إلّا نبي، فليس هذا هو المقصود. وقد بحثت عن نسطور الحبشي فلم أجد ترجمته؟

(٢) ضغاطر (تغاطر) هو الأسقف الرومي المعاصر لهرقل، وذلك أنّ دحية الكلبي حمل كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل ملك الروم فأرسله هرقل إلى ضغاطر ليرى رأيه، فلـمّا قرأ الكتاب قال لدحية: هذا النبي الذي كنا ننتظره، وشهد شهادة الحق وآمن برسالة النبي ﷺ، وقال له هرقل ويحك ان اتبعته قتلني الروم، فقال له: ولكني اتبعته، وألقى ثيابه ولبس ثياباً بيضاء، وخرج على الروم وأخبرهم بإسلامه فوثبوا عليه فقتلوه. (الإصابة ٢/٢١٦، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢/٤٤٨ حديث ٢٤٠، والبداية والنهاية ٤/٢٩٧، والشفا ١/٣٦٤).

(٣) دحية الكلبي: هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي، صحابي مشهور كان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام يظهر للنبي وللصحابة أحياناً متمثلاً في صورة دحية الكلبي، تزوج دحية من درّة بنت أبي لهب ابنة عمّ النبي ﷺ، وقد بعثه ﷺ بكتابه إلى هرقل قيصر الروم، وشارك دحية في فتوح الشام، ثم نزل دمشق وسكن المزّة وتوفي سنة ٤٥هـ/٦٦٥م. (الإصابة ١/٤٧٣، والإستيعاب ١/٤٧٢، والأعلام ٢/٣٣٧، والموسوعة الميسرة ص ٧٨٥، والقاموس الإسلامي ٢/٣٥٠، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٣٤ و ٦٠٧.

(٤) انظر حديث هرقل مع أبي سفيان في الصفة السابعة من صفات رسول الله ﷺ في المزمور ٤٥ في البشارة السادسة.

(٥) لمزيد من التفصيل في أخبار علماء أهل الكتاب والبشارات يُنظر سيرة ابن هشام ١/٢١١ ـ ٢٢٢ و٥١٢ ـ ٥٧٢، والوفا بأحوال المصطفى ١/٧٤ ـ ١٢٥ و٥١١ ـ ٥١٥، وحدائق الأنوار ١/١٠٧ ـ ١٢٥، ودلائل النبوة للأصبهاني ١/٨٠ ـ ١١٣ الأحاديث ٣٢ ـ ٤٩، ودلائل النبوة للبيهقي ١/٣٧٣ ـ ٣٩١، و٣/٣٦١ و٦/٢٧٢، و٧/٢٧٠، والسيرة النبوية للذهبي ص ٤٩ ـ ٦٣ وص ٣٦٥ ـ ٣٧٤، والبداية والنهاية ٦/١٩٤ ـ ٢٠٦، والشفا ١/٣٦٣ ـ ٣٦٥.

وروي أنّه عليه السلام لـمّا أورد الدلائل على نصارى نجران ثم أنّهم أصرّوا على جهلهم ، فقال عليه السلام : «إنّ الله أمرني إنْ لم تقبلوا الحجة أنْ أُباهلكم» . فقالوا: يا أبا القاسم[1] بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك، فلما رجعوا قالوا : للعاقب ـ وكان ذا رأيهم ـ ما ترى ؟ فقال : والله لقد عرفتم نبوته ، وقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم ، والله ما باهل قوم نبيّاً إلاّ هلكوا ، وإن أبيتم إلاّ إلف دينكم فوادِعوا[2] الرجل وانصرِفوا . فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين وآخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليّ رضي الله عنه خلفها وهو يقول : «إذا أنا دعوت فأمّنوا» ، فقال أسقفهم : يا معشر النصارى : إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا . فأذعنوا لرسول الله ﷺ وبذلوا له الجزية: ألفيْ حلة حمراء وثلاثين درعاً من حديد ، فقال عليه الصلاة والسلام : «لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ، ولاضطرم[3] عليهم الوادي ناراً ، ولا ستأصل الله نجران[4] وأهله حتى الطير على الشجر[5] .

---

(١) أبو القاسم : هي كنية الرسول ﷺ ، والقاسم هو ابنه وبكره من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، وقد ولد القاسم قبل البعثة ومات صغيراً ، وقيل بعد أن بلغ سن التمييز . (الإصابة ٣/٢٦٥) .

(٢) في حاشية ق : أي صالحوا . اهـ .

(٣) في حاشية ق : أي اشتعل . اهـ .

(٤) نجران : مدينة واقعة في أقصى جنوب المملكة العربية السعودية قرب الحدود اليمنية ، وتتبع الآن إدارياً لإمارة منطقة عسير ، وكانت أراضيها في الجاهلية لقبيلة همدان ، وكان أغلب سكانها نصارى ، وفيها وقعت واقعة الأخدود سنة ٥٣٣م التي أشار إليها القرآن الكريم في سورة البروج ، وفتحت نجران زمن النبي ﷺ سنة ١٠هـ صلحاً . (معجم البلدان ٥/٢٦٦ ، والبداية والنهاية ٢/١٤٢ و ٥/٦٠ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٢٤ ، ودائرة معارف القرن العشرين ١٠/٥٧) .

(٥) العاقب : هو عبدالمسيح النجراني ، من أشراف نصارى نجران من كندة ، ويُقرن اسمه بالسيد (واسمه أيهم) ، أمّا العاقب فهو أميرهم وصاحب مشورتهم ، الذي يصدرون عن رأيه ، =

وهذه الواقعة دلّت على نبوته بوجهين :

الأول : أنّه عليه الصلاة والسلام خوّفهم بنزول العذاب عليهم ، ولو لم يكن واثقاً بذلك لكان ذلك منه سعياً في إظهار كذب نفسه ؛ لأنّه لو باهل ولم ينزل العذاب ظهر كذبه ، ومعلوم أنّه كان من أعقل الناس، فلا يليق به أن يعمل عملاً يفضي إلى ظهور كذبه ، فلـمّا أصرّ على ذلك علمنا أنّه إنما أصرّ عليه لكونه واثقاً بوعد الله .

والثاني : أنّ القوم كانوا يبذلون النفوس والأموال في المنازعة مع الرسول ﷺ ، فلو لم يعرفوا أنّه نبي لما تركوا مباهلته .

= وأمّا السيد فهو صاحب رحالهم ومجتمعهم ورئيسهم في ذلك ، وأمّا أسقفهم وإمامهم وحَبرهم وصاحب مِدْراسهم فهو أبو الحارث بن علقمة ، وبعدما رجع الوفد إلى نجران لم يلبث العاقب والسيد إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي ﷺ وأسلما ، وأنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري .

وقد ذكرت قصتهما وقومهما في فتح الباري ٨/٩٣ باب ٧٢ من كتاب المغازي حديث ٤٣٨٠ و ٤٣٨١ ، وصحيح مسلم ١٤/١٦ في كتاب الآداب ، و ١٥/١٩٢ في كتاب الفضائل ، وفي سنن ابن ماجه ١/٢٧ باب ١١ من المقدمة حديث ١٢٢ ، وفي دلائل النبوة للأصبهاني ٢/٤٥٥ ـ ٤٥٨ حديث ٢٤٤ و ٢٤٥ ، وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/٣٨٢ ـ ٣٩٣ ، وسيرة ابن هشام ١/٥٧٣ ـ ٥٨٤ ، وفي طبقات ابن سعد ١/٣٥٧ ـ ٣٥٨ ، وفي الإصابة ٢/١٠٣ ـ ١٠٤ ، وفي فتوح البلدان للبلاذري ص ٧٥ ـ ٧٩ ، وفي الشفا ١/٢٧٣ ، وفي حدائق الأنوار ٢/٧٠٩ ـ ٧١٠ ، وفي البداية والنهاية ٥/٦٠ ـ ٦٥ ، والوفا ١/١٠٦) .

الفصل الثاني
(في دفع المطاعن)

اعلم أرشدك الله في الدارين أنّ المسيحيين يدّعون أنّ الأنبياء إنما يكونون معصومين في تبليغ الوحي فقط تقريراً كان أو تحريراً ، وأمّا في غير التبليغ فليسوا بمعصومين لا قبل النبوة ولا بعدها ، فيصدر عنهم بعدها جميع الذنوب قصداً ، فضلاً عن الخطأ والنسيان ، فيصدر عنهم الزنا بالمحارم فضلاً عن الأجنبيات ، ويصدر عنهم عبادة الأوثان وبناء المعابد لها ، ولا يخرج عندهم نبي من إبراهيم إلى يحيى عليهما السلام لا يكون زانياً أو من أولاد الزنا ـ أعاذنا الله من أمثال هذه العقائد الفاسدة في حق الأنبياء ـ . وقد عرفت في الأمر السابع من مقدمة الكتاب وفي الفصل الثالث والرابع من الباب الأول ، وفي المقصد الأول من الباب الثاني أنّ ادّعاءهم العصمة في التبليغ أيضاً ادّعاء باطل لا أصل له على أصولهم ، ويصدر هذا الادّعاء عنهم لتغليط العوام ، فمطاعنهم على محمد ﷺ في بعض الأمور التي يفهمونها ذنوباً في زعمهم الفاسد لا تقدح في نبوته على أصولهم .

وإنّي وإن كنت أستكره أن أنقل ذنوب الأنبياء والكفريّات المفتريات عن كتبهم ولو إلزاماً ، ولا أعتقد في حضرات الأنبياء اتصافهم بهذه الذنوب والكفريات ، حاشا وكلا ! ، لكنّي لما رأيت أنّ علماء البروتستانت أطالوا ألسنتهم إطالة فاحشة في حق محمد ﷺ في الأمور الخفيفة ، وجعلوا الخردلة جبلاً لتغليط العوام غير الواقفين على كتبهم ، وكان مظنّة وقوع السذج[1] في الإشتباه بتمويهاتهم الباطلة نقلت بعضها إلزاماً ، وأتبرّأ عن اعتقادها بألف

---

(١) في حاشية ق : بمعنى خالي الذهن . اهـ . ويقال : حجة ساذجة غير بالغة ، وهي كلمة معربة عن الفارسية : سادة . (لسان العرب ٢٩٧/٢ ، والمعجم الوسيط ص ٤٢٤) .

لسان ، وليس نقلها إلا كنقل كلمات الكفر ، ونقل الكفر ليس بكفر . وقدّمت نقلها على نقل مطاعنهم في حق محمد ﷺ والجواب عنها .

وكتب القسيس وليم اسمت من علماء البروتستانت كتاباً بلسان أردو وطبعه في بلدة مرزابور[١] من بلاد الهند في سنة ١٨٤٨ من الميلاد وسماه (طريق الأولياء) ، وكتب فيه حال الأنبياء من آدم إلى يعقوب عليهم السلام ناقلاً عن سفر التكوين وتفاسيره المعتبرة عند علماء البروتستانت . فأنقل في بعض المواضع عن هذا الكتاب أيضاً .

(١) قصة آدم عليه السلام عندهم مشهورة ، وفي الباب الثالث من سفر التكوين مسطورة[٢]، وهم يعترفون أنّه أذنب عمداً[٣]، ولم يعترف بذنبه لما طلبه الله ، ولم تثبت توبته عندهم إلى آخر حياته .

في الصفحة ٢٣ من طريق الأولياء « يا أسفى على أنّه لم تثبت توتبه ، وعلى أنّه ما استغفر الله لذنبه مرة واحدة أيضاً ». انتهى .

(٢) في الباب التاسع من سفر التكوين هكذا : « ١٨ ــ فكان بنوا نوح الذين خرجوا من الفلك سام وحام ويافث[٤]: وحام فهو أبو كنعان (٢٠) وبدا

---

(١) مرزابور : مدينة في شمال الهند جنوب شرق أوتار برادش على نهر الجانج وبها معبد كالي المشهور ، وهي مركز تجاري . (الموسوعة الميسرة ص ١٦٨١) .

(٢) انظر سفر التكوين ٣/١ ـ ١٩ .

(٣) أي بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها .

(٤) سام : أكبر أبناء نوح عليه السلام ولد لأبيه وعمره ٥٠٠ سنة ، وكان وقت الطوفان متزوجاً ، وتناسلت ذريته في منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسط إلى بلاد فارس ، ومن نسله: الأراميون والآشوريون والعرب واليهود . (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٨) .

حام : الابن الأصغر لنوح عليه السلام وتناسلت ذريته في مصر والحبشة وسائر افريقيا . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٨٤).

يافث : هو الابن الثاني أو الثالث لنوح عليه السلام ، وتناسلت ذريته في جنوبي بحر قزوين ، ومن نسله الأوروبيون والهنود . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٤٧) .

نوح رجل فلاح يحرث في الأرض وغرس كرما (٢١) وشرب خمراً فسكر وتكشّف في خباه (٢٢) فلمّا نظر حام أبو كنعان ذلك أي عورة أبيه أنّها مكشّفة أخبر إخوته خارجاً (٢٤) فلما استيقظ نوح من الخمر وعلم بما عمل به ابنه الأصغر (٢٥) فقال ملعون كنعان فيكون عبداً لعبيد إخوته » .

ففيه تصريح بأنّ نوحا شرب الخمر ، وسكر ، وصار عرياناً . والعجب أنّ المذنب بالنظر إلى عورة أبيه هو حام أبو كنعان ، والذي عوقب باللعنة ابنه كنعان . وأخذ الابن بذنب الأب خلاف العدل .

قال حزقيال في الآية العشرين من الباب الثامن عشر من كتابه : « النفس التي تخطيء فهي تموت والابن لا يحمل اثم الأب والأب لا يحمل اثم الابن وعدل العادل يكون عليه ونفاق المنافق يكون عليه » .

ولو فرضنا أنّه حمل اثم الأب على الابن خلاف العدل فما وجه تخصيص كنعان ؟ لأنّ أبناء حام كانوا أربعة : كوش ومصرايم وفوط وكنعان ، كما هو مصرح به في الباب العاشر[1].

(٣) في الصفحة ٧٤ من طريق الأولياء في حال إبراهيم هكذا : « لا يعلم حاله إلى سبعين سنة من عمره ، وهو تربّى في الوثنيين ، ومضى أكثر عمره فيهم ، ويُعلم أنّ أبويه ما كانا يعرفان الإله الحق ، ويحتمل أنّ إبراهيم أيضاً

(١) ففي سفر التكوين ٦/١٠ « وبنو حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان » . ونسل كوش هم الكوشيون في بلاد النوبة والحبشة ، ونسل مصرايم هم المصريون ، ومصرايم هو الاسم العبراني لمصر ، وأمّا فوط فيظن يوسيفوس المؤرخ اليهودي أنها بلاد ليبيا ، وأمّا كنعان فهو جدّ الكنعانيين ، وكانت أرضهم تمتدّ من حماة شمالاً إلى جنوب فلسطين ، ولعل الصواب ما ذكره ياقوت في معجم البلدان أن الأزهري قال : كنعان ابن سام بن نوح وليس هو ابن حام ، وأنّ الكنعانيين كانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية ، قال ياقوت صاحب المعجم : وهذا مستقيم حسن . (معجم البلدان ٤/٤٨٣ ، والموسوعة الميسرة ص ١٤٨٥ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٩ ص ٧٩٨ و ٩٠٥) .

كان يعبد الأصنام ما لم يظهر الله عليه ، ثم ظهر الله عليه وانتخبه من أبناء العالم ، وجعله عبداً خاصّاً ». انتهى .

فظهر أنّ المظنون عند المسيحيين أنّ إبراهيم إلى سبعين سنة من عمره كان يعبد الأصنام . أقول : كونه عابد الأصنام إلى أن بلغ سبعين سنة قريب اليقين نظراً إلى أصولهم ؛ لأنّ أهل العالم في هذا الوقت عندهم كانوا وثنيين ، وهو تربّى فيهم ، وأبواه أيضاً كانا منهم ، ولم يظهر عليه الرب إلى ذلك الوقت ، والعصمة عن عبادة الأوثان ليست بشرط بعد النبوة ، فضلاً عن أن تكون شرطاً قبل النبوة . وإذا ظهر حال أبي الأنبياء هذا إلى سبعين سنة من عمره قبل النبوة فأنقل حاله بعد النبوة .

(٤) في الباب الثاني عشر من سفر التكوين هكذا : « ١١ ـ فلما قرب أن يدخل إلى مصر قال لساراي زوجته إنّي علمت أنك امرأة حسنة (١٢) ويكون إذا رآك المصريون فإنهم سيقولون إنها إمرأته ويقتلوني ويستبقونك (١٣) والآن أرغب منك فقولي انك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيـي نفسي من أجلك » .

فسبب الكذب ما كان مجرد الخوف ، بل رجاء حصول الخير أيضاً ، بل الأخير كان أقوى ، ولذلك قدّمه ، وقال : « ليكون لي خير بسببك وتحيـي نفسي من أجلك » ، وحصل له الخير أيضاً كما هو مصرح به في الآية السادسة عشرة[1] ، على أنّ خوفه من القتل مجرد وهم لا سيما إذا كان راضياً بتركها فإنه لا وجه لخوفه بعد ذلك أصلاً ، وكيف يجوّز العقل أن يرضى إبراهيم بترك حريمه وتسليمها ولا يدافع دونها ، ولا يرضى بمثله مَن كان له غيرة مّا ، فكيف يرضى مثل إبراهيم الغيور ؟! .

---

(١) ففي سفر التكوين ١٢/١٦ « فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى أبرام خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال » .

(٥) في الباب العشرين من سفر التكوين هكذا : « ١ ـ وارتحل إبراهيم من هناك إلى أرض التيمن[١] وسكن بين قادس وسور والتجى في جرارا[٢] (٢) وقال عن سارة امرأته إنها أختي : ووجّه أبيمالك ملك جرار وأخذها (٣) فجاء الله إلى أبيمالك في الحلم بالليل وقال له : هو ذا أنت تموت من أجل الامرأة التي أخذتها لأنها ذات بعل (٤) ولم يكن أبيمالك قربها فقال يا رب أتهلك شعباً بارّاً لا علم له (٥) أليس هو القائل إنّها أختي وهي قالت إنّه أخي » .

كذب هناك إبراهيم وسارة مرة ثانية ، ولعلّ السبب القوي ههنا ـ ما عدا الخوف أيضاً ـ كان حصول المنفعة ، وقد حصلت كما هي مصرحة بها في الآية الرابعة عشرة[٣]، على أنّه لا وجه للخوف إذا كان راضياً بتسليمها بدون المقاتلة .

وفي الصفحة ٩٩ من طريق الأولياء هكذا : « لعل إبراهيم لما أنكر كون سارا زوجة له في المرة الأولى عزم في قلبه أنّه لا يصدر عنه مثل هذا الذنب ، لكنّه وقع في شبكة الشيطان السابقة مرة أخرى بسبب الغفلة » انتهى .

(٦) في الصفحة ٩٢ و٩٣ من طريق الأولياء : « لا يمكن أن يكون إبراهيم غير مذنب في نكاح هاجر ؛ لأنّه كان يعلم جيّداً قول المسيح المكتوب في

---

(١) في حاشية ق : هي بالشام . اهـ . وهي لفظة عبرية معناها اليميني أو الجنوبي ، ويظن أنها منطقة صحراء جنوب الأردن ، وقد تكون هي طويلان الواقعة شرقي البتراء ، ولذلك وردت هذه اللفظة في طبعة سنة ١٨٦٥م وفي التوراة السامرية باسم: أرض الجنوب. (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٨) .

(٢) في حاشية ق : اسم بلدة . اهـ . وهي مدينة قديمة في جنوب فلسطين جنوب شرقي غزة بثمانية أميال ، وجنوب غربي بيت جبرين بتسعة عشر ميلاً ، وقد تكون هي المسماة الآن بخربة أم جرار . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٤) .

(٣) ففي سفر التكوين ١٤/٢٠ « فأخذ أبيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماء وأعطاها لإبراهيم وردّ إليه سارة امرأته » .

الإنجيل[١] أنّ الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى ، وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الإثنان جسداً واحداً »[٢] انتهى .

أقول كما لا يمكن هذا ، فكذا لا يمكن أن يكون غير مذنب في نكاح سارة ؛ لأنّه كان يعلم جيّداً قول موسى المكتوب في التوراة : « ولا تجتلي[٣] عورة أختك من أبيك كانت أو من أمك التي ولدت في البيت أو خارجاً من البيت »[٤] .

وكذا قوله : « وأيّما رجل تزوج أخته ابنة أبيه أو أخته ابنة أمه ورأى عورتها ورأت عورته فهذا عار شديد فيقتلا أمام شعبهما وذلك لأنّه كشف عورة أخته فيكون اثمهما في رأسهما »[٥] .

وكذا قوله : « ملعوناً يكون من يضاجع أخته من أبيه أو أمه »[٦] . كما عرفت في الباب الثالث من هذا الكتاب .

ومثل هذا النكاح مساو للزنا عند علماء البروتستانت ، فيلزم أن يكون إبراهيم عليه السلام زانياً ـ وحاشاه ـ قبل النبوة وبعدها ، ويكون أولاده كلهم من سارا أولاد الزنا ، ولو جوّزوا[٧] نكاح الأخت في شريعته لزم عليهم تجويز تعدد النكاح أيضاً في تلك الشريعة ، فلا اعتراض باعتبار هاجر ولا اعتراض باعتبار سارا ، وهو الحق عندنا ، لكنّه يلزم على أصلهم الفاسد أنّ هذا النبي

---

(١) انظر قول المسيح في إنجيل متّى ١٩/٤ ـ ٦ ، وإنجيل مرقس ١٠/٦ ـ ٨ .
(٢) في حاشية ق : من هنا يفهم عندهم عدم التزوج باثنتين . اهـ .
(٣) ولا تجتلي: بمعنى ولا تكشف كما في بعض الطبعات .
(٤) انظر سفر اللاويين (الأحبار) ١٨/٩ .
(٥) انظر سفر اللاويين ٢٠/١٧ .
(٦) انظر سفر التثنية ٢٧/٢٣ .
(٧) في ط ، ق (جُـوّز) ، في المخطوطة (جَـوّزوا) .

أبا الأنبياء كما كان كاذباً فكذا كان زانياً من أول عمره إلى آخره ، ومع هذا كان خليل الله ! أيكون خليل الله مثله ؟! .

(٧) في الباب التاسع عشر من سفر التكوين هكذا : « ٣٠ ــ فصعد لوط[١] من صاغر وسكن الجبل وابنتاه معه وخاف أن يسكن صاغر[٢] وأوى إلى كهف هو ابنتاه معه (٣١) فقالت الكبرى منهما للصغرى إن أبانا قد شاخ وليس رجل على الأرض يستطيع يدخل علينا كالمرسوم لكل الأرض (٣٢) فهلمّي نسقيه خمراً ونضطجع معه ونقيم من أبينا خَلَفا (٣٣) فأسقيا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت الكبرى فاضطجعت مع أبيها وهو لم يعلم عند انضجاع ابنته ولا نهوضها (٣٤) ولما كان الغد قالت الكبرى للصغرى هو ذا قد اضطجعت البارحة مع أبي فلنسقه خمراً في ليلتنا هذه أيضاً وادخلي فاضطجعي معه فنقيم نسلاً من أبينا (٣٥) فأسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً ودخلت الصغرى فاضطجعت مع أبيها ولم يعلم عند انضجاعها ولا نهوضها (٣٦) فحملت ابنتا لوط من أبيهما (٣٧) وولدت الكبرى ابناً ودعت اسمه موآب فهو أبو الموآبيين

---

(١) لوط : هو النبي الرسول : لوط بن هاران بن تارح (آزر) ، فإبراهيم الخليل عمه عليهما السلام ، وقد آمن لوط برسالة عمه وهاجر معه إلى أرض مصر ثم عاد إلى الشام ، فأرسله الله إلى أهل المؤتفكة (وهي سبع قرى منها سدوم وعامورة ، قرب البحر الميت) فأمرهم بعبادة الله وحده ونهاهم عن الفواحش التي كان أعظمها إتيان الذكور ، ولما لم يستجيبوا أهلكهم الله بأن قلب مدنهم عاليها سافلها ، ونجّى لوطا والذين آمنوا معه ، وكانت ابنتاه مع الناجين ، وهلكت زوجته (والهة) مع الكافرين . وردت قصة لوط مع قومه في مواضع كثيرة من سور القرآن الكريم ، وورد اسمه فيه ٢٧ مرّة . (البداية والنهاية ١/١٩١ ، والكامل في التاريخ ١/٥٧ و٦٧ وقاموس الكتاب المقدس ص ٨٢١ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٨/٣٨٤ ، وقصص الأنبياء للنجار ص ١١٢) .

(٢) إحدى مدن الدائرة ، ولم يلحقها الخراب كسادوم وعامورة ، ويُظنّ أنّ مكانها إلى الطرف الجنوبي الشرقي من البحر الميت ، ويُعتقد أنّ مكانها الأصلي صار تحت البحر فيما بعد . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٦٢) .

إلى يومنا هذا (٣٨) وولدت الصغرى أيضاً ابناً ودعت اسمه عمّان أي ابن جنسي فهو أبو العمّانيين إلى اليوم » .

وفي الصفحة ١٢٨ من طريق الأولياء بعد نقل هذا الحال هكذا : « حاله حري أن يبكى عليه ونحن بعد التأسف والخوف والخشية على أنفسنا نتعجب منه ، أهو الذي بقي نقي الثوب عن جميع شرور سادوم ، وكان قويّـاً في السلوك على صراط الله وبعيداً عن جميع نجاسات تلك البلدة وغلب عليه الفسق بعدما خرج إلى البرّ فأيّ شخص يكون مأموناً في بلد أو برّ أو كهف » انتهى كلامه .

فلما بكى القسيسون على حاله فلا حاجة لنا إلى الإطالة ، وبكاؤهم يكفي ، غير أني **أقول** : إنّ مؤاب وعمّون اللذين تولّدا بالزنا ما قتلهما الله . وقتل الولد الذي تولّد بزناء داود عليه السلام بامرأة أوريّا[1]، لعلّ الزناء بامرأة الغير أشدّ من الزناء بالبنات عندهم ، بل هما كانا من المقبولين عند الله .

أمّا مؤاب : فلأن عوبيد جدّ داود عليه السلام اسم أمّه راعوث ـ كما هو مصرح به في الباب الأول من إنجيل متّى[2] ـ وراعوث هذه كانت مؤابيه من أولاد مؤاب فهي من جدّات داود وسليمان وعيسى عليهم السلام . وداود ابن الله البكر[3]، وسليمان أيضاً ابن الله[4]، وعيسى ابن الله الوحيد[5] بل الله على زعم المسيحيين .

---

(١) انظر سفر صموئيل الثاني ١٢/١ ـ ٢٣ .

(٢) ففي إنجيل متّى ١/٥ ـ ٦ « ٥ ـ وبوعز ولد عوبيد من راعوث وعوبيد ولد يسّى (٦) ويسّى ولد داود الملك » .

(٣) إشارة لما في مزمور ٨٩/٢٧ .

(٤) إشارة لما في سفر صموئيل الثاني ٧/١٤ .

(٥) إشارة لما في إنجيل يوحنا ٣/١٦ ـ ١٨ ورسالة يوحنا الأولى ٤/٩ .

وأمّا عمّون : فلأنّ رحبعام بن سليمان من أجداد عيسى عليه السلام ـ كما هو مصرح به في الباب الأول من إنجيل متّى[1] أيضاً ـ وأمه كانت عمّونية من أولاد عمّون كما هو مصرّح به في الباب الرابع عشر من سفر الملوك الأول[2]، فهي أيضاً من جدات ابن الله الوحيد بل الله على زعمهم .

والآية التاسعة عشرة من الباب الثاني من سفر التثنية هكذا : « وتدنوا إلى قرب بني عمّون احذر تقاتلهم ولا تحترك إلى محاربتهم فإنّي لا أعطيك شيئاً من أرض بني عمّون انّي أعطيتها بني لوط ميراثاً » .

فأيّ شرف لمؤاب وعمّون ولدي الزنا أزيد من هذا : أنّ بعض بنات الأول صارت جدة معظمة لأبناء الله بل الله على زعمهم ، وبعض بنات الثاني صارت جدة لابن الله الوحيد بل الله على زعمهم ، وأنّ الله منع بني إسرائيل ـ الذين كانوا أبناء الله بنصّ التوراة ـ عن توريث أرض أولاده[3]، لكنّه بقيت خدشة وهي أنّه إذا وصل نسب عيسى عليه السلام باعتبار هاتين الجدّتين المعظمتين إلى مؤاب وعمّون[4] صار مؤابيّا وعمّونيا ، وما كان للعمّونيّين والمؤابيّين أن يدخلوا جماعة الرب إلى الأبد .

الآية الثالثة من الباب الثالث والعشرين من كتاب التثنية هكذا :

---

(١) انظر إنجيل متّى ١/٧ ـ ١٧ .

(٢) ففي سفر الملوك الأول ١٤/٢١ و٣١ « واسم أمّه نعمة العمّونية » .

(٣) الضمير يرجع إلى الثاني (عمّون) أي أولاد عمّون .

(٤) عمّون : وذرّيته العمّونيون ، ومسكنهم في وسط الأردن في منطقة جلعاد ، وعاصمتهم ربّة عمون (عمّان الحالية) قصبة أرض البلقاء ، وكان العمّونيون يعبدون صنماً اسمه ملكوم (مولك) ، وأمّا موآب : وذريته الموآبيون ، فكان مسكنهم وأرضهم جنوب أرض العمونيين وشرقي البحر الميت في القسم الجنوبي من الأردن ، وكان الموآبيون يعبدون صنماً اسمه كاموش .
(معجم البلدان ٤/١٥١ و ٥/٣١ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٤٠ وص ٧٨٧ وص ٩٢٢ وص ٩٢٧ و ٩٣٤) .

« والعمّونيون والمؤابيون بعد العشرة أحقاب أيضاً لا يدخلوا جماعة الربّ إلى الأبد » .

فكيف دخل عيسى عليه السلام جماعة الرب ، بل صار رئيسهم ، بل ابن الله على زعمهم ؟ وإن قيل : إنّ اعتبار النسب بالآباء لا بالأمهات فلا يكون عيسى عليه السلام عمّونياً ولا مؤابيّاً ، قلت : لو كان كذا يلزم أن لا يكون إسرائيليّاً يهوداويّاً داوديّاً سليمانيّاً أيضاً[1] . إذْ حصول هذه الأوصاف له أيضاً من جانب الأم لا الأب ، فلا يكون مسيحاً موعوداً به واعتبار هذه الأوصاف باعتبار الأم ، وعدم اعتبار كونه عمّونيّاً وموآبياً من جهة الجدات ترجيح بلا مرجح ، وهذا وارد على داود وسليمان عليهما السلام أيضاً باعتبار راعوث ، لكني لا أطيل الكلام في هذا وأرجع إلى أصل القصة ، وأقول :

إنّ لوطا عليه السلام ـ هذا الذي حاله حريّ بأن يُبكى عليه عند القسيسين ـ لا شكّ أنّه بحكم الإنجيل بارّ قدّيس لم يقع الوهن عندهم في قدّيسيّته بعد هذه الحركة الشنيعة التي لم يُسمع مثلها في الأراذل الذين يكونون مخمورين أكثر الأوقات ؛ لأنّهم يميّزون في حالة الخمار أيضاً بناتهم عن الأجنبيات ، وإذا سقط الامتياز بين البنات وغيرها لشدة الخمار لا يبقى السكران في هذا الوقت قابلاً للجماع كما شهد به المولعون بشرب الخمر ، وما سمعنا إلى الآن في الهند أنّ رذيلاً من الأراذل فعل هذا الأمر في الخمار ببنته أو بأمه ، ولو كان الخمار موصلاً إلى هذه الرتبة فوا أسفى على حال أهل أوربا من المسيحيين ! كيف يرجى نجاة أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم من أيدي الأبناء والآباء والاخوة ؟ لأنّهم في أغلب الأوقات يكونون سكرانين رجالهم

---

(١) ففي الإصحاح الأول من إنجيل متّى أنّ نسب عيسى من جهة أمّه يتّصل بسليمان بن داود عليهما السلام ، ونسبهما يتصل بيهوذا بن إسرائيل (يعقوب) عليه السلام .

ونساؤهم ، سيّما إذا قسنا الحال بالنسبة إلى أراذلهم . والعجب أنّ هذا القدّيس كما ابتلي في الليلة الأولى ابتلي في الليلة الثانية إلاّ أن يقال : إنّ هذا الأمر كان أمراً مقضيّـاً ليتولّد أبناء الله بل الله من بعض بناته ، ويدخل هو في سلسلة نسب ابن الله الوحيد . ومثل هذا لو وقع لبعض آحاد الناس ضاقت عليه الأرض بما رحبت حزناً وهمّا ، فالعجب من لوط !! أعوذ بالله من هذه الخرافات وأقول : إنّ هذه القصة الكاذبة من المفتريات .

في الباب الثاني من الرسالة الثانية لبطرس هكذا : « ٧ ــ وأنقذ لوطا البارّ مغلوباً من سيرة الأردياء في الدعارة (٨) إذ كان البارّ بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذب يوماً فيوماً نفسه البارّة بالأفعال الأثيمة » .

فأطلق بطرس لفظ (البارّ) على لوط عليه السلام ، ومدحه ، فأنا أشهد أيضاً أنّه كان بارّاً بريئاً مما نسبوه إليه .

(٨) في الباب السادس والعشرين من سفر التكوين هكذا : « ٦ ــ فمكث إسحاق في جرارة (٧) وسأله رجال ذلك الموضع عن زوجته فقال هي أختي لأنّه خاف يقول أنها زوجته لئلا يقتلوه من أجل حسنها » .

فكذب إسحاق عمداً أيضاً مثل أبيه ، وقال لزوجته : إنّها أخته .

في الصفحة ١٦٨ من طريق الأولياء : « زلّ إيمان إسحاق لأنّه قال لزوجته أنّها أخته » .

ثم في الصفحة ١٦٩ : « يا أسفى يا أسفى : انّه لا يوجد كمال في أحد من بني آدم غير الواحد العديم النظير . والعجب أنّ شبكة الشيطان التي وقع فيها إبراهيم وقع فيها إسحاق أيضاً ، وقال لزوجته : إنّها أخته . فيا أسفى ! ان أمثال هؤلاء المقربين عند الله محتاجون إلى الوعظ ». انتهى كلامه .

ولما تأسّف القسّيسون تأسّفاً بليغاً على مزلة إيمانه وعدم وجود كمال فيه

ووقوعه في شبكة الشيطان التي وقع فيها إبراهيم عليه السلام ، وكونه محتاجاً إلى الوعظ فلا نطيل الكلام فيه .

(٩) في الباب الخامس والعشرين من سفر التكوين هكذا : « ٢٩ ــ فطبخ يعقوب طبيخاً ولـمّا جاء عيسو إليه تعبان من الحقل (٣٠) فقال له طعمني من هذا الطبيخ الأحمر[١] فإني تعبان جداً ولهذا السبب دعي اسمه آدوم (٣١) فقال له يعقوب بع لي بكوريّتك (٣٢) فأجاب وقال هو ذا أنا أموت فماذا تنفعني البكوريّة (٣٣) فقال له يعقوب احلف لي فحلف له عيسو وباع البكوريّة (٣٤) فقدّم يعقوب لعيسو خبزاً ومأكولاً من العدس فأكل وشرب ومضى وتهاون في أنّه باع البكورية » .

فانظروا إلى ديانة عيسو ـ الذي هو الولد الأكبر لإسحاق عليه السلام ـ أنّه باع البكورية التي كان بها استحقاق منصب النبوة والبركة بالخبز ومأكول من العدس ! . لعلّ النبوّة والبركة عنده ما كانا في رتبة هذا الخبز والإدام من العدس ، وكذا انظروا إلى محبّة يعقوب عليه السلام وإلى جوده ! أنّه ما أعطى للأخ الأكبر الجائع التعبان هذا المأكول إلا بالبيع ، وما راعى المحبّة الأخوية والإحسان بلا عوض .

(١٠) من طالع الباب السابع والعشرين من سفر التكوين[٢] علم يقيناً أنّ يعقوب عليه السلام كذب ثلاث مرات وخادع أباه . وخداعه كما أثّر عند إسحاق عليه السلام أثّر عند الله أيضاً ؛ لأنّ إسحاق عليه السلام كان بصميم قلبه واعتقاده داعياً لعيسو لا ليعقوب عليه السلام ، فكما لم يميّز إسحاق بين

---

(١) في حاشية ق : أي العدس . اهـ .

(٢) الباب السابع والعشرون من سفر التكوين كله في بيان كيف خدع يعقوب أباه إسحاق وأخذ البركة التي كان إسحاق يريد أن يعطيها لابنه الأكبر عيسو .

الأخوين في الدعاء ، فكذا لم يميّز الله بينهما عند إجابة الدعاء . فالعجب أنّ ولاية الله والنبوة والصلاح تحصل بالمحال .

وأنا تذكرت قصة مناسبة لهذا المقام وهي : أنّ فاجراً من فرقة بانوا[1] طلب حشيشاً من الحمّار لأجل حصانه ، وما أعطاه الحمّار . فقال : إن لم تعطني أدع على حمارك فيموت الليلة وراح ، فمات حصانه في تلك الليلة . فلما استيقظ ووجد حصانه ميتاً حرّك رأسه متعجباً ، فقال : يا عجبا يا عجبا !! إنّه مضى مليونات من السنين على ألوهية إلهنا ، ولا يميّز الحصان من الحمار إلى هذا الحين ، دعوت على الحمار وأهلك حصاني !

ولو كان حال ديانة أبي الأنبياء[2] الإسرائيليّين هكذا ، أو حال علم الله هكذا ، فللمنكر أن يقول : يجوز أن يكون مبنى معاملات الأنبياء الإسرائيليّين مع الله أيضاً على الخداع كأبيهم الأعلى[2]، ويجوز أن يكون عيسى عليه السلام وعد الله إنْ تعطني قدرة الكرامات أدع الخلق إلى توحيدك وربوبيتك ، لكنّ الله ما ميز الصدق عن الكذب ، فأعطاه القدرة ، فدعا إلى ربوبية نفسه ، وبغى على الله . أعوذ بالله من هذه الأمور الواهية .

وأنقل بعض فقرات «طريق الأولياء» من الصفحة ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ قال أولاً : « هذا مقام غاية الخوف : إنّ مثل هذا الشخص تفوّه بكذب بعد كذب ، وأشرك اسم الله في خداعه » .

ثم قال ثانياً : « قال يعقوب قولاً هو نهاية الكفر : إنّ إرادة الله كانت أني وجدت الصيد سريعاً »[3].

---

(١) في حاشية خ : فرقة من فرق دراويش الهند لا يبالون التفوّه بكلمات الكفر ولا يسكتون في الجواب . اهـ .

(٢) أي يعقوب عليه السلام ، واسمه (إسرائيل) .

(٣) إشارة إلى فقرة سفر التكوين ٢٧ / ٢٠ .

ثم قال ثالثاً : « نحن لا نعتذر من جانب يعقوب في هذا الأمر بعذر مّا ، وليتنفّر كل صالح وليفرّ عن مثل هذا الأمر » .

ثم قال رابعاً : « خلاصة الكلام أنّه أساء ليحصل الخير ، وفي الإنجيل يجب الجزاء على مثله » .

ثم قال خامساً : « كما أذنب يعقوب أذنبت أمه أزيد منه ؛ لأنّها كانت بانية هذا الفساد ، وهي أمرت يعقوب بفعل هذه الأمور الخادعة ». انتهى .

(١١) في الباب التاسع والعشرين من سفر التكوين هكذا : « ١٥ ــ ثم قال ليعقوب : لعلّ أنّك أخي مجاناً تخدمني أخبرني ما أجرتك (١٦) فكانت له ابنتان اسم الكبرى ليّا واسم الصغرى راحيل (١٧) وكان بعيني ليّا استرخاء وراحيل جميلة الوجه وحسنة المنظر (١٨) فأحب يعقوب راحيل وقال : أنا أتعبّد لك براحيل ابنتك الصغرى سبعة سنين (١٩) فقال له لابان[1] : أنت أحق بها من غيرك فأقم عندي (٢٠) وتعبّد يعقوب براحيل سبعة سنين وكان عنده مثل أيام قليل لما داخله من المحبة لها (٢١) فقال للابان أعطني امرأتي لأنّ قد اكتملت الأيام لكي أدخل إليها (٢٢) فجمع لابان جمعاً كثيراً من المحبّين وصنع عرساً (٢٣) ولـمّا كان المساء أدخل ابنته ليّا على يعقوب (٢٤) وأعطى لابان أَمَةً اسمها زلفا لابنته ودخل عليها يعقوب كالعادة ولـمّا كان الصبح رآها أنها ليّا (٢٥) فقال للابان ما هذا الذي صنعت بي ألم أتعبد لك براحيل فلم خدعتني (٢٦) أجاب لابان : ليس في أرضنا عادة أن تزوّج الصغرى قبل الكبرى (٢٧) فأكمل أسبوع هذه فأعطيك الأخرى عوضاً من العمل الذي تعمل لي سبعة سنين أخرى (٢٨) ففعل يعقوب هكذا وبعدما دخل الأسبوع

---

(١) في حاشية ق : اسم خال يعقوب . اهـ . لأن أمّه رفقة أخت لابان بن بتوئيل .

تزوّج براحيل (٢٩) ودفع لابان إلى ابنته راحيل أَمَةً اسمها بلها (٣٠) فدخل على راحيل وأحبّها أكثر من ليّا وتعبّد له وخدمه سبعة سنين أخرى » .

ويَرِد عليه ثلاثة اعتراضات :

الأوّل : أنّ يعقوب عليه السلام كان يقيم في بيت لابان ، وكان يرى بنتيه ويعرفهما معرفة جيدة باعتبار وجوههما وأجسامهما وأصواتهما ، وكان في ليّا علامة بيّنة هي استرخاء العينين . فالعجب كل العجب أن تكون ليّا في فراشه جميع الليل ويراها ويضاجعها ويلمسها ولا يعرفها ، إلا أن يقولوا : إنّه كان سكران كلوط عليه السلام ، فكما لم يميّز لوط عليه السلام ، فكذا هو .

والثاني : أنّه أحب راحيل ، وخدم لأجلها أباها أولاً سبع سنين ، وكانت عنده مثل أيام قليلة لأجل عشقها وفرط محبتها ، ثم لـمّا خادع لابان وزوّجه بنته الكبرى خاصمه يعقوب ، وأخذ راحيل بخدمة سبع سنين أخرى ، وهذه الأمور على زعم المسيحيين لا تناسب رتبة النبوة ، وكما خادع يعقوب أباه خودع من صهره .

والثالث : أنّه ما اكتفى على زوجة واحدة ، ولا يجوز نكاح امرأتين سيما أختين على زعمهم الفاسد . واعتذر صاحب «طريق الأولياء» في الصفحة ١٨٩ من كتابه هكذا : « الظاهر أنّ يعقوب إن لم يخادعه لابان لم يتزوج غير راحيل ، ولا يستدلّ بها على جواز تعدد الزوجات ؛ لأنّه ما كان بحكم الله ولا برضاء يعقوب ». انتهى .

أقول : هذا العذر بارد لا يسمن ولا يغني ولا تحصل النجاة ليعقوب عليه السلام عن الحرمة ؛ لأنّه ما كان مكرهاً ومجبوراً على النكاح الثاني ، وكان عليه أن يكتفي على زوجة واحدة .

وأقول كما قال هذا المعتذر في طعن إبراهيم عليه السلام : إنّ يعقوب عليه السلام كان يعلم جيّداً قول المسيح المكتوب في الإنجيل « أنّ الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى . . . » الخ[1]، وكذا كان يعلم جيداً قول موسى عليه السلام : إنّ الجمع بين الأختين حرام قطعاً[2]، كما علمت في الباب الثالث ، فأحد النكاحين باطل ، والامرأة التي كان نكاحها باطلاً يلزم أن يكون أولادها وأولاد أولادها أولاد الزناء ، فيلزم على كلا التقديرين كون كثير من الأنبياء الإسرائيليّين كذلك والعياذ بالله .

فانظروا إلى ديانة المسيحيين ! انّهم لأجل صيانة أصولهم الفاسدة ، كيف يتّهمون الأنبياء وينسبون القبائح إليهم ؟! على أنّ هذا العذر الأعرج لا يمشي في زلفا وبلها اللتين تزوجهما يعقوب بإشارة ليّا وراحيل ، كما هو مصرّح به في الباب الثلاثين من سفر التكوين[3] وأولادهما كافة تكون أولاد الزنا على أصولهم .

(١٢) في الباب الحادي والثلاثين من سفر التكوين هكذا : « ١٩ ــ وقد كان لابان ذهب ليجزّ غنمه وراحيل سرقت أصنام أبيها (٢٠) فكتم يعقوب أمره عن حميّه ولم يعلمه أنه هارب (٢١) وهرب هو وجميع ما كان له وعبر النهر[4] وتوجّه نحو جبل جلعاد (٢٢) وبلغ لابان في اليوم الثالث أنّ يعقوب قد هرب (٢٣) فأخذ لابان إخوته وتبعه مسيرة سبعة أيام ولحقه في جبل جلعاد (٢٦) وقال ليعقوب لماذا فعلت هكذا وسُقت بناتي خفيّا عني مثل مَن قد

---

(١) انظر إنجيل متّى ١٩/٤ ـ ٦ ، وإنجيل مرقس ١٠/٦ ـ ٨ .
(٢) انظر سفر اللاويين ١٨/١٨ ونصها : « ولا تأخذ امرأة على أختها » .
(٣) انظر سفر التكوين ٣٠/١ ـ ١٣ .
(٤) أي نهر الفرات في شمال سوريا ؛ لأنّ حران تقع في جنوب تركيا قرب الحدود السورية الشمالية وشمال شرقي نهر الفرات .

سُبي بالسيف (٣٠) والآن فقد انطلقت وإنما حملك على ذلك الشهوة أن تمضي إلى بيت أبيك فلم سرقت آلهتي (٣١) أجاب يعقوب . . . [الخ] (٣٢) وأمّا ما توبّخني به في سرقته فمَن وجدتَ عنده آلهتك يقتل قدّام اخوتنا . . . [الخ] (٣٣) فدخل لابان إلى خباء يعقوب وليّا والأمتين فلم يجدها ولـمّا دخل إلى خباء راحيل (٣٤) فهي أسرعت وخبّت الأصنام تحت حداجة[1] جمل وجلست عليها ففتش لابان الخباء كلّه ولم يجد شيئاً (٣٥) وقالت لا تؤاخذني يا سيدي إني لا أستطيع النهوض نحوك لأني في علّة النساء وفتش لابان جميع ما في البيت فلم يجد أصنامه » .

فانظروا إلى راحيل ! كيف سرقت أصنام أبيها ، وكيف كذبت ؟! والظاهر أنّها سرقت لعبادتها ـ كما يدلّ عليه ظاهر عبارة الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين كما ستعرف في الشاهد الآتي ـ ولأنّها كانت من بيت الوثنيين ، وأنّ أباها كان وثنياً يعبد الأصنام كما دلت عليه الآية الثلاثون والثانية والثلاثون ، والظاهر أنّها تكون على دين أبيها ، فهذه الزوجة المحبوبة ليعقوب عليه السلام كانت سارقة كاذبة عابدة للأصنام .

(١٣) في الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين هكذا : « ٢ ـ وقال يعقوب لأهله وجميع من معه : اعزلوا الآلهة الغرباء من بينكم وتطهّروا وأبدلوا ثيابكم (٤) فدفعوا له جميع الآلهة الغرباء التي كانت في أيديهم والأقرطة التي كانت في آذانهم فدفنها تحت البطمة التي عند شخيم » .

والظاهر من هذه العبارة أنّ أهل بيت يعقوب عليه السلام ومن معه إلى هذا الحين كانوا يعبدون الأصنام ، وهذا الأمر بالنظر إلى بيته شنيع جداً ، أما نهاهم

---

(١) حِدَاجة : هي الحِدْج : وهو من مراكب النساء نحو الهودج والجمع أحداج وحُدوج وحَدائج وحُدُج . (لسان العرب ٢ / ٢٣٠ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٢٩٤) .

قبل هذا عن عبادة الأوثان ؟ وإذا دفعوا إليه جميع الآلهة الغرباء فالظاهر أنّ راحيل أيضاً دفعت الآلهة المسروقة أيضاً ، فكان على يعقوب عليه السلام أن يرسلها إلى لابان لا أن يدفنها تحت البطمة التي عند شخيم، ويعزّر راحيل على سرقتها .

(١٤) في الباب الرابع والثلاثين من سفر التكوين هكذا : « ١ ــ وخرجت دينا ابنة ليّا لتنظر إلى بنات ذلك البلد (٢) فنظرها شخيم بن حمور الحواي[1] رئيس الأرض فأحبها وأخذها وضاجعها وذلّها (٣) وتعلّقت نفسه بها وأحبّها وكلّمها بما وافقها ووقع بقلبها (٤) فقال شخيم لحمور أبيه خذ هذه الجارية لي زوجة (٨) فكلّمهم حمور . . . [الخ] (١٣) فأجاب بنوا يعقوب . . . [الخ] (١٤) لا نستطيع نصنع ما تطلبان ولا أن نعطي أختنا لرجل أغلف فإنّ ذلك عاراً علينا (١٥) بهذا نشبهكم إذا ما صرتم مثلنا لكي تختنوا كل ذكوركم (٢٤) فارتضوا جميعهم وختنوا كل من كان منهم ذكراً (٢٥) فلما كان اليوم الثالث وقد بلغ منهم الوجع جدّاً أخذ ابنا يعقوب شمعون ولاوي أخوا دينا كل واحد منهما سيفه ودخلا المدينة على طمأنيّة وقتلا كل ذكر (٢٦) وحمور وشخيم ابنه وأخذا دينا اختهما من بيت شخيم (٢٧) وخرجا ودخل بنوا يعقوب على القتلى وانتهبوا المدينة التي فُضحت فيها دينا أختهم (٢٨) وأخذوا غنمهم وبقرهم وحميرهم وكلّما في البيوت وكلّما في الحقل (٢٩) وسبوا صبيانهم ونسائهم » .

فانظروا إلى عصمة دينا بنت يعقوب : أنّها زنت وتعشقت بشخيم كما يدل عليه قوله ، « ووقع بقلبها » . وانظروا إلى ظلم أبناء يعقوب : أنّهم قتلوا ذكور

---

(١) شخيم (شكيم) : هو ابن حمور الحوّي ، أمير منطقة نابلس في زمان يعقوب . (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٢٠ وص ٥١٥) .

أهل البلدة كلهم ، وسبوا نساءهم وصبيانهم ، ونهبوا جميع أموالهم ، فخطؤهم وظلمهم ظاهر ، وخطأ يعقوب عليه السلام أنّه لم يمنعهم عن هذه الحركة الشنيعة قبل وقوعها ، وما أخذ القصاص منهم ، وما ردّ النساء والصبيان والأموال المسلوبة ، وان كان غير قادر على منعهم وردّ هذه الأشياء وأخذ القصاص فكان عليه أن يترك رفاقة هذه الظلمة ، على أنّه يبعد كل البعد أن يقتل رجلان أهل البلدة كلهم ، ولو فرضنا أنّهم كانوا في وجع الختان .

(١٥) في الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين هكذا : « مضى روبيل وضاجع بلها سريّة أبيه فسمع إسرائيل »[١].

فانظروا إلى روبيل[٢] الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام : انّه زنى بزوجة أبيه . وإلى يعقوب : انّه ما أجرى الحدّ أو التعزير لا على ابنه ولا على هذه الزوجة ، والظاهر أنّ حد الزنا في هذا الوقت كان إحراق الزاني والزانية بالنار كما يفهم من الآية الرابعة والعشرين من الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين[٣] ، ودعا على هذا الابن في آخر حياته كما هو مصرح به في الباب التاسع والأربعين من هذا السفر[٤].

(١٦) في الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين : « ٦ ــ وانّ يهوذا أزوج ابنه بكره عير[٥] امرأة اسمها ثامار (٧) وكان عير بكر يهوذا رديئاً بين يدي الربّ

---

(١) سفر التكوين ٣٥/٢٢ .
(٢) في حاشية ق : الولد الأكبر ليعقوب . اهـ . وينطق رأوبين في الطبعات الحديثة .
(٣) ستأتي في النص التالي .
(٤) يقصد ما في سفر التكوين ٤٩/٤ حسب طبعة سنة ١٨٤٤م « ضللت مثل الماء لا تنم لأنك ارتقيت إلى مضجع أبيك لقد نجست فراشي وصعدت عليه » .
(٥) عير : هو الابن الأكبر ليهوذا بن يعقوب . (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤٩) .

فقتله الرب (٨) وقال يهوذا لابنه أونان[١]: ادخل على امرأة أخيك وكن معها وأقم زرعاً لأخيك (٩) فلـمّا علم أونان أنّ الخلف لغيره كان إذا دخل إلى امرأة أخيه يفسد[٢] على الأرض لئلا يكون زرعاً لأخيه (١٠) وظهر ذلك منه سوءاً أمام الرب لفعله ذلك فقتله الرب (١١) فقال يهوذا لثامار كنّته[٣] اجلسي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلا[٤] ابني . . . [الخ] (١٣) فأعلموا ثامار قائلين هو ذا حموك صاعداً إلى تمنث[٥] ليجزّ غنمه (١٤) فطرحت عنها ثامار ثياب الترمّل وأخذت رداء وتزينت وجلست في قارعة الطريق . . . [الخ] (١٥) فلـمّا رآها يهوذا ظنّ أنها زانية لأنّها كانت قد غطّت وجهها لئلا تعرف (١٦) ودخل إلى عندها وقال لها : دعيني أدخل إليك لأنّه لم يعلم أنّها كنّته فقالت له : ماذا تعطيني حتى تدخل إليّ (١٧) فقال لها أنا أرسل لك جدياً ماعزاً من القطعان وهي قالت له أعطني رهناً حتى ترسله (١٨) فقال يهوذا أيّ شيء أعطيك رهناً فقالت : خاتمك وعمامتك وعصاك التي بيدك فأعطاها لها ودخل عليها فحبلت منه (١٩) وقامت فمضت وطرحت عنها لبسها ورداءها ولبست ثياب ترمّلها (٢٤) فلـمّا كان بعد ثلاثة شهور فأخبروا يهوذا قائلين : زنت ثامار كنّتك وهو ذا قد حبلت من الزناء فقال يهوذا أخرجوها لتحرق (٢٥) وإذْ هم يخرجوها أرسلت إلى حميها قائلة : من الرجل الذي هذه له حبلت أنا فاعرف لمن هو الخاتم والعمامة والعصا (٢٦) فعرفها يهوذا وقال : تبرّرت هي أكثر مني لموضع أني لم أعطها لشيلا ابني ولكنّه لم يعد يعرفها بعد ذلك (٢٧) وكان لـمّا دنا

---

(١) أونان: أحد أبناء يهوذا بن يعقوب وأمّه كنعانية. (قاموس الكتب المقدس ص ١٣٩).
(٢) في حاشية ق : أي يعزل . اهـ .
(٣) في حاشية ق : زوجة الابن . اهـ .
(٤) شيلا: هو ثالث أبناء يهوذا بن يعقوب. (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٥).
(٥) في حاشية ق : اسم قرية . اهـ . ويظن أنها الآن خربة تبنة الواقعة بين الخليل والقدس. (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٣) .

وقت الولادة وإذا توم في بطنها فعند طلقها الواحد سبق وأخرج يده فأخذت القابلة قرمزاً وربطته في يده قائلة (٢٨) هذا يخرج أولاً (٢٩) فها ضمّ يده إليه للوقت وخرج أخوه وهي فقالت لماذا من أجلك انقطع السياج ولذلك دعت اسمه فارص (٣٠) وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز فدعت اسمه زارح » .

ههنا أمور ، **الأول** : أنّ الرب قتل عير لكونه رديئاً . ورداءته لم تبين . أكانت هذه الرداءة أشد من رداءة عمه الكبير[1] حيث زنى بزوجة أبيه ، ومن رداءة عمّيه الآخرين شمعون ولاوي حيث قتلا ذكور أهل البلدة كلهم ، ومن رداءة أبيه[2] وجميع أعمامه[3] حيث نهبوا أموال تلك البلدة ، وسبوا نساءها وأطفالها ، ومن رداءة أبيه حيث زنى بزوجته[4] بعد موته ؟ أهؤلاء كانوا قابلين للرأفة وعدم القتل وكان عير قابلاً للقتل فقتله الرب ؟! .

والثاني : العجب أنّ الرب قتل أونان على خطأ عزل المني وما قتل أعمامه وأباه على الخطيئات المذكورة ! أهذا العزل أشد ذنباً من هذه الخطيئات ؟! .

والثالث : أنّ يعقوب لم يجر الحدّ ولا التعزير على هذا الولد العزيز ، ولا على هذه الامرأة الفاجرة ، بل لم يثبت من هذا الباب ولا من باب آخر أنّه تنغّص لأجل هذا الأمر من يهوذا ، والباب التاسع والأربعون من سفر التكوين شاهد صدق على عدم تكدّره ، حيث ذمّ روبيل وشمعون ولاوي على ما صدر عنهم ، وما ذمّ يهوذا على ما صدر عنه بل سكت عمّا صدر عنه ومدحه مدحاً

---

(١) أي روبيل (رأوبين) بن يعقوب الذي ضاجع بلها سرية أبيه يعقوب .
(٢) أي يهوذا بن يعقوب .
(٣) هم أولاد يعقوب الذين صاروا أجداد أسباط بني إسرائيل .
(٤) الضمير راجع إلى عير بن يهوذا ، أي زنى يهوذا بزوجة ابنه عير .

بليغاً ، ودعا له دعاء كاملاً ، ورجحه على إخوته[1].

والرابع : أنّ ثامار شهد في حقها يهوذا صهرها بشدّة البرّ . فسبحان الله ! نعم البارّ ، ونعمت البارّة الفائقة في البرّ من البارّ المذكور ، كيف لا تكون بارّة شديدة حيث لم تكشف عورتها إلاّ لأب زوجها ، ومازنت إلاّ بحميّها ، وحصّلت منه بهذا الزناء الواحد ابنين كاملين ؟! .

والخامس : أنّ داود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم في أولاد فارص الذي حصل بالزناء كما هو مصرح به في الباب الأول من إنجيل متّى[2].

والسادس : أنّ الله ما قتل فارص وزارح مع كونهما ولدي الزنا ، بل أبقاهما كابنيْ لوط اللذيْن كانا ولدي الزناء ، وما قتلهما كما قتل ولد داود عليه السلام الذي تولّد بزنائه بامرأة أوريا ، لعل الزناء بامرأة الغير أشدّ من الزناء بزوجة الابن ! .

(١٧) في الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج هكذا : « ١ ــ ورأى الشعب أنّ موسى قد تأخر أن يهبط من الجبل فاجتمع الشعب إلى هارون[3] وقالوا له قم فاجعل لنا آلهة يسيرون أمامنا من أجل أنّ موسى هذا الرجل الذي

---

(١) انظر سفر التكوين ٤٩/٨ ـ ١٢ .

(٢) انظر إنجيل متّى ١/٣ ـ ١٦ .

(٣) هارون : هو النبي الرسول : هارون بن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام ، وهو شقيق موسى ووزيره في الدعوة إلى الله وفي سياسة بني إسرائيل ، وهو أكبر من موسى بسنة أو سنتين ، عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وفي ذرّيته ظلّت رئاسة الكهنوت إلى دمار أورشليم والهيكل سنة ٧٠م ، ذكرت قصته في عدة مواضع من القرآن الكريم ، وورد اسمه فيه ٢٠ مرّة ، مات قبل أخيه موسى في أواخر أعوام التيه ، ودفن في جبل هور قرب البتراء في جنوب الأردن ، وكان عمره عند وفاته ١٢٣ سنة . (الكامل في التاريخ ١/١١١ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٩٩٤ ، ودائرة معارف القرن العشرين ١٠/٥٠٥ وقصص الأنبياء للنجار ص ٢٩٨) .

أصعدنا من أرض مصر لا ندري ماذا أصابه (٢) فقال لهم هارون انزعوا أقرطة الذهب التي في آذان نسائكم وأبنائكم وبناتكم وأئتوني بها (٣) فنزع الشعب الأقرطة التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون (٤) فأخذها منهم وصيّرها عجلاً سبيكاً وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر (٥) فلما نظر هارون ذلك بنى مذبحاً أمامه ونادى وقال غداً عيد للرب (٦) فقاموا بالغداة وقرّبوا وقوداً وذبائح مسلّمة وجلس الشعب يأكلون ويشربون وقاموا يلعبون » .

فظهر من هذه العبارة أنّ هارون صنع عجلاً ، وبنى مذبحاً أمامه ، ونادى وقال : غداً عيد للرب . فعبد العجل ، وأمر بني إسرائيل بعبادته ، فقرّبوا وقوداً وذبائح ، ولا شك أنّه رسول .

كتب القسيس اسمت في القسم الأول من كتابه المسمى بـ(تحقيق الدين الحق) المطبوع سنة ١٨٤٢م في الصفحة ٤٢ : « كما أنّه لم يكن بينهم [أي بين بني إسرائيل] سلطان لم يكن بينهم نبي غير موسى وهارون وسبعين من الـمُعِينين ». انتهى .

ثم قال : « لم يكن غير موسى وهارون ومعينيهما نبيّـاً لهم ». انتهى.

فظهر أنّ هارون نبي عند المسيحيين . ولا بد أن يعلم الناظر أني نقلت هاتين العبارتين من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٢م ، وكتبت الرد على هذه النسخة ، وسيمته (تقليب المطاعن)[1] . وردّ صاحب الإستفسار أيضاً على هذه النسخة . وسمعت أنّ هذا القسيس بعد الردّ حرّف كتابه ، فزاد في بعض المواضع ، ونقص في البعض ، وبدل البعض ، ـ كما فعل صاحب ميزان الحق

(١) في حاشية ق : كتاب للشيخ لكنّه نهب في وقعة الهند . اهـ .

في نسخة الميزان مثله ـ فلا أعلم أنّ هذا القسيس أبقى هاتين العبارتين[1] في النسخة الأخيرة المحرفة أم لا ؟ وعبارات العهد العتيق تدل على نبوته أيضاً ، وكونه مطيعاً لشريعة موسى عليه السلام لا ينافي نبوته كما لا ينافي هذا الأمر نبوة يوشع وداود وإشعياء وإرميا وحزقيال وغيرهم من الأنبياء الإسرائيليّين الذين كانوا ما بين زمان موسى وعيسى عليهم السلام .

في الآية السابعة والعشرين من الباب الرابع من سفر الخروج هكذا : « فقال الربّ لهارون اذهب وتلقّ موسى إلى البرية فمضى وتلقّى به إلى جبل الله وقبّله » .

وفي الباب الثامن عشر من سفر العدد هكذا : « ١ ـ وقال الربّ لهارون . . . [الخ] (٨) ثم كلّم الربّ هارون وقال له . . . [الخ] (٢٠) ثم قال الربّ لهارون . . . [الخ] ».

وفي هذا الباب من الأول إلى الآخر هو المخاطب حقيقة .

وفي الباب الثاني والرابع عشر والسادس عشر والتاسع عشر توجد هذه العبارة: «وكلم الرب موسى وهارون وقال لهما» في ستة مواضع[2].

وفي الآية الثالثة عشرة من الباب السادس من سفر الخروج هكذا : « فكلّم الرب موسى وهارون وأوصاهما وأرسلهما إلى بني إسرائيل وإلى فرعون ملك مصر ليخرجا بني إسرائيل من مصر » .

فظهر من هذه العبارات أنّ الله أوحى إلى هارون عليه السلام منفرداً وبشركة موسى عليه السلام ، وأرسله إلى بني إسرائيل وفرعون كما أرسل موسى

---

(١) وهما تدلّان على نبوة هارون .
(٢) انظر سفر العدد ١/٢ ، و١/٤ و١٧، و٢٦/١٤ ، و٢٠/١٦ ، و١/١٩.

عليه السلام ، ومن طالع كتاب الخروج يظهر له أنّ المعجزات التي صدرت في مقابلة فرعون ظهر أكثرها على يد هارون عليه السلام . وكانت مريم[1] أخت موسى وهارون عليهم السلام أيضاً نبيّه كما هو مصرّح به في الآية العشرين من الباب الخامس عشر من سفر الخروج هكذا : « وأخذت مريم النبيّة أخت هارون دفّاً في يدها . . » الخ .

والآية السادسة والعشرون من الزبور المائة والخامس هكذا : « أرسل موسى عبده وهارون الذي انتخبه » .

والآية السادسة عشرة من الزبور المائة والسادس هكذا : « وأغضبوا موسى في المعسكر وهارون قدّيس الرب » .

فإنكار صاحب ميزان الحق نبوة هارون في الصفحة ١٠٥ من كتابه المسمى بـ (حل الإشكال) المطبوع سنة ١٨٤٧م ليس بشيء .

(١٨) في الباب الثاني من سفر الخروج : « ١١ ــ وفي تلك الأيام لـمّا شبّ موسى خرج إلى إخوته وأبصر تعبّدهم ورأى رجلاً من أهل مصر يضرب رجلاً من إخوته العبرانيين (١٢) فالتفت إلى الجانبين فلم يرا أحداً فقتل المصري ودفنه » .

فقتل موسى عليه السلام بعصبية قومه المصري .

(١٩) في الباب الرابع من سفر الخروج هكذا : « ١٠ ــ فقال موسى أرغب إليك يا رب أنّي لست برجل فصيح الكلام من أمس ولا من أوّل منه أيضاً

---

(١) مريم : هي مريم ابنة عمران وأخت موسى وهارون ، وأكبر من موسى بأكثر من عشر سنين ، فقد استطاعت مراقبة الصندوق الذي جُعل فيه موسى ، وقالت لأهل بيت فرعون : أنا أدلكم على امرأة ترضعه ، وهي الوارد ذكرها في القرآن الكريم بلفظ (أختك) و (أخته) في سورتي طه والقصص . (قاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٦) .

ولا من حين خاطبت عبدك أنّي الثغ وثقيل اللسان (١١) فقال له الربّ مَن الذي خلق فم الإنسان أو من صنع الأخرس والأصمّ والبصير والأعما أليس أنا (١٢) فاذهب وأنا أكون في فيك وأعلّمك ما تتكلّم (١٣) فأمّا هو فقال أرغب إليك يا رب أن ترسل من أنت ترسل (١٤) فاشتدّ غضب الرب على موسى » الخ .

فاستعفى موسى عليه السلام عن النبوة ، وقد كان الرب وعده وجعله مطمئناً ، فاشتدّ عليه غضب الرب .

(٢٠) في الآية التاسعة عشرة من الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج هكذا : « فلما دنا من المحلة وأبصر العجل وجواق المغنّين فاشتدّ غضب موسى ورمى باللوحين من يده فكسّرهما في أسفل الجبل » .

وهذان اللوحان كانا من عمل الله وخط الله كما هو مصرح به في هذا الباب[١]، فكسرهما خطأ ، ولم يحصل بعد ذلك مثلهما ؛ لأنّ اللوحين اللذين حصلا بعدهما كانا من عمل موسى ومن خطّه كما هو مصرّح به في الباب الرابع والثلاثين من سفر الخروج[٢].

(٢١) الآية الثانية عشرة من الباب العشرين من سفر العدد هكذا : « وقال الرب لموسى وهارون من أجل أنكما لم تصدّقاني[٣] وتقدّساني قدّام بني إسرائيل من أجل ذلك لا تدخلا أنتما بهذه الجماعة إلى الأرض التي وهبت لهم » .

---

(١) ففي سفر الخروج ١٦/٣٢ : « واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين » .

(٢) ففي سفر الخروج ١/٣٤ و٢٨ في طبعة سنة ١٨٤٤م كما يلي :
« ١ ـ ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجارة مثل اللوحين الأولين واكتب عليهما الكلمات التي كانت على اللوحين اللذان كسرتهما (٢٨) وكتب على اللوحين عشرة كلمات العهد » .

(٣) في طبعة سنة ١٨٦٥م : « من أجل أنكما لم تؤمنا بي » ، وفي السامرية ، « جزاء لم تثقا بي » .

وفي الباب الثاني والثلاثين من سفر التثنية هكذا : « ٤٨ ــ وكلّم الربّ موسى في ذلك اليوم وقال له (٤٩) ارقَ هذا الجبل عبريم[١] وهو جبل المجازات إلى جبل نابو الذي في أرض موآب تلقاء أريحا[٢] ثمّ انظر إلى أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ليرثوها ثم مت في الجبل (٥٠) الذي تصعد إليه وتجتمع إلى شعوبك كما مات أخوك هارون في هور الطور واجتمع إلى شعبه (٥١) على أنّكما عاصيتماني[٣] في بين إسرائيل عند ماء الخصام في قادس برّية صين[٤] ولم تطهّراني في بني إسرائيل (٥٢) فإنّك ستنظر إلى الأرض التي أنا أعطيها بني إسرائيل من تلقائها وأما أنت فلا تدخلها » .

ففي هاتين العبارتين تصريح بصدور الخطأ عن موسى وهارون عليهما السلام ، بحيث صارا محرومين عن الدخول في الأرض المقدسة ، وقد قال الله زاجراً : « انكما لم تصدقاني وتقدساني » و « انكما عصيتماني » .

---

(١) عبريم : سلسلة جبال شرقي الأردن جنوب جبال جلعاد (عجلون والسلط) ومعناها جبال عبر النهر ؛ لأن الذي يذهب إليها من فلسطين يعبر النهر ، وتمتد من وادي الكفرين في شمال البحر الميت إلى وادي الحسا في جنوب البحر الميت . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٩١) .

(٢) في حاشية ق : قريب من القدس . اهـ . وأريحا : إحدى المدن الفلسطينية الواقعة غربي نهر الأردن بحوالي ٨ كم ، وشمال البحر الميت (المغرب قليلاً) بحوالي ١٠ كم ، وشمال شرقي القدس بحوالي ٢٤ كم ، وهي تقع في منخفض تحت مستوى سطح البحر بـ ٢٥٠ م ، وهي من أقدم مدن العالم فهي ترجع إلى العصر الحجري قبل الميلاد بـ ٦٠٠٠ سنة، وفيها اكتشف أقدم فخّار وأقدم نحت في العالم . وهي أول مدينة في فلسطين هاجمها الإسرائيليون ودخلوها بقيادة يوشع بن نون خليفة موسى . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٨ ، والموسوعة الميسرة ص ١٢٧) .

(٣) في طبعة سنة ١٨٦٥م : « لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل » ، وفي السامرية : « بسبب ما غدرتماني في جملة بني إسرائيل » .

(٤) برّيّة صين : يفهم من قاموس الكتاب المقدس أنها غير برية سين ، والمقصود بها هنا الصحراء التي عبرها بنو إسرائيل في طريقهم إلى أرض كنعان التي تحدها من الشمال ، ويحدها من الشرق وادي العربة وجبل هور، واسمها الآن صحراء النقب في جنوب فلسطين وهي محاذية لسيناء. (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٩٧ و ٥٦٧) .

(٢٢) زنى شمشون[١] الرسول بامرأة زانية كانت في غزة[٢]، ثم تعشق بامرأة اسمها دليلى[٣] التي كانت من أهل وادي شوراق[٤]، وكان يدخل إليها . فأمرها كفار فلسطين أن تسأله كيف يقدر الفلسطينيون عليه ويوثقونه ولا يقدر هو على كسر الوثاق ، ووعدوها العطية الجزيلة ، فسألته ، فكذب ثلاث مرات ، فقالت هذه الفاجرة : كيف تقول إنّك تحبني وقلبك ليس معي ، وقد كذبتني ثلاث دفعات ؟ وضيّقت عليه بكلامها أياماً كثيرة ، فأطلعها على كل شيء ، وقال : إنْ حلقوا شعر رأسي زالت عنّي قوتي ، وصرت كواحد من الناس . فلما رأت أنّه قد أظهر ما في قلبه دعت رؤساء أهل فلسطين ، وأنامته على ركبتيها ، ودعت الحلّاق فحلق سبع خصال شعر رأسه ، فزالت عنه قوته ، فأسروه ، وقلعوا عينيه ، وحبسوه في السجن ، ثم

---

(١) شمشون الرسول : هو شمشون بن منوح وكان قاضياً لبني إسرائيل مدة عشرين سنة وكان معروفاً بقوته العجيبة ولم يكن يحترم مقامه كقاض في بني إسرائيل. (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٢٠) .

(٢) غزة : مدينة في أقصى بلاد الشام من ناحية مصر في الطرف الجنوبي الغربي من فلسطين بالقرب من شاطيء البحر الأبيض المتوسط ، وهي ثغر تجاري هامّ ، ويمر بها الطريق الساحلي القديم الممتد من لبنان وشمال فلسطين إلى مصر ، وعلى هذا الطريق سار الفاتحون ما بين سوريا ومصر ، وتبعد غزة حوالي ٣٤ كم شمال شرقي رفح التي على الحدود المصرية ، وهي الآن قاعدة قطاع غزة في جنوب فلسطين ، ويقال لها : غزة هاشم ؛ لأن هاشم بن عبد مناف جدّ رسول الله ﷺ توفي ودفن فيها وعمره ٢٥ سنة. (معجم البلدان ٢٠٢/٤ ، والموسوعة الميسرة ص ١٢٥٥ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٥٧) .

(٣) دليلي (دليلة) : امرأة فلسطينية من أهل وادي شوراق أو سورق احتالت على شمشون حتى سلمته إلى أعدائه الذين قلعوا عينيه وسجنوه في غزة حتى مات . (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٧٥) .

(٤) شوراق (سورق) : هو وادي الصرار الذي يبدأ غربي القدس بحوالي ٢١ كم ويمتد إلى البحر الأبيض المتوسط، وفيه نبع يصب في البحر الأبيض المتوسط على بعد ١٤ كم جنوب يافا. (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٩١) .

استشهد هناك . وهذه القصة مصرح بها في الباب السادس عشر من سفر القضاة[١] . وشمشون نبي ، وتدل على نبوته الآية ٥ و ٢٥ من الباب الثالث عشر[٢]، والآية ٦ و ١٩ من الباب الرابع عشر[٣]، والآية ١٤ و ١٨ و ١٩ من الباب الخامس عشر من السفر المذكور[٤]، والآية الثانية والثلاثون من الباب الحادي عشر من الرسالة العبرانية[٥].

(٢٣) في الباب الحادي والعشرين من سفر صموئيل الأول في حال داود لما فرّ من خوف شاول ملك إسرائيل ، ووصل إلى نوبا[٦] عند أخيملك الكاهن هكذا : « ١ ــ وأتى داود إلى نوبا إلى أخيملك الحبر فتعجب أخيملك من إتيان داود وقال له لماذا جئت وحدك وليس معك أحد (٢) فقال داود إلى أخيملك الكاهن إنّ الملك أمرني بشيء وقال لي لا يعلم أحد بهذا الكلام فيما أبعثك وأمرتك فأمّا الفتيان فقد فرضت لهم ذلك الموضع وذلك (٣) والآن إن كان

(١) سفر القضاة ١٦/١ ـ ٣١ كله في قصة شمشون .

(٢) ففي سفر القضاة ١٣/٥ و ٢٥ « ٥ ــ فها إنكِ تحبلين وتلدين ابناً ولا يعل موسى رأسه لأن الصبي يكون نذيراً لله من البطن وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين (٢٥) وابتدأ روح الرب يحركه في محلّة دان بين صرعة واشتأول » .

(٣) ففي سفر القضاة ١٤/٦ و ١٩ « ٦ ــ فحل عليه روح الرب . . . (١٩) وحل عليه روح الرب . . . » .

(٤) ففي سفر القضاة ١٥/١٤ و ١٨ و ١٩ « ١٤ ــ فحل عليه روح الرب (١٨) ثم عطش جداً فدعا الرب وقال انك قد جعلت بيد عبدك هذا الخلاص العظيم والآن أموت من العطش واسقط بيد الغلف (١٩) فشق الله الكفّة التي في لحي فخرج منها ماء فشرب ورجعت روحه فانتعش . . . » .

(٥) ففي الرسالة العبرانية ١١/٣٢ « وماذا أقول أيضاً لأنه يعوزني الوقت ان اخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء » .

(٦) نوبا : هي مدينة الكهنة في شمال القدس ، وقد نصبت فيها خيمة الشهادة مدة من الزمن في أيام شاول ، ثم هدم شاوول المدينة وقتل كل أهلها ؛ لأن كاهنها الكبير أخيملك أعطى لداود خبز الوجوه وسلمه سيف جليات ، ويظن أن مكانها على جبل المكبر (سكوبس) شمال شرقي القدس . (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٨١) .

شيء تحت يدك أو خمسة من الخبز فادفع إليّ أو مهما وجدت (٦) وأعطاه الحبر خبز القدس . . . [الخ] (٨) وقال داود لأخيملك أهاهنا تحت يدك سيف أو حربة لأنّ سيفي وحربتي لم آخذ معي لأن كان أمر الملك مسرعاً » .

فكذب داود عليه السلام كذباً بعد كذب ، وصارت ثمرة هذا الكذب أنّ شاول السفاك ملك بني إسرائيل قتل أهل نوبا كلهم ذكورهم ونساءهم وأطفالهم ودوابهم من البقر والغنم والحمير ، وقُتل في هذه الحادثة خمسة وثمانون كاهناً ، ونجا في هذه الحادثة ابن لأخيملك اسمه أبيثار ، وفرّ ووصل إلى داود عليه السلام ، وأقرّ داود عليه السلام بأنّي سبب لقتل أهل بيتك كلهم كما هو مصرح به في الباب الثاني والعشرين من السفر المذكور[1] .

(٢٤) في الباب الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني هكذا : « ١ ــ فلما كان تمام السنة لوقت خروج الملوك إلى الحرب أرسل داود يوآب وعبيده وجميع إسرائيل معه وأهلكوا بني عمّون فنزلوا حول رابا وأمّا داود كان جالساً بأورشليم (٢) فلما كان عند ذلك قام داود من فراشه بعد الظهر يتمشى على سطح مجلس ملكه فأبصر امرأة تغتسل من قبالته على سطحها وكانت الامرأة جميلة جداً (٣) فأرسل داود وسأل عن الامرأة وقالوا له انّها بتشباع ابنة أليعام امرأة أوريا الحيتاني (٤) فأرسل داود رسلاً فأخذها فدخلت إليه ونام معها وهي تطهرت من نجاستها (٥) ثم رجعت إلى بيتها فحبلت الامرأة وبعثت إلى داود فأخبرته وقالت اني قد حبلت (٦) فأرسل داود إلى يوآب قائلاً له أرسل لي أوريا الحيتاني فأرسل يوآب أوريا إلى داود (٧) وأتى أوريا إلى داود وسأل داود من أوريا عن سلامة يوآب وعن سلامة الشعب وعن الحرب (٨) ثم قال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت

---

(١) انظر سفر صموئيل الأول ٢٢/١ ـ ٢٣ .

وراءه جايزة الملك (٩) فرقد أوريا بباب بيت الملك على جانب عبيد سيده ولم ينحدر إلى بيته (١٠) وأخبروا داود قائلين أنّ أوريا لم ينزل إلى بيته فقال داود لأوريا انّك من الطريق جئت لماذا لم تنحدر إلى بيتك (١١) فقال أوريا لداود تابوت الله وإسرائيل ويهوذا نزولاً في الخيام وسيّدي يوآب وعبيد سيّدي حلولاً على وجه القفر وأنا أنطلق إلى بيتي آكل وأشرب وأنام مع امرأتي لا وحياتك وحياة نفسك أنّي لا أفعل هذا الكلام (١٢) فقال داود لأوريا أقم اليوم أيضاً ها هنا وإذا كان الغد أرسلك وبقي أوريا في أورشليم ذلك اليوم وفي اليوم الآخر (١٣) ودعاه داود ليأكل قدّامه ويشرب فسكّره[1] وخرج وقت المساء فنام مكانه على جانب عبيد سيده ولم ينحدر إلى بيته (١٤) فلما كان الصباح كتب داود صحيفة إلى يوآب وأرسلها بيد أوريا (١٥) وقال بالكتاب صيّروا أوريا في أول الحرب وإذا اشتبك الحرب ارجعوا واتركوه وحدُه ليقتل (١٦) فلما نزل يوآب حول القرية أقام أوريا في المكان الذي يعلم أنّ الرجال الشجعان هناك (١٧) فخرج أهل القرية فقاتلوا يوآب فسقط من الشعب قوم من عبيد داود وأوريا الحيتاني أيضاً فمات (١٨) وأرسل يوآب إلى داود وأخبره بجميع ما كان في الحرب (٢٦) وسمعت امرأة أوريا أن زوجها أوريا قد مات فناحت عليه (٢٧) فلما انقضت أيام مناحتها أرسل داود فأدخلها بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً وأساء هذا الفعل الذي فعل داود أمام الرب » .

وفي الباب الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني حكم الرب لداود عليه السلام على لسان ناثان النبي عليهما السلام هكذا : « ٩ ــ ولماذا أزريت بوصية الربّ وارتكبت القبيح أمام عيني وقتلت أوريا الحيتاني في الحرب وامرأته أخذتها لك امرأة وقتلته بسيف بني عمّون (١٤) ولكن لأنّك أشمتّ بك أعداء الربّ

---

(١) في طبعة سنة ١٨٦٥م « وأسكره » أي سقاه خمراً حتى سكر .

بهذه الفعلة فالابن الذي ولد لك موتاً يموت » .

فصدر عن داود **ثماني خطيئات** :

الأولى : أنه نظر إلى امرأة أجنبية بنظر الشهوة ، وقد قال عيسى عليه السلام : « إنّ كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه » كما هو مصرح به في الباب الخامس من إنجيل متّى[1].

والثانية : أنّه ما اكتفى على نظر الشهوة بل طلبها وزنى بها ، وحرمة الزنا قطعية ومن الأحكام العشرة المشهورة كما قال الله في التوراة : « لا تزن »[2].

والثالثة : أنّ هذا الزناء كان بزوجة الجار ، وهذا أشدّ أنواع الزنا وذنب آخر كما هو مصرح به في الأحكام العشرة المشهورة[3].

والرابعة : ما أجرى حدّ الزنا لا على نفسه ولا على هذه الامرأة ، والآية العاشرة من الباب العشرين من سفر الأحبار هكذا : « ومن زنى بامرأة صاحبه أو زنى بامرأة لها رجل فليقتل الزاني والزانية » .

والآية الثانية والعشرون من الباب الثاني والعشرين من سفر التثنية هكذا : « ان اضطجع رجل مع امرأة غيره فاثنيهما يموتا الزاني والزانية وارفع الشر من إسرائيل » .

والخامسة : أنّ داود عليه السلام طلب أوريا من العسكر ، وأمره أن يذهب إلى بيته ، وجلّ غرض داود عليه السلام أن يلقي على عيبه ستراً ، ويكون هذا الحبل منسوباً إلى أوريا . ولما لم يذهب لأجل ديانته ، وحلف أنّه لا يروح أقامه

---

(١) إنجيل متّى ٢٨/٥ .

(٢) سفر الخروج ١٤/٢٠ ، وسفر التثنية ١٨/٥ .

(٣) سفر الخروج ١٧/٢٠ ، وسفر التثنية ٢١/٥ .

داود عليه السلام اليوم الثاني ، وجعله سكران بسقي الخمر الكثير ليروح إلى بيته في حالة الخمار ، لكنّه لم يرح في هذه الحالة أيضاً مراعياً لديانته ، ولم يلتفت إلى زوجته الجميلة التي كانت جائزة له شرعاً وعقلاً ، فسبحان الله العزيز ! حال ديانة العوام عند أهل الكتاب في ترك الأمر الجائز لأجل الديانة هكذا ، وحال ديانة الأنبياء الإسرائيليّن في ارتكاب الفواحش هكذا !!.

والسادسة : أنه لـمّا لم تحصل ثمرة مقصوده على اسكار أوريا عزم داود عليه السلام على قتله ، فقتله بسيف بني عمّون ، وفي الآية السابعة من الباب الثالث والعشرين من سفر الخروج : « البارّ والزكيّ فلا تقتله »[١].

والسابعة : أنّه لم يتنبه على خطئه ، ولم يتب ما لم يعاتبه ناثان النبي عليه السلام[٢].

والثامنة : أنّه قد وصل إليه حكم الله بأنّ هذا الولد الذي تولّد بالزنا يموت ، ومع هذا دعا لأجل عافيته ، وصام ، وبات على الأرض[٣].

(٢٥) في الباب الثالث عشر من سفر صموئيل الثاني : أنّ حمنون[٤] الولد الأكبر لداود زنى بثامار قهراً ، ثم قال لها : اخرجي ، ولما امتنعت عن الخروج أمر خادمه فأخرجها وأغلق الباب خلفها ، فخرجت صارخة ، وسمع داود عليه السلام هذه الأمور وشقّت عليه، لكنّه لم يقل لحمنون شيئاً لمحبته له ، ولا لثامار ، وكانت ثامار هذه أختاً لأبيشالون بن داود عليه السلام يقيناً[٥].

(١) وفي طبعة سنة ١٨٦٥م : « ولا تقتل البريء والبارّ » .

(٢) انظر سفر صموئيل الثاني ١٢/١ ـ ١٥ .

(٣) انظر سفر صموئيل الثاني ١٢/١٤ ـ ٢٣ .

(٤) حمنون : (أمنون) : هو ابن داود، وأمه أخينوعم اليزرعيلية، وهو أخو ثامار لأبيها. (قاموس الكتاب المقدس ص ١١٩) .

(٥) يقصد أنها شقيقة أبيشالوم بن داود وأمهما معكه بنت تلماي. (قاموس الكتاب المقدس ص ١٣ وص ٢٣٣) .

ولذلك بغض أبيشالوم حمنون ، وعزم على قَتْلِهِ ، ولما قدر عليه قتله[1].

(٢٦) في الآية الثانية والعشرين من الباب السادس عشر من سفر صموئيل الثاني هكذا : « فضربوا لأبيشالوم خيمة على السطح ودخل على سراري أبيه تجاه جميع إسرائيل » .

ثم حارب أبيشالوم الأب حتى قُتل في تلك المحاربة عشرون ألفاً من بني إسرائيل[2] كما هو مصرح به في الباب الثامن عشر[3]. فابن داود عليه السلام هذا فاق روبيل[4] ـ الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام ـ **بثلاثة أوجه** :

الأول : أنّه زنى بجميع سراري أبيه[5] بخلاف روبيل فإنه زنى بسرية واحدة .

والثاني : أنّه زنى تجاه جميع إسرائيل علانية بخلاف روبيل فإنه زنى خفية .

والثالث : أنّه حارب أباه حتى قُتل عشرون ألفاً من بني إسرائيل ، وداود عليه السلام مع صدور هذه الأمور عن هذا الخلف السوء كان وصّى رؤساء العسكر أن لا يقتله أحد ، لكنّ يوآب خالف أمره ، وقتل هذا الخلف السوء ، ولما سمع داود عليه السلام بكى بكاء شديداً ، وحزن عليه[6].

وأنا لا أتعجب من هذه الأمور لأنّ أمثالها لو صدرت عن أولاد الأنبياء ، بل الأنبياء ليست عجيبة على حكم كتبهم المقدسة ، بل أتعجب أنّ زناءه بسراري

---

(١) هذه القصة في سفر صموئيل الثاني ١٣/١ ـ ٣٩ .
(٢) في حاشية ق : من الجانبين . اهـ .
(٣) انظر سفر صموئيل الثاني ١٨/١ ـ ٧ .
(٤) روبيل : هو رأوبين بن يعقوب ، وقد زنى ببلها سرّية أبيه حسب سفر التكوين ٣٥/٢٢ .
(٥) أي سراري داود .
(٦) انظر سفر صموئيل الثاني ١٨/٨ ـ ٣٣ .

أبيه كان بعدل الرب ، وهو كان هيّج هذا الزاني ؛ لأنّه كان وعده على لسان ناثان النبي عليه السلام لما زنى داود عليه السلام بامرأة أوريا .

في الباب الثاني عشر من السفر المذكور هكذا : « ١١ ــ فهذا ما يقول الربّ هوذا أنا مثير عليك شرّاً من بيتك وآخذ نساءك عيانك فأعطي صاحبك فينضجع مع نسائك عيان هذه الشمس (١٢) فإنّك أنت فعلت هذا خفيا وأنا أجعل هذا الكلام أمام جميع إسرائيل وفي مقابل الشمس » ، فوفّى الله بما وعد .

(٢٧) في الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول هكذا : « ١ ــ وكان سليمان الملك قد أحبّ نساء كثيرة غريبة وابنة فرعون ونساء من بنات المؤابيين ومن بنات عمّون ومن بنات أدوم ومن بنات الصيدانيين ومن بنات الحيثانيين (٢) من الشعوب الذين قال الرب لبني إسرائيل لا تدخلوا إليهم وهم لا يدخلوا إليكم إنما يميلون قلوبكم إلى آلهتهم وهؤلاء التصق سليمان بهم بحبّ شديد (٣) وصار له سبعمائة امرأة حريّة وثلاثمائة سريّة وأغوين نساؤه قلبه (٤) فلما كان عند كبر سليمان أغوت نساؤه قلبه إلى آلهة أخر ولم يكن قلبه سليماً لله ربه مثل قلب داود أبيه (٥) وتبع سليمان عشتروت إلاه الصيدانيين[1] وملكوم

---

(١) الصيدانيون (الصيدونيون) : هم سكان مدينة صيدا (صيدون) ، وهي مدينة لبنانية على ساحل البحر الأبيض المتوسط في منتصف المسافة بين بيروت شمالاً وصور جنوباً ، وتبعد عن كل منهما مسافة ٣٨ كم وعلى الخط الأرضي ٤٧ كم ، وهي عاصمة قضاء صيدا بمحافظة لبنان الجنوبي ، وهي مشتقة من الصَّيَد وهو ميل العنق ، فالرجل أصيد والمرأة صيداء ، والنسبة إليها صيداوي وصيداني ، وكانت صيدا إحدى المدن الفينيقية القديمة ، ويرجع تاريخها إلى القرن ١٤ ق.م وكانت قاعدة لمملكة كنعان ، وكان أهلها يعبدون بعلا كبير الآلهة ويعبدون عشتروب آلهة الخصب، وكانت عبادتها منتشرة في بابل وآشور وسوريا وفلسطين ولبنان وهي الإلهة الأمّ العذراء ، وتقرن عبادتها بعبادة الإله الذكر (البعل) وهما يرمزان للشمس والقمر ، وكانت عبادة الآلهة عشتار تنطوي على كثير من الخلاعة والفجور وكاهناتها كن يتولينْ الدعارة رسمياً وقد فتح المسلمون صيدا =

صنم بني عمّون (٦) وارتكب سليمان القبيح أمام الرب ولم يتمّ أن يتبع الرب مثل داود أبيه (٧) ثم نصب سليمان نصبة لكاموش صنم مؤاب في الجبل الذي قدّام أورشليم وللمكوم وثن بني عمّون (٨) وكذلك صنع لجميع نسائه الغرباء وهنّ يبخرن ويذبحن لآلهتهنّ (٩) فغضب الربّ على سليمان حيث مال قلبه عن الربّ إلاه إسرائيل الذي ظهر له مرتين (١٠) ونهاه عن هذا الكلام أن لا يتبع آلهة الغرباء ولم يحفظ ما أمره به الربّ (١١) فقال الربّ لسليمان لأنّك فعلت هذا الفعل ولم تحفظ عهدي ووصاياي التي أمرتك بهنّ أشق شقّا مُلْكك وأصيّره إلى عبدك » .

فصدر عن سليمان عليه السلام خمس خطيئات :

الأولى : ـ وهي أعظمها ـ: أنّه ارتدّ في آخر عمره الذي هو حين التوجه إلى الله ، وجزاء المرتد في الشريعة الموسوية الرجم ولو كان نبيّا ذا معجزات ، كما هو مصرح به في الباب الثالث عشر والسابع عشر من سفر التثنية[1]، ولا يعلم من موضع من مواضع التوراة أنّه يقبل توبة المرتد ، ولو كانت توبة المرتد مقبولة لما أمر موسى عليه السلام بقتل عبدة العجل حتى قتل ثلاثة وعشرين ألف رجل على خطأ عبادته[2].

الثانية : أنّه بنى المعابد العالية للأصنام في الجبل قدّام أورشليم ، وهذه المعابد كانت باقية مئين سنة حتى نجّسها وكسّر الأصنام يوشيا بن آمون ملك

= في خلافة عمر رضي الله عنه سنة ٦٣٨م بقيادة يزيد بن أبي سفيان .

(معجم البلدان ٤/٤٣٧ ، والقاموس الإسلامي ٤/٣٧٥ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٣٨ . وقاموس الكتاب المقدس ص ٥٦٥ و٦٢٨) .

(١) انظر سفر التثنية ١٣/١ ـ ١١ و١٧/٢ ـ ٧ .

(٢) في طبعة سنة ١٨٤٤م أنهم ٢٣ ألفاً ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م وفي السامرية أنهم ٣ آلاف . انظر فقرة سفر الخروج ٣٢/٢٨ .

يهوذا في عهده بعد موت سليمان عليه السلام بأزيد من ثلاثمائة وثلاثين كما هو مصرح به في الباب الثالث والعشرين من سفر الملوك الثاني[1].

والثالثة : أنّه تزوج نساء من الشعوب التي كان الله منع من الإلتصاق بهم . في الباب السابع من سفر التثنية هكذا : « ولا تجعل معهم زيجة ، فلا تعطي ابنتك لابنه ، ولا تتخذ ابنته لابنك »[2].

والرابعة : تزوّج ألف امرأة ، وقد كانت كثرة الأزواج محرمة على من يكون سلطان بني إسرائيل . في الآية السابعة عشرة من الباب السابع عشر من سفر التثنية هكذا : « ولا تكثر نساؤه لئلا يخدعن نفسه » .

والخامسة : أنّ نساءه كُـنّ يبخرن ويذبحن للأوثان ، وقد صرّح في الباب الثاني والعشرين من سفر الخروج : « من يذبح للأوثان فليقتل »[3]، فكان قتلهنّ واجباً . وأيضاً أنهنّ أغوين قلبه فكان رجمهنّ واجباً على ما هو مصرح به في الباب الثالث عشر من سفر التثنية[4]، وهو ما أجرى عليهن الحدود إلى آخر حياته .

---

(١) انظر سفر الملوك الثاني ٢٣/١ ـ ٢٠ وقد كان استلام سليمان الحكم حوالي سنة ٩٧٠ ق.م ، واستلام يوشيا الحكم سنة ٦٣٨ ق.م ، فبينهما حوالي ٩٧٠ ـ ٦٣٨ = ٣٣٢ سنة على حسب ما في قاموس الكتاب المقدس ص ٩١٧ .

وأكتفي بنقل الفقرتين ١٣ و ١٤ كما يلي : « ١٣ ـ والمرتفعات التي قبالة أورشليم التي عن يمين جبل الهلاك التي بناها سليمان ملك إسرائيل لعشتورث رجاسة الصيدونيين ولكموش رجاسة الموآبيين ولملكوم كراهة بني عمّون نجسها الملك (١٤) وكسّر التماثيل وقطع السواري وملأ مكانها من عظام الناس » .

(٢) انظر سفر التثنية ٣/٧ .

(٣) انظر سفر الخروج ٢٠/٢٢ ، ونصها في طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي : « من ذبح لآلهة غير الربّ وحده يهلك » .

(٤) انظر هذا الحكم في سفر التثنية ٦/١٣ ـ ١١ .

فالعجب أنّ داود وسليمان عليهما السلام ما أجريا حدود التوراة على أنفسهما ، ولا على أهل بيتهما ! فأيّة مداهنة أزيد من هذا ؟! أهذه الحدود فرضها الله للاجراء على المساكين المفلوكين فقط ؟! . ولم تثبت توبة سليمان عليه السلام من موضع من مواضع العهد العتيق ، بل الظاهر عدم توبته ؛ لأنّه لو تاب لهدم المعابد التي بناها ، وكسر الأصنام التي وضعها في تلك المعابد ، ورجم تلك النساء المغويات ، على أنّ توبته ما كانت نافعة ؛ لأنّ حكم المرتد في التوراة ليس إلّا الرجم . وما ادّعى صاحب ميزان الحق في الصفحة الخامسة والخمسين من (طريق الحياة) المطبوع سنة ١٨٤٧م من توبة آدم وسليمان عليهما السلام فادّعاء بحت وكذب صرف[١].

(٢٨) قد عرفت في الأمر السابع من مقدمة الكتاب أن النبي الذي كان في بيت ايل كذب في تبليغ الوحي ، وخدع رجل الله المسكين ، وألقاه في غضب الرب وأهلكه[٢].

(٢٩) في الباب العاشر من سفر صموئيل الأول في حق شاول[٣] ملك إسرائيل السفاك المشهور هكذا : « ١٠ ـ وأتوا إلى الرابية وإذا صفّ من الأنبياء استقبله وحلّ عليه روح الرب فتنبأ[٤] بينهم (١١) وحينما نظروه الذين يعرفونه من أمس وقبل من الأمس فإذا هو مع الأنبياء متنبئاً قال كل امرىء منهم لصاحبه ما هذا الذي أصاب ابن قيس أنّ شاوول في الأنبياء (١٢) فأجاب بعضهم لبعض وقالوا من أبوهم من أجل هذا صار مثلاً هل أيضاً شاوول في

(١) أي لم تثبت توبتهما في كتبهم .
(٢) القصة في سفر الملوك الأول ١٣ / ١١ ـ ٣٠ ونصها في القول السادس من الأمر السابع من مقدمة الكتاب .
(٣) في حاشية ق : هو طالوت . اهـ .
(٤) في حاشية ق : طالوت . اهـ .

الأنبياء (١٣) وفرغ مما تنبأ فأتي إلى الخضيرة » .

والآية السادسة من الباب الحادي عشر من سفر صموئيل الأول هكذا : « فاستقام روح الله على شاوول حين سمع هذا القول واحتمى غضبه جداً » .

يعلم من هذه العبارات أنّ شاوول كان مستفيضاً بروح القدس ، وكان يخبر عن الحالات المستقبلة .

وفي الباب السادس عشر من السفر المذكور : « وابتعدت روح الله من شاوول وصار روح رديّ يعذبه بأمر الرب »[١].

يعلم منه أنّ هذا النبي سقط عن درجة النبوة ، فابتعد عنه روح الله ، وتسلّط عليه روح الشيطان .

وفي الباب التاسع عشر من السفر المذكور هكذا : « ٢٣ ــ فانطلق شاوول إلى نويت[٢] التي في الرامة وحلت عليه أيضاً روح الرب فجعل يسير ويتنبأ حتى انتهى إلى نويت في الرامة (٢٤) وخلع هو ثيابه وتنبأ هو أيضاً أمام صموئيل وسقط عريان نهاره ذلك كلّه وليلته تلك أجمع فصار مثلاً هل شاوول في الأنبياء » .

فحصل لهذا النبي الساقط عن درجة النبوة هذه الدرجة العليا مرة أخرى ، ونزل عليه روح القدس نزولاً قويّـاً بحيث رمى ثيابه وصار عرياناً ، وكان على هذه الحالة يوماً بليلته . فهذا النبي الجامع بين الروح الشيطاني والرحماني كان

---

(١) انظر سفر صموئيل الأول ١٦/١٤ ، وفيه كذلك ١٩/٩ : « وكان الروح الرديّ قبل الرب على شاوول » .

(٢) نويت (نايوت): اسم موضع في منطقة الرامة كان يقيم فيه النبي صموئيل: (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩٢ و ٩٤٨) .

مجمع العجائب ! فمن شاء فلينظر حال ظلمه وعتوّه في السفر المذكور[١].

(٣٠) يهوذا الاسخريوطي كان أحد الحواريين ، وكان مستفيضاً بروح القدس وممتلئاً منه ، صاحب الكرامات ، كما هو مصرّح به في الباب العاشر من إنجيل متّى[٢]. وهذا النبي باع دينه بدنياه ، وسلّم عيسى عليه السلام بأيدي اليهود بطمع ثلاثين درهماً ، ثم خنق نفسه ومات ، كما هو مصرح به في الباب السابع والعشرين من إنجيل متّى[٣]. وشهد يوحنا في حقّه في الباب الثاني عشر من إنجيله[٤] أنّه كان سارقاً ، وكان الكيس عنده ، وكان يحمل ما يُلقى فيه . أيكون النبي مثل هذا السارق البائع دينه بدنياه ؟!.

(٣١) فرّ الحواريون الذين هم في زعمهم أفضل من موسى وسائر الأنبياء الإسرائيليين عليهم السلام في الليلة التي أخذ اليهود عيسى عليه السلام ، وتركوه في أيدي الأعداء ، وهذا ذنب عظيم[٥]. وإنْ قيل : إنّ هذا الأمر صدر عنهم لجبنهم ، والجبن أمر طبعي - أقول : لو سلّم هذا فلا عذر لهم في شيء آخر هو كان أسهل الأشياء ، وهو أنّ عيسى عليه السلام كان في غاية الاضطراب في هذه الليلة ، وقال لهم : إنّ نفسي حزينة جداً ، امكثوا ههنا ، واسهروا معي ، ثم تقدّم قليلاً للصلاة ، ثم جاء إليهم فوجدهم نياماً ، فقال لبطرس : أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة ، اسهروا وصلّوا . فمضى مرة ثانية للصلاة ، ثم جاء فوجدهم نياماً ، فتركهم ومضى ، ثم جاء

---

(١) الإصحاح ١٨ و ١٩ من سفر صموئيل الأول في بيان احتيال شاوول ومؤامراته لقتل داود .

(٢) انظر إنجيل متّى ١٠/١ - ٨ .

(٣) انظر إنجيل متّى ٢٦/١٤ - ١٦ و٤٧ - ٥٠ و٢٧/٣ - ٥ .

(٤) انظر إنجيل يوحنا ١٢/٤ - ٦ .

(٥) ففي إنجيل متّى ٢٦/٥٦ : « حينئذٍ تركه التلاميذ كلهم وهربوا » .

إلى تلاميذه ، وقال لهم : ناموا واستريحوا ، كما هو مصرح به في الباب السادس والعشرين من إنجيل متّى[1]. ولو كان لهم محبة مّا لما فعلوا هذا الأمر ، ألا ترى أن العصاة من أهل الدنيا إذا كان مقتداهم أو قريب من أقاربهم في غاية الاضطراب أو المرض الشديد في ليلة لا ينامون في تلك الليلة ولو كانوا أفسق الناس .

(٣٢) أنّ بطرس الحواري الذي هو رئيس الحواريين وخليفة عيسى عليه السلام ـ على ادّعاء فرقة الكاثوليك ـ وإن كان متساوي الأقدام في الأمر المتقدّم مع الحواريين الباقين ، لكنه حصل له الفضل بأنّ اليهود لما أخذوا عيسى عليه السلام تبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة ، فجلس خارج الدار[2]، فجاءت جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلي فأنكر قدّام الجميع ، ثم رأته أخرى ، وقالت للذين هناك : هذا كان مع يسوع الناصري ، فأنكر أيضاً ، يقسم أني لست أعرف هذا الرجل ، وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس : حقاً أنت أيضاً منهم ، فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف أني لا أعرف هذا الرجل ، وللوقت صاح الديك ، فتذكر بطرس كلام عيسى أنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات[3] كما هو مصرح به في الباب السادس والعشرين من إنجيل متّى[4]. وقد قال المسيح عليه السلام له : « اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس » كما هو مصرح به في الباب السادس عشر من إنجيل متّى[5].

---

(١) انظر إنجيل متّى ٢٦/٣٦ـ ٤٦ .
(٢) إنجيل متّى ٢٦/٥٨ .
(٣) هذا القول في إنجيل متّى ٢٦/٣٤ .
(٤) انظر القصة كاملة في إنجيل متّى ٢٦/٦٩ ـ ٧٥ .
(٥) انظر إنجيل متّى ١٦/٢٣ .

وكتب مقدسهم بولس في الباب الثاني من رسالته إلى أهل غلاطيه هكذا : « ١١ ــ ولكن لـمّا أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنّه كان ملوماً (١٢) لأنّه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لـمّا أتوا كان يؤخّر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان (١٣) وراءى معه باقي اليهود أيضاً حتى انّ برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم (١٤) لكن لـمّا رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حقّ الإنجيل قلت لبطرس قدّام الجميع إن كنت وأنت يهودي تعيش أمميّـاً لا يهودياً فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا » .

وكان بطرس يتقدم على الحواريين في القول لكنّه في بعض الأوقات لا يدري ما يقول ، كما صرح به في الآية الثالثة والثلاثين من الباب التاسع من إنجيل لوقا[1] .

وفي الرسالة الثانية من كتاب الثلاث عشرة رسالة المطبوع سنة ١٨٤٩م في بيروت في الصفحة ٦٠ « لأنّ أحد الآباء يقول : إنّه كان به شديداً داء التجبر والمخالفة »[2] .

ثم في الصفحة ٦١ : « يقول فم الذهب لأنّه كان ضعيفاً متخلخل العقل[3]، والقديس أغوستينوس يقول عن بطرس : إنّه كان غير ثابت لأنّه كان يؤمن أحياناً ويشكّ أحياناً ، وتارة يعترف أنّ المسيح غير مايت ، وتارة يخاف أن يموت ، وكان المسيح يقول له مرة : طوبى لك ، وأخرى يقول له : يا شيطان ». انتهى بلفظه . فهذا الحواري عندهم[4] أفضل من موسى وسائر

(١) ففي إنجيل لوقا ٣٣/٩ في حق بطرس : « وهو لا يعلم ما يقول » .
(٢) في هامش ص ٦٠ ما يلي : « يوحنا فم الذهب مقالة ٨٢ و ٨٣ في متى » وعن يوحنا قال المؤلف في حاشية ق : له شرح على إنجيل متى . اهـ .
(٣) في هامش ص ٦١ ما يلي: « تفسير متّى مقالة عدد ٨٢ و٨٣ » .
(٤) في حاشية ق : أي المسيحيين . اهـ .

الأنبياء الإسرائيليّين . فإذا كان حال الأفضل كما علمت فماذا يعتقد في حق المفضولين ؟! .

(٣٣) كان رئيس الكهنة قيافا نبيّـاً بشهادة يوحنا .

في الآية الحادية والخمسين من الباب الحادي عشر من إنجيل يوحنا قوله في حق قيافا ـ في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م[1] هكذا : « ولم يقل هذا من نفسه لكن من أجل أنه كان عظيم الكهنة في تلك السنة فتنبّى أن يسوع كان مزمعاً أن يموت بدل الأمّة » .

فقوله : « تنبأ » يدل على نبوته[2]، وهذا النبي أفتى بقتل عيسى عليه السلام ، وكفّره وأهانه ، فلو كانت هذه الأمور بالنبوة والإلهام فعيسى عليه السلام واجب الرد والعياذ بالله ، وإن كانت بإغواء الشيطان فأيّ ذنب أكبر من هذه ؟!

وأكتفي على هذا القدر وأقول : إنّ الذنوب المذكورة وأمثالها مصرح به في كتب العهدين ، ولم تقدح هذه الذنوب في نبوة أنبيائهم ، أفلا يستحيون أن يعترضوا على محمد ﷺ في أمور خفيفة ؟! .

وإذا عرفت هذا فالآن أشرع في نقل مطاعنهم والجواب عنها ، وأقول :

المطعن الأول : مطعن الجهاد : وهو من أعظم المطاعن في زعمهم ، ويقرّرونه في رسائلهم بتقريرات عجيبة مموهة منشؤها العناد الصرف . وأنا أمهد قبل تحرير الجواب **أموراً خمسة** :

الأمر الأول : أنّ الله يبغض الكفر ويجازي عليه في الآخرة يقيناً ، وكذا

---

(١) وهذا هو نص طبعة سنة ١٨٢٣م كذلك .
(٢) وفي طبعة سنة ١٨٦٥م كذلك : « تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة » .

يبغض العصيان ، وقد يعاقب الكفار والعصاة في الدنيا أيضاً ، فيعاقب الكفار تارة بالإغراق عموماً كما في عهد نوح عليه السلام ، فإنّه أهلك كل ذي حياة غير أهل السفينة بالطوفان[1]، وتارة بالإغراق خصوصاً كما في عهد موسى عليه السلام حيث أغرق فرعون وجنوده[2]، وتارة بالإهلاك مفاجأة كما أهلك أكبر الأولاد لكل إنسان وبهيمة من أهل مصر في ليلة خرج بنو إسرائيل فيها من مصر كما هو مصرح به في الباب الثاني عشر من سفر الخروج[3]، وتارة بإمطار الكبريت والنار من السماء وقلب المدن كما في عهد لوط عليه السلام فإنّه أهلك سادوم وعامورة ونواحيهما بإمطار الكبريت والنار وقلب المدن[4]، وتارة بإهلاكهم بالأمراض كما أهلك الإشدوديين[5] بالبواسير كما هو مصرح به في الباب الخامس من سفر صموئيل الأول[6]، وتارة بإرسال الـمَلَك وإهلاكهم كما فعل بعسكر الآشوريين حيث أرسل ملكاً فقتل منهم في ليلة واحدة مائة وخمسة وثمانين ألفاً كما هو مصرح به في الباب التاسع عشر من سفر الملوك الثاني[7]، وتارة يكون بجهاد الأنبياء ومتبعيهم كما ستعرفه في الأمر الثاني . وكذا يعاقب العصاة أيضاً تارة بالخسف والنار كما أهلك قورح وداثان[8] وابيرم[9] وغيرهم لما خالفوا موسى عليه السلام فانفلقت الأرض ، وابتلعت

(١) انظر سفر التكوين ٧/١٠ ـ ٢٤ .
(٢) انظر سفر الخروج ١٤/٢١ ـ ٣١ .
(٣) انظر سفر الخروج ١٢/٢٩ ـ ٣٣ .
(٤) انظر سفر التكوين ١٩/٢٣ ـ ٢٩ .
(٥) في حاشية ق : في عهد داود عليه السلام . اهـ .
(٦) انظر سفر صموئيل الأول ٥/٦ ـ ١٢ .
(٧) انظر سفر الملوك الثاني ١٩/٣٥ .
(٨) داثان : هو داثان بن ألياب من بني رأوبين اشترك مع قورح في عصيان موسى وهارون . (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٥) .
(٩) أبيرام : هو أبيرام بن ألياب وقد اشترك مع أخيه داثان في عصيان موسى وهارون وتأييد قورح ضدهما . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢١) .

قورح وداثان وأبيرم ونساءهم وأولادهم وأثقالهم ، ثم خرجت نار فأكلت مائتين وخمسين رجلاً كما هو مصرح به في الباب السادس عشر من سفر العدد[1]، وتارة بالإهلاك مفاجأة كما أهلك أربعة عشر ألفاً وسبعمائة لما خالف بنو إسرائيل في غد هلاك قورح وغيره ، ولو لم يقم هارون عليه السلام بين الموتى والأحياء ، ولم يستغفر للقوم لهلك الكل بغضب الرب في هذا اليوم ، كما هو مصرح به في الباب المذكور[2]، وكما أهلك خمسين ألفاً وسبعين رجلاً من أهل بيت شمس على أنّهم رأوا تابوت الله كما هو مصرح به في الباب السادس من سفر صموئيل الأول[3]، وتارة بإرسال الحيات المؤذية، كما أن بني إسرائيل لما خالفوا موسى عليه السلام مرة أخرى أرسل الله عليهم الحيات المؤذية فجعلت تلدغهم فمات كثير منهم كما هو مصرح به في الباب الحادي والعشرين من سفر العدد[4]، وتارة بإرسال المَلَك كما أهلك سبعين ألفاً في يوم واحد، على أنّ داود عليه السلام عدّ بني إسرائيل كما هو مصرح به في الباب الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني[5] وقد لا يعاقب الكفار والعصاة في الدنيا ، ألا ترى أنّ الحواريين على زعم المسيحيين كانوا أفضل من موسى وسائر الأنبياء الإسرائيليّين ومن تابوت الله ، وأنّ قاتليهم عند المسيحيين أسوأ من كفار عهد نوح ولوط وموسى عليهم السلام ، وقتل نيرو[6] الظالم المشرك الذي كان ملك ملوك الروم بطرس الحواري وزوجته وبولس وكثيراً من المسيحيين بأشد أنواع القتل[7]،

(١) انظر سفر العدد ١٦/٢٠ ـ ٣٥ .
(٢) انظر سفر العدد ١٦/٤١ ـ ٥٠ .
(٣) انظر سفر صموئيل الأول ٦/١٩ .
(٤) في ط : « الباب الرابع والعشرون » ، والصواب ما في خ « الباب الحادي والعشرون ، وانظر القصة المشار إليها في سفر العدد ٢١/٦ ـ ٩ .
(٥) انظر سفر صموئيل الثاني ٢٤/١ ـ ١٥ .
(٦) نيرو : هو نيرون امبراطور روما .
(٧) انظر قاموس الكتاب المقدس ص ١٧٧ وص ١٩٩ .

وكذا قتل أكثر الكفار الحواريين وتابعيهم وما أهلكهم الله بالإغراق ، ولا بإمطار الكبريت والنار وقلب المدن ، ولا بقتل أكبر أولادهم ، ولا بابتلائهم بالأمراض ، ولا بإرسال الملك ، ولا بإرسال الحيات ، ولا بوجه آخر .

الأمر الثاني : أنّ الأنبياء السابقين أيضاً قتلوا الكفار ، وسبوا نساءهم وذراريهم ، ونهبوا أموالهم . ولا تختصّ هذه الأمور بشريعة محمد ﷺ ، كما لا يخفى على من طالع كتب العهدين . وله شواهد كثيرة أكتفي على إيراد بعضها :

(١) في الباب العشرين من كتاب التثنية هكذا : « ١٠ ــ وإذا دنوت من القرية لتقاتلها ادعهم أولاً بالصلح (١١) فإن قبلت وفتحت لك الأبواب فكلّ الشعب الذي بها يخلص ويكونوا لك عبيداً يعطوك الجزية (١٢) وإن لم ترد تعمل معك عهداً وتبتدي بالقتال معك فقاتلها أنت (١٣) وإذا سلّمها الربّ إلاهك بيدك اقتل جميع ما بها من جنس الذكر بفم السيف (١٤) دون النساء والأطفال والدواب وما كان في القرية غيرهم واقسم للعسكر الغنيمة بأسرها وكُلْ من سلب أعدائك الذي يعطيك الرب إلاهك (١٥) وهكذا فافعل بكل القرى البعيدة منك جداً وليست من هذه القرى التي ستأخذها ميراثاً (١٦) فأمّا القرى التي تعطى أنت إيّاها فلا تستحيي منها نفساً ألبتّة (١٧) ولكن أهلكهم إهلاكاً كلّهم بحدّ السيف الحيثي والأموري[1] والكنعاني[2] والفرزي

---

(١) الأموريون : هم سكان كنعان الأصليون ، ويتكلّمون لغة ساميّة ، وقد حكموا جزءاً من فلسطين وسوريا وبابل ، وكان ملوك الأسرة الأولى في بابل من القرن ١٩ ـ ١٦ ق.م من الأموريين وأشهر ملوكهم حمورابي وكانوا يطلقون على سوريا وفلسطين قبل الميلاد بعشرين قرناً (أرض الأموريين) ، وكان الأموريون أهم قبائل جنوب فلسطين في عصر إبراهيم عليه السلام ، وقبل خروج موسى من مصر كانوا قد فتحوا المنطقة المحيطة بالبحر الميت جنوباً وإلى جبل حرمون (الشيخ) شمالاً . (قاموس الكتاب المقدس ص ١١٩ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٢٢٨) .

(٢) الكنعانيون : هم من نسل كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ، وكانوا يقطنون شمال=

والحوايـي واليابوسي كما أوصاك الربّ إلاهك » .

فظهر من هذه العبارة أنّ الله أمر في حق القبائل الست - أعني الحيثانيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحوايين واليابوسيين - أن يقتل بحدّ السيف كل ذي حياة منهم ذكورهم وإناثهم وأطفالهم ، وأمر فيما عداهم أن يدعوا أوّلاً إلى الصلح ، فإن رضوا به وقبلوا الإطاعة وأداء الجزية فبها ، وإن لم يرضوا يحاربوا ، فإذا حصل الظفر عليهم يقتل كل ذكر منهم بالسيف ، وتسبى نساؤهم وأطفالهم ، وتنهب دوابهم وأموالهم ، وتقسم على المجاهدين ، وهكذا يفعل بكل القرى التي هي بعيدة من قرى الأمم الست .

وهذه العبارة الواحدة تكفي في جوابهم عن تقريراتهم الواهية ، وقد نقلها علماء الإسلام سلفاً وخلفاً في مقابلتهم ، لكنّهم يسكتون عنها كأنهم لم يروها في كلام المخالف ، ولا يجيبون عنها لا بالتسليم ولا بالتأويل .

(٢) في الباب الثالث والعشرين من سفر الخروج هكذا : « ٢٣ ــ وينطلق ملاكي أمامك فيدخلك على الأموريين والحيثانيين والفرزانيين والكنعانيين والحواين واليابوسانيين الذين أنا أخرجهم (٢٤) لا تسجدن لآلهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم ولكن أخربهم خرباً واكسر أوثانهم » .

(٣) في الباب الرابع والثلاثين من سفر الخروج في حق الأمم الست هكذا : « ١٢ ــ فاحذر أن تعاهد ألبتة سكان تلك الأرض الذين تأتيهم لئلا يكونوا لك عثرة (١٣) ولكن اهدم مذابحهم وكسّر أصنامهم واقطع أنساكهم » .

(٤) في الباب الثالث والثلاثين من سفر العدد : « ٥١ ــ أؤمر بني إسرائيل

= فلسطين وسواحل لبنان ، وكانوا وثنيين يعبدون عدداً من الآلهة أشهرها (ايل ، وبعل ، وعشتروت) ، ويرد ذكرهم كثيراً في أسفار التوراة . (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩٠ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٨٥ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٢١٣/٨) .

وقل لهم إذا عبرتم الأردن وأنتم داخلون أرض كنعان ٥٢ ــ فأبيدوا كلّ سكان تلك الأرض واسحقوا مساجدهم واكسروا أصنامهم المنحوتة جميعها واعقروا مذابحها كلّها (٥٥) ثم ان أنتم لم تبيدوا سكان الأرض فالذين يبقون منهم يكونوا لكم كأوتاد في أعينكم وأرماح في أجنابكم ويشقون عليكم في الأرض التي تسكنونها (٥٦) وما كنت عزمت أنّي أفعل بهم سأفعله بكم » .

(٥) في الباب السابع من سفر التثنية هكذا : « ١ ــ إذا أدخلك الربّ إلاهك الأرض التي تدخل لترثها ويبيد الشعوب الكثيرة من قدّامك الحيثيّ والجرجساني والأموراني والكنعاني والفرزاني والحواي واليبوساني[1] سبعة أمم أكثر منكم عدداً وأشدّ منكم (٢) وأسلمهم الربّ إلاهك بيدك فاضرب بهم حتى انك لا تبقي منهم بقيّة فلا تواثقهم ميثاقاً ولا ترحمهم (٥) ولكن فافعلوا بهم هكذا : مذابحهم فأخربوها واكسروا أصنامهم وقطعوا مناسكهم وأوقدوا أوثانهم » .

فعلم من هذه العبارات أنّ الله أمر بإهلاك كل ذي حياة من الأمم السبع ، وعدم الرحمة بهم ، وعدم المعاهدة معهم ، وتخريب مذابحهم ، وكسر أصنامهم ، وإحراق أوثانهم ، وقطع مناسكهم ، وشدّد في إهلاكهم تشديداً بليغاً ، وقال : إن لم تهلكوهم أفعل بكم ما كنت عزمت أن أفعله بهم .

ووقع في حق هذه الأمم السبع أنهم « أكثر منكم عدداً وأشدّ منكم » . وقد

---

(١) اليابوسانيون : (يبّوسيون) : ينسبون إلى يبّوس الذي هو اسم أورشليم في عهدهم ، وكان موضع يبّوس منحصراً بالجبل الجنوبي الشرقي من القدس الذي احتله داود ووضع فيه التابوت فدعي بعدئذ (صهيون) أو (مدينة داود) ، واليبّوسيون هم قبيلة كنعانية سكنت يبّوس (أورشليم) والجبال المحيطة بها ، وقد استولى يشوع على أرضهم وقراهم لكنهم لم يخرجوا منها فسكن بنو إسرائيل معهم ، وقد اشترى داود عليه السلام من أرونة اليبوسي بيدره على جبل الموريا وبنى عليه المذبح ثم بنى عليه سليمان الهيكل . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٧ وص ٥٥٨ وص ١٠٥٢) .

ثبت في الباب الأول من سفر العدد[1] أنّ عدد بني إسرائيل الذين كانوا صالحين لمباشرة الحروب ـ وكانوا أبناء عشرين سنة وما فوقها ـ كان ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين رجلاً[2]، وأنّ اللاويين مطلقاً ذكوراً كانوا أو إناثاً ، وكذا إناث سائر الأسباط الإحدى عشرة مطلقاً ، وكذا ذكورهم الذي لم يبلغوا عشرين سنة خارجون عن هذا العدد ، ولو أخذنا عدد جميع بني إسرائيل ، وضممنا المتروكين والمتروكات كلهم بالمعدودين لا يكون الكل أقل من ألفي ألف وخمسمائة ألف ، أعني مليونين ونصف مليون ، وهذه الأمم السبع إذا كانت أكثر منهم عدداً وأشدّ منهم فلا بد أن يكون عدد هذه الأمم أكثر من عددهم .

وألّف القسيس الدكتور كيث كتاباً باللسان الإنكليزي في بيان صدق الإخبارات عن الحوادث المستقبلة المندرجة في كتبهم المقدسة ، وترجمه القسيس مرّيك باللسان الفارسي ، وسمّاه (كشف الآثار في قصص أنبياء بني إسرائيل) . وهذه الترجمة طبعت في ادن برغ سنة ١٨٤٦ من الميلاد وسنة ١٢٦٢ من الهجرة . ففي الصفحة ٦٦ من هذه الترجمة : « علم من الكتب القديمة أنّ البلاد اليهودية كان فيها قبل خمسمائة وخمسين سنة من الهجرة ثمانية كرورات [أي ثمانون مليوناً][3] من ذي حياة » . انتهى .

فالغالب أن هذه البلاد في عهد موسى عليه السلام كانت معمورة مثلها أو أزيد منها ، فأمر الله بقتل ثمانين مليوناً أو أكثر من ذي حياة .

(٦) في الآية العشرين من الباب الثاني والعشرين من سفر الخروج هكذا : « من يذبح للأوثان فليقتل » .

---

(١) انظر سفر العدد ١/٤٥ ـ ٤٩ .

(٢) ٦٠٣٥٥٠ ، فعدد الجيش المحارب أكثر من نصف مليون .

(٣) الكرور : عشرة ملايين .

(٧) من طالع الباب الثالث عشر من سفر التثنية عَلِم أنّ الداعي إلى عبادة غير الله ـ ولو كان نبيّـاً صاحب معجزات ـ واجبُ القتل ، وكذا الداعي إلى عبادة الأوثان واجبُ الرجم وإنْ كان من الأقارب أو من الأصدقاء ، وإنْ عبدها أهل القرية يُقتل هؤلاء كلهم ودوابّهم بحدّ السلاح ، وتُحرق القرية ومتاعها وأموالها بالنار ، وتُجعل تلاّ ثمّ لا تُبنى[1].

(٨) في الباب السابع عشر من سفر التثنية هكذا : « ٢ ــ إذا وجد عندك جوّاة[2] أحد أبوابك التي يعطيك الربّ إلاهك رجل أو امرأة تعمل سيئة قدّام الربّ إلهك ويَعْدُوا ميثاقه (٣) ليذهبوا ويعبدوا آلهة أخرى ويسجدوا لها ويسجدوا للشمس والقمر ولكلّ أجناد السماء ما لم أمرتُ به أنا (٤) وأنت أُخبرت بذلك وسمعت ذلك وفحصت عنه بحرص فوجدتَ أنّ ذلك حق وأنها قد صُنعت رجاسة في إسرائيل (٥) فأخرجْ الرجل أو الامرأة الذي فعل الفعل السيء إلى أبواب قريتك وارجموه بالحجارة » .

(٩) في الباب الثالث من سفر الخروج هكذا : « ٢١ ــ وأعطي نعمة لهذا الشعب قدّام المصريين وإذا ما أردتم الخروج فلا تخرجوا فارغين (٢٢) بل تسأل الامرأة من جارتها ومن التي هي ساكنة دارها أواني فضّة وذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم وتسلبون مصر » .

ثم في الباب الحادي عشر من السفر المذكور قول الله لموسى عليه السلام هكذا : « ٢ ــ فتحدّث في مسامع الشعب أن يسأل الرجل صاحبه والمرأة من صاحبتها أواني فضة وأواني ذهب (٣) والرب يعطي لشعبه نعمة قدّام المصريّين » .

---

(١) الأحكام السابقة في سفر التثنية ١٣/١ ـ ١٦ .

(٢) في حاشية ق : أي وسط . اهـ . قال في لسان العرب ١٤/١٥٧ « وجَـوّ كل شيء : بطنه وداخله ، وهو الـجَوّة أيضاً » .

ثم في الباب الثاني عشر من السفر المذكور هكذا : « ٣٥ ــ وفعل بنوا إسرائيل كما أمر موسى واستعاروا من المصريين أواني فضّة وذهب وشيئاً كثيراً من الكسوة (٣٦) فأمّا الربّ أوهب نعمة لشعبه أمام المصريين أن يُعِيروهم واستلبوا المصريين » .

فإذا كان عدد بني إسرائيل كما علمت ، واستعار رجالهم ونساؤهم من المصريين يكون ما استعاروه مالا غير محصور كما وعد الله أوّلاً بأنّكم « تسلبون مصر » ، ثم أخبر ثانياً « واستلبوا المصريين » ، لكنّه أجاز لهم السلب بحيلة الاستعارة التي هي في الظاهر خديعة وغدر .

(١٠) في الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج في حال عبادة العجل هكذا : « ٢٥ ــ فنظر موسى الشعب أنّه قد صار عريان إنّما عرّاه هارون لعار النجاسة وجعله عريان بين الأعداء (٢٦) فقام في باب المحلّة وقال : مَن كان من حزب الربّ فليُقْبِل إليّ فاجتمع إليه جميع بني لاوي (٢٧) وقال لهم هذا ما يقول الربّ إلاه إسرائيل ليتقلّد كل رجل منكم سيفه فجوزوا في وسط المحلّة من باب إلى باب وارتدّوا وليقتل الرجل منكم أخاه وصاحبَه وقريبَه (٢٨) فصنع بنوا لاوي كما أمرهم موسى فقتلوا في ذلك اليوم من الشعب نحو ثلاثة وعشرين ألف رجل » ، فقتل موسى عليه السلام على عبادة العجل ثلاثة وعشرين ألفاً . واعلم أنّه وقع في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م وسنة ١٨٤٨م التي نقلتُ عنها هذه العبارة لفظ « ثلاثة وعشرين ألف رجل »[١] .

(١١) في الباب الخامس والعشرين من سفر العدد أنّ بني إسرائيل لـمّا زنوا

---

(١) أي عبارة سفر الخروج ٢٨/٣٢ ، لأنّها في السامرية وفي طبعة سنة ١٨٦٥م وسائر الطبعات الحديثة « ثلاثة آلاف رجل » .

بنات مؤاب ، وسجدوا لآلهتهن أمر الرب بقتلهم . فقتل موسى أربعة وعشرين ألفاً منهم[1].

(١٢) من طالع الباب الحادي والثلاثين من سفر العدد ظهر له أنّ موسى عليه السلام لـمّا أرسل اثني عشر ألف رجل مع فينحاس ابن العازار لمحاربة أهل مديان ، فحاربوهم وانتصروا عليهم ، وقتلوا كل ذكر منهم وخمسة ملوكهم وبلعام ، وسبوا نساءهم وأولادهم ومواشيهم كلها ، وأحرقوا القرى والدساكر والمدائن بالنار ، فلما رجعوا غضب عليهم موسى عليه السلام ، وقال : لم استحييتم النساء ؟ ثمّ أمر بقتل كل طفل مذكر وكل امرأة ثيّبة وإبقاء الأبكار[2]، ففعلوا كما أمر . وكانت الغنيمة من الغنم ستمائة وخمسة وسبعين ألفاً ، ومن البقر اثنين وسبعين ألفاً ، ومن الحمير واحداً وستين ألفاً ، ومن الأبكار اثنين وثلاثين ألفاً ، وكان لكل مجاهد ما نهب من غير الدواب والإنسان ، وما بُيِّن مقداره في هذا الباب ، غير أنّ رؤساء الألوف والمئين أعطوا الذهب لموسى والعازار ستة عشر ألفاً وسبعمائة وخمسين مثقالاً[3]، وإذا كان عدد النساء الأبكار اثنين وثلاثين ألفاً فكم يكون مقدار المقتولين من الذكور مطلقاً شيوخاً كانوا أو شباباً أو صبياناً ومن النساء الثيبات ؟! .

(١٣) عمل يوشع عليه السلام بعد موت موسى عليه السلام بالأحكام المندرجة في التوراة ، فقتل المليونات الكثيرة . ومَن شاء فليطالع هذا الحال في كتابه من الباب الأول إلى الباب الحادي عشر[4]. وقد صُرّح في الباب الثاني

(١) انظر سفر العدد ٢٥/١ ـ ١٠ .

(٢) أي البنات غير المتزوجات .

(٣) انظر الحوادث السابقة في سفر العدد ٣١/١ ـ ٥٤ .

(٤) في سفر يشوع من الاصحاح الأول إلى الحادي عشر كلها في بيان حروب بني إسرائيل بقيادة يشوع بن نون ، ويلاحظ فيها الظلم وإزهاق أرواح أبرياء ويمكن النظر في الفقرات التالية : ٦/٢١ و ٢٤ ، و٨/٨ و ١٩ و ٢٥ و ٢٨ ، و ١٠/١١ و ٢٠ و ٢٦ و ٢٨ ـ ٤٣ ، و ١١/٨ ـ ٢٣ .

عشر من كتابه أنّه قتل واحداً وثلاثين سلطاناً من سلاطين الكفار ، وتسلّط بنو إسرائيل على مملكتهم[1].

(١٤) في الباب الخامس عشر من سفر القضاة في حال شمشون هكذا : « ووجد فَكّـاً أعني : خدّ حمار فمدّ يده وأخذه وقتل به ألف رجل »[2].

(١٥) في الباب السابع والعشرين من سفر صموئيل الأول : « ٨ ــ وصعد داود ورجاله وكانوا ينهبون أهل جاسور وجرز[3] وعماليق لأنّ هؤلاي كانوا سكان الأرض من الدهر من حدّ سورا[4] حتى أرض مصر (٩) وكان يخرّب داود كلّ الأرض ولم يكن يُبقى منهم رجلاً ولا امرأة ويأخذ الغنم والبقر والحمير والجمال والأمتعة وكان يرجع ويأتي إلى أخيس »[5].

انظروا إلى فعل داود عليه السلام أنّه كان يخرّب الأرض ، وما كان يبقي رجلاً ولا امرأة من أهل جاسور وجرز وعمالق ، وينهب دوابهم وأمتعتهم .

(١٦) في الباب الثامن من سفر صموئيل الثاني : « ٢ ــ وضرب الموآبيّين ومسحهم بالحبال وأضجعهم على الأرض ومسح جبلَيْـن للقتل وكمّل حبلاً

---

(١) وقد ذكرت أسماؤهم في سفر يشوع ١٢/١ ـ ٢٤ .

(٢) انظر سفر القضاة ١٥/١٥ .

(٣) جرز : وسكانها الجرزيون الذين استوطنوا جنوب فلسطين زمن شاول . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٩) .

(٤) سورا : الاسم القديم للشام على حسب معجم البلدان ٣/٣١٢ ، والأغلب أنّها هي المقصودة هنا ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م ورد الاسم بلفظ « شور » ، وترجم له في ص ٥٢٨ من قاموس الكتاب المقدس بأنه موضع في جنوب فلسطين شرقي مصر ، وهو غلط ؛ لأنّه لا يتناسب مع سياق الفقرات .

(٥) أخيس (أخيش) : اسم ملك جت (عراق المنشيّة) الواقعة شمال غربي الخليل ، وشمال شرقي غزة بفلسطين ، وتبعد عن كل منهما حوالي ٣٢ كم ، وكانت جت من المدن الخمس الكبرى في فلسطين . (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥ و٢٤٨) .

واحداً للاستحياء وكان المؤابيّون عبيداً لداود يؤدّون إليه الخراج (٣) وضرب داود أيضاً هدر عزار بن راحوب ملك صوبا . . . . [الخ] (٤) وأخذ داود منه ألف وسبعمائة فارس ومن رجاله عشرين ألفا . . . . [الخ] (٥) فأتت أرام دمشق ليعينو هدر عزار ملك صوبا[١] وضرب داود من أرام اثنين وعشرين ألف رجل » .

فانظروا إلى فعل داود عليه السلام بالمؤابيين وهدر عزار وجيشه وجيش أرام !

(١٧) الآية الثامنة عشرة من الباب العاشر من سفر صموئيل الثاني هكذا : « وهرب السريانيون[٢] من بين يدي إسرائيل وقتل داود من السريانيين سبعمائة مركب وأربعين ألف فارس وسوباك رئيس الجيش ضربه فمات في ذلك المكان » .

(١٨) وفي الباب الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني هكذا : « ٢٩ ـ فجمع داود جميع الشعب وسار إلى رابة فحارب أهلها وفتحها (٣٠) وأخذ تاج مَلِكهم عن رأسه وكان وزنه قنطراً من الذهب وكان فيه جواهر مرتفعة ووضعوه على داود وغنيمة القرية أخرجها كثيرة جداً (٣١) والشعب الذين كانوا فيها أخذهم ونشرهم بالمناشير وداسهم بموارج[٣] حديد وقطعهم

(١) صوبا : مملكة من ممالك أرام (سوريا) غربي نهر الفرات ، وقد يطلق عليها أرام صوبا ، وتقع شمال دمشق ، وظنّ بعضهم أنّ صوبا هي حمص . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٥٨) .

(٢) السُّريانيون : نسبة إلى سريا (سوريا) ، وهذا الاسم ورد في طبعة سنة ١٨٦٥م وما بعدها بلفظ أرام ، وهو إسم سوريا لكنّ لفظ سوريا لم يستخدم في العهد القديم وكان المستعمل اسم أرام . ولذلك أُطلق على إقليم أرام في الترجمة السبعينية اسم (سوريا) فيما بعد . (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٢ و ٤٤٦) .

(٣) في طبعة سنة ١٨٦٥م : نوارج بالنون ، ومفردها نَوْرَج ، وهو آلة قديمة تجرّها الدواب وتستعمل لفرز الحبوب عن القش . (المعجم الوسيط ص ٩٦٢) .

بالسكاكين وأجازهم بقمين الأجاجر[1] كذلك صنع بجميع قرى بني عمّون ورجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم » .

ونقلتُ هذه العبارة لفظاً لفظاً عن الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م . فانظروا كيف قتل داود عليه السلام بني عمّون قتلاً شنيعاً ، وأهلك جميع القرى بمثل هذا العذاب العظيم الذي لا يُتصوّر فوقه ! .

(١٩) في الباب الثامن عشر من سفر الملوك الأول أنّ إيليّا عليه السلام ذبح أربعمائة وخمسين رجلاً من الذين يدّعون أنّهم أنبياء بعل[2].

(٢٠) لما فتح أربعة ملوكٍ سادوم وعامورة ، ونهبوا جميع أموال أهاليهما ، وأسروا لوطا عليه السلام ، ونهبوا ماله أيضاً ؛ ووصل هذا الخبر إلى إبراهيم عليه السلام ، خرج إبراهيم عليه السلام ليخلّص لوطا عليه السلام .

---

(١) في طبعة سنة ١٨٦٥م : « وأمَرَّهم في أتون الآجر » .

(٢) انظر هذه القصة في سفر الملوك الأول ١٨/١٧ ـ ٤٠ ، والبعل هو صنم قوم الياس عليه السلام ، ورد اسمه في القرآن الكريم مرة واحدة ، ومعناه بالساميّة : مالك ، سيد ، ربّ ، زوج ، وهو من آلهة الكنعانيين ، ويعتقدون أنه ابن الإله إيل ، وله زوجة لها عدة أسماء ، فهي الإلاهة بعلة وعشيرة وعشتروت وعنات، وبعل عندهم هو إله الخصب والمزارع ، وكانوا يختارون الأماكن العالية لبناء معابد البعل عليها ، ويقوم الكهنة فيها بخدمة البعل وبأعمال السحر والشعوذة ، وتقديم القرابين البشرية ، ولفظ بعل يجمع في العبرية بعليم ، وقد يستعمل مضافاً إلى اسم البلد التي يعبد فيها فيقال : بعل حرمون ، وبعل حاصور ، وبعل فغور ، وهكذا ، ومن اسم البعل اشتق اسم بعلبك الواقعة شرقي سهل البقاع في سفح جبل لبنان الشرقي على مسافة حوالي ٦٠ كم شمال بيروت ، وهي مدينة قديمة جداً ، وكان اسمها اليوناني هليوبوليس : أي مدينة الشمس ، وكان بها هيكلان عظيمان للإله بعل ، وقيل كان بعل من ذهب وطوله عشرون ذراعاً وله أربعة أجنحة ، وفي القرن الميلادي الثاني أقام الامبراطور أنطونينس بها معبداً جديداً للبعل ، فلما تنصّر الامبراطور قسطنطين شيد في داخله كنيسة يوليان المرتدّ . (معجم البلدان ٤٥٥/١ ، والبداية والنهاية ٣٦٨/١ ، والقاموس الإسلامي ٣٢٩/١ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٨١ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٣٨٢ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٥٦٥/١) .

ففي بيان هذا الحال في الباب الرابع عشر من سفر التكوين هكذا :
« ١٤ ـ فلما سمع أبراهم ذلك أنّ لوط ابن أخيه سُبي فأحصى غلمانه أولاد بيته ثلاث مائة وثمانية عشر وانطلق في أثرهم حتى إلى دان (١٥) وفرّق أرفاقه ونزل عليهم ليلاً وضرب بهم وطردهم حتى إلى حوبا[١] التي هي من شمال دمشق (١٦) واستردّ المقتنَى كله ولوط ابن أخيه وماله والنسوة أيضاً والشعب (١٧) وخرج ملك سادوم للقائه بعدما رجع من قتل كدرلغمور[٢] والملوك الذين معه في وادي شوا[٣] الذي هو وادي الملك » .

(٣١) في الباب الحادي عشر من الرسالة العبرانية هكذا : « ٣٢ ـ وماذا أقول أيضاً لأنّه يعوزني الوقت إنْ أخبرتُ عن جدعون وباراق[٤] وشمشون ويفتاح[٥] وداود وصموئيل والأنبياء (٣٣) الذين بالإيمان قهروا ممالك صنعوا برّاً نالوا مواعيد سدّوا أفواه أسود (٣٤) أطفأوا قوّة النار نجوا من حدّ السيف تقوّوا من ضعف صاروا أشدّاء في الحرب هزموا جيوش غرباء » .

فظهر من كلام مقدّسهم بولس أنّ قهر هؤلاء الأنبياء ممالك وإطفاءَهم النار ونجاتهم من حد السيف وهزمهم جيوش الكفار كان من جنس البرّ لا من جنس الإثم ، وكان منشؤها قوة الإيمان ونيل مواد الرحمن ، لا قساوة القلب

---

(١) حوبا (حوبة) : مدينة قديمة شمال دمشق ، ومكانها الآن غير معروف وظنّ البعض أنّها بين تدمر وحمص . (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٢٥) .

(٢) كدر لغمور (كدر لعومر) : ملك عيلام الواقعة على الطرف الشمالي للخليج العربي شرقي نهر دجلة . (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٧٤ وص ٦٥١) .

(٣) وادي شوا (شوى) : واد في القدس ، ويظن أنّه هو المسمى وادي الجوز الذي يقع شمالي أورشليم ويتصل بوادي قدرون . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٢٧) .

(٤) باراق : هو باراق بن أبينوعم اشتهر في قتال الكنعانيين . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٥٧) .

(٥) يفتاح : هو يفتاح بن جلعاد ، كان قاضياً لبني إسرائيل مدة ست سنين ولم تخل حياته من الشوائب . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٨) .

والظلم ، وإن كانت أفعال بعضهم في صورةِ أشـدِّ أنواع الظلم سيما في قتل الصغار الذين ما كانوا متدنسين بدنس الذنوب .

وقد عدّ داود عليه السلام جهاداته من الحسنات حيث قال في الزبور الثامن عشر : « ٢٠ ــ ويجازيني الربّ مثل برّي ومثل طهارة يديّ يكافيني (٢١) لأنّي حفظت طرق الربّ ولم أكفر بإلهي (٢٢) لأنّ جميع أحكامه قدّامي وعدله لم أبعده عنّي (٢٣) وأكون معه بلا عيب لأنّه حفظني من إثمي (٢٤) ويجازيني الربّ مثل برّي ومثل طهارة يديّ قدّام عينيه » .

وقد شهد الله أنّ جهاداته وسائر أفعاله الحسنة كانت مقبولة عند الله ، وفي الآية الثامنة من الباب الرابع عشر من سفر الملوك الأول قول الله هكذا : « داوود عبدي الذي حفظ وصاياي وتبعني من كلّ قلبه وعمل بما حسن أمامي » .

فما قال صاحب ميزان الحق وغيره من علماء البروتستانت : إنّ جهادات داود عليه السلام كانت لأجل سلطنته ومملكته ، فمنشؤه قلة الديانة ؛ لأنّ قتل النساء والأطفال وكذا قتل جميع أهل بعض البلاد ما كان ضرورياً لأجل هذه المصلحة . على أنّا نقول : إنّا لو فرضنا أنّ هذا القتل كان لأجل السلطنة لكنّه لا يخلو إمّا أن يكون مرضياً لله وحلالاً له[1] ، أو يكون مبغوضاً عند الله ومحرّماً عليه[1] . فإن كان الأول ثبت مطلوبنا ، وإن كان الثاني لزم كذب قوله[1] وقول مقدسهم ، وكذب شهادة الله في حقه ، ولزم أن تكون دماء ألوف من المعصومين وغير واجبي القتل في ذمته ، ودم البريء الواحد يكفي للهلاك ، فكيف تحصل له النجاة الأخروية ؟!

(١) ضمير الغائب في (له) و(عليه) و(قوله) يرجع إلى داود عليه السلام .

في الباب الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا : « وأنتم تعلمون أنّ كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه »[1].

وفي الباب الحادي والعشرين من المشاهدات : « وأمّا الجبانون والكفار والمرذولون والقتلة والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وكل الكذابين يكون نصيبهم في البحيرة الموقدة بالنار والكبريت هذا هو الموت الثاني »[2] والعياذ بالله .

ولخوف التطويل أكتفي على هذا القدر .

الأمر الثالث : لا يُشترط أن تكون الأحكام العملية الموجودة في الشريعة السابقة باقية في الشريعة اللاحقة بعينها ، بل لا يشترط أن تكون هذه الأحكام العملية باقية في شريعة واحدة من أولها إلى آخرها ، بل يجوز أن تختلف هذه الأحكام بحسب اختلاف المصالح والأزمنة والمكلفين . وقد عرفت هذه الأمور في الباب الثالث بما لا مزيد عليه .

فكان الجهاد مشروعاً في الشريعة الموسوية على طريق هو أشنع أنواع الظلم عند منكر النبوّة ، ولم تبق مشروعيته في الشريعة العيسوية ، وما كان بنو إسرائيل مأمورين بالجهاد قبل خروجهم عن مصر ، وصاروا مأمورين به بعد خروجهم ، وعيسى عليه السلام يقتل الدجال وعسكره بعد نزوله كما هو مصرح به في الباب الثاني من الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي[3] والباب التاسع عشر من المشاهدات[4].

وكذا لا يشترط أن تكون معاملة تنبيه الكفار والعصاة على طريقة واحدة

---

(١) رسالة يوحنا الأولى ٣/١٥ .
(٢) رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢١/٨ ، والنصّ المذكور من طبعة سنة ١٨٢٣م و ١٨٤٤م .
(٣) انظر رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي ٢/٨ ـ ٩ .
(٤) انظر سفر رؤيا يوحنا ١٩/٢٠ ـ ٢١ .

ـ كما علمت في الأمر الأول ـ فلا يجوز لمن يعتقد النبوة والوحي أن يعترض بمثل هذه الأمور على شريعة ، فلا يجوز له أن يقول : إن إهلاك كل ذي حياة غير أهل السفينة في طوفان نوح عليه السلام ، وإهلاك أهل سادوم وعامورة ونواحيهما في عهد لوط عليه السلام ، وإهلاك كل ولد أكبر من أولاد الإنسان والبهيمة من أهل مصر ليلة خروج بني إسرائيل عنها في عهد موسى عليه السلام ـ كان ظلماً ، سيما إهلاك ألوف ألوف في حادثة الطوفان ، وإهلاك ألوف في الحادثتين الأخيرتين من أولاد الإنسان الصغار وأولاد البهيمة التي هي ما كانت متدنّسة بذنب من الذنوب .

وكذا لا يجوز أن يقول : إنّ قتل الأمم السبع كلها ـ بحيث لا تبقى منهم بقية مّا سيما قتل أولادهم الصغار الذين ما كانوا اقترفوا ذنباً ـ ظلم .

أو أن يقول : إنّ قَتْلَ الرجال وسبي الذراري ونهب الأموال من غير الأمم السبع ، أو إنّ قَتْلَ ذكور المديانيين كلهم حتى الطفل الرضيع ، وكذا قتل نسائهم الثيبات كلهنّ وإبقاء الأبكار لأجل أنفسهم ونهب الأموال والدواب ـ ظلم .

أو أن يقول : إنّ جهادات داود عليه السلام وجهادات سائر الأنبياء الإسرائيليين عليهم السلام ، أو إنّ ذَبْح إيليّا عليه السلام أربعمائة وخمسين رجلاً من أنبياء بعل ، أو إنّ قتْلَ عيسى عليه السلام بعد نزوله الدجال وعسكره ـ ظلم لا يُجَوِّز العقلُ أن يفعل الله أو يأمر أحداً بأمثال هذا الظلم .

وكذا لا يجوز أن يقول : إنّ قتْلَ الذابح للأوثان ، وكذا قَتْل مَن يُرَغِّب إلى عبادة غير الله ، وكذا قَتْل أهل القرية كلها إذا ثبت منهم الترغيب ، وكذا قَتْل موسى عليه السلام ثلاثة وعشرين ألفاً من عبدة العجل ، وكذا قتل موسى عليه السلام أربعة وعشرين ألفاً من الذين زنوا ببنات مؤاب وسجدوا لألهتهنّ ـ ظلم شنيع .

وفي هذه الأحكام إجبار بأنْ يثبت الإنسان على الشريعة الموسوية لأجل خوف القتل والرجم ، وظاهر أنّ الإيمان القلبي لا يمكن أن يحصل بالإجبار ، بل يستحيل أن تحصل للإنسان محبة الله أيضاً بالإجبار ، فأمثال هذه الأحكام لا تكون من جانب الله . نعم ، مَن لا يكون معتقداً بالنبوة والشرائع ، ويكون ملحداً وزنديقاً ، وينكر أمثال هذه الأمور لم تستبعد منه ، لكنّا لا كلام لنا معه في هذا الكتاب ، بل كلامنا فيه مع المسيحيين عموماً وعلماء البروتستانت خصوصاً .

الأمر الرابع : أنّ علماء البروتستانت يدّعون كذباً أنّ دين الإسلام شاع بالسيف ، وهذا الادّعاء غير صحيح كما علمت في الأمر السابع من مقدمة الكتاب ، وأفعالهم غير أقوالهم ؛ فإنهم ـ وكذا أسلافهم من أهل التثليث ـ إذا تسلّطوا تسلّطاً تامّـاً اجتهدوا في إمحاء المخالفين . وأنا أنقل بعض الحالات من كتبهم ورسائلهم ، فأنقل حالهم بالنسبة إلى اليهود من كتاب (كشف الآثار في قصص أنبياء بني إسرائيل) الذي عرفته في بيان الأمر الثاني ، فأقول :

قال صاحبه في الصفحة ٢٧ : « القسطنطين[١] الأعظم الذي كان قبل الهجرة بثلاثمائة سنة تقريباً أمر بقطع آذان اليهود وإجلائهم إلى أقاليم مختلفة ، ثم أمر ملك الملوك الرومي في القرن الخامس من القرون المسيحية بإخراجهم من بلدة الإسكندرية التي كانت مأمنهم من مدة ، وكانوا يجيئون إليها من كل جانب فيستريحون فيها ، وأمر بهدم كنائسهم ، ومنع عبادتهم ، وعدم قبول شهادتهم ، وعدم نفاذ الوصية إن أوصى أحد منهم لأحد في ماله ، ولـمّا ظهر

---

(١) في حاشية ق : أي بانيها . اهـ . يقصد قسطنطين الأول (الكبير) ابن هيلانه باني مدينة القسطنطينية ، وقد عاش ما بين عامي ٢٨٨ ـ ٣٣٧م ، واسمه قسطنطين بن قسطنطيوس ، واستلم الامبراطورية سنة ٣٠٦م. (الموسوعة الميسرة ص ١٣٨٠ ، ومعجم المورد ص ٢٠).

منه بغاوة مّا لأجل هذه الأحكام نهب جميع أموالهم ، وقتل كثيراً منهم ، وسفك الدماء بظلم ارتعد به جميع يهود هذا الإقليم » .

ثم قال في الصفحة ٢٨ : « إنّ يهود بلدة أنطيوح لما أُسروا بعدما صاروا مغلوبين قُطع أعضاء البعض ، وقُتِل البعض ، وأُجلي الباقون منهم كلهم . وظَلَم ملك الملوك في جميع مملكته هؤلاء المساكين بأنواع الظلم ، ثم أجلاهم من مملكته آخر الأمر ، وهيّج ولاة الممالك الأخرى على أن يعاملوا اليهود هذه المعاملة ، فكان حالهم أنّهم تحمّلوا الظلم من آسيا إلى أقصى حدّ أوربا ، ثم بعد مدة قليلة كُلّفوا في مملكة اسبنيول[1] لقبول شرط من الشروط الثلاثة : أن يقبلوا الملّة المسيحية ، فإن أبوا عن قبولها يكونون محبوسين ، وإن أبوا عن كليهما يُجلون من أوطانهم . وصارت مثل هذه المعاملة معهم في ديار فرنسا[2] . فهؤلاء المساكين كانوا ينتقلون من إقليم إلى إقليم ، ولا يحصل لهم موضع القرار ، ولم يحصل لهم الأمن في آسيا الكبرى[3] أيضاً ، بل قتلوا في كثير من

---

(١) في حاشية ق : هي الأندلس . اهـ . أي اسبانيا .

(٢) فرانس (فرنسا) : دولة أوروبية في غرب أوروبا ، يحدها شمالاً القنال الإنكليزي وبلجيكا ، وغرباً المحيط الأطلنطي ، وجنوباً اسبانيا والبحر المتوسط ، وشرقاً إيطاليا وسويسرة وألمانيا الغربية ، فتحها الامبراطور الروماني يوليوس قيصر سنة ٥١ ق.م ، ودخلت في المسيحية في القرن الخامس الميلادي ، وأهلها من اللاتينيين ، وهم نصارى على المذهب الكاثوليكي ، لكنهم الآن ينبذون النصرانية من أساسها ويجنحون إلى حريّة الاعتقاد ، وفي فرنسا حصلت معركة بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ/٧٣٢م ، في المنطقة الواقعة بين مدينتي تور وبواتييه بين المسلمين بقيادة عبدالرحمن الغافقي وبين الافرنج بقيادة شارل مارتل ، وكان النصر فيها أوّلاً للمسلمين ثم انجلت بانتصار الافرنج انتصاراً حسم تاريخ المسلمين في أوروبا . (القاموس الإسلامي ١/٣٤٩ ، والموسوعة العربية الميسرة ص١٢٩٢ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٧/٢٣٤) .

(٣) آسيا : وأصلها كلمة يونانية ، لأن اليونانيين كانوا يقسّمون الأرض إلى ثلاثة أقسام : أحدها وأكبرها هو الجزء الشرقي ولذلك يقال : آسيا الكبرى لأنها أكبر القارات ، وأورفي (أوروبا) ولوبية (افريقية) ، وهي تكوّن مع أوروبا كتلة الأرض المعروفة بأوراسيا وتفصلهما جبال الأورال والقوقاز والبوسفور والدردنيل وبحر إيجه . (معجم البلدان ١/٥٤ ، ودائرة معارف القرن العشرين ١/٣٦٨ ، والموسوعة العربية الميسرة ص١٦٢ ، والقاموس الإسلامي ١/١١١) .

الأوقات كما قتلوا في ممالك الفرنج » .

ثم قال في الصفحة ٢٩ : « إنّ أهل ملّة الكاثوليك كانوا يظلمونهم باعتقاد أنّهم كفار . وعظماء هذه الملّة عقدوا مجلساً للمشاورة ، وأجروا عليهم عدة أحكام :

الأول : من حمى يهودياً على ضدّ مسيحي يكون ذا خطأ ويخرج عن الملّة .

والثاني : أنّه لا يُعطَى اليهودي منصباً في دولة من الدول .

والثالث : لو كان مسيحي عبد اليهودي فهو حرّ .

والرابع : لا يأكل أحد مع اليهودي ولا يعامله .

والخامس : أن تنزع الأولاد منهم وتربّى في الملّة المسيحية .

وهكذا كان أحكام أخرى » .

أقول : لا شكّ أنّ الحكم الخامس أشدّ أنواع الإكراه .

ثم قال : « كانت عادة أهل بلدة ثولوس[1] من إقليم فرنسا أنّهم كانوا يلطمون وجوه اليهود في عيد الفصح ، وكان رسم بلدة بزيرس[2] أنّ أهلها من أول يوم الأحد من أيام العيد إلى يوم العيد كانوا يرمون اليهود بالحجارة ، وكان

---

(١) ثولوس (تولوز) : مدينة كبيرة في جنوب فرنسا على نهر ثمارون شمال الحدود الاسبانية بحوالي ١٠٠ كم ، وهي العاصمة التاريخية لإقليم لا نجدوك ، ويرجع تاريخها إلى ما قبل العصر الروماني ، وهي مركز تجاري وثقافي، وفيها جامعة أسست سنة ١٢٢٩م . (الموسوعة الميسرة ص ٥٦١ ، ودائرة وجدي ٢/٧٠٣) .

(٢) بزيرس (بيزيير) (بيزيه) : مدينة في جنوب فرنسا قرب خليج ليون ، تبعد حوالي ١٨٠ كم شرقي تولوز ، حدثت فيها مذبحة لليهود قضي فيها على معظم سكانها في عهد حاكمها سيمون دي مونفورت سنة ١٢٠٩م . (الموسوعة ص ٤٦٦) .

يكثر القتل أيضاً في هذا الرمي ، وكان حاكم البلدة المسيحي المذهب يهيّج أهلها على هذا الفعل » .

ثم قال في الصفحة ٣٠ و ٣١ : « دبّر سلاطين فرنسا في حقّ اليهود أمرا ؛ وهو أنّهم كانوا يتركون اليهود إلى أن يصيروا متموّلين بالكسب والتجارة ، ثم يسلبون أموالهم . وبلغ هذا الظلم لأجل الطمع غايته ، ثم لما صار فِلِبْ أوكْ سِطْسْ[1] سلطاناً في فرنسا أخذ أوّلاً الـخُمس من ديون اليهود التي كانت على المسيحيين ، وأبرأ من الباقي ذمّة المسيحيين ، وما أعطى اليهود حبّة ، ثم أجلى اليهود كلهم من مملكته . ثم جلس على سرير السلطنة سِنْطَ لُويس[2] وهو طلب اليهود مرتين في مملكته ، وأجلاهم مرتين . ثم أجلى جرلس السادس[3] اليهود من مملكة فرنسا . وقد ثبت من التواريخ أنّ اليهود أُجلوا من مملكة فرنسا

(١) فلب أوك سطس : (فيليب أوغسطس) : هو فيليب الثاني المولود سنة ١١٦٥م ، وقد حكم من سنة ١١٨٠م إلى وفاته سنة ١٢٢٣م ، وهو من أعظم ملوك فرنسا في القرون الوسطى ، وقد وسع رقعة المملكة ووطد حكمه بإيجاد مجالس استشارية ومحاكم قضائية ملكية ذات سلطات واسعة ، واشترك فيليب أوغسطس في الحملة الصليبية الثالثة سنة ١١٩٠م ، لكنه عاد إلى فرنسا سنة ١١٩١م بعد أن تنازع مع ريتشارد الأول (ريكاردوس) ملك انكلترا ، وقد لقي اليهود أشدّ أنواع الاضطهاد ومصادرة الأموال على يد فيليب الرابع الذي حكم فرنسا ما بين عامي ١٢٨٥م ـ ١٣١٤م ، وعلى يد فيليب الخامس الذي حكم فرنسا ما بين عامي ١٣١٧ ـ ١٣٢٢م ، وكانت أعنف حملاته ضد اليهود سنة ١٣٢١م . (الموسوعة الميسرة ص ١٣٥٣ ، ودائرة وجدي ٢٣٩/٧ ، وأعلام المورد ص ٦٨) .

(٢) سنط لويس (سانت لويس) : هو لويس الثامن ابن فيليب أوغسطس ، ولد سنة ١١٨٧م وحكم بعد وفاة أبيه سنة ١٢٢٣م وإلى أن توفي سنة ١٢٢٦م . (الموسوعة الميسرة ص ١٥٨٣ ، ودائرة وجدي ٢٤٠/٧) .

(٣) جرلس السادس : هو (شارل السادس المجنون) : المولود سنة ١٣٦٨م ، وقد حكم من سنة ١٣٨٠م إلى وفاته سنة ١٤٢٢م ، أُصيب بالجنون سنة ١٣٩٢م ، وكان يعاوده بين الحين والآخر ، وقد حَرَم ابنه شارل السابع من إرثه ، وكان الحكم الفعلي في البلاد بيد أخيه لويس وأعمامه ، فأفسدوا ونهبوا كثيراً . (الموسوعة الميسرة ص ١٠٦٤) .

سبع مرات ، وعدد اليهود الذين أُخرجوا من مملكة اسبنيول لو فرض في جانب القلّة لا يكون أقل من مائة ألف وسبعين ألف بيت . وفي مملكة نمسا[1] قُتل كثير منهم ، ونُهب كثير منهم ونجا منهم قليل وهم الذين تنصّروا ، ومات كثير منهم بأن سدّوا أوّلاً أبوابهم ، ثم أَهلكوا أنفسهم وأوْلادهم وأزواجهم وأموالهم إمّا بالإغراق في البحر ، أو بالإحراق بالنار ، وقُتِل غير المحصورين منهم في الجهاد المقدس .

وكان الإنكليز اتفقوا على أن يظلموا اليهود، فلما حصل اليأس العظيم ليهود بلدة يرك[2] بسبب الظلم قتل بعضهم بعضاً، فقُتِل ألف وخمسمائة من الرجال والنساء والأطفال، وصاروا أذلاء في هذه المملكة بحيث إذا بغى الأمراء على السلطان قتلوا سبعمائة يهودي، ونهبوا أموالهم لأجل أن يظهروا شوكتهم على الناس. وسلب رجارد[3] وجان[4] وهنري

---

(١) نمسا : كانت النمسا وتسمى (أوستريا) وهنغاريا وتسمى (المجر) تكونان دولة واحدة في أوروبا الوسطى يخترقها نهر الدانوب ، ثم فصل القسم الشرقي منها فأصبحت حدود النمسا شرقاً تنتهي عند حدود المجر ، وتشغل جبال الألب ٣/٤ النمسا ، وتغلب على سكانها اللغة الألمانية ، ويدين ٣/٤ سكانها بالديانة الكاثوليكية ، والربع الباقي من البروتستانت والأرثوذكس واليهود . (الموسوعة الميسرة ص ١٨٤٧ ، ودائرة وجدي ١٠/٣٦٣) .

(٢) يرك (يورك) : مدينة قدية منذ عصر الامبراطورية الرومانية ، وفيها أعلن قسطنطين نفسه امبراطوراً وهي الآن مدينة كبيرة بمقاطعة يوركشر بانجلترا في وسط شرق بريطانيا غربي بحر الشمال بحوالي ٣٦ كم ، وهي الآن مركز ديني كبير لشمال انجلترا ، ذُكر أول أسقف فيها سنة ٣١٤م وصار أسقفها أول كبير الأساقفة في القرن السابع الميلادي ، وصارت مركزاً تعليمياً هاماً في أوروبا في القرن الثامن الميلادي . (الموسوعة الميسرة ص ١٩٩٠) .

(٣) رجارد (ريتشارد) : هو ريتشارد الأول ابن هنري الثاني ويقال له (ريكاردوس قلب الأسد) ، ولد سنة ١١٥٧م ، وتولى الحكم سنة ١١٨٩م إلى وفاته سنة ١١٩٩م ، وقد اشترك في الحملة الصليبية الثالثة سنة ١١٩٠م مع ملك فرنسا فيليب الثاني المتهم بالتآمر مع يوحنا أخي ريتشارد لتقسيم بريطانيا ، وحصل بينهما نزاع أدّى إلى نشوب حرب قتل فيها ريتشارد ، وصار رمزاً انكليزياً للبطولة . (الموسوعة الميسرة ص ٩٠٦ ، ودائرة وجدي ١/٦٥٢ وأعلام المورد ص ٧٤) .

(٤) جان (جون) : هو يوحنا بن هنري الثاني وأصغر أبنائه ، ولد عام ١١٦٧م وناصر أخاه =

الثالث[١] من سلاطين انكلترة مراراً أموال اليهود ظلماً سيما هنري الثالث فإنّه كانت عادته أنّه كان ينهب اليهود بكل طريق على وجه الظلم وعدم الرحمة ، وكان جعل أغنياءَهم الكبار فقراء وظلمهم بحيث رضوا بالجلاء ، واستجازوا أن يخرجوا من مملكته ، لكنّه ما قبل هذا الأمر منهم أيضاً . ولما جلس ادوارد[٢] الأول على سرير السلطنة ختم الأمر بأن نهب أموالهم كلها ، ثم أجلاهم من مملكته ، فأجلى أزيد من خمسة عشرة ألف يهودي في غاية العسر » .

ثم قال في الصفحة ٣٢ : « نقل مسافر اسمه سوثي أنّه كان حال قوم البرتغال قبل خمسين عاماً[٣] كانوا يأخذون اليهودي ويحرقونه بالنار ، ويجتمع رجالهم ونساؤهم يوم إحراقه كاجتماع يوم العيد ، وكانوا يفرحون ، وكانت النساء يصحن وقت إحراقه لأجل الفرح » .

= ريتشارد الأول سنة ١١٨٩م ضدّ أبيهما ، وأثناء غياب ريتشارد إبّان الحملة الصليبية الثالثة أعلن يوحنا نفسه وريثاً وتآمر مع فيليب الثاني ملك فرنسا ، لكنّه لم يتولّ الحكم الفعلي إلّا بعد مقتل أخيه سنة ١١٩٩م وحكم إلى وفاته سنة ١٢١٦م ، وكان طاغية غادراً فاتخذ منه شكسبير شخصية لإحدى رواياته التاريخية ، وقد اتحد البارونات الذين كانوا شديدي المعارضة له وأجبروه على توقيع الماجناكارتا سنة ١٢١٥م ، وفي سنة ١٢١٦م خلفه ابنه هنري الثالث . (الموسوعة الميسرة ص ١٩٨٨ ، ودائرة وجدي ٦٥٢/١ ، وأعلام المورد ص ٥٠) .

(١) هنري الثالث : هو ابن يوحنا ، ولد سنة ١٢٠٧م ، وصار ملكاً تحت الوصاية سنة ١٢١٦م ومُنِح السلطة سنة ١٢٢٧م ، فبدأ عهده بالإسراف والاستبداد والحروب الفاشلة ، وبقي في الحكم إلى سنة ١٢٧٢م ، لكن منذ سنة ١٢٦٥م كان الحكم الفعلي في البلاد لابنه قائد القوات الملكية ادوارد الأول . (الموسوعة الميسرة ص ١٩٠٧ ، وأعلام المورد ص ٤٣) .

(٢) ادوارد الأول : هو ابن هنري الثالث ، ولد سنة ١٢٣٩م ، وتولى الحكم من سنة ١٢٧٢م إلى وفاته سنة ١٣٠٧م ، وشارك في الحملة الصليبية سنة ١٢٧٠م ووسّع حدود مملكته وتميّز برلمانه سنة ١٢٩٥م بتمثيل أوسع للبارونات والتجارة ورجال الدين (الموسوعة الميسرة ص ١٠٣ ، وأعلام المورد ص ٢٨) .

(٣) أي حوالي سنة ١٧٩٠م نهاية القرن الثامن عشر الميلادي .

ثم قال في الصفحة ٣٣ : « إنّ البابا الذي هو عظيم فرقة الكاثوليك قرّر عدّة قوانين شديدة في حق اليهود » . انتهى كلام . (كشف الآثار في قصص أنبياء بني إسرائيل » .

وقال صاحب (سير المتقدمين) : « إنّ السلطان السادس[1] من قسطنطين الأول أمر بمشورة أمرائه في سنة ٣٧٩م أن يتنصّر كلّ مَن هو في السلطنة الروميّة ، ويُقتل مَن لم يتنصّر » انتهى . وأيّ إكراه أزيد من هذا ؟!

ولطامس نيوتن تفسير على الإخبار عن الحوادث المستقبلة المندرجة في الكتب المقدسة . وطُبع هذا التفسير سنة ١٨٠٣م في بلدة لندن . ففي الصفحة ٦٥ من المجلد الثاني في بيان تسلّط أهل التثليث على أورشليم هكذا : « فتحوا أورشليم في الخامس عشر من شهر تموز الرومي سنة ١٠٩٩م بعدما حاصروا خمس أسبوعات ، وقتلوا غير المسيحيين ، فقتلوا أزيد من سبعين ألفاً من المسلمين ، وجمعوا اليهود وأحرقوهم ، ووجدوا في المساجد غنائم عظيمة »[2] . انتهى .

---

(١) هو فالنتينيان الثاني المولود سنة ٣٧١م ، وامبراطور روما (٣٧٥ ـ ٣٩٢) ، فقد خلف فالنتينيان الأول سنة ٣٧٥م وكان صغيراً ، فكان يساعده في الحكم أخوه جراثيان إلى سنة ٣٨٣م . (الموسوعة الميسرة ص ١٢٦٩ ، وأعلام المورد ص ٨٦) .

(٢) كان هذا في الحملة الصليبيّة الأولى التي كانت بنداءات البابا أوربان الثاني في مدينة كليرمونت الفرنسية في ٢٧/١١/١٠٩٥م الموافق ٢٨/١١/٤٨٨هـ ، وقد دعا البابا أوربان جميع الأمراء المسيحين إلى الاتحاد لاستخلاص الأراضي المقدّسة من أيدي المسلمين ، فخرجت أوّل حملة صليبية في صيف عام ١٠٩٦م/٤٨٩هـ ، ثم تتابعت الحملات الصليبية فكان عددها ثماني حملات كانت آخرها ذات وجهتين فرقة توجهت إلى تونس بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع ويلقب (القديس لويس) سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م ، وفرقة وصلت إلى عكّا بفلسطين سنة ٦٦٩هـ/١٢٧١م بقيادة ملك انجلترا ادوارد الأول ، وباستيلاء السلطان قلاوون على عكّا سنة ٦٩٠هـ/١٢٩٢م طويت الصفحة العسكرية للحروب الصليبية . (القاموس الإسلامي ٤/٣٢٤ ـ ٣٣٣ ، ودائرة وجدي ٧/٢٤٠) .

وإذا عرفت حال ظلمهم في حقّ اليهود خصوصاً ، وفي حقّ رعيّة السلطنة عموماً ، وما فعلوا عند تسلّطهم على أورشليم ـ فالآن أذكر نبذاً مما فعل الكاثوليك بالنسبة إلى غيرهم من المسيحيّين ، وأنقل هذه الحالات عن كتاب الثلاث عشرة رسالة الذي طُبع في بيروت سنة ١٨٤٩ من الميلاد باللسان العربي فأقول :

في الصفحة ١٥ و ١٦ : « أمّا الكنيسة الرومانية فقد استعملت مرات كثيرة الإضطهادات والطرد المزعج ضد البروتستانت ، أي : الشهود ، أو بالحريّ الشهداء ، وذلك في ممالك أوربا . ويُظنّ أنّها أُحرقت في النار أقل ما يكون مائتين وثلاثين ألفاً من الذين آمنوا بيسوع دون البابا ، واتخذوا الكتب المقدسة وحدها هدى وإرشاداً لإيمانهم وأعمالهم ، وقد قتلت أيضاً منهم ألوفاً وربوات بحدّ السيف والحبوس والكلبتين ـ وهي آلة لتخليع المفاصل بالجذب ـ وأفضع العذابات المتنوعة ، ففي فرنسا قتلت في يوم واحد ثلاثين ألف رجل ، وذلك في اليوم الملقب بيوم مارْبَرثولماوس[1] . وعلى هذا الأسلوب أذيالها مخضبة بدماء القدّيسين » . انتهى كلامه بلفظه[2] .

في الصفحة ٣٣٨ في الرسالة الثانية عشرة من الكتاب المذكور : « يوجد

---

(١) يوم مار برثولماوس : أي عيد القديس برثولماوس (برثلماوس) ، وهو أحد الرسل الاثني عشر ، يقال إنّه بشّر في الشرق في شمال الهند وقتل في أرمينية بانتزاع جلده ، وقد جُعل عيده في ٨/٢٤ ، وفي هذا اليوم صارت مذبحة سان برثيليميو التي بدأت في باريس في ١٥٧٢/٨/٢٤م ضد البروتستانت الفرنسيين الذين جاؤوا إلى باريس لحضور احتفالات زفاف هنري ملك نفار (وصار فيما بعد هنري الرابع ملك فرنسا) إلى أخت كرلوس (شارل) التاسع وامتدت المذبحة إلى خارج باريس وأدّت إلى استئناف الحرب الدينية ، وقد ذُكرت فظائع هذه المذبحة في كتاب: تاريخ كنيسة المسيح على وجه الاختصار ص ٢٣٩ ـ ٢٤٤ . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٦٧ ، والموسوعة الميسرة ص ٣٤٤ و ٩٤٩) .

(٢) أول ٢٣ صفحة من كتاب الثلاث عشرة رسالة للمعلم يونس كين والرسالة الأولى تبدأ في الصفحة ٢٤ ، والكلام السابق هو في ص ١٥ ـ ١٦ من كلام المعلم يونس كين .

قانون وضُع في المجمع الملتئم في توليدو[1] في أسبانيا يقول : إننا نضع قانوناً أنّ كل من يُقبِل إلى هذه المملكة فيما بعد لا نأذن له أن يصعد إلى الكرسي إنْ لم يحلف أوّلاً أنّه لا يترك أحداً غير كاثوليكي يعيش في مملكته ، وإن كان بعدما أخذ الحكم يخالف هذا العهد فليكن محروماً قُدّام الإله السرمدي ، وليصر كالحطب للنار الأبدية[2]. والمجمع اللاتراني[3] يقول : إنّ جميع الملوك والولاة وأرباب السلطة فليحلفوا أنّهم بكل جهدهم وقلوبهم يستأصلون جميع رعاياهم المحكوم عليهم من رؤساء الكنيسة بأنّهم أراتقة ، ولا يتركون أحداً منهم في نواحيهم ، وإنْ كانوا لا يحفظون هذا اليمين فشعبهم محلول من الطاعة لهم[4].

---

(١) توليدو : مدينة في وسط اسبانيا جنوب غربي مدريد بحوالي ٣٨ كم ، واسمها العربي طليطلة ، وهي بإقليم قشتاله الجديد ، ومن أهم مدن اسبانيا من الناحية التاريخية والثقافية ، وهي مركز أسقفي قديم ، ورؤساء اسقافتها رؤساء لجميع أساقفة اسبانيا ، فهي العاصمة الروحية للكاثوليك في اسبانيا وقد بلغت ذروة ازدهارها إبّان الحكم الإسلامي ما بين ٧١٢ ـ ١٠٨٥م .
(معجم البلدان ٤/٣٩ ، والموسوعة الميسرة ص١١٦٣) .

(٢) في هامش ص٣٣٨ : مجموع المجامع منم كارنز ـ ١ ـ وجه ٤٠٤ .

(٣) اللاتراني نسبة إلى مدينة لاتيران : ولاتيران اسم يطلق على مجموعة من الأبنية تقوم في الجنوب الشرقي من روما العاصمة الإيطالية على أرض أهداها للكنيسة الامبراطور قسطنطين ، وتضم هذه الأبنية كنيسة وقصراً ، أما الكنيسة فاسمها الرسمي كنيسة المنقذ ، وتعرف بكنيسة القدّيس يوحنا ، وهي كاتدرائية روما وكنيسة البابا وأسمى الكنائس الكاثوليكية مقاماً . أمّا قصر لاتيران فكان مقرّاً للبابوات حتى القرن الرابع عشر الميلادي ، وفيه الآن المتحف البابوي للآثار المسيحية القديمة ، وقد شهد قصر لاتيران خمسة مجامع دينية: هي: مجمع لاتيران الأول سنة ١١٢٣م ، ومجمع لاتيران الثاني سنة ١١٣٩م ، ومجمع لاتيران الثالث سنة ١١٧٩م ، ومجمع لاتيران الرابع سنة ١٢١٥م ، ومجمع لاتيران الخامس سنة ١٥١٢م ، كما شهد قصر لاتيران توقيع معاهدة لاتيران سنة ١٩٢٩م في عهد البابا بيوس الحادي عشر بين الكرسي الرسولي والحكومة الإيطالية بزعامة موسوليني ، وبموجب هذه المعاهدة اعترفت الحكومة الإيطالية للكرسي الرسولي بحق تأليف دولة تتمتع بجميع حقوق السيادة والحرية وهي دولة الفاتيكان ، وسميت هذه المعاهدة باسم القصر الذي عقدت فيه . (الموسوعة الميسرة ص ١٥٣٦ ، وص١٦٥٢ ، وص١٧١٧) .

(٤) في هامش ص٣٣٩ : من كتاب الثلاث عشرة رسالة : رأس ثلاثة .

وهذا القانون قد ثبت أيضاً في مجمع قسطنطيا[1]. ومن رسم البابا مرتينوس الخامس[2]، وفي اليمين الذي حلف به الأساقفة تحت رئاسة البابا يوليوس الثالث[3] سنة ١٥٥١ يوجد هذا الكلام : إنّ الأراتقة وأهل الإنشقاق والعصاوة على سيدنا البابا وخلفائه ، هؤلاء بكل قوتي أطردهم وأبيدهم . والمجمع اللاتراني ومجمع قسطنطيا يقولان : إنّ الذي يمسك الأراتقة له إذن وسلطة أن يأخذ منهم كل مالهم ، ويستعمله لنفسه من غير مانع[4]. والبابا اينوشنسيوس[5] الثالث يقول : إنّ هذا القصاص على الأراتقة نحن نأمر به كل الملوك والحكام ونلزمهم إيّاه تحت القصاصات الكنائسية »[6].

« وفي سنة ١٧٢٤ وضع الملك لويس الحادي عشر[7] ثمانية عشر قانوناً ،

---

(١) في هامش ص ٣٣٩ : جلسة ٤٥ (أي مجلس) .

(٢) في هامش ص ٣٣٩ : عن ضلال فيكل .

(٣) يوليوس : هو بابا روما يوليوس الثالث المولود سنة ١٤٨٧م ، وقد استلم البابوية سنة ١٥٥٠م ، وبقي فيها إلى وفاته سنة ١٥٥٥م ، واسمه : جوفاني مارياكيوشي دل مونتي ، وكان سلفه بولس الثالث قد نصّبه كاردينالا سنة ١٥٣٦م ، فبرزت شخصيته حين مثل البابا في مجمع ترنت ، وبعد أن أصبح بابا روما عقد المجمع مرة أخرى لمدة سنة تقريباً سنة ١٥٥١ ـ ١٥٥٢ . (الموسوعة الميسرة ص ١٩٩٤ ، وأعلام المورد ص ٥٠) .

(٤) في هامش ص ٣٣٩ : مجمع لاتراني ٤ مجلد ٢ فصل ١ وجه ١٥٢ ومجمع قسطنطيا جلسة ٤٥ مجلد ٧ .

(٥) اينوشنسيوس : هو بابا روما اينوسنت الثالث المولود سنة ١١٦١م ، وقد استلم البابوية سنة ١١٩٨م وبقي فيها إلى وفاته سنة ١٢١٦م ، وكان يقول بأنّ السلطة الروحية يجب أن تكون فوق السلطة الزمنية . (أعلام المورد ص ٤٨) .

(٦) في هامش ص ٣٤٠ : رسم ٧ كتاب ٥ .

(٧) لويس الحادي عشر : من ملوك فرنسا ، ولد سنة ١٤٢٣م ، وتولى الحكم سنة ١٤٦١م إلى وفاته سنة ١٤٨٣م، وذكره هنا بلفظ الحادي عشر لا يتناسب مع تاريخ سنة ١٧٢٤م، والغلط في لفظ (الحادي عشر) ويكون الصواب هو (لويس الخامس عشر) المولود سنة ١٧١٠م وقد جُعِل تحت الوصاية سنة ١٧١٥م ودام حكمه إلى سنة ١٧٧٤م . (الموسوعة الميسرة ص ١٥٨٣ ، وأعلام المورد ص ٥٥ ، ودائرة وجدي ٧/٢٤١ ـ ٢٤٨) .

أولها : إنّنا نأمر أنّ الديانة الكاثوليكية وحدها تكون مأذونة في مملكتنا ، وأمّا الذين يتمسّكون بديانة أخرى فليذهبوا إلى الإعتقال طول حياتهم ، والنساء فلتقطع شعورهن ويحبسن إلى الموت . وثانيها : إننا نأمر أن جميع الواعظين الذين جمعوا جماعات على غير العقائد الكاثوليكية ، والذين علّموا أو مارسوا عبادة مخالفة لها يعاقبون بالموت .

وفي مخاطبة الأساقفة في اسبانيا للملك سنة ١٧٦٥ يقولون له : أعطِ الرسوم كل قوتها والديانة كل مجدها لكي تسبب هذه المقالة منا تجديد قوانين سنة ١٧٢٤ » [المذكورة] .

« وكان من جملة رسوم انكلترا تحت رياسة البابا أنّ كل من يقول : إنّه لا يجوز أن يُسْجَد للأيقونات[١] يحفظ في السجن الشديد حتى يحلف أنّه يسجد لها . والأسقف أو القاضي الكنائسي له سلطان أن يُحضِر إليه ، أو يَحبِس كل من يقع عليه الشبهة أنّه أراتيكي[٢] . والأراتيكي العنيد فليحرق بالنار قدام الشعب . وجميع الحكام فليحلفوا أنهم يُعِينون هذا القاضي على استئصال الأراتقة الذين عندما تظهر أرتقتهم تسلب أمواهم ، ويُسلّمون إليه ، وتُمحى خطاياهم بلهيب النار »[٣] .

« وبارنيوس يقول : إنّ الملك كارلوس الخامس[٤] كان يظن برأيه الباطل أنّه

---

(١) في حاشية ق : أي الأصنام . اهـ . وهي صور للقديسين والقديسات ، وأحياناً تمثيل لصورة روح القدس بشكل حمامة ، وقد أدّت المبالغة فيها إلى اعتقاد أنّ فيها قوة غيبيّة روحية فتستحق أن تعبد ويسجد لها (الموسوعة الميسرة ص ٢٩٠) وفي ص ٣١٧ من كتاب تاريخ كنيسة المسيح على وجه الاختصار أنّه أحرق غلام في توليد وكتب على داره الوصايا العشر ولم يحذف منها العبارة الثانية التي تنهى عن السجود للتماثيل والأصنام .

(٢) أي مهرطق : والهرطقة ، بمعنى الابتداع في الدين أو الخروج عنه .

(٣) في هامش ص ٣٤١ : كوك فرائض عدد ٣ وجه ٤٠ و ٤١ وأيضاً عدد ٤ وجه ٥١ .

(٤) كارلوس الخامس : هو الملك الاسباني شارلكان (شارل الخامس) المولود سنة ١٥٠٠م ، =

يستأصل الأراتقة ليس بالسيف بل بالكلام . وفي فهرس الكتاب المقدس المطبوع في رومية باللاتيني والعربي تحت حرف الهاء يوجد هذا التعليم : إنّ الأراتقة ينبغي لنا أن نهلكهم . ويورد الإثبات على ذلك أنّ الملك ياهو[1] قتل الكهنة الكذبة بالسيف ، وإيليّا ذبح كهنة باعال[2]، وغير ذلك . فإذن هكذا ينبغي لأولاد الكنيسة أن يُهلِكوا الأراتقة » .

ثم في الصفحة ٣٤٧ و ٣٤٨ « والمؤرخ منتوان المتقدّم في رئاسة الكرمليّين مع غيره من المؤرخين يخبرنا عن كاروز[3] بالإنجيل معتبر يقال له ثوما من رودن أحرقه البابا بالنار لأنّه كرز ضد فسادات الكنيسة الرومانية ، والمؤرخون يدعونه قدّيساً وشهيداً حقيقياً للمسيح » .

وفي الصفحة ٣٥٠ إلى ٣٥٥ « في سنة ١١٩٤ أمر الدَيْفُونْسُو[4] ملك

= وصار ملك اسبانيا سنة ١٥١٦م ، وتولى حكم الامبراطورية الرومانية سنة ١٥١٩م إلى أن عُزل سنة ١٥٥٦م ، وتوفي سنة ١٥٥٨م ، وكانت أملاكه واسعة جداً ، وقضى على عدة ثورات في بلاده ، وقاوم بشدة مذهب مارتن لوثر ، وأعلن أنّه مستعد للتضحية بأملاكه وحياته وأصدقائه في سبيل القضاء على الهرطقة ، وفي مايو سنة ١٥٢١م وقع المرسوم الذي أعلن فيه أنّ لوثر وأتباعه خارجون على القانون ، وعقد محالفة سرية مع البابا ليو العاشر ، ولكن ذلك لم يمنع من انتشار المذهب البروتستانتي ، فاتسعت الهوة بين الكاثوليك والبروتستانت ، وفي سنة ١٥٤٨م أجبر البروتستانت على قبول عقيدة وسط بمعاونة الجيش الاسباني . (الموسوعة الميسرة ص ١٤٢٢ وص ١٠٦٤ ، وأعلام المورد ص ١٧) .

(١) ياهو : أحد ملوك مملكة إسرائيل (الشمالية) حكم ما بين ٨٤٢ ـ ٨١٤ ق.م ، وكان يعبد عجول الذهب ويدفع الجزية للملك الآشوري شلمناصر الثالث، وقصة قتله لعبده البعل مذكورة في سفر الملوك الثاني ١٠/١٨ ـ ٢٨ . (قاموس الكتاب المقدس ص ٩١٧ و ١٠٥٠) .

(٢) إشارة إلى ما في سفر الملوك الأول ١٧/١٨ ـ ٤٠ ، والمقصود بباعال هو الإله بعل .

(٣) في حاشية ق : أي مبشر . اهـ .

(٤) الديفونسو (الفونسوا) : هو الفونصو الثامن المولود سنة ١١٥٥م ، وقد استلم الحكم صغيراً ودام حكمه حوالي نصف قرن إلى وفاته سنة ١٢١٤م ، وقد أحرز نصراً كبيراً على العرب في واقعة العُقاب سنة ١٢١٢م . (الموسوعة ص ٢٠٤) .

أراغون[1] في اسبانيا بنفي الوالضيّين[2] من بلاده لأنهم أراتقة . وفي سنة ١٢٠٦م رغماً عن الأمير رايمون[3] والي مدينة ثولوس أرسل البابا قضاة بيت التفتيش إلى تلك المدينة ؛ لأنّ الأمير المذكور كان قد أبى أن ينفي هؤلاء الوالضيّين ، ثم بعد قليل أرسل البابا أو ملك فرنسا بطلب البابا إلى تلك المدينة ونواحيها عسكراً عدده ثلاثمائة ألف ، فحاصر الأمير رايمون في مدينته لأجل المحاماة عن نفسه ، ولكي يدفع القوة بالقوة ، فانذبح في ذلك القتال ألف ألف ، وانكسر أهل رايمون ، وأحاط بهم كل صنف من الإهانات والعذابات ، وكان البابا في حركة هذه الحروب يقول لقومه : إنّنا نعِظكم ونحتّم عليكم أن تجتهدوا في ملا شاة هذه الأراتقة الخبيثة أرتقة الألبجيّين[4]

---

(١) أراغون (أراجون) : هو الاسم الذي أطلقه العرب على المملكة القديمة الواقعة بين جنوب غرب فرنسا وشمال شرق اسبانيا ، ويحدها البحر الأبيض المتوسط من الشرق ومملكة قشتالة القديمة من الغرب ، فتشمل المنحدرات الجنوبية لجبال البرانس والسهل الصحراوي الذي يرويه نهر ابرو . وأهم مدنها سرقسطة (سرغوسة) وبرشلونة ، وكان المسلمون هم الذين بدؤوا بمنشآت الري في أراغون ومنها عبروا إلى فرنسا . (الموسوعة الميسرة ص ١٠٨ ، والقاموس الإسلامي ١/٦٠) .

(٢) في حاشية ق : فرقة . اهـ .

(٣) رايمون : هو ريموند السادس (١١٩٤ ـ ١٢٢٢م) ، وقد عوقب بالحرمان مراراً بسبب تسامحه مع الالبيجنسيّين ، ثم نفي إلى إنجلترا فاستلم الحكم ابنه ريموند السابع ، فواصل سياسة أبيه في التسامح ، فعوقب بالحرمان مراراً ، ثمّ أجبر سنة ١٢٣٣م على السماح بإقامة محاكم التفتيش في أراضيه ، ثم وعد بتحطيم الالبيجنسيّين ، وبرّ بوعده في السنة التي توفي فيها سنة ١٢٤٩م فأحرق ثمانين . (الموسوعة الميسرة ص ٩١٢) .

(٤) الألبجيّين (الألبجنسيّين) (الألبيّين) : طائفة سرية ظهرت في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي في جنوب أوروبا وغربها ، وكان مركزها في فرنسا واسمها نسبة إلى مدينة ألبي ومركزها العام في مدينة تولوز ، وكان أفرادها في الظاهر نصارى وفي الواقع يعتنقون تعاليم المانويّة والثنويّة ، وتنقسم إلى مراتب : مرتبة الكمّل (أو المنتهين) وهم قليلون ويتظاهرون بالزهد والتقشف ، والمرتبة الثانية هم المؤمنون الذين يخضعون للكمّل خضوعاً أعمى ويحل لهم ما لا يحل للكمّل ، فيعتبرون الزواج فسقاً ، ويبيحون السلب والزنا ومعاشرة المحارم ، وأصل الألبيّين غامض جداً ، وكان =

(أي الوالضيّين) وتطردوهم بيد قوية أشدّ مما يكون ضد الساراجين[1] (أي المسلمين) . وفي سنة ١٤٠٠م من آخر شهر كانون الأول قام أهل البابا بغتة على الوالضيّين في أوديا بيدمونت[2] (بلاد ملك سردينيا)[3] فهربوا من وجوههم بلا قتال ، ولكن قُتِل منهم كثيرون بالسيف ، وكثيرون ماتوا بالثلج . ثم إنّ البابا بعد ذلك بسبع وثمانين سنة كلّف البرتوس ارشيديا كونوس في مدينة كريمونا[4] أن يحارب الوالضيّين في النواحي القبلية من فرنسا ، وفي أوديا بيدمونت حيث بقي البعض منهم من الذين رجعوا بعد الحرب في سنة ١٤٠٠م . وهذا الرجل المذكور تقدّم حالاً ومعه ثمانية عشر ألف محارب ، وأقام تلك الحرب التي استمرّت نحو ثلاثين سنة على المسيحيين الذين قالوا :

= رواج دعوتهم في جنوب فرنسا في منطقة يسكنها مزيج من القوط والغاليّين والرومان والساميين فمال إليها السادة والأشراف وعم الفجور معظم الطبقات ، ولهم عبادة تسمى (القدّاس الأسود) يقيمونه في الأودية والغابات والجبال يعبدون فيه الشيطان ويسبّون المسيح ويشربون الخمر ويغرقون في الإباحيّة الجنسيّة ، وأدّى انتشارها إلى سحق سيادة الكنيسة وهيبتها ، فاضطر البابا أنوسان الثالث (اينوسنت ١١٩٨ ـ ١٢١٦م) إلى تجريد حملات لحربهم . (تاريخ الجمعيات السريّة والحركات الهدّامة ، محمد عبدالله عنان ، نشر إدارة الهلال بمصر سنة ١٩٢٦م ص ٦٥ ـ ٦٧) .

(١) الساراجين : نسبة إلى ساراجوسة (سرقسطة) في شمال شرقي اسبانيا ، وقد فتحها موسى بن نصير ودخلت في الحكم الإسلامي سنة ٩٤هـ/٧١٢م ، وأصبحت عاصمة إمارة مستقلة ، وما زال تأثير الحضارة الإسلامية فيها واضحاً ، وصار اسمها علماً على المسلمين ، فقيل : الساراجين نسبة إليها . (الموسوعة الميسرة ص ٩٤٢ ، وص ٩٧٩ ، والقاموس الإسلامي ٩٠٣/٣) .

(٢) أوديا بيدمونت : مقاطعة في شمال غرب إيطاليا محاذية لجبال الألب ، يحدّها من الشمال سويسرا ومن الغرب فرنسا ، وعاصمتها تورينو ، وكانت تتبع أحياناً لحاكم جزيرة سردينيا. (الموسوعة الميسرة ص ٤٥٨).

(٣) سردينيا : جزيرة في غرب البحر الأبيض المتوسط شمال غربي جزيرة صقلية ، وهي إقليم متمتع بالحكم الذاتي وتتبع إيطاليا ، وكان نفوذ ملوك هذه الجزيرة يشمل أجزاء من شمال غرب إيطاليا . (الموسوعة ص ٩٧٨ ، والقاموس الإسلامي ٣٠٧/٣) .

(٤) كريمونا : مدينة في سهل لمبارديا بشمال إيطاليا (الموسوعة ص ١٤٦٠) .

نحن في كل وقت نكرم الملك ، ونؤدّي الجزية ، ولكن أرضنا وديانتنا التي ورثناها من الله ومن آبائنا لا نريد أن نتركها .

وفي كَالاَبِرْيا[1] من بلاد إيطاليا سنة ١٥٦٠م قتل ألوف من البروتستانتيّين ، بعضهم قتل من العسكر ، وبعضهم من محكمة بيت التفتيش . وقال أحد المعلّمين الرومانيّين : إنّني أرتعد كلما أفتكر بذلك الجلّاد والخنجر الدموي بين أسنانه[2] ، والمنديل يقطر دماً بيده ، وهو متلطخ بيديه إلى الأكارع يسحب واحداً بعد واحد من السجن كما يفعل الجزار بالغنم .

وفي سنة ١٦٠١ نفى دوك السافوي[3] خمسمائة عيلة من الوالضيّين . وأيضاً سنة ١٦٥٥م وسنة ١٦٨٦م تجددت الإضطهادات عليهم في أوديا بيدمونت لأنّ الملك لويس الرابع عشر[4] بإشارة من البابا تقدّم إليهم بجيشه وهم في بيوتهم بغاية الطمأنينة ، فذبح العسكرُ خلقاً كثيراً منهم ، ووضعوا في الحبس أكثر من عشرة آلاف ، فمات كثير منهم من الزحام والجوع ، والذين سلِموا أخرجوهم لكي ينزحوا من تلك البلاد ، وكان ذلك اليوم شديد البرد ، والأرض مغطاة

---

(١) كالاَبْرِيا : مقاطعة في أقصى جنوب إيطاليا وتشكل طرف الحذاء الإيطالي ، ويفصلها عن جزيرة صقلية مضيق مسينا ، وعاصمتها ردجيو ، وكانت تتبع لحاكم صقلية أحياناً ولحاكم نابولي أحياناً أخرى. (الموسوعة ص ٨٦٤ وص ١٤٦٦) .

(٢) في حاشية ق : أي البابا . اهـ .

(٣) سافوي : منطقة سياحية في شرقي فرنسا قرب جبال الألب ، تحدها سويسرا من الشمال وإيطاليا من الشرق ، عُرف حكامها بلقب دوق ، وأول من تلقب بذلك أماديوس الثامن سنة ١٤١٦م . (الموسوعة ص ٩٤٥) .

(٤) لويس الرابع عشر : (١٦٣٨ ـ ١٧١٥م) ويلقب بـ (الملك الشمس) ، وهو لويس الأكبر بن لويس الثالث عشر ، تولي الحكم سنة ١٦٤٣م تحت وصاية أمه الملكة آن النمساوية ، انتصر لويس الرابع عشر في حرب الثلاثين عاماً ، وناصر المذهب الجاليكاني ، وكاد خلافه مع البابا في هذا الشأن يؤدّي إلى انفصال فرنسا عن الكاثوليكية . (الموسوعة الميسرة ص ١٥٨٥ ، وأعلام المورد ص ٥٦ ، وتاريخ كنيسة المسيح على وجه الاختصار ص ٣٥٣) .

بالثلج والجليد ، فكان كثير من الأمهات وأولادهن في إحضانهن موتى على جانب الطريق من البرد .

وكارلوس الخامس سنة ١٥٢١ أخرج أمراً في طرد البروتستنتيين في بلاد فَلاَمَنْكْ[١] عن رأي البابا ، وبسبب ذلك قُتِل خمسمائة ألف نفر ، وبعد كارلوس تولّى ابنه فيلبس[٢]، ولما ذهب إلى اسبانيا سنة ١٥٥٩م استخلف الأمير أَلْفَا[٣] على طرد البروتستنتيّين ، والمذكور في أشهر قليلة قتل عن يد الجلّاد الملوكي الشرعي ثمانية عشر ألفاً ، وبعد ذلك كان يفتخر بأنّه قتل في كل المملكة ستة وثلاثين ألفاً .

والقتيل الذي يذكره المعلم كين[٤] في عيد مار برثولماوس كان في ٢٤ آب سنة ١٥٧٢م في وقت السلامة الكاملة . وكان الملك[٥] ملك فرنسا قد وعد بأخته[٦] لأمير نافار[٧] وهو من علماء البروتستانتيين وأشرافهم ، ثم اجتمع هو

---

(١) فلامنك (سملنكا) : مدينة في غرب اسبانيا ، فتحها المسلمون سنة ١٠٨٥م ، وكانت مركزاً للثقافة واللاهوت الاسباني ، خرّبها الفرنسيون سنة ١٨١١م ، وفيها كاتدرائية منذ القرن الثاني عشر ، وفيها جامعتان . (الموسوعة الميسرة ص ٩٩٨) .

(٢) فيلبس بن كارلوس الخامس : هو فيليب الثاني بن شارل الخامس ، ولد سنة ١٥٢٧م ، تنازل له أبوه عن عرش مملكة اسبانيا سنة ١٥٥٦م ، ودام حكمه إلى سنة ١٥٩٨م ، وكان متعصباً جداً للمذهب الكاثوليكي ، فبلغت محاكم التفتيش ذروة نفوذها وسيطرتها إبّان حكمه فضيق على البروتستانت والمسلمين تضييقاً لا مثيل له . (الموسوعة الميسرة ص ١٣٥٣ ، وأعلام المورد ص ٦٨) .

(٣) في حاشية ق : ألفا اسم شخص . اهـ . أي الأمير ألفا .

(٤) أي كلام المعلم يونس كين المضموم في أول كتاب الثلاث عشرة رسالة ، وقد مرّ نقل بعض كلامه من الصفحتين ١٥ ـ ١٦ .

(٥) الملك شارل التاسع الذي حكم فرنسا من سنة ١٥٦٠ إلى سنة ١٥٧٤م ، وكان بطل مذبحة سان برتلمي سنة ١٥٧٢م. (الموسوعة الميسرة ص ٩٤٩ و١٠٦٤ ، وأعلام المورد ص ١٨) .

(٦) هي مرجريت فالوا أخت شارل التاسع .

(٧) نافار : منطقة في شمال اسبانيا على الحدود الفرنسية وعاصمتها بامبلونة ، والآن يتبع قسم =

وأصدقاؤه أعيان كنيستهم في باريس لأجل استتمام الوعد بالزواج ، ولما ضُربت النواقيس لأجل الصلاة الصباحية قاموا بغتة حسب إتفاقهم السابق على الأمير وأصحابه وعلى جميع البروتستانتيين في باريس ، فذبحوا منهم للوقت عشرة آلاف نفر . وهكذا جرى أيضاً في روين[1] وليون[2] وأكثر المدن في تلك البلاد حتى قال البعض من المؤرخين : إنّه قُتِل نحو ستين ألفاً ، واستمرّ هذا الإضطهاد[3] مدة ثلاثين سنة[4]؛ لأنّ البروتستانتيين مسكوا سلاحهم لكي يدفعوا القوة بالقوة ، ومات في هذا الحرب منهم تسعمائة ألف . ولما سُمِع في رومية فعل ملك فرنسا في عيد ماربرثولماوس أطلقوا المدافع من الأبراج ، وذهب البابا مع الكرديناليين ليرتل مزمور الشكر في كنيسة مار بطرس[5]،

= منها لفرنسا، وكان أميرها آنذاك هنري بن انطوان (وهو هنري الرابع الذي صار ملك فرنسا) ، وكان قد اعتلى عرش نفار سنة ١٥٧٢م بعد وفاة أمه ، وكان قد تولى زعامة الهيجونوت البروتستانت سنة ١٥٦٩م ، فكان زواجه من مرجريت فالوا هي الخطة المدبرة لمذبحة يوم القديس برثيلوميو في ٢٤ آب سنة ١٥٧٢م ، وقد أنقذ هنري حياته بإنكاره للبروتستانتية ، ثم هرب وعاد إلى اعتناق هذا المذهب . (الموسوعة الميسرة ص ١٩٠٨ و ١٨٤١) .

(١) روين : مدينة جنوب وسط فرنسا ، ولعلها هي الآن ريون. (الموسوعة الميسرة ص ٩١٤) .

(٢) ليون : مدينة في شرق وسط فرنسا غربي الحدود الايطالية ، وجنوب غربي جنيف بحوالي ١١٠ كم ، وكانت مهداً للمسيحية البروتستانتية بفرنسا ، وظل يحكمها الأساقفة إلى سنة ١٣٠٧م. (الموسوعة الميسرة ص ١٦٠٣).

(٣) في حاشية ق : أي القتال . اهـ .

(٤) وتسمى حرب الثلاثين عاماً ، وهي سبعة حروب دينية أهلية بين البروتستانت والكاثوليك في فرنسا ، وشارك فيها الأمراء ، واستمرت من سنة ١٥٦٢ ـ ١٥٩٨م ، وقد تميزت هذه الحرب بفظائع وحشية اقترفها الجانبان. (انظر الموسوعة الميسرة ص ٧٠٨ وص ٩٤٩ وص ١٩٢٤) ، وذكرت فظائع مذبحة يوم ماربرثولماوس والحرب الثلاثين عاماً الأهلية في كتاب تاريخ كنيسة المسيح على وجه الاختصار ص ٢٣٩ ـ ٢٤٤ ، وص ٣٤٣ ـ ٣٤٥) .

(٥) كنيسة ماربطرس : هي كنيسة القديس بطرس أكبر وأهم الكنائس المسيحية في العالم ، ومقرّها في روما في المكان الذي كان يشهد فيه نيرون مصرع ضحاياه من المسيحيين ، واستغرق إنشاؤها ١٨١ سنة من ١٤٤٥ ـ ١٦٢٦م ، وسميت باسم بطرس الحواري الذي يُظنّ أنّه قتل في روما . (الموسوعة الميسرة ص ١٤٨٩) .

وكتب شكراً وتعظيماً للملك على الخير والجميل الذي صنعه مع الكنيسة الرومانية بهذا العمل . فلما جلس الملك هنري الرابع[1] على كرسي فرنسا قطع هذا الإضطهاد سنة ١٥٩٣م ، ولكن يُظنّ أنّه قُتِل لأجل عدم تسليمه بالإغتصاب في أمر الدين .

ثم إنّه في سنة ١٦٨٥م تجدّد الإضطهاد ، وبعدما قُتِل خلق كثير ، يقول المؤرخون : إنّ خمسين ألفاً اضطروا أن يتركوا بلادهم لكي ينجوا من الموت » انتهى كلامه . ونقلت عبارة هذا الكتاب بألفاظها من الرسالة الثانية عشرة[2] .

وإذا عرفت حال ظلم فرقة الكاثوليك فاعلم أنّ حال ظلم فرقة البروتستانت قريب منه . وأنقل هذا الحال عن كتاب (مرآة الصدق) الذي ترجمه القسيس طامس انكلس ـ من علماء الكاثوليك ـ من اللسان الانكليزي إلى أُردو وطبع سنة ١٨٥١ من الميلاد . ويوجد هذا الكتاب عند أهل هذه الفرقة في الهند كثيراً .

في الصفحة ٤١ و ٤٢ « سلب البروتستانت في ابتداء أمرهم ستمائة وخمسة وأربعين رباطاً وتسعين مدرسة وألفين وثلاثمائة وستاً وسبعين كنيسة ومائة وعشرة مارستانات من مُلاّكها ، فباعوها بثمن بخس ، أو قاسمها[3] الأمراء

---

(١) هنري الرابع : هو ملك فرنسا ، وهو أمير نافار الذي مرّ ذكره ولد سنة ١٥٥٣م ، وصار أمير نافار سنة ١٥٧٢م ، وصار ملك فرنسا سنة ١٥٨٩م وبقي في الملك إلى أن اغتيل سنة ١٦١٠م، وهو ملك بروتستانتي لذلك رفع العذاب عنهم. (المورد ص ٤٣ ، والموسوعة الميسرة ص ١٩٠٩) .

(٢) دققت جميع النصوص على أصل الكتاب الثلاث عشرة رسالة ، ومعظم الأحداث المذكورة قد فصّل فيها كتاب (كنيسة تاريخ المسيح على وجه الاختصار) المطبوع ببيروت سنة ١٨٣٩م من ص ١٧٩ ـ ٢٤٤ .

(٣) في حاشية ق : أي تقاسمها . اهـ .

فيما بينهم ، وأخرجوا ألوفاً من المساكين المفلوكين عريانين من هذه الأمكنة » .

ثم قال في الصفحة ٤٥ : (امتدت يد طمعهم أنّهم ما تركوا الأموات أيضاً ؛ آذوا أجسادهم في نوم العدم ، وسلبوا أكفانهم » .

ثم قال في الصفحة ٤٨ و ٤٩ : « وضاعت في هذه الغنائم كتبخانات ذكرها جيء بيل متحسّراً بهذه الألفاظ : إنهم سلبوا كتباً ، واستعملوا أوراقها في الشّواء وفي تطهير الشمعدانات[1] والنعال ، وباعوا بعض الكتب على العطّارين وباعة الصابون ، وباعوا كثيراً منها ما وراء البحر على أيدي المجلّدين . وما كانت هذه الكتب مائة أو خمسين بل المراكب كانت مملوءة منها ، وأضاعوها بحيث تعجّب الأقوام الأجنبية . وإنّي أعلم تاجراً اشترى كتبخانتين كُلّاً منهما بعشرين رُبيّة ، وبعد هذه المظالم ما تركوا من خزائن الكنائس إلّا جدراً عريانة ، ثم ظنوا أنفسهم من أهل الوقار ، وملؤوا الكنائس من أُناس من أهل ملّتهم » .

ثم قال في الصفحة الثانية والخمسين إلى الصفحة السادسة والخمسين : « فلْنلاحظ الآن أفعال الجور التي فعلها البروتستانت في حق فرقة الكاثوليك إلى هذا الحين ! إنّهم قرّروا أزيد من مائة قانون ، كلها خلاف العدل والرحمة لأجل الظلم . ونحن نذكر عدة من هذه القوانين الجوريّة[2] :

---

(١) مفردها شمعدان ، وهو نوع من آلات الإضاءة القديمة ، مرتفع قليلاً ، شكله كالمنارة تزيّن ويركز عليها الشمع حين الاستضاءة به ، ودان : في الفارسية معناه الوعاء أو المكان . (المعجم الوسيط ص ٤٩٤) .

(٢) ذكر المؤلف في حاشية المقروءة أبياتاً من الشعر تُنسب للإمام الشافعي رحمه الله ، وأنقلها مصححة من ديوانه كما يلي :

نَعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا ... وما لزماننا عيبٌ سِوانا
ونهجو ذا الزمانَ بغير ذنبٍ ... ولو نطق الزمانُ لنا هجانا
وليس الذئبُ يأكلُ لحمَ ذئبٍ ... ويأكلُ بعضُنا بعضاً عِيَانا

١ ــ لا يرث كاثوليكي تركة أبويه .

٢ ــ لايشتري أحد منهم أرضاً بعدما يجاوز عمره ثماني عشرة سنة إلّا أن يصير بروتستانتياً .

٣ ــ لا يكون لهم مكتب .

٤ ــ لا يشتغل أحد منهم بالتعليم ، ومن خالف هذا الحكم يحبس دائماً .

٥ ــ مَن كان من هذه الملّة يؤدّي ضعف الخراج .

٦ ــ إنْ صلّى أحد من قسوسهم فعليه أداء ثلاثمائة وثلاثين ربية من ماله ، وإنْ صلّى أحد منهم ولا يكون قسّيساً فعليه أداء سبعمائة ربية ، ويسجن سنة .

٧ ــ إنْ أرسل أحد منهم ولده خارج إنكلترا للتعلم يقتل هو وولده ، وتسلب أمواله ومواشيه كلها .

٨ ــ لا يُعطَى لهم منصب في الدولة .

٩ ــ مَن لم يحضر منهم يوم الأحد أو العيد في كنيسة البروتستانت تؤخذ منه مائتا ربية في كل شهر ، ويكون خارجاً عن الجماعة ، ولا يُعطَى له منصب .

١٠ ــ مَن ذهب منهم بعيداً من لندن مسافة خمسة أميال يؤخذ منه ألف ربية مصادرة .

١١ ــ لا تُسمع استغاثة أحد منهم عند الحكام بحسب القانون .

١٢ ــ ما كان أحد منهم يسافر أزيد من خمسة أميال مخافة أن يُنهب ماله ومتاعه ، وكذا ما كان أحد منهم يقدر على الإستغاثة في أمر عند

الحكام مخافة أن يؤخذ منه ألف ربية مصادرة .

١٣ ـ لا تنفذ أنكحتهم ولا تجهيز موتاهم ولا تكفين الموتى ولا تعميد أولادهم إلّا إذا كانت هذه الأمور على طريقة كنيسة إنكلترا .

١٤ ـ إنْ تزوجت إحدى نساء هذه الملّة تأخذ الدولة من جهازها ثُلُثيْنْ ، ولا ترث من تركة زوجها ، ولا يوصي زوجها لها من تركته بشيء .
ونساؤهم كنّ يحبسن إلى أن يعطي أزواجهن عشر ربيات عشر ربيات في كل شهر ، أو يعطوا ثلث أراضيهم إلى الدولة .

١٥ ـ ثم صدر الحكم عاقبة الأمر : إنْ لم يَصِرْ كلهم بروتستانت يُسجنون ثم يُجلون من أوطانهم مدة حياتهم ، وإنْ أبوا عن الحكم ، أو رجعوا من الجلاء بدون الأمر كانوا ملزمين بإلزام عظيم .

١٦ ـ لا يحضر القسيس عند قتلهم ولا عند تجهيزهم وتكفينهم .

١٧ ـ لا يكون السلاح في بيت أحد منهم .

١٨ ـ لا يركب أحد منهم على حصان يكون ثمنه أزيد من خمسين ربية .

١٩ ـ إنْ أدّى قسّيس منهم أمراً من الخدمات المتعلقة به يسجن دائماً .

٢٠ ـ القسيس الذي يكون مولده انكلترا ولا يكون من ملّة البروتستانت إنْ أقام أزيد من ثلاثة أيام في إنكلترا يتصوّر أنّه غدّار ويقتل .

٢١ ـ مَن أنزل القسيس المذكور على مكانه يقتل .

٢٢ ـ لا تقبل شهادة كاثوليكي في العدالة .

وقُتِل على هذه القوانين الجوريّة في عهد الملكة أليصابت[1] مائتان وأربعة

---

(١) أليصابت : هي اليزابث الأولى بنت هنري الثامن من زوجته آن بولين التي أعدمت بتهمة =

أشخاص ، كان مائة وأربعة منهم قسيسين ، والباقون من أهل الغنى ، وما كان ذنبهم غير أنّهم أقرّوا أنّهم من ملّة الكاثوليك، ومات[1] تسعون قسّيساً وكبار آخرون في السجن ، وأُجلي مائة وخمسة أشخاص مدة حياتهم ، وضُرب كثير منهم بالسياط ، وصودروا ، وحرموا من أموالهم وأملاكهم حتى هلكت عشيرتهم ، وقُتِلت مِيري[2] المشهورة ملكة اسكاتْ[3] وكانت بنت الخالة للملكة أليصابت لأجل كونها من ملّة الكاثوليك » .

= الخيانة الزوجية ، ولدت اليزابيث سنة ١٥٣٣م ، فأعلن البرلمان الإنجليزي أنّ اليزابيث ابنة غير شرعية ولا يحق لها وراثة العرش ، ثم ألغى البرلمان هذا القرار سنة ١٥٤٤م ، وأصبح لها الحق في وراثة العرش ، لكن أختها الكاثوليكية ماري بنت هنري الثامن سجنتها خشية التفاف البروتستانت حولها ، فأظهرت اليزابيث تحفظاً شديداً في أقوالها وأعمالها ، وتظاهرت باتباع الطقوس الكاثوليكية ، فاستعادت كامل حقوقها ، ولـمّا توفيت أختها ماري سنة ١٥٥٨م ورثت اليزابيث العرش وأصبحت ملكة بريطانيا ، وأعلنت عودتها للبروتستانتية وأنّ المذهب البروتستانتي هو المذهب الرسمي لبلاد الإنجليز ، واتخذت تدابير صارمة ضد الكاثوليك حتى وفاتها سنة ١٦٠٣م . (الموسوعة الميسرة ص ٢١٣ ، ودائرة وجدي ١/٣٠٢ و ٦٥٢ ، وأعلام المورد ص ٢٩ ، وتاريخ كنيسة المسيح على وجه الاختصار ص ٢٩٩) .

(١) كلمة (ومات) ساقطة من المطبوعة وأخذتها من المخطوطة والمقروءة .

(٢) ميري : هي ماري استيوارت الابنة الوحيدة للملك جيمس الخامس ملك اسكتلندا ، ولدت ماري سنة ١٥٤٢م ، واستلمت عرش اسكتلندا سنة ١٥٦١م ، وكانت متعصّبة للكاثوليكية ، ثم تزوجت من ابن عمها الإنجليزي سنة ١٥٦٥م طمعاً في أن تخلف اليزابيث الأولى على عرش إنجلترا ، ولما كانت شديدة الإحتقار له انضمّ إلى مؤامرة عليها قام بها البروتستانت لاغتيالها ، فهربت سنة ١٥٦٨م إلى ابنة خالتها اليزابيث الأولى البروتستانتية ملكة إنجلترا ، فحبستها ثم أعدمتها سنة ١٥٨٧م بتهمة التواطؤ عليها والإشتراك في مؤامرة لاغتيالها . (الموسوعة الميسرة ص ٢١٣ وص ١٦١٩ ، ودائرة وجدي ١/٣٠٢ ، و٦٥٣ ، وأعلام المورد ص ٥٩) .

(٣) اسكات : أي اسكتلندا ، وهي ولاية في شمال بريطانيا عاصمتها ادنبرة ، ويحدّها شمالاً وغرباً المحيط الأطلنطي ، وشرقاً بحر الشمال ، وجنوباً إنجلترا والبحر الإيرلندي ، حكمتها أسرة ستيوارت من سنة ١٣٧١م وإلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي ، وفي سنة ١٧٠٧م اتحدت مع إنجلترا بموجب قرار برلماني وصار لها ممثلون في المجلسين . (الموسوعة الميسرة ص ١٠٢ وص ٩٨٩) .

ثم قال في الصفحة الحادية والستين إلى السادسة والستين : « حُمِل كثير من رهبانهم وعلمائهم بأمر الملكة أليصابت في المراكب ، ثم أُغرقوا في البحر . جاء عساكرها إلى إيرلاند[1] ليدخلوا أهل ملة الكاثوليك في ملة البروتستانت فأحرقوا كنائس الكاثوليك ، وقتلوا علماءهم ، وكانوا يصطادونهم كاصطياد الوحوش البرية ، وكانوا لا يؤمّنون أحداً وإنْ أمّنوا أحداً قتلوه أيضاً بعد الأمان . وذبحوا العسكر الذي كان في حصن سمروك ، وأحرقوا القرى والبلاد ، وأفسدوا الحبوب والمواشي ، وأجلوا أهلها بلا امتياز المنزلة والعمر .

ثم أرسل بارلمنت سنة ١٦٤٣م وسنة ١٦٤٤م الباشاوات[2] ليسلبوا جميع

---

(١) ايرلاندا : إحدى الجزر البريطانية في المحيط الأطلنطي ، وتقع غربي بريطانيا ، ويفصلها عنها البحر الإيرلندي والقنال الشمالي ، وتنقسم إلى إيرلندا الشمالية وعاصمتها بلفاست وغالبية سكانها بروتستانت ، وجمهورية إيرلندا وعاصمتها دبلن وغالبية سكانها من الكاثوليك ، وقد فرضت إنجلترا قوانين صارمة على الكاثوليك عامّة وعلى الإيرلنديين منهم خاصة ، فثار الإيرلنديون على الحكومة الإنجليزية في عهد الملكة اليزابيث الأولى ، فقمعت ثورتهم بعنف ونقلت بعض الاسكتلنديين ومنحتهم أراضي بشمال إيرلندا ، فثار الإيرلنديون مرة أخرى سنة ١٦٤١م ولمدة عشر سنوات ، فأخمدت ثورتهم بقسوة بالغة على يد كرومويل ، وسنّت قوانين تأديبية جديدة أكثر صرامة ضدّ الإيرلنديين أدّت إلى استغلالهم استغلالاً اقتصادياً بشعاً ، كما ألف الإيرلنديون البروتستانت جيشاً من المتطوعين لإيذاء الكاثوليك بحجة الدفاع عن ممتلكاتهم ، ولـمّا توحدت إنجلترا وإيرلندا سنة ١٨٠٠م حُرِم الكاثوليك من التمثيل البرلماني ، وأهلك منهم مليون إيرلندي جوعاً ومرضاً ما بين عامي ١٨٤٠ ـ ١٨٥٠م ، وهاجر منهم مليون وستمائة ألف (١,٦٠٠,٠٠٠) خارج إيرلندا ، ولـمّا ثار الإيرلنديون سنة ١٩١٦م جنّدت الحكومة الإنجليزية جيشاً من المجرمين بملابس الجنود وأطلقتهم في إيرلندا ، ففتكوا بشبابها ونشروا الرعب في كل ربوعها إلى أن أعلنت الجمهورية الإيرلندية سنة ١٩٤٩م وصارت دولة مستقلة ذات سيادة ، أمّا مشكلة شمال إيرلندا وعاصمتها بلفاست فما زالت قائمة وما زالت جمهورية إيرلندا تطالب بإخراج الإنجليز منها وضمّها إليها. (الموسوعة الميسرة ص ٢٨١ ، ودائرة وجدي ١/٢٠١) .

(٢) الباشاوات : مفردها باشا ، وهو لقب تركي من ألقاب التشريف يلي في المرتبة لقب بك ، ويتبع اسم صاحبه ولا ينتقل بالوراثة إلى الأبناء وقيل إنّه مأخوذ من كلمة باش التركية بمعنى الأصل أو الرأس ، فإذا قيل باش كاتب وباش حكيم: بمعنى كبير الكتاب وكبير الأطباء. (القاموس الإسلامي ١/٢٥٦) وليس هذا اللقب دارجاً في إنجلترا وعندهم ألقاب أخرى مثل اللورد وجمعها : اللوردات .

أموال الكاثوليك وأراضيهم بلا امتياز بينهم . وبقيت أنواع الظلم إلى زمن الملك جيمس الأول ، وحصل التخفيف في الظلم في عهده ، ثم رحمهم الملك سنة ١٧٧٨م ، لكن البروتستانتيين سخطوا عليه ، وقدموا عرضحال إلى السلطان من جانب أربعة وأربعين ألفاً من فرقة البروتستانت في ثاني حزيران سنة ١٧٨٠م ، واستدعوا أن يُبقي بارلمنت القوانين الجوريّة في حقّ ملّة الكاثوليك كما كانت ، لكنّ بارلمنت[1] ما التفتوا إليه ، فاجتمع مائة ألف من البروتستانت في لندن ، وأحرقوا الكنائس ، وهدموا أمكنة الكاثوليك . وكان الحريق يُرى من موضع واحد في ستة وثلاثين مكاناً . وكانت هذه الفتنة قائمة إلى ستة أيام ، ثم أوجد الملك قانوناً آخر سنة ١٧٩١م ، وأعطى ملّة الكاثوليك حقوقاً هي حاصلة لهم إلى هذا الحين » .

ثم قال في الصفحة ٧٣ و ٧٤ : « ما سمعتم حال جارتراسكول[2] الذي هو في إيرلاند ، هذا الأمر محقق أنّ البروتستانت يجمعون في كل سنة مقدار مائتي ألف وخمسين ألف ربية وكراء أكثر المكانات الكبيرة ، ويشترون بها أولاد فرقة الكاثوليك الذين هم من المساكين المفلوكين ، ويرسلونهم في العربيات إلى إقليم آخر بالخفية لئلا يرى آباؤهم وأمهاتهم . ويقع كثيراً أنّ هؤلاء الأشقياء إذا رجعوا إلى أوطانهم تزوّجوا بأخواتهم أو إخوتهم أو آبائهم أو أمهاتهم للجهل وعدم الإمتياز » . انتهى كلامه .

والظلم الذي صدر عن بعض فرق البروتستانت بالنسبة إلى بعض آخر لا أنقله لخوف التطويل ، وأكتفي على هذا القدر ، وأقول : انظروا إلى هؤلاء الطاعنين على الملّة المحمدية ، أنّهم كيف أشاعوا ملتهم بالجور والظلم ؟! .

---

(١) في حاشية ق : أي مجلس . اهـ . وتعريبها: برلمان ، أي مجلس النواب Parliament .

(٢) في حاشية ق : اسم مكتب . اهـ . Charter معناها : صكّ ، عقد ، رخصة . School معناها : مدرسة . فيكون المعنى : المدرسة القانونية أو المرخصة .

الأمر الخامس : أنّ حكم الجهاد في الشريعة المحمدية هكذا : يُدعى الكفار أولاً بالموعظة الحسنة إلى الإسلام ، فإن قبلوه فبها ويكونون كأمثالنا ، وإن لم يقبلوا : **فإن** كانوا من مشركي العرب فحكمهم القتل كما كان هذا الحكم في الشريعة الموسوية في حق الأمم السبع[1] والمرتدّ والذابح للأوثان والداعي إلى عبادتها ، **وإن** كانوا من غيرهم[2] يُدعون إلى الصلح بقبول الجزية والإطاعة ، فإنْ قبلوا صارت دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا ، وإن لم يقبلوا يحاربوا مع مراعاة الشروط التي هي مصرح بها في كتب الفقه كما كان مثله في الشريعة الموسوية في حق غير الأمم السبع .

والخرافات التي نقلها علماء البروتستانت في بيان هذه المسألة بعضها مفتريات وبعضها هذيانات . وأنقل كتاب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى رئيس عسكر فارس ، وكتاب الأمان من عمر رضي الله عنه لنصارى الشام ليظهر الحال على الناظر اللبيب .

أمّا الأول : فصورته هكذا : « بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى رستم[3] ومهران في ملأ فارس : سلام على من اتبع الهدى ، أمّا بعد : فإنّا ندعوكم إلى الإسلام ، فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون . فإنْ أبيتم فإنّ معي قوماً يحبون القتل في سبيل الله كما يحب فارس الخمر . والسلام على من اتبع الهدى » .

---

(١) وهم مذكورون في سفر الخروج ٢٣/٢٣ ، وفي سفر التثنية ١/٧ وهم : الكنعانيون ، والأمورانيون ، والحيثانيون ، والفرزانيون ، والحوايّون ، والبابوسانيون ، والجرجشانيون ، وينطقون في طبعة سنة ١٨٦٥م بدون الألف والنون وهم: (الكنعانيون ، والأموريّون ، والحيثيّون ، والفرزيون ، والحويّون ، واليبوسيّون ، والجرجاشيّون) .

(٢) أي من غير العرب المشركين .

(٣) رستم : قائد فارسي من الأسرة الساسانية ، اتصلت سيرته بفتوح المسلمين لفارس إبّان خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقُتل في معركة القادسية ، قتله هلال بن علقمة . (القاموس الإسلامي ٥١٩/٢) .

وأما الثاني : فصورته هكذا : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء[1] من الأمان أماناً لأنفسهم وكنائسهم

---

(١) إيلياء : هو اسم مدينة القدس ومعناه بيت الله ، وقيل سميت إيلياء باسم بانيها وهو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وهي القدس والمقْدس : بمعنى المقدّس ، أي المبارك المنزّه ، وبيت المقدس : هي المدينة المقدّسة ، والنسبة إليها مقدسي ، وهي مدينة القدس الحالية الواقعة في وسط فلسطين ، واسمها بالعبرية : أورشليم وأورشالم ، ومعناها بالكنعانية : مدينة السلام ، ولما حكمها اليبوسيون في القرن الخامس عشر قبل الميلاد أطلقوا عليها اسم : يبوس ، ولما استولى عليها الرومان أطلقوا عليها اسم : إيلياء كابيتولينا ، باسم المعبد الذي شيّده أدريانوس سنة ١٣٥م وجعله مزاراً ، وفي فترة حكم الرومان المسيحيين عاش الإسمان معاً : أورشليم ، وإيلياء ، ثم أطلق عليها المسلمون اسم : القدس وبيت المقدس ، وتقع هذه المدينة غربي الطرف الشمالي للبحر الميت بحوالي ٢٠ كم ، وعلى بعد حوالي ٥٥ كم إلى الجنوب الشرقي من يافا التي هي على البحر الأبيض المتوسط ، وعلى بعد حوالي ١٠ كم شمال بيت لحم مسقط رأس المسيح عليه السلام ، وكانت هذه المدينة عاصمة جميع الممالك التي تعاقبت على حكم فلسطين ، ففي زمن داود عليه السلام اتخذها عاصمة المملكة ، ونقل إليها التابوت ، وأعدّ بها مساحة منبسطة فسيحة لبناء الهيكل الذي أتمّ بناءه ابنه سليمان عليه السلام ، ولذلك يقدّسها اليهود شوقاً إلى الهيكل الذي دمّره الملك البابلي الوثني بختنصر عام ٥٨٦ ق.م ، ويعتقد اليهود أنّ الجدار الغربي للمسجد الأقصى مبني من حجارة الهيكل المدمّر ، ويسمّونه حائط المبكى ، كما كانت مدينة القدس عاصمة الحكم الروماني في فلسطين قبل المسيح وبعده ، وكان يطلق على المنطقة المحيطة بها وسائر وسط فلسطين : اسم اليهودية ، وأمّا النصارى فيقدّسونها لأنّ فيها كنيسة القيامة (كنيسة القبر المقدس) الذي دفن فيه المصلوب وهو في عقيدتهم أنّه المسيح عيسى الإله الثاني من الثالوث الإلهي ، وأمّا المسلمون فيقدّسونها لأنّ فيها المسجد الأقصى أولى القبلتين ، وإليه أسرى برسول الله ﷺ ، ومنه عرج به إلى السماوات العلى ، وقد دخلت هذه المدينة المقدسة في الحكم الإسلامي زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد طلب أهلها بقيادة صفرونيوس الأمان من أبي عبيدة بن الجراح والصلح على مثل ما صالح عليه أهل الشام ، فكتب بذلك لعمر فقدم وصالحهم سنة ١٥هـ/٦٣٦م ، وكتب لهم كتاباً فيه الأمان وشروط الصلح ، وسقطت القدس في أيدي الصليبيين سنة ١٠٩٩م ، واستعادها منهم صلاح الدين الأيوبي الكردي سنة ١١٨٧م ، وفي سنة ١٩١٧م استولى عليها البريطانيون ، واتخذوها عاصمة حكمهم الإستعماري لفلسطين والأردن ، وفي سنة ١٩٤٧م عندما أراد الإستعمار الإنجليزي إنهاء حكمه لفلسطين قسّم المدينة المقدّسة إلى قسمين : القسم الشرقي وبه المسجد الأقصى ويتبع الأردن ، والقسم الغربي سلّمه الإستعمار إلى اليهود ، وفي عام ١٩٦٧م استولى اليهود على الجزء الشرقي للقدس مع بقية فلسطين . (السيرة النبوية لابن =

وصلبانهم سقيمها وبرّها وسائر ملّتها : أنّها لا تُسكن كنائسهم ، ولا تُهدم ، ولا يُنقص منها ولا من صلبانهم ، ولا شيء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يُضارّ أحد منهم ، ولا يسكن إيلياء أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منهم الروم(١) واللصوص ، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومَن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن أحب من إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويُخلي بيعتهم وصليبهم فإنّهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وعلى صليبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومَن كان فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومَن شاء رجع إلى أرضه ، وأنّه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله ﷺ وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك من الصحابة [رضي الله عنهم] خالد بن الوليد وعمرو بن العاص(٢) وعبدالرحمن بن عوف(٣)

= هشام م١/٣٩٦ ، والكامل في التاريخ ٢/٣٤٧ ، والبداية والنهاية ٧/٦١ ، ومعجم البلدان ١/٢٧٩ ، و٢٩٣ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٢٩ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٤٥٤).

(١) أي الذين هم ليسوا من سكان القدس الأصليين ، بل هم من رعايا الدولة الرومانية .

(٢) عمرو بن العاص : هو أبو عبدالله عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي ، أحد عظماء العرب ودهاتهم ، ومن أولي الرأي والحزم فيهم ، ولد عمرو سنة ٥٠ ق.هـ/٥٧٤م ، وكان ميسور الحال يعمل تاجراً ، أسلم قبل الفتح بستة أشهر سنة ٨هـ ، فتح مصر وصار واليها وتوفي فيها يوم عيد الفطر سنة ٤٣هـ/٦٦٤م وكان عمره ٩٣ سنة ، وروى ٣٩ حديثاً . (الإصابة ٣/٢ ، والإستيعاب ٢/٥٠٨ ، وتهذيب التهذيب ٨/٥٦ ، والأعلام ٥/٧٩ ، والقاموس الإسلامي ٥/٥٤١ ، والموسوعة الميسرة ص ١٢٣٧ ، ودائرة وجدي ٦/٧٤١) .

(٣) عبدالرحمن بن عوف : هو أبو محمد عبدالرحمن بن عوف الزهري القرشي ، وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو أو عبدالكعبة فسمّاه الرسول ﷺ عبدالرحمن ، ولد سنة ٤٤ ق.هـ/٥٨٠م بعد الفيل بعشر سنوات ، وكان تاجراً موفور الثراء ومن الأجواد الحكماء الشجعان ، أسلم مبكراً فهو ثامن قرشي يدخل في الإسلام ، وهاجر الهجرتين ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وفي فضله أحاديث كثيرة ، توفي في المدينة سنة ٣٢هـ/٦٥٢م وعمره ٧٥ سنة ، وروى ٦٥ حديثاً . =

ومعاوية بن أبي سفيان »[1] .

وكل الناس يعترفون أنّ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كان شديداً في الإسلام في غاية الشدّة ، وكان جهاد الشام من أعظم جهاداته ، وكان جاء بنفسه الشريفة عند محاصرة إيلياء ، ولما تسلّط على إيلياء وقبل المسيحيون الجزية ما قَتل أحداً ولا أكرهه على الإيمان ، وأعطاهم شروطاً حسنة . وقد اعترف به مؤرخوهم ومفسّروهم أيضاً كما عرفت من كلام طامس نيوتن في الفصل الثالث من الباب الأول . وقد عرفت في الأمر الرابع من هذا المبحث من كلام المفسر المذكور ما فعل المسيحيون في حق المسلمين واليهود إذْ تسلطوا على إيلياء .

والفرق بين الشريعة المحمدية والموسوية في مسألة الجهاد : أنّ الشريعة المحمدية أن يُدعى الكافر فيها **أولاً** بالموعظة الحسنة إلى الإسلام بخلاف الشريعة الموسوية . وظاهر أنّه لا قُبح في هذه الدعوة ، والإمتناع بعد الإيمان عن القتل عين الإنصاف .

وفي الآية الحادية عشرة من الباب الثالث والثلاثين من كتاب حزقيال : « يقول الرب الإله لست أريد موت المنافق بل أن يتوب المنافق من طريقه » .

والآية السابعة من الباب الخامس والخمسين من كتاب إشعياء هكذا :

= (الإصابة ٤١٦/٢ ، والإستيعاب ٣٩٣/٢ ، وتهذيب التهذيب ٢٤٤/٦ ، والأعلام ٣٢١/٣ ، والقاموس الإسلامي ١٣٢/٥ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٨٢) .

(١) معاوية بن أبي سفيان هو كاتب الكتاب. (انظر البداية والنهاية ٦٣/٧) .

وهو أبو عبدالرحمن معاوية بن (أبي سفيان) صخر بن حرب القرشي الأموي ، ولد بمكة سنة ٢٠ ق.هـ/٦٠٣م، وكان أحد دهاة العرب الكبار ، وكان فصيحاً حليماً وقوراً عالماً بالكتابة والحساب ، أسلم هو وأخوه وأبوهما سنة ٨هـ يوم فتح مكة فجعله رسول الله ﷺ أحد كتّابه ، استلم إمارة الشام ٢٠ سنة حتى وفاة عثمان رضي الله عنه ، ثم آلت له الخلافة بعد مقتل علي وتنازل الحسين بن علي رضي الله عنهما سنة ٤١هـ ، فدامت خلافته ٢٠ سنة حتى وفاته في دمشق سنة ٦٠هـ/٦٨٠م ، روى ١٣٠ حديثاً . (تهذيب التهذيب ٢٠٧/١٠ ، والإصابة ٤٣٣/٣ ، والإستيعاب ٣٩٥/٣ ، والأعلام ٢٦١/٧ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١٧١٧) .

« فليترك المنافق طريقه ورجل السوء أفكاره وليرجع إلى الرب فيرحمه وإلى إلاهنا لأنّه كثير الغفران » .

والثاني : أنّه كان حكم القتل للنساء والصبيان إذا كانوا من الأمم السبع في الشريعة الموسوية بخلاف الشريعة المحمدية . فإنّ هؤلاء لا يُقتلون وإن كانوا من مشركي العرب ، كما كانوا لا يُقتلون في الشريعة الموسوية أيضاً إذا كانوا من غير الأقوام السبعة .

فإذا تمهّدتْ هذه الأمور الخمسة أقول : لا شناعة في مسألة الجهاد الإسلامي نقلاً وعقلاً .

أمّا نقلاً : فلما عرفته في الأمور المذكورة .

وأمّا عقلاً : فلأنّه قد ثبت بالبرهان الصحيح أنّ إصلاح القوة النظرية مقدَّم على إصلاح القوة العملية ، فإصلاح العقائد مقدَّم على إصلاح الأعمال ، وهذه مقدِّمة مسلّمة عند كافّة المليّين ، ولذلك لا تفيد الأعمال الصالحة بدون الإيمان عندهم ، ولا يعاندنا المسيحيون أيضاً في هذا الباب ؛ لأنّ الأعمال الصالحة بدون الإيمان بالمسيح لا تنجي عندهم أيضاً ، وأنّ الجواد الحليم المتواضع الكافر بعيسى عليه السلام أشرّ عندهم من البخيل الغضوب المتكبر المؤمن بعيسى عليه السلام .

وكذا قد ثبت بالتجربة الصحيحة أنّ الإنسان قد يتنبّه على خطئه وقبحه بتنبيه الغير ، وكذا قد ثبت بالتجربة الصحيحة أنّ الإنسان لا يطيع الحق غالباً لأجل وجاهة قومه وشوكتهم ، ولا يُصغي إلى رجل من صنف آخر ، بل يأنف من سماع كلامه سيما إذا كان هذا القول مخالف لطبائع صنفه وأصولهم ، ويكون في قبوله لزوم المشقة في أداء العبادات البدنية والمالية بخلاف ما إذا انكسرت وجاهة قومه وشوكتهم فلا يأنف من الإصغاء .

وكذا قد ثبت بالتجربة أنّ العدو إذا رأى أنّ مخالفهُ مائل إلى الدّعة والسكون يطمع في التسلّط على مملكته ، وهذا هو السبب الأغلبي في زوال الدول القديمة ، وبعد تسلّطه تحصل المضرّة العظيمة للدين والديانة .

ولذلك اضطر المسيحيون كافّة إلى ما يخالف إنجيلهم المتداول ؛ فقال أهل ملة الكاثوليك[1] : إنّ الكنيسة الرومانية لها سلطان حقيقي على كل مسيحي بواسطة العِماد ليكون كل معْتمِد خاضعاً للكنيسة الرومانية ومرؤوساً منها ، وهي ملتزمة بقصاص العصاة بالعقوبات الكنائسية ، وبأن تُسلّم المصرّين على ضلالهم والمضرّين للجمهور إلى ذوي الولاية ليعاقبوهم بالموت ، وبالتالي يمكنها إلزامهم بحفظ الإيمان الكاثوليكي والشرائع الكنائسية تحت أيّ قصاص كان .

---

(١) الكاثوليك : في حاشية ق : أي المذهب العامّ . اهـ . ولفظة كاثوليك معناها جامعة أو المذهب العمومي ؛ لأن الكنيسة الكاثوليكية لا تضمّ إلى أحضانها أمة معينة ، بل تدعو جميع الأمم للانضمام تحت لوائها ، والكاثوليك يتبعون المذهب اللاتيني الذي عليه كنيسة روما ، ويعترفون للبابا في روما بالرئاسة الروحية العليا على جميع الكاثوليك في العالم وله حق التحليل والتحريم ، وتسمى كنيستهم الكنيسة البطرسية أيضاً ، لاعتقادهم بأن مؤسسها الأصلي هو بطرس الرسول ، ويرون أنه أول تلاميذ المسيح ورئيسهم وأنه رأس الكنيسة المنظور والباباوات هم خلفاؤه ، وتمتد شوكة هذه الكنيسة على الخصوص في بلاد إيطاليا والنمسا وبلجيكا وفرنسا واسبانيا والبرتغال ، ولما كان أكثر تسلّط هذه الكنيسة على البلاد الغربية يطلق عليها الشرقيون اسم الكنيسة الغربية أو الكنيسة اللاتينية ، ولا يفهم من هذا أن الكنائس البروتستانتية هي الكنيسة الشرقية ؛ فالكنائس اليونانية هي التي يطلق عليها اسم الكنيسة الشرقية ، أو كنيسة الروم الأرثوذكسية ؛ لأنها تقوم على المذهب الأرثوذكسي ، وهو لا يعترف لبابا روما بالسيادة والرئاسة العامّة على الكنائس ، وأكثر انتشاره في بلاد المشرق ، وتقع اليونان في جنوب شرق أوروبا ، وأساس الخلاف بين البروتستانت والكاثوليك ينحصر في أنّ البروتستانت قرروا حرية البحث والنظر في الأمور الإعتقادية بينما حرّمها الكاثوليك وعذبوا رجالاً بالحديد والنار لأجل عقائدهم ، ومنعوا نشر الكتب التي لا تتفق مع تعاليمهم ، وهذا لا يعدّ فرقاً جوهرياً ؛ لأنّ كلتا الفرقتين تدينان بعقيدة التثليث وألوهية المسيح وكونه صلب كفارة لخطايا البشر . (سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان ص ١٥٤ و ١٥٥ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٨٩ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٢/ ١٨٠ و ٧/ ٦٢٠) .

وقد نقل قولهم هذا إسحاق بردكان من علماء البروتستانت في كتابه المسمى بكتاب الثلاث عشرة رسالة في الرسالة الثانية عشرة في الصفحة ٣٦٠ من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٩م في بيروت .

وقال علماء البروتستانت[١] من أهل إنكلترا : سعادة الملك له الحكم الأعلى في مملكة انكلترا هذه وفي ولاياته الأخر ، وله السلطة[٢] الأولى على جميع متعلّقات هذه المملكة سواء كانت كنائسية أو مدنية في كل حال ، وما هي خاضعة بل لا يصح أن تخضع لحاكم أجنبي . ويجوز للمسيحيين أن يتقلّدوا السلاح بأمر الحكّام ، ويباشروا الحروب كما هو مصرّح به في العقيدة السابعة والثلاثين من عقائد دينهم . فَتَرَكَ كِلَا الفريقين ظاهر أقوال عيسى عليه السلام ، أعني : « لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً ، ومَن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين ، من سألك فأعطه »[٣] .

فإنّ هذه الأقوال تخالف ما مهّدوه ، ولو عملوا بهذه الأقوال ، لا أقول أزيد من هذا ؛ إنّ سلطنة الإنكليز تزول من الهند في أيام معدودة ، ويخرجهم أهل الهند بلا كلفة ، ولذلك قال بعض الظرفاء الأذكياء[٤] ـ أطال الله حياته ـ قادحاً

---

(١) البروتستانت : في حاشية ق : أي أهل الدنيا الجديدة . اهـ .

(٢) في حاشية ق : أي الغلبة . اهـ .

(٣) إنجيل متّى ٥/٣٩ ـ ٤٢ ، وانظر إنجيل لوقا ٦/٢٩ ـ ٣٠ .

(٤) في حاشية ق : هو أحمد فارس كاتب الجريدة حق الإستئناف . اهـ . وهو المهتدي : أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق ، عالم باللغة والأدب ، ولد سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م في قرية عشقوت بلبنان من أبويْن مسيحيّيْن مارونيّيْن وسمّياه فارساً ، رحل في طلب العلم إلى مصر ، واشتغل ربع قرن في مراكز التنصير المسيحية ، وفي عام ١٨٤٨م دعته جمعية ترجمة الكتاب المقدس في لندن لمراجعة ترجمة التوراة ، وفي سنة ١٨٥٦م سافر إلى تونس وفيها أعلن إسلامه وكان عمره ٥٢ سنة ، وتسمّى (أحمد فارس) ، ثم رجع إلى الآستانة ، وأصدر فيها جريدة (الجوائب) سنة ١٢٧٧هـ فعاشت ٢٣ سنة ، وبقي في الآستانة إلى أن توفي فيها سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م ، ونُقل=

على هذه الأقوال إلزاماً : « تكليف للإنسان بما ليس في وسعه ، ولا يمكن لدولة مّا أن تعمل به ، ولا يمكن إلزام أحد به إلاّ بعض الصيادين الذين لا رداء لهم فيؤخذ منهم ، ولا يعبؤون بإضاعة الوقت » . انتهى كلامه بلفظه .

ثم قال : « وذلك كله[1] غير مذكور في مرقس ويوحنا مع أنّ النصارى كافة ـ على إنحائهم[2] العمل بهذه الأحكام ـ ما زالوا يتبجّحون بها وبها يستدلّون على أفضلية مذهبهم ، فكيف ساغ إذاً لمرقس ويوحنا أن يُهملا ذلك ، ويتواطآ معاً على قصّة حلّ الجحش !؟[3] فهل من دأب المؤرخين أن يذكروا الخسيس من الأمور ، ويسكتوا عن الجليل ولا سيما أنّهم هم المخاطبون به ؟! ويمكن أن يقال : إنّ مَن ذكره فإنّما نظر إلى تكليف غيره ، ومَن سكت عنه فإنما خشي تكليف نفسه » انتهى كلامه بلفظه .

وقال بعض الملاحدة : إنّ هذه الأحكام التي يفتخر بها المسيحيون لا تخلو إمّا أن تكون مستحبة نظراً إلى بعض الحالات ، أو واجبة : فإنْ كانت مستحبة فلا بأس بها ، لكنها لا تختصّ بالملّة المسيحية ؛ فإنّ هذا الإستحباب نظراً إلى بعض الحالات يوجد في غير ملّتهم أيضاً . وإنْ كانت واجبة فلا شكّ أنّها منابع المفاسد والشرور ، وأسباب زوال الدول والراحة والاطمئنان والسرور .

وإذْ ثبت ما ذكرتُ فلا شكّ في استحسان الجهاد عقلاً إذا كان جامعاً للشروط المذكورة في الشريعة المحمدية .

=جثمانه إلى لبنان ، له عدة مؤلفات وديوان شعر كبير ، وله تقريظ على الطبعة الأولى لكتاب إظهار الحق ذكرته في المقدمة. (كشف الظنون ١٩١/٥ ، والأعلام ١٩٣/١ ، والموسوعة الميسرة ص ١٠٧٨ ، ومعجم المؤلفين ٤١/٢ ، والقاموس الإسلامي ٦٩/٤) .

(١) أي قول المسيح : « لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك . . . » الخ .

(٢) في المطبوعة : (القائهم) وفي خ (أنحائهم) .

(٣) انظر إنجيل متّى ٢١/١ ـ ٧ ، وإنجيل مرقس ١١/١ ـ ٧ ، وإنجيل لوقا ٢٩/١٩ ـ ٣٥ ، وإنجيل يوحنا ١٢/١٤ ـ ١٥ .

وتذكرتُ حكاية مناسبة للمقام : جاء بعض القسيسين في محكمة المفتي من محكمات الدولة الإنكليزية في الهند ، فقال : يا جناب المفتي ! لي سؤال على المسلمين أمهل المجيب إلى سنة لأداء جوابه . فأشار المفتي إلى ناظر محكمته ـ وكان رجلاً ظريفاً ـ فقال : أيّ سؤال هذا ؟ قال القسيس : إنّ نبيكم ادّعى أنّه مأمور بالجهاد ، وما كان موسى مأموراً به ولا عيسى ! فقال الناظر : أهذا هو السؤال الذي تمهلنا إلى سنة لنتفكر في جوابه ؟ قال القسيس : نعم . قال الناظر : لا نستمهلك وأجيبك الآن لسببين : **أمّا أولاً** : فلأنّا متعلّقون بالدولة الإنكليزية ولا فرصة لنا إلاّ في أيام التعطيل ، فمن يمهلنا إلى سنة ؟! **وأمّا ثانياً** : فلأنّ هذا السؤال لا يحتاج في جوابه إلى تأمل ؛ ماذا تقول في حق الجج (يعني الحاكم الإنكليزي الذي يكون بمنزلة القاضي في الشرع) أيجوز له بحسب القوانين الإنكليزية أن يقتل القاتل قصاصاً إذا ثبت القتل عليه عنده ؟ قال القسيس : لا ؛ لأنّه ليس بمأمورٍ بهذا ، بل منصبه أن يرسل هذا القاتل إلى شيشن جج (يعني الحاكم الأكبر منه) ، قال : أيجوز لهذا الحاكم الكبير بحسب القوانين أن يقتله إذا ثبت القتل عنده ؟ قال القسيس : لا ؛ لأنّه ليس بمأمور أيضاً ، بل منصبه أن يحقق الأمر ثانياً ، ويخبر الحاكم الذي هو أعلى منه حتى يصدر حكمُ القتل عن هذا الأعلى ، ثم يحكم هذا الكبير بقتله . فقال الناظر : أهؤلاء الحكام الثلاثة ليسوا بمتعلّقين بالدولة الواحدة الإنكليزية ؟ قال القسيس : بلى ، لكنّ اختلاف الاقتدار لأجل اختلاف مناصبهم ؛ فقال الناظر : الآن ظهر الجواب من كلامك : فلا بدّ أن تعلم أنّ موسى وعيسى عليهما السلام بمنزلة الحاكمينْ الأولينْ ونبينا بمنزلة الحاكم الثالث الأعلى ، فكما لا يلزم من عدم اقتدار الحاكمينْ الأولينْ عدم اقتدار الثالث ، فكذا لا يلزم من عدم اقتدار موسى وعيسى عليهما السلام عدم اقتدار محمد ﷺ . فسكت القسيس وخرج خائباً .

فمن نظر إلى ما ذكرت بنظر الإنصاف ، وتجنّب عن العناد والاعتساف علم يقيناً أنّ التشدّد في مسألة الجهاد ، وقتل المرتدّ والمرغِّب إلى عبادة الأوثان في الشريعة الموسوية أشدّ وأكثر من التشدّد الذي فيها في الشريعة المحمدية ، وأنّ طعن المسيحيين خلاف الإنصاف جدّاً . وأتعجب من حالهم أنّهم لا ينظرون إلى أنّ أسلافهم كيف أشاعوا ملّتهم بالظلم ؟ وكيف قرروا القوانين الجورية لمخالفيهم ؟! .

ولما طال هذا المبحث لا أتعرض لهوساتهم المندرجة في رسائلهم ، وفيما ذكرت كفاية لدفع هذه الهوسات . وبالله التوفيق .

المطعن الثاني : (من شروط النبوة ظهور المعجزات على يد من يدّعيها ، وما ظهرت معجزة على يد محمد ﷺ كما يدل عليه ما وقع في سورة الأنعام **﴿ ماعندي ما تستعجلون به إن الحكم إلاّ لله يقصّ الحق وهو خير الفاصلين ﴾**[1]، وكذا ما وقع في تلك السورة : **﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جائتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنّها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾**[2]، وكذا ما وقع في سورة بني إسرائيل : **﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ● أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً .أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلاّ بشراً رسولاً ﴾**[3]، وكذا بعض الآيات الأخر) .

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٧ .
(٢) سورة الأنعام آية ١٠٩ .
(٣) سورة الاسراء آية ٩٠ـ٩٣ .

والجواب : أنّ الأمور الثلاثة التي ذكرها السائل تغليطات : **أمّا الأول**[1]: فلأنّ صدور المعجزة ليس من شروط النبوة على حكم هذا الإنجيل المتعارف ، فعدم صدورها لا يدل على عدم النبوة :

في الآية الحادية والأربعين من الباب العاشر من إنجيل يوحنا هكذا : « فأتى إليه كثيرون وقالوا : إنّ يوحنا لم يفعل آية واحدة » .

وفي الآية السادسة والعشرين[2] من الباب الحادي والعشرين من إنجيل متّى هكذا : « يوحنا عند الجميع نبي » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٢٥م « كلهم يحسبون يحيى نبياً »[3].

وقد وقع في الباب الحادي عشر من إنجيل متّى قول عيسى عليه السلام في حقه أنه « أفضل من نبي »[4]. فهذا الأفضل من الأنبياء لم تصدر عنه معجزة من المعجزات على شهادة كثيرين مع أنّ نبوته مسلَّمة عند المسيحيين .

وأمّا الأمر الثاني[5]: فغلط بحت كما عرفت في الفصل الأول[6].

والأمر الثالث[7]: إمّا غلط منهم أو تغليط ؛ لأنّ المراد بـ (ما) في قوله

---

(١) يعني بالأول قولهم : بأنّ ظهور المعجزات شرط للنبوّة .

(٢) في ط ، خ : « السابعة والعشرين » وليس بصواب ، والصواب أنها « السادسة والعشرين » كما في جميع طبعات الأناجيل .

(٣) وكذلك في طبعة سنة ١٨٢٦م ، أمّا في طبعة سنة ١٨٢٣م وطبعة سنة ١٨٤٤م « لأنّ يوحنا كان عند جميعهم مثل نبي » ، وفي طبعة سنة ١٨٨٢م « لأنّ يوحنا كان يعدّ عند جميعهم نبياً » ، وهذا اللفظ متقارب في جميع الطبعات وينصّ على أنّه نبي .

(٤) انظر إنجيل متّى ١١/٩ ، وفي طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م « أعظم من نبي » .

(٥) يقصد بالأمر الثاني قولهم : بعدم ظهور المعجزات على يد محمد ﷺ .

(٦) المسلك الأول من الفصل الأول من الباب السادس في المعجزات الكثيرة التي ظهرت على يده ﷺ .

(٧) أي استدلالهم على هذا المطعن بآيات القرآن .

تعالى : ﴿ **ما تستعجلون به** ﴾ الواقع في الآية الأولى العذاب الذي استعجلوه بقولهم : ﴿ **فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾[1]، ومعنى الآية : ﴿ **ما عندي ما تستعجلون به** ﴾ أي : العذاب الذي تستعجلون به . ﴿ **إن الحكم إلاّ لله** ﴾ في تعجيل العذاب وتأخيره . ﴿ **يقص الحق** ﴾ أي : يقضي القضاء الحق من تعجيل وتأخير . ﴿ **وهو خير الفاصلين** ﴾ أي : القاضين . فحاصل الآية أنّ العذاب ينزل عليكم في الوقت الذي أراد الله إنزاله ولا قُدرة لي على تقديمه أو تأخيره ، وقد نزل عليهم يوم بدر وما بعده ، فلا تدلّ هذه الآية على أنّ محمداً ﷺ لم تصدر عنه معجزة .

وأمّا الآية الثانية فمعناها : ﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم** ﴾ مصدر في موضع الحال ﴿ **لئن جاءتهم آية** ﴾ من مقترحاتهم ﴿ **ليؤمننّ بها قل إنما الآيات عند الله** ﴾ هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء ﴿ **وما يشعركم** ﴾ استفهام إنكار ﴿ **أنّها** ﴾ أي : الآية المقترحة . ﴿ **إذا جاءت لا يؤمنون** ﴾ أي : لا تدرون أنّهم لا يؤمنون بها . وهذا القول يدلّ على أنّه تعالى إنّما لم ينزلها لعلمه بأنّها إذا جاءت لا يؤمنون .

وأمّا الآية الثالثة : فمعناها : ﴿ **وقالوا** ﴾ تعنّتا ﴿ **لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض** ﴾ أي : أرض مكة ﴿ **ينبوعاً** ﴾ أي : عيناً غزيرة لا ينضب[2] ماؤها ﴿ **أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ● أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً** ﴾ ـ يعنون قوله تعالى : ﴿ **إنْ نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء** ﴾[3] ـ ﴿ **أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً** ﴾ أي : شاهداً على صحة ما تدّعيه ضامناً لدركه ﴿ **أو يكون**

---

(١) سورة الأنفال آية ٣٢ .

(٢) في حاشية ق : أي لا يقلّ . اهـ .

(٣) سورة سبأ آية ٩ .

لك بيت من زخرف ﴾ أي : من ذهب ﴿ **أو ترقى في السماء** ﴾ أي : في معارجها ﴿ **ولن نؤمن لرقيّك** ﴾ وحده ﴿ **حتى تنزل علينا كتاباً** ﴾ من السماء فيه تصديقك . عن ابن عباس ، قال عبدالله بن أبي أمية[1] : لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سُلّماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ، ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنّك كما تقول ﴿ **نقرؤه قل سبحان ربي** ﴾ تعجّبا من اقتراحاتهم ﴿ **هل كنت إلا بشراً رسولاً** ﴾ كسائر الرسل[2]. وما كان مقصودهم بهذه الاقتراحات إلاّ العناد واللجاج ، ولو جاءتهم كل آية لقالوا : هذا سحر ، كما قال الله عز وجل : ﴿ **ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس** ﴾[3]، ﴿ **ولو فتحنا عليهم باباً من السماء** ﴾[4].

وكذا حال بعض آيات أخرى يُفهم منه في الظاهر نفي إظهار الآية ، لكن المقصود به نفي المعجزة المقترحة ، ولا يلزم من هذا النفي نفي المعجزات مطلقاً ، ولا يلزم على الأنبياء أن يُظهروا معجزة كلما طلبها المنكرون ، بل هم لا يُظهرون إذا طلب المنكرون عناداً أو امتحاناً أو استهزاء ، وأُوردُ لهذا الأمر شواهد من العهد الجديد :

---

(١) عبدالله بن أبي أميّة : هو عبدالله بن أبي أميّة بن المغيرة المخزومي القرشي أخو أمّ المؤمنين أمّ سلمة من أبيها ، واسم أبي أميّة : حذيفة ، ويلقب بزاد الراكب ، وأمه عاتكة بنت عبدالمطلب ، فهو ابن عمّة رسول الله ﷺ ، وكان شديد العداوة له ولسائر المسلمين وهو الذي قال : ﴿ **لن نؤمن لك حتى تفجر** . . . ﴾ . هاجر هو وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب قبيل الفتح ، فلقيا النبي ﷺ بنيق العُقاب بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه وكلّمته أم سلمة فيهما فقال : « لا حاجة لي بهما» ، ثمّ أذِن لهما فدخلا عليه فأسلما وحسن إسلامهما ، وشهد عبدالله مع النبي ﷺ فتح مكة وحنينا والطائف ، واستشهد في غزوة الطائف . (الإصابة ٢/٢٧٧ ، والإستيعاب ٢/٢٦٢ ، والقاموس الإسلامي ٥/١٧٩) .

(٢) تفسير الآيات السابقة جميعها من تفسير البيضاوي ، ص ١٧٧ وص ١٨٧ وص ٣٨٣ .

(٣) سورة الأنعام آية ٧ .

(٤) سورة الحجر آية ١٤ .

الأول : في الباب الثامن من إنجيل مرقس هكذا : « ١١ ــ فخرج الفرّيسيّون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجرّبوه (١٢) فتنهّد بروحه وقال لماذا يطلب هذا الجيل آية الحق أقول لكم لن يعطَى هذا الجيل آية »[1].

فالفرّيسيّون طلبوا معجزة من عيسى عليه السلام على سبيل الامتحان ، فما أظهر معجزة ، ولا أحال في ذلك الوقت إلى معجزة صدرت عنه فيما قبل ، ولا وعد بإظهارها فيما بعد أيضاً ، بل قوله : « لن يعطى هذا الجيل آية » يدلّ على أنّ المعجزة لا تصدر عنه فيما بعد هذا ألبتة ؛ لأنّ لفظ الجيل يشمل لجميع الذي كانوا في زمانه .

الثاني : في الباب الثالث والعشرين من إنجيل لوقا هكذا : « ٨ ـ وأمّا هيرودس[2] فلما رأى يسوعَ فرح جداً لأنّه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجّى أن يرى آية تصنع منه (٩) وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء (١٠) ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد (١١) فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباساً لامعاً وردّه إلى بيلاطس » .

فعيسى عليه السلام ما أظهر معجزة في ذلك الوقت ، وقد كان هيرودس

---

(١) كلام إنجيل مرقس ١١/٨ ـ ١٢ ورد مثله في إنجيل متى ٣٨/١٢ ـ ٣٩ و ١/١٦ ـ ٤ وإنجيل لوقا ١٦/١١ و ٢٩ ـ ٣٠ ، وإنجيل يوحنا ٣٠/٦ .

(٢) المقصود به هنا هيرودس أنتيباس حاكم الجليل وقد دعاه المؤرّخ اليهودي يوسيفوس باسمي هيرودس أنتيباس المؤرخ ، وهو الابن الثاني لهيرودس الكبير من زوجته السامرية ملثاكي ، تثقف في روما وعُيّن حاكماً للجليل ، وكانت منافسة شديدة بينه وبين أخيه هيرودس فيلبس ، فذهب أنتيباس إلى روما طالبا أن يمنح لقب ملك ، فغضب عليه الامبراطور كاليجولا ، ونفاه إلى ليون ثم إلى اسبانيا ، وهيردوس أنتيباس هو الذي تزوج بابنة أخيه ارستوبولس ومطلقة أخيه فيلبس فنال توبيخ يحى فقطع رأسه ، وكان قد حكم من سنة ٤ ق.م إلى سنة ٣٩م ، وهو الذي بنى مدينة طبرية سنة ٢٦م وسماها على اسم الامبراطور طيباريوس تكريماً له . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٠ وص ٥٧٤ وص ١٠١١) .

يترجّى أن يرى منه آية ، والأغلب أنّه لو رأى لألزم اليهود على اشتكائهم ، ولما احتقر مع عسكره ، ولما استهزأ .

الثالث : في الباب الثاني والعشرين من إنجيل لوقا هكذا : « ٦٣ ــ والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه (٦٤) وغطّوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين تنبّأ مَن هو الذي ضربك (٦٥) وأشياء أخر كثيرة كانوا يقولون عليه مجدّفين »[1] .

ولما كان سؤالهم استهزاء وتوهيناً ما أجابهم عيسى عليه السلام .

الرابع : في الباب السابع والعشرين من إنجيل متّى هكذا : « ٣٩ ــ وكان المجتازون يجدّفون عليه[2] وهم يهزّون رؤوسهم (٤٠) قائلين يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلّص نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب (٤١) وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا (٤٢) خلّصَ آخرين وأمّا نفسه فما يقدر أن يخلّصها . إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به (٤٣) قد اتكل على الله فلينقذه الآن إنْ أراده لأنّه قال أنا ابن الله (٤٤) وبذلك أيضاً كان اللصّان اللذان صُلبا معه يعيّرانه »[3] .

فما خلص نفسه عيسى عليه السلام في هذا الوقت ، وما نزل عن الصليب وإن عيّره المجتازون ورؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ واللّصان .

ورؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ كانوا يقولون : إنّه إن نزل عن الصليب نؤمن به ، فكان عليه لدفع العار ، ولإلزام الحجة أن ينزل مرة عن الصليب ،

---

(١) ومثله في إنجيل متّى ٢٦/٦٧ ـ ٦٨ ، وإنجيل مرقس ١٤/٦٥ .
(٢) في طبعة سنة ١٨٢٥م و١٨٢٦م « يكفّرونه » بدل « يجدّفون عليه » .
(٣) ومثله في إنجيل مرقس ١٥/٢٩ ـ ٣٢ ، وفي إنجيل لوقا ٢٣/٣٥ ـ ٣٩ .

ثم يصعد . ولكنّهم لـمّا كان مقصودهم العناد والاستهزاء ما أجابهم عيسى عليه السلام .

الخامس : في الباب الثاني عشر من إنجيل متّى هكذا : « ٣٨ ــ حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفرّيسيين قائلين يا معلّم نريد أن نرى منك آية (٣٩) فأجاب وقال لهم : جيل شرّير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلاّ آية يونان النبيّ (٤٠) لأنّه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال »[١].

فطلب الكتبة والفرّيسيون معجزة فما أظهرها عيسى عليه السلام في هذا الوقت ، وما أحالهم إلى معجزة صدرت عنه فيما قبل هذا السؤال ، بل سبّهم وأطلق عليهم لفظ الفاسق والشرير ، ووعد بالمعجزة التي لم تصدر عنه ؛ لأنّ قوله « كما كان يونان في بطن الحوت . . . » الخ : غلط بلا شبهة كما علمت في الفصل الثالث من الباب الأول . وإنْ قطعنا النظر عن كونه غلطاً فمطلق قيامه لم ير الكتبة والفريسيون بأعينهم ، ولو قام عيسى عليه السلام من الأموات كان عليه أنْ يُظهر نفسه على هؤلاء المنكرين الطالبين آية ليصير حجة عليهم ووفاء بالوعد . وهو ما أظهر نفسه عليهم ولا على اليهود الآخرين ولو مرة واحدة ، ولذلك لا يعتقدون هذا القيام بل هم يقولون من ذلك العهد إلى هذا الحين : إنّ تلاميذه سرقوا جثته من القبر ليلاً .

السادس : في الباب الرابع من إنجيل متّى هكذا : « ٣ ــ فتقدّم إليه المجرِّب وقال له : إنْ كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً (٤) فأجاب وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكلّ كلمة تخرج من

---

(١) ومثله في إنجيل متّى ١٦/١ ـ ٤ ، وإنجيل لوقا ١١/٢٩ ـ ٣٠ . وكلمة (يونان) . وردت في طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م بلفظ (يونس) .

فم الله (٥) ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدّسة وأوقفه على جناح الهيكل (٦) وقال له : إنْ كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنّه مكتوب أنّه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصطدم بحجر رجلك (٧) قال له يسوع : مكتوب أيضاً لا تجرّب الرب إلهك »[1].

فطلب إبليس على سبيل الامتحان من عيسى عليه السلام معجزتين ، فما أجاب بواحدة منهما ، واعترف في المرة الثانية أنّه لا يليق بالمربوب أن يجرّب ربه ، بل مقتضى العبودية مراعاة الأدب وعدم التجربة .

السابع : في الباب السادس من إنجيل يوحنا هكذا : « ٢٩ ــ أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله (٣٠) فقالوا له : فأيّة آية تصنع لنرى ونؤمن بك . ماذا تعمل (٣١) آباؤنا أكلوا المنّ في البرّية كما هو مكتوب أنّه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا » .

فاليهود طلبوا معجزة فما أظهرها عيسى عليه السلام ، ولا أحال إلى معجزة فعلها قبل هذا السؤال ، بل تكلّم بكلام مجمل لم يفهمه أكثر السامعين[2]، بل ارتدّ كثير منهم من تلاميذه بسببه كما هو مصرح به في الآية السادسة والستين من الباب المذكور ، وهي في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠م[3] هكذا : « من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه » .

---

(١) يعتقد المسيحيون أن المجرّب هو الشيطان (إبليس) حاول أن يُغري المسيح بحبّ الشهرة والطمع ، ويعتقدون أنّ مكان التجربة هو جبل قرنطل قرب أريحا . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٥) .

(٢) ففي إنجيل يوحنا ٦/٦٠ ـ ٦١ « ٦٠ ــ فقال كثيرون من تلاميذه إذْ سمعوا : إنّ هذا الكلام صعب مَن يقدر أن يسمعه (٦١) فعلم يسوع في نفسه أنّ تلاميذه يتذمّرون على هذا فقال لهم : أهذا يُعثركم » .

(٣) ومثلها طبعة سنة ١٨٦٥م .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٢٥م : « ومن ثمّ ارتدّ كثير من تلاميذه على أعقابهم ولم يماشوه بعد ذلك أبداً »[١].

الثامن : في الباب الأول من الرسالة إلى كورنثوس هكذا : « ٢٢ ــ فإنّ اليهود يسألون معجزة واليونانيون يطلبون حكمة (٢٣) ونحن نكرّز بالمسيح المصلوب وذلك معثرة لليهود وحماقة لليونانيين »[٢].

فاليهود كما كانوا يطلبون المعجزة من المسيح عليه السلام كانوا يطلبونها من الحواريين أيضاً ، وأقرّ مقدسهم بولس بأنّهم يطلبون المعجزة ، ونحن نكرّز بالمسيح المصلوب .

فظهر من هذه العبارات المنقولة أنّ عيسى عليه السلام والحواريين ما أظهروا معجزة بين أيدي الطالبين في الأوقات التي طلبوا المعجزات فيها ، ولا أحالوا المنكرين إلى معجزة فعلوها قبل هذه الأوقات ، فلو استدل أحد بالآيات المذكورة على أنّ عيسى عليه السلام والحواريين ما كان لهم قدرة على إظهار أمر خارق للعادة - وإلاّ لصدر عنهم في الأوقات المذكورة ، أو أحالوا المنكرين إلى أمر خارق صدر عنهم قبل هذه الأوقات ، فلما لم يظهر منهم أحد الأمرين ثبت أنّه ما كان لهم قدرة على إظهاره - يكون هذا الإستدلال عند القسيسين محمولاً على الاعتساف ، ويكون قوله خلاف الإنصاف ، فكذا قول القسيسين عندنا بالتمسك ببعض الآيات القرآنية التي عرفت حالها خلاف الإنصاف وعينْ الاعتساف . كيف لا ؟! وإنّ المعجزات المحمدية مصرّح بها في القرآن والأحاديث الصحيحة كما عرفت في الفصل الأول ، وجاء ذكرها إجمالاً أيضاً في مواضع متعددة من القرآن :

---

(١) وكذلك في طبعة سنة ١٨٢٦م ، وهي في طبعة سنة ١٨٢٣م وسنة ١٨٤٤م وسنة ١٨٨٢م الفقرة ٦٧ .

(٢) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٢٥م و١٨٢٦م .

(١) في سورة الصافات : ﴿ **وإذا رأوا آية يستسخرون ● وقالوا إنْ هذا إلّا سحر مبين** ﴾[١] .

في الكشاف[٢]: « وإذا رأوا آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه ﴿ **يستسخرون** ﴾ يبالغون في السخرية ، أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها »[٣] .

وفي التفسير الكبير : « والرابع من الأمور التي حكاها الله تعالى عنهم أنهم قالوا : ﴿ **إن هذا إلا سحر مبين** ﴾ ، يعني : أنّهم إذا رأوا آية ومعجزة سخروا منها ، والسبب في تلك السخرية اعتقادهم أنّها من باب السحر . وقوله ﴿ **مبين** ﴾ معناه أنّ كونه سحراً أمر بيّن لا شبهة لأحد فيه »[٤]. انتهى كلامه .

وفي البيضاوي : « ﴿ **وإذا رأوا آية** ﴾ معجزة تدلّ على صدق القائل به، ﴿ **يستسخرون** ﴾ يبالغون في السخرية ، ويقولون : إنّه سحر ، أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها ، ﴿ **وقالوا إن هذا** ﴾ يعنون ما يرونه ﴿ **إلّا سحر مبين** ﴾ ظاهر سحريّته »[٥]. انتهى .

وفي الجلالين: « ﴿ **وإذا رأوا آية** ﴾ كانشقاق القمر ﴿ **يستسخرون** ﴾

---

(١) سورة الصافات آية ١٤ ـ ١٥ .

(٢) الكشاف : هو كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل ، للإمام العلامة أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفي سنة ٥٣٨م ، وقد بيّن من محاسن النكت ولطائف المعاني وأساليب القرآن ما جعله مقبولاً عند العلماء ، فبعضهم كتب عليه حواشٍ ، وبعضهم اختصره ، ويسرّ الله له كذلك علماء نقحوه من آراء الزمخشري الإعتزالية ، وسيّد المختصرات منه كتاب أنوار التنزيل للقاضي البيضاوي ، فقد لخصه فأجاد ، وأزال عنه الإعتزال وحرّر واستدرك . (كشف الظنون ٢/١٤٧٥) .

(٣) انظر تفسير الكشاف ٣/٣٣٧ .

(٤) انظر تفسير الرازي ٢٦/١٢٨ .

(٥) انظر تفسير البيضاوي ص ٥٩٠ .

يستهزئون بها ، « **وقالوا** » فيها ﴿ **إنْ** ﴾ ما ﴿ **هذا إلّا سحر مبين** ﴾ **بيّن** »[1] انتهى ، ومثله في الحسيني .

(٢) في سورة القمر : ﴿ **وإنْ يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾[2] وقد عرفتها في الفصل الأول .

(٣) في سورة آل عمران : ﴿ **كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أنّ الرسول حق وجاءهم البينات** ﴾[3]، في الكشاف في تفسير قوله ﴿ **البينات** ﴾ « الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة »[4]. انتهى كلامه .

ولفظ البينات إذا كان موصوفه مقدّراً فيستعمل في القرآن غالباً بمعنى المعجزات ، واستعماله في غيرها في تلك الصورة قليل جداً ، فلا يُحمل على المعنى القليل بدون القرينة القوية : في سورة البقرة: ﴿ **وآتينا عيسى ابن مريم البينات** ﴾[5]، وفي سورة النساء: ﴿ **ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات** ﴾[6]، وفي سورة المائدة: ﴿ **إذْ جئتهم بالبينات** ﴾[7]، وفي سورة الأعراف: ﴿ **ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات** ﴾[8]، وفي سورة يونس: ﴿ **وجاءتهم رسلهم بالبينات** ﴾[9]، ثم في تلك السورة: ﴿ **فجاءوهم بالبينات** ﴾[10]، وفي سورة النحل: ﴿ **بالبينات والزبر** ﴾[11]، وفي سورة طه:

(١) انظر تفسير الجلالين ص ٥٨٨ .
(٢) سورة القمر آية ٢ .
(٣) سورة آل عمران آية ٨٦ .
(٤) انظر تفسير الكشاف ١/٤٤٢ .
(٥) سورة البقرة آية ٨٧ و٢٥٣ .
(٦) سورة النساء آية ١٥٣ .
(٧) سورة المائدة آية ١١٠ .
(٨) سورة الأعراف آية ١٠١ .
(٩) سورة يونس آية ١٣ .
(١٠) سورة يونس آية ٧٤ .
(١١) سورة النحل آية ٤٤ .

﴿ **لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات** ﴾[1]، وفي سورة المؤمن: ﴿ **وقد جاءكم بالبينات من ربكم** ﴾[2]، وفي سورة الحديد: ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات** ﴾[3]، وفي سورة التغابن: ﴿ **ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات** ﴾[4]، وكذا في غير هذه المواضع[5].

(٤) في سورة الأنعام: ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته إنّه لا يفلح الظالمون** ﴾[6].

في البيضاوي: « ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً** ﴾ كقولهم: الملائكة بنات الله، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿ **أو كذّب بآياته** ﴾ كأنْ كذّبوا القرآن والمعجزات، وسمّوها سحراً، وإنما ذَكَرَ ﴿ **أو** ﴾ وهم قد جمعوا بين الأمرين تنبيهاً على أنّ كُلّاً منهما وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم على النفس »[7]. انتهى.

وفي الكشاف: « جمعوا بين أمرين متناقضين، فكذبوا على الله بما لا حجة عليه، وكذّبوا بما ثبت بالحجة والبينة والبرهان الصحيح، حيث قالوا: ﴿ **لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا** ﴾[8]، وقالوا: ﴿ **والله أمرنا بها** ﴾[9]،

---

(١) سورة طه آية ٧٢.
(٢) سورة غافر آية ٢٨.
(٣) سورة الحديد آية ٢٥.
(٤) سورة التغابن آية ٦.
(٥) وردت كلمة (البينات) في القرآن معرفة بأل ٣٥ مرة وكلمة (بينات) بدون تعريف ١٧ مرة.
(٦) سورة الأنعام آية ٢١.
(٧) انظر تفسير البيضاوي ص ١٧١.
(٨) سورة الأنعام آية ١٤٨.
(٩) سورة الأعراف آية ٢٨.

وقالوا : الملائكة بنات الله[1]، و ﴿ **هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾[2]، ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب[3]، وذهبوا فكذّبوا القرآن والمعجزات ، وسمّوها سحراً ، ولم يؤمنوا بالرسول ﷺ »[4]. انتهى .

وفي التفسير الكبير: « والنوع الثاني من أسباب خسرانهم تكذيبهم بآيات الله ، والمراد منه قدحهم في معجزات محمد ﷺ وطعنهم فيها ، وإنكارهم كون القرآن معجزة قاهرة بيّنة »[5]. انتهى .

في تلك السورة أيضاً ﴿ **وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار**

---

(١) هذا المعنى في سورة الأنعام آية ١٠٠ ، وفي سورة النحل آية ٥٧ ، وفي سورة الصافات آية ١٤٩ و١٥٣ ، وفي سورة الزخرف آية ١٦ ، وفي سورة الطور آية ٣٩ .

(٢) سورة يونس آية ١٨ .

(٣) البحائر جمع بحيرة والسوائب جمع سائبة ، وأمّا البحيرة فمأخوذة من قولهم : بَحَرَ الناقة والشاة يبحرها بحراً : أي شقّ أذنها بنصفين طولاً ، وكانت العرب تفعل بهما ذلك إذا نُتجتا عشرة أبطن وقيل خمسة أبطن آخرها ذكر ، فلا ينتفع منهما بلبن ولا ظهر ، وتترك البحيرة ترعى وترد الماء بلا راع ، ويحرم لحمها على النساء ، وإذا ماتت فهي حلال النساء . وأمّا السائبة فمأخوذة من سيّب الدابّة أو الناقة أو الشيء : أي تركه يسيب حيث شاء ، فإذا أدرك البعير نتاج نتاجه سيّبه العرب فلا يركب ولا يُحمل عليه ، وكان العربي في الجاهلية يسيّب ناقته إذا قدم من سفر بعيد أو برىء من مرض أو نجته دابته من مشقّة أو حرب أو لنذر فيقول : ناقتي سائبة . وقيل : السائبة أمّ البحيرة ، فإذا ولدت الناقة عشرة أبطن كلهن إناث سُيّبت وجُعلت ابنتها العاشرة بحيرة ، وحكمها حكم أمّها في أنها سائبة لكنها مشقوقة الأذن ، فكلتاهما لا تردّ عن مرعى ولا ماء ولا تحلب ولا تركب حتى تموت . وكان أول من بحر البحائر وسيّب السوائب عمرو بن لحي الخزاعي الأزدي . (انظر لسان العرب ١/٤٧٨ ، و٤/٤٣ ، والأعلام ٥/٨٤ ، وتفسير البيضاوي ص ١٦٤) .

قال تعالى في سورة المائدة آية ١٠٣ ﴿ **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكنّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون** ﴾ .

(٤) انظر تفسير الكشاف ٢/١٠ .

(٥) تفسير الرازي ١٢/١٨١ .

عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾[1].

وفي التفسير الكبير في تفسير قوله: ﴿ **وإذا جاءتهم** ﴾ : « أنّهم متى ظهرت لهم معجزة قاهرة »[2]. انتهى .

والبابا الكزندر[3] كان يعتقد أنّ محمداً ﷺ صاحب الإلهام ، وإنْ لم يكن ذلك الإلهام عنده واجب التسليم . وقع في المجلد الخامس من كتابه المسمى بـ (دنسيدهي) هذه الفقرة : « يا محمد إنّ الحمامة عند أذنك »[4]، ونقلت هذه الفقرة عن المجلد المطبوع سنة ١٧٩٧م وسنة ١٨٠٦م في لندن ، لكنّها في النسخة الأولى في الصفحة ٢٦٧ ، وفي النسخة الثانية في الصفحة ٣٠٣ . ولعلّ البابا أسند إلهام محمد ﷺ إلى الحمامة ؛ لأنّ الإلهام عند المسيحيين يكون بواسطة روح القدس ، وقد نزل روح القدس على عيسى عليه السلام بعدما فرغ من الاصطباغ على صورة الحمامة كما هو مصرّح به في الباب الثالث من إنجيل متّى[5]، فظنّ إنّ إلهام محمد ﷺ يكون بواسطة الحمامة .

المطعن الثالث : باعتبار النساء ، وهو على خمسة أوجه :

(**الأوّل** : أنّ المسلمين لا يجوز لهم أزيد من أربع زوجات ومحمد ﷺ لم

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٤ .

(٢) تفسير الرازي ١٣/١٧٥ ، ويسمى «مفاتيح الغيب» ويعرف بالتفسير الكبير .

(٣) لعله الكسندر السادس المولود عام ١٤٣١م ، وقد صار بابا روما سنة ١٤٩٢م إلى وفاته سنة ١٥٠٣م .

(٤) في حاشية ق ، خ : يعني أنّ الحمامة تخبره عن المغيبات ، فهو يخبر عن هذه المغيبات بواسطة الحمامة . اهـ .

(٥) ففي إنجيل متّى ٣/١٦ « فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه » . وانظر إنجيل مرقس ١/١٠ ، وإنجيل لوقا ٣/٢٢ ، وإنجيل يوحنا ١/٣٢ .

يكتف بها ، بل أخذ تسعاً لنفسه ، وأظهر حكم الله في حقه أنّ الله أجازني لأن أتزوج بأزيد من أربع .

والثاني : أنّ المسلمين يجب العدل عليهم بين نسائهم ، وأظهر حكم الله في حقه أنّ هذا العدل ليس بواجب عليه .

والثالث : أنّه دخل بيت زيد بن حارثة[1] [رضي الله عنه] ، فلما رفع الستر وقع نظره على زينب بنت جحش زوجة زيد [رضي الله عنها] ، فوقعت في نفسه ، وقال : سبحان الله . فلما اطلع زيد على هذا الأمر طلقها ، فتزوج بها ، وأظهر أنّ الله أجازني للتزوج .

والرابع : أنّه خلا بمارية القبطيّة[2] [رضي الله عنها] في بيت حفصة[3]

---

(١) زيد بن حارثة : هو أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ، مولى رسول الله ﷺ وأصغر منه بعشر سنين ، سُبي في الجاهلية وبيع في مكة فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد لعمّته خديجة بنت خويلد ، ثم وهبته للنبي ﷺ حين تزوجها فأعتقه وتبنّاه قبل الإسلام ، وزوّجه مولاته أمّ أيمن فولدت له أسامة سنة ٧ ق. هـ/٦١٥م ، وهو أول من أسلم بعد علي بن أبي طالب ، فأحبّه الرسول ﷺ ، وكان يُدعى زيد بن محمد فلما نزل قوله تعالى : ﴿ **ادعوهم لآبائهم** ﴾ دُعي زيد بن حارثة ، ولـمّا طلق زيد زوجته الثانية زينب بنت جحش تزوجها النبي ﷺ لإبطال عادة التبني الجاهلية ، ولم يسمّ القرآنُ أحداً باسمه غير زيد ، وكان ﷺ يؤمّره على المدينة وعلى السرايا ، وجعله أوّل أمير على جيش مؤته فاستشهد فيها سنة ٨هـ/٦٢٩م . (الإصابة ١/٥٦٣ ، والإستيعاب ١/٥٤٤ ، والتهذيب ٣/٤٠١ ، والأعلام ٣/٥٧ ، والقاموس الإسلامي ٣/١٤٧ ، والموسوعة ص ٩٣٧) .

(٢) مارية القبطية : هي مارية بنت شمعون القبطية ، مولاة رسول الله ﷺ وأمّ ولده إبراهيم الذي ولدته في ذي الحجة سنة ٨هـ وتوفي في ربيع الأول سنة ١٠هـ ، وكان المقوقس القبطي صاحب الإسكندرية ومصر قد أهدى لرسول الله ﷺ سنة ٧هـ جاريتين هما مارية وأختها سيرين التي وهبها النبي ﷺ لحسّان بن ثابت فولدت له عبدالرحمن ، وقد توفيت مارية في خلافة عمر رضي الله عنه في محرم سنة ١٦هـ/٦٣٧م ، فكان عمر يحشر الناس لشهود جنازتها ، فصلى عليها و[illegible]ت في البقيع . (الإصابة ٤/٤٠٤ ، والإستيعاب ٤/٤١٠ ، والأعلام ٥/٢٥٥ ، والموسوعة الميسرة ص ١٦٢٠) .

(٣) حفصة : هي أمّ المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وُلدت قبل =

[رضي الله عنها] في يوم نوبتها ، فغضبت حفصة [رضي الله عنها] ، فقال محمد [ﷺ] حرّمت مارية على نفسي ، ثم لم يقدر أن يبقى على التحريم ، فأظهر أنّ الله أجازه لإبطال اليمين بأداء الكفارة .

والخامس : أنّه يجوز في حق متّبعيه إنْ مات أحد منهم أن يتزوج الآخر زوجته بعد انقضاء عدتها ، وأظهر حكم الله في حقه أنّه لا يجوز لأحد أن يتزوج زوجة من زوجاته بعد مماته) .

وهذه الوجوه الخمسة منتهى جهدهم في المطعن باعتبار النساء ، وتوجد هذه الوجوه كلها أو بعضها في أكثر رسائلهم مثل ميزان الحق ، وتحقيق الدين الحق[1]، ودافع البهتان ، ودلائل إثبات رسالة المسيح ، ودلائل النبوة ، وردّ اللغو ، وغيرها .

وأنا أمهّد أموراً ثمانية يظهر منها جواب هذه الوجوه كلها ، فأقول :

الأمر الأول : أنّ تزوج أكثر من امرأة واحدة كان جائزاً في الشرائع السابقة ؛ لأنّ إبراهيم عليه السلام تزوج بسارا ثم بهاجر في حياة سارا ، وهو كان خليل الله ، وكان الله يوحي إليه ويرشده إلى أمور الخير ، فلو لم يكن النكاح الثاني جائزاً لما أبقاه عليه ، بل أمره بفسخه وحرمته .

= البعثة بخمس سنين (سنة ١٨ ق. هـ/٦٠٤م) وتزوجها في مكة خنيس بن حذافة السهمي وهاجرا معاً إلى المدينة وبعد غزوة بدر توفي زوجها فتزوجها النبي ﷺ سنة ٢هـ أو٣هـ ، وكانت تقيّة ورعة صوّامة قوّامة ، وعرفت بحافظة المصحف الشريف حيث وقع عليها الإختيار للإحتفاظ بالمصحف المجموع زمن أبي بكر رضي الله عنه ، وبقي عندها إلى أنْ سلّمته إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد توفيت حفصة بالمدينة سنة ٤٥هـ/٦٦٥م ، وروى لها البخاري ومسلم ٦٠ حديثاً . (الإصابة ٢٧٣/٤ ، والإستيعاب ٢٦٨/٤ ، والتهذيب ٤١٠/١٢ ، والأعلام ٢٦٤/٢ ، والقاموس الإسلامي ١١٧/٢ ، والموسوعة الميسرة ص ٧٢٧) .

(١) كتاب ميزان الحق لفندر ، وكتاب تحقيق دين الحق للقسيس اسمث ، وباقي الكتب من كتب القسيسين ، ومعظمها طبعت في الهند (انظر المناظرة الكبرى ص ٨٨ و ٨٩ و ١٣٥ و ١٤٤) .

ولأنّ يعقوب عليه السلام تزوج بأربع نسوة : ليّا وراحيل وبلها وزلفا . فالأوليان منهما أُختان ابنتا لابان خاله ، والأخريان جاريتان . والجمع بين الأختين حرام قطعي في شريعة موسى عليه السلام كما علمت في الباب الثالث ، فلو كان التزوّج بأكثر من امرأة واحدة حراماً لزم أن يكون أولاده من تلك الأزواج أولاد حرام ـ والعياذ بالله ـ وكان الله يوحي إليه ويرشده إلى أمور الخير ، فكيف يُتصوّر أن يرشده في أمور خسيسة ، ولا يرشده في هذا الأمر العظيم ؟! فإبقاء الله يعقوب عليه السلام على نكاح تلك الأربع سيما الأختين دليل بيّن على جواز مثل هذا التزوّج في شريعته .

ولأنّ جدعون[1] بن يوآش تزوج نساء كثيرة : في الباب الثامن من سفر القضاة هكذا : « ٣٠ ــ وكان له سبعون ابناً خرجوا من صلبه لأنّ كانت له نساء كثيرة (٣١) وسريته التي كانت له في شخيم ولدت له ابناً اسمه أبيمالك » .

ونبوته ظاهرة من الباب السادس والسابع من السفر المذكور[2]، ومن الباب الحادي عشر من الرسالة العبرانية[3].

---

(١) جدعون بن يوآش : هو جدعون بن يوآش الأبيعزري من سكان عفرة ، قضى لبني إسرائيل نحو خمسين سنة ، وكان له زوجات كثيرات وأنجب منهن سبعين ولداً . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٢) .

(٢) أي نبوّة جدعون ظاهرة من مطالعة الإصحاح السادس والسابع من سفر القضاة لما فيهما من عبارات ظاهرها الوحي والإلهام ، ففي الإصحاح ٦ « ٨ ــ الرب أرسل رجلاً نبياً إلى بني إسرائيل فقال لهم . . . (١٢) فظهر له ملاك الربّ وقال له . . . (١٣) فقال له جدعون . . . (١٤) فالتفت إليه الرب وقال . . . (١٦) فقال له الرب . . . (٢٠) فقال له ملاك الله . . . (٢٢) فرأى جدعون أنه ملاك الرب فقال جدعون آه يا سيدي الرب لأني قد رأيت ملاك الرب وجهاً لوجه » . ووردت عبارات مثلها في الإصحاح السابع من سفر القضاة .

(٣) ففي الرسالة العبرانية ١١/٣٢ « وماذا أقول أيضاً لأنّه يعوزني الوقت إنْ أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء » .

ولأن داود عليه السلام تزوج نساء كثيرة : تزوج أولاً ميخال بنت شاول[1] وكان بدل المهر مائة غلفة من غلف الفلسطينيين ، وأعطاه داود عليه السلام مائتي غلفة من غلفهم فأعطى شاول داود عليه السلام ابنته ميخال ، الآية السابعة والعشرون من الباب الثامن عشر من سفر صموئيل الأول هكذا : « فمضت أيّاماً قليلة وقام داود وانطلق هو ورجاله وقتل من الفلسطانيين مائتي رجل وأتى داود بغلفهم إلى الملك ودفعها للملك بالتمام ليكون له ختناً فأعطى شاوول ميخال ابنته له امرأة » .

والملاحدة يستهزئون بهذا البدل من المهر ، ويقولون : أكان شاول يريد أن يسوّي من هذه الغلف حميلاً ويعطيه بنته في الجهاز ، أم كان غرضه شيئاً آخر ؟! . لكني أقطع النظر عن استهزائهم وأقول : لما بغى داود عليه السلام على شاول أعطى شاولُ ميخالَ فلطي بن ليس[2] الذي هو من جلّيم[3] كما هو مصرح به في آخر الباب الخامس والعشرين من السفر المذكور[4]، وتزوّج داود عليه السلام بست نساء أخرى : (١) أحينعام الإزراعايليّة[5] (٢) وبيغال[6]

---

(١) ميخال بنت شاوول (ميكال) (ميشائيل) : وهي الابنة الثانية لشاوول بن قيس أوّل ملوك بني إسرائيل ، وكان لها دور هام في إنقاذ حياة داود من مكيدة كادها له أبوها لقتل داود ، ثم زوّجها أبوها لفلطي ثم استردها داود بعد موت أبيها. (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٤٠) .

(٢) فلطي بن ليس (فلطيئيل) : رجل زوّجه شاوول ابنته ميكال عناداً لداود ثم استردها منه داود . (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٦) .

(٣) جلّيم : قرية بفلسطين شرقي القدس وكان يسكنها فلطي . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٦٥) .

(٤) ففي سفر صموئيل الأول ٢٥/٤٤ « فأعطى شاول ميكال ابنته امرأة داود لفلطي بن لايش الذي من جلّيم » .

(٥) أحينعام الإزراعيلية (أخينوعم اليزرعيليّة) : امرأة من بلدة يزرعيل وهي أمّ أمنون بكر داود ، وقد أسرها العمالقة ثم أنقذها داود . (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٦) .

(٦) بيغال (أبيجايل) : كانت زوجة نابال الكرملي ، وبعد موته تزوجها داود فولدت له كيلآب (دانيئيل) وقد أسرها العمالقة أيضاً مع (أخينوعم) ثم أنقذها داود . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢١) .

(٣) ومعكا[١] ابنة تلمى ملك جاشور (٤) وحجيت[٢] (٥) وأبيطل[٣] (٦) ، وعجلا[٤]، كما هو مصرح به في الباب الثالث من سفر صموئيل الثاني[٥]. ومع كون هذه الست مازالت محبة ميخال عن قلبه الشريف وإن كانت في فراش الغير ، فلذلك لـمّا قُتل شاول طلب داود من اسباسوت بن شاول[٦] زوجته ميخال ، وقال له : ردّ عليّ امرأتي ميخال التي خطبتها بمائة غلفة من غلف أهل فلسطين ، فأخذها اسباسوت قهراً من فلطي بن ليس ، وأرسلها إلى داود ، فجاء هذا فلطي باكياً خلفها إلى بحوريم[٧] ثم رجع ، كما هو مصرّح به في الباب المذكور[٨]، فبعدما وصلت ميخال إلى داود عليه السلام مرة أخرى ، صارت له زوجة ، وكمل عدد الزوجات السبع ، ثم أخذ داود نساء أخرى وسراري لم يصرّح بعددها في كتبهم المقدسة :

---

(١) معكا (معكة) : هي ابنة تلماي ملك جشور (وهي المنطقة الواقعة جنوب جبل حرمون (الشيخ) وشمال شرقي بحر الجليل الذي هو بحيرة طبريّا الآن ، ومن مدنها القنيطرة السورية) وقد تزوج داود من معكة فولدت له أبشالوم ثالث أبنائه. (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٢ وص ٢٦١ وص ٩٠٨) .

(٢) حجيت (حجيث) : مؤنث حجي ، وهي أمّ أدونيّا رابع أبناء داود . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٩١) .

(٣) أبيطل (أبيطال) : وهي أمّ شفطيّا خامس أبناء داود. (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢).

(٤) عجلا (عجلة) : وهي أمّ يثرعام سادس أبناء داود. (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٠٧) .

(٥) فقد ذكرت أسماء النساء الست في سفر صموئيل الثاني ٣/ ٢ ـ ٥ .

(٦) اسباسوت (اشبعل) (ايشبوشت) : هو ابن الملك شاول وخليفته كملك على إسرائيل ، وبعد موت شاول نودي بداود ملِكاً على إسرائيل ، وانهزمت قوّات ايشبوشت أمام داود ، وبمقتل ايشبوشت أصبح داود ملِكاً على جميع إسرائيل . (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦ وص ١٤١) .

(٧) بحوريم : اسم قرية شرقي القدس مكانها الآن رأس التميم. (قاموس الكتاب المقدس ص ١٦٦) .

(٨) انظر سفر صموئيل الثاني ٣/ ١٤ ـ ١٦ .

الآية الثالثة عشرة من الباب الخامس من سفر صموئيل[1] الثاني هكذا : « وأخذ أيضاً داود نسواناً وسراري من أورشليم من بعد أن أتى من حبرون وولد لداود أيضاً بنون وبنات » .

ثم زنى بامرأة أوريا ، وقتل زوجها بالحيلة ، ثم أخذها ، فعاتبه الله على هذا الزنا ، كما علمت في أول هذا الفصل[2]. وداود عليه السلام وإنْ كان خاطئاً في هذا الزنا والتزوج بتلك الامرأة لكنّه لم يكن عاصياً في تزوّج جمّ غفير من نساء أخرى ، وإلّا لعاتبه الله على تزوجهن كما عاتب على تزوج امرأة أوريا ، ولم يعاتبه الله على تزوجهن ، بل أظهر رضاءه على هذا التزوج ، ونسب إعطاءها إلى نفسه وقال : « وإذا كانت هذه قليلة فأزيدك مثلهن ومثلهن »[3]. وقول الله تعالى في حق داود عليه السلام على لسان ناثان النبي عليه السلام في الآية الثامنة من الباب الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٢٢م وسنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م في لندن على النسخة المطبوعة في رومية العظمى سنة ١٦٧١م هكذا : « ووهبت لك بيت مولاك ونساء سيّدك اضطجعت في حضنك ووهبت لك بيت إسرائيل ويهوذا وإذا كانت هذه قليلة فأزيدك مثلهنّ ومثلهنّ » .

فقوله : « وهبتُ » على صيغة المتكلم في الموضعين ، وقوله : « وإذا كانت هذه قليلة فأزيدك مثلهن ومثلهن » ـ يدلّان على ما قلت .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م الجملة الأخيرة هكذا : « فإذا كانت عندك قليلة كان ينبغي لك أن تقول فأزيد مثلهن ومثلهن »[4].

---

(١) كلمة صموئيل ساقطة من المطبوعة فقط .
(٢) وهو إشارة إلى سفر صموئيل الثاني ١١/٢ ـ ٢٧ .
(٣) انظر سفر صموئيل الثاني ١٢/٨ وتأتي بعد قليل أيضاً .
(٤) وفي طبعة سنة ١٨٦٥م « وإنْ كان ذلك قليلاً كنتُ أزيد لك كذا وكذا » .

وتزوج في آخر عمره شابة عذراء أخرى اسمها أبيشاغ الشونامية[1]، وكانت جميلة جداً ، كما هو مصرح به في الباب الأول من سفر السلاطين الأول[2].

ولأنّ سليمان عليه السلام تزوج بألف امرأة : سبعمائة منهم حرّات من بنات السلاطين ، وثلاثمائة جوار ، وارتدّ بإغوائهنّ في آخر عمره ، وبنى المعابد للأصنام ، كما هو مصرح به في الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول[3].

ولا يفهم من موضع من مواضع التوراة حرمة التزوج بأزيد من امرأة واحدة ، ولو كان حراماً لصرّح موسى عليه السلام بحرمته كما صرّح بسائر المحرمات ، وشدّد في إظهار تحريمها ، بل يُفهم جوازه من مواضع ؛ لأنّك قد علمت في جواب المطعن الأول أنّ الأبكار التي كانت من غنيمة المديانيين كانت اثنين وثلاثين ألفاً[4]، وقُسّمت على بني إسرائيل سواء كانوا ذوي زوجات أو لم يكونوا ، ولا يوجد فيه تخصيص العزب[5].

وفي الباب الحادي والعشرين من سفر التثنية هكذا : « ١٠ ــ وإذا خرجت إلى القتال مع أعدائك وأسلمهم الربّ إلاهك في يدك وسبيتهم (١١) ورأيت في جملة المسبيّين امرأة حسنة وأحببتَها وأردتَ أن تتخذها لك امرأة (١٢) فأدخلها إلى بيتك وهي تحلق رأسها وتقصّ أظفارها (١٣) وتنزع عنها الرداء الذي سُبيتْ به وتجلس في بيتك وتبكي على أبيها وأمّها مدة شهر ثم تدخل إليها

(١) أبيشاغ (أبيشغ) (أبيشج) : امرأة شابّة وجميلة اختيرت أَمَة لداود في شيخوخته وضعفه للعناية به ، ويقال لها الشونميّة نسبة إلى قرية شونم الكنعانية الواقعة في شمال فلسطين في مرج ابن عامر شمالي بيسان قرب العفّولة . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢ وص ٥٣٠) .

(٢) انظر سفر الملوك الأول ١/١ ـ ٤ .

(٣) انظر سفر الملوك الأول ١/١١ ـ ١٠ .

(٤) وهو إشارة إلى ما في سفر العدد ٣١/٣٥ .

(٥) رجل عزب وعازب وأمرأة عَزَبة ، والجمع أعزاب وعُزّاب ، وهم الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء ، والاسم العُزْبة والعُزوبة ، ولا يقال : رجل أعزب ، وأجازه بعضهم . (لسان العرب ١/٥٩٦) .

وترقد معها ولْتكن لك امرأة (١٤) فإنْ كانت بعد ذلك لا تهواها نفسك فسرّحها حرّة ولا تستطيع أن تبيعها بثمن ولا تقهرها أنّك قد ذلّيتها (١٥) وإن كانت لرجل امرأتان الواحدة محبوبة والأخرى مبغوضة ويكون لهما منه بنون وكان ابن المبغوضة بكراً (١٦) وأراد يقسم رزقه بين أولاده فلا يستطيع يعمل ابن المحبوبة بكراً ويقدّمه على ابن المبغوضة (١٧) ولكنّه يعرف ابن المبغوضة أنّه هو البكر ويعطيه من كلّ ما كان له الضّعف من أجل أنّه هو أوّل بنيه ولهذا تجب البكورية » .

فقوله : « ورأيت في جملة المسبيّين . . . » الخ ، لا يختصّ بمخاطب لا تكون له زوجة ، بل أعمّ ، سواء كانت له زوجة أو لم تكن . ولا يوجد فيه التصريح أيضاً بأنّ هذا الحكم يختصّ بمسبيّة واحدة فقط ، بل الظاهر أنّه إذا رأى المخاطب أزيد من واحدة ، وأراد أن يتخذها نساء كان له جائزاً ، فجاز لكل إسرائيلي أخذ نساء كثيرة .

ودلالة قوله : « وإنْ كان لرجل امرأتان الواحدة محبوبة والأخرى مبغوضة . . . » الخ ، على ما ادّعينا ظاهرة غير محتاجة إلى البيان .

فثبت أنّ كثرة الأزواج ما كانت محرمة في شريعة موسى ، فلذلك أخذ جدعون وداود وغيرهما من صالحي الأمة الموسوية نساء .

الأمر الثاني : الصحيح في قصة زينب رضي الله عنها أنّها بنت عمّة رسول الله ﷺ ، وكانت عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه ، ثم طلقها زيد ، ولما انقضت عدتها تزوج بها رسول الله ﷺ . وأنا أنقل بعض آيات سورة الأحزاب[1] المتعلقة بهذه القصة مع عبارة التفسير الكبير ، وهي هكذا :

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٧ فقط .

« ﴿ وإذْ تقول للذي أنعم الله عليه ﴾ وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام ﴿ وأنعمت عليه ﴾ بالتحرير والإعتاق ﴿ أمسكْ عليك زوجك ﴾ همّ زيد بطلاق زينب ، فقال له النبي [ﷺ] أمسك ، أي : لا تطلقها . ﴿ واتق الله ﴾ قيل : في الطلاق ، وقيل : في الشكوى من زينب ، فإنّ زيداً قال فيها : إنّها تتكبر عليّ بسبب النسب وعدم الكفاءة . ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ من أنّك تريد التزوج بزينب ﴿ وتخشى الناس ﴾ من أن يقولوا : أخذ زوجة الغير أو الابن ﴿ والله أحق أن تخشاه ﴾ ليس إشارة إلى أنّ النبي [ﷺ] خشي الناس ولم يخش الله ، بل المعنى : الله أحق أن تخشاه وحده ، ولا تخش أحداً معه ، وأنت تخشاه وتخشى الناس أيضاً ، فاجعل الخشية له وحده ، كما قال تعالى : ﴿ الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ﴾(1). ثم قال تعالى : ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ﴾ أي : لما طلقها زيد وانقضت عدّتها وذلك لأنّ الزوجة ما دامت في نكاح الزوج فهي تدفع حاجته وهو محتاج إليها ، فلم يقض منها الوطر بالكلية ولم يستغن ، وكذلك إذا كان في العِدّة له بها تعلّق لإمْكان شغل الرحم فلم يقض منها بعد وطره ، وأمّا إذا طلّق وانقضت عدتها استغنى عنها ، ولم يبق له معها تعلق فيقضي منها الوطر ، وهذا هو موافق لما في الشرع ؛ لأنّ التزوّج بزوجة الغير أو بمعتدته لا يجوز ، فلهذا قال : ﴿ فلما قضى ﴾ وكذلك قوله : ﴿ لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ﴾ أي : إذا طلقوهن وانقضت عدتهن . وفيه إشارة إلى أنّ التزويج من النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن لقضاء شهوة النبي عليه السلام ، بل لبيان الشريعة بفعله ، فإنّ الشرع يستفاد من فعل النبي [ﷺ]، وقوله : ﴿ وكان أمر الله مفعولاً ﴾ أي : مقضيّـا، ما قضاه كائن ، ثم بيّن أن تزوجه عليه الصلاة

---

(1) سورة الأحزاب آية ٣٩ .

والسلام بها مع أنّه كان مبيّناً لشرع مشتمل على فائدة كان خالياً من المفاسد »[١]. انتهى كلامه بلفظه.

فظهر أنّ زينب رضي الله عنها كانت تتكبر على زيد بسبب النسب وعدم الكفاءة، وهذا الأمر كان سبب عدم المحبة بينهما، فأراد زيد رضي الله عنه أن يطلقها، فمنعه النبي ﷺ، لكنّه طلّقها آخر الأمر، فلما انقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ لبيان الشريعة، لا لأجل قضاء الشهوة، وكان قبل نزول الحكم مُخْفياً لهذا الأمر لأجل عادة العرب، ولا بأس فيه كما ستعرف في الأمر الثالث إن شاء الله تعالى. والرواية التي وقعت في البيضاوي[٢] ضعيفة عند محققي أهل الحديث كما صرح به المحقق المحدث الشيخ عبدالحق الدهلوي[٣] في بعض تصنيفاته. وفي شرح المواقف[٤] « وما يقال: إنّه أحبها

---

(١) انظر تفسير الرازي ٢١٢/٢٥.

(٢) ففي ص ٥٥٨ من تفسير البيضاوي: « وذلك أنّه عليه الصلاة والسلام أبصرها بعدما أنكحها إياه فوقعت في نفسه... ».

(٣) عبدالحق الدهلوي: هو أبو محمد عبدالحق بن سيف الدين بن سعد الله الدهلوي الحنفي الملقب بحقي، وهو فقيه حنفي من أهل دهلي، وكان محدث الهند في عصره، ولد سنة ٩٥٩هـ/١٥٥٢م، وجاور في الحرمين الشريفين أربع سنوات فأخذ عن علمائهما، عُني بالتصنيف في الفقه والحديث والتراجم باللغتين العربية والفارسية، وقيل بلغت مؤلفاته مائة مجلد أشهرها مقدّمة في بيان مصطلح الحديث طُبعت في الهند عام ١٣١٢هـ/١٨٩٥م، وله: الصراط المستقيم، وله: ماثبت بالسُّنَة في أيام السَّنَة، وكانت وفاته سنة ١٠٥٢هـ/١٦٤٢م. (كشف الظنون ٦٦/٤ و ٤١٩ و ٥٠٣/٥، والأعلام ٢٨٠/٣، ومعجم المؤلفين ٩١/٥، والقاموس الإسلامي ٣٩٨/٢).

(٤) المواقف: كتاب في علم الكلام لأبي الفضل عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار عضد الدين الإيجي، وهو عالم بالأصول والعربية، ومن أهل إيج بفارس وكانت وفاته سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، وله عدة مؤلفات منها كتابه (المواقف) الذي ألفه لغياث الدين وزير خدابنده، وله عدة شروح. (كشف الظنون ١٨٩١/٢ و ٥٢٧/٥، والأعلام ٢٩٥/٣، ومعجم المؤلفين ١١٩/٥).

حين رآها فممّا يجب صيانة النبي ﷺ عن مثله »[1]. انتهى .

الأمر الثالث : أنّ الأمور الشرعية لا يجب أن تكون متحدة في جميع الشرائع ، أو مطابقة لعادات الأقوام وآرائهم .

أمّا الأول : فقد عرفت بما لا مزيد عليه في الباب الثالث ، وقد عرفت فيه أنّ سارا زوجة إبراهيم عليهما السلام كانت أختاً عَلاّتية له[2]، وأنّ يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين[3]، وأنّ عمران أبا موسى عليه السلام تزوج بعمته[4]. وهذه الزواجات الثلاثة محرمة في الشريعة الموسوية والعيسوية والمحمدية ، وبمنزلة الزنا سيما نكاح الأخت العَلاّتية والعمّة . وهذه الزواجات أقبح القبائح عند علماء مشركي الهند ، فهم يشنّعون تشنيعاً بليغاً ويستهزئون بهؤلاء المتزوجين غاية الاستهزاء ، وينسبون أولادهم إلى أشدّ أنواع الزنا .

وفي الباب الخامس من إنجيل لوقا هكذا : « ٢٩ ـ . . . . والذين كانوا متكئين معهم كانوا جمعاً كثيراً من عشّارين وآخرين (٣٠) فتذمّر كتبتهم والفرّيسيّون على تلاميذه قائلين لماذا تأكلون وتشربون مع عشّارين وخطاة (٣٣) وقالوا له لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيراً ويقدّمون طلبات وكذلك تلاميذ الفرّيسيّين أيضاً وأمّا تلاميذك فيأكلون ويشربون »[5].

فالكتبة والفريسيون الذين من أعظم فرق اليهود وأشرفها كانوا يشنّعون على

---

(١) انظر المواقف في علم الكلام لعضد الدين الايجي ص ٣٦٤ .

(٢) انظر سفر التكوين ٢٠/١٢ ، وسفر الأحبار ١٨/٩ و ٢٠/١٧ ، وسفر التثنية ٢٧/٢٢ .

(٣) انظر سفر التكوين ٢٩/١٥ ـ ٣٠ ، وسفر الأحبار ١٨/١٨ .

(٤) انظر سفر الخروج ٦/٢٠ ، وسفر العدد ٢٦/٥٩ ، وسفر الأحبار ١٨/١٢ و ٢٠/١٩ .

(٥) ومثله في إنجيل متّى ٩/١٠ ـ ١٤ ، وإنجيل مرقس ٢/١٥ ـ ١٨ .

تلاميذ عيسى عليه السلام بأنّهم يأكلون ويشربون مع الخطاة والعشّارين[1] وأنّهم لا يصومون .

وفي الباب الخامس عشر من إنجيل لوقا هكذا : « ١ ــ وكان جميع العشّارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه (٢) فتذمّر الفرّيسيّون والكتبة قائلين : هذا يقبل خطاة ويأكل معهم » .

فالفرّيسيّون كانوا يشنّعون على عيسى عليه السلام بأنّه يأكل مع الخطاة ويقبلهم .

وفي الباب الحادي عشر من كتاب الأعمال : « ٢ ــ ولـمّا صعد بطرس إلى أورشليم خاصمه الذين من أهل الختان (٣) قائلين إنّك دخلت إلى رجال ذوي غلفة وأكلت معهم » .

وفي الباب السابع من إنجيل مرقس هكذا : « ١ ــ واجتمع إليه الفرّيسيون وقوم من الكتبة قادمين من أورشليم (٢) ولـمّا رأوا بعضاً من تلاميذه يأكلون خبزاً بأيد دنسة أي غير مغسولة لاموا (٣) لأنّ الفرّيسيين وكلّ اليهود إنْ لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون متمسّكين بتقليد الشيوخ (٤) ومن السوق إنْ لم يغتسلوا لا يأكلون . وأشياء أخرى كثيرة تسلّموها للتمسّك بها من غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسرّة (٥) ثم سأله الفرّيسيّون والكتبة لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ بل يأكلون خبزاً بأيد غير مغسولة »[2] .

---

(١) العشّارون: جمع عشّار ، وهو الشخص الموظف من قبل الدولة لجمع العشر من المحاصيل الزراعية وغيرها (أي جباة الضرائب) ، وكانوا غالباً من الرومان الأثرياء الذين يتعهدون بجمع الضرائب أو دفعها من جيوبهم إذا عجزوا عن جمعها ، ولذلك وُصفوا بالظلم والقسوة. (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢٩) .

(٢) ومثله في إنجيل متّى ١/١٥ - ٢ .

وفي ملّة براهمة[1] الهند وغيرهم من أقوام مشركي الهند[2] تشدّدات عظيمة ، وعندهم لو أكل أحد منهم مع المسلم أو اليهودي أو النصراني خرج عن ملّته .

ونكاح زوجة المتبنّى بعد الطلاق كان قبيحاً عند مشركي العرب ، ولـمّا كان زيد بن حارثة رضي الله عنه متبنّى محمد ﷺ كان محمد ﷺ أيضاً يخاف أوّلاً من طعن عوامّ المشركين في نكاح زينب رضي الله عنها ، فلـمّا أمره الله تزوّج بها لبيان الشريعة ، ولم يبال بعادة المشركين .

الأمر الرابع : أنّ الطاعنين من علماء البروتستانت لا يستحيون ولا ينظرون إلى بضاعات كتبهم المقدسة من الإختلافات والأغلاط والأحكام التي عرفت نبذاً منها في الباب الأول والفصل الثاني والثالث من الباب الخامس ، ومن ذنوب الأنبياء وعشائرهم وأصحابهم التي قد عرفتها في ابتداء هذا الفصل . وأُريد أن لا أترك هذا الموضع أيضاً خالياً عن ذكر بعض الأمور المندرجة في التوراة ، وإنْ حصل للناظر اطّلاع على أمور كثيرة فيما سبق :

(١) في الباب الثلاثين من سفر التكوين هكذا : « ٣٧ ـ فأخذ يعقوب

---

(١) البراهمة مفردها برهمي ، وهي نسبة إلى برهما الذي هو أحد الآلهة الثلاثة (برهما الخالق ، وفيشنو الحافظ ، وسيفا المهلك) في الديانة البرهمية ، وهي أقدم من البوذية بقرون كثيرة ، وتقوم على وحدة الوجود والتناسخ ، وإنكار بعثة الرسل ، وطبقة البراهمة أعلى طبقة في الهند ، وأفرادها يضطلعون بالكهنوت وشرح الكتب الهندوكية ، ويقومون بأعمال أخرى (كالطهي) خشية أن تدنس إذا قام بها أحد أفراد طبقة أدنى من طبقتهم. (انظر دائرة وجدي ٢ /١٥٤ ، والموسوعة الميسرة ص ٣٥٦) .

(٢) في الهند ديانات وثنية كثيرة جداً ومتباينة في طقوسها ، وقد أطلق الأوروبيون عليها اصطلاح : هندوكية ، ويقابلها في الهندية (دارما) بمعنى قانون ، ولكن ليس للهندوكية قانون ثابت ومكتوب ، ويعتمدون على بعض الكتب القديمة مثل (الفيدا) . والآلهة الهندوكية كثيرة جداً كذلك ، ويقدّسون حيوانات كثيرة أهمها البقر والأفاعي ، والهندوكية أكثر من عقيدة ، فهي مسلك كامل للحياة. (الموسوعة الميسرة ص ١٩٠٦) .

عصيّا خضرة من حور ولوز ومن دلب[1] وكشف من بياضها والخضرة ظاهرة فيها فظهرت العصي المقشرة بُلقا[2] وبيضا (٣٨) ووتّد العصيّ في مساقي الماء لكي إذا جاءت الغنم لتشرب تتوحّم[3] الغنم على العصيّ وفي نظرها إليها تحمل (٣٩) وصار أنّه في حمية التوحّم النعاج تتبصّر بالعصيّ وتُنتِج منقّطة ومنمّرة مختلفة اللون (٤٠) وأعزل يعقوب القطيع ووضع القضبان في المساقي أمام الكباش فكانت البيض والسود كلّها للابان والباقي ليعقوب والقطعان مفترقة بعضها عن بعض (٤١) فكان في كلّ عام ما حمل من الغنم أوّلاً جعل يعقوب القضبان قدّام الغنم في المساقي ليتوحّم الغنم على العصيّ (٤٢) وما حمل منها أخيراً لم يجعلها فصار آخر نتاج الغنم للابان وأوّله ليعقوب (٤٣) فاستغنى الرجل جداً جداً وصارت له مواشي كثيرة وإماء وعبيد وإبل وحمير » .

وهذا عجيب أيضاً ، فإنّ الأولاد بحسب جري العادة غالباً تكون على شبه ألوان أصولهم ، وأمّا كونهم على شبه ما يرونه من العصيّ وغيرها فلا يتوهمه أحد من العقلاء أصلاً ، وإلاّ يلزم أن تكون الأولاد المتولّدة في الربيع خضراً كلهم .

---

(١) الحور (لبنى) واللوز والدلب : أنواع أشجار مشهورة في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ، واللوز منها فقط له ثمرة تؤكل ، ومنه المرّ والحلو. (الموسوعة الميسرة ص ٧٤٤ و ١٥٧٥ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٣٧٤ و ٨١٠ و ٨٢١) .

(٢) البَلَق والبُلْقة : سواد وبياض، وفي الدواب: ارتفاع التحجيل إلى الفخذين. (لسان العرب ٢٥/١٠ ، والمعجم الوسيط ص ٧٠) .

(٣) تتوحم : من الوحام ، والوَحَم : شدة شهوة المرأة الحُبلى لشيء تأكله ، فيقال : وَحِمَت المرأة تَوْحَم وَحَمَا : إذا اشتهت شيئاً على حَبَلها ، ولا يكون الوحام إلا في شهوة الحَبَل خاصة ، وامرأة وَحْمى ، بيّنة الوحام ، ونسوة وِحَام ووَحَامَى ، والوِحام من الدواب : أن تستصْعِب عند الـحَمْل فإذا حَمَلت واستعصت فقد وَحِمَت ، ويقال لكن من أفرطت شهوته في شيء : قد وَحِم يَوْحَم وَحَمَا ، وفي المثل : وَحْمى ولا حَبَل ، أي لا يذكر له شيء إلا اشتهاه كما تشتهي الـحُبْلى وليس به حَبَل . (لسان العرب ٦٣٠/١٢ ، والمعجم الوسيط ص ١٠١٨) .

(٢) في الباب الثالث عشر من سفر الأحبار هكذا : « ٤٦ ـ وإنْ كان في رداء أو في ثوب ضربة البرص[١] من الصوف كان الثوب أو من الكتان (٤٧) في السّدا أو في اللحمة أو في جلدة أو في عمل أديم (٤٨) فإن كانت الضربة بيضاء أو حمراء في الرداء أو في الجلد أم في السدا أو في اللحمة أو في كلّ جلود الأديم فإنّها ضربة برص فليروه (٤٩) فينظر الحبر إلى الضربة ويحجز الحبر عليها سبعة أيام (٥٠) وينظر إليها في اليوم السابع فإن رآها قد مشت في الرداء أو في السدا أو اللحمة أو في أديم أو في كل أدم يصنع الصنعة فإنّها ضربة برص مرّ وهو نجس (٥١) فليحرق الحبر الرداء أو السدا أو لفافة الصوفة أو الكتّان أو كلّ أديم من جلد يكون فيه ضربة من أجل أنّه برص فيحرقوه بالنار (٥٢) وإنْ رأى الحبر أنّ الضربة لم تفش في الثوب أو في السدا أو في اللحمة أو في كلّ أديم من جلود (٥٣) فليأمر الحبر فليغسل ما فيه الضربة ويحجز عليه الحبر سبعة أيام أُخر (٥٤) وينظر الحبر إلى الضربة من بعد ما غسلوها فإن لم تكن تغيّر لونها الضربة والضربة لم تتغيّر فإنّه خبيث فأحرقوه بالنار فإنها ضربة في جدّته أو في بلاه (٥٥) وإنْ رأى الحبر أنّها قد استوت من بعد ما غسلت فليأمر الحبر فليلقط من الرداء أو من الجلد أو من السّدا أو من اللحمة (٥٦) فإن رأى أيضاً في الرداء أو في السدا أو في اللحمة أو في كلّ جلود الأدم جميع ما يستعمل من الجلود فألقوه في النار فإنّ الضربة قد كثرت فيه (٥٧) وكل رداء أو سدا أو لحمة أو أديم يذهب منه إذا غسل فيغسل مرتين فيطهر (٥٨) هذه سنة ضربة البرص في رداء الصوف أو الكتّان أو السدا أو اللحمة أو كلّ جلود الأدم أم يطهّره أو ينجّسه »[٢].

---

(١) في حاشية ق : هي العلامة السوداء في الثوب الأبيض . اهـ . وفي المعجم الوسيط ص ٤٩ : « البرص : بياض يقع في الجسد لعلّة » .

(٢) هذا نص طبعة سنة ١٨٤٤م ، وهو في طبعة سنة ١٨٦٥م من فقرة ٤٧ ـ ٥٩ .

فانظروا إلى هذه الأحكام ؟ فإنّها ثمرات الأوهام ، أيليق إحراق الجلود والثياب بأمثال هذه الوساوس ؟!

(٣) في الباب الرابع عشر من سفر الأحبار هكذا : « ٣٤ ــ إذا دخلتم أرض كنعان التي أعطيكم ميراثاً إن كان ضربة برص في بيت (٣٥) يخبر ربّ البيت الكاهن ويقول له أنْ ظهر في بيتي ضربة كأنّها برص (٣٦) يأمرهم الكاهن فيفرّغوا البيت قبل أن يدخل البيت لينظر إليه لئلّا يتنجّس كلّما في البيت ثم يدخل الكاهن لينظر ضربة البيت (٣٧) فإنْ كان ضربة في حيطان البيت قشوراً صفراء أو حمراء ومنظرها أغمق من الحائط (٣٨) فليخرج الكاهن خارجاً من البيت وليقم في بابه فيحجز على ذلك البيت سبعة أيام (٣٩) ثم يرجع في اليوم السابع فينظر فإنْ رأى الضربة قد فشّت في حيطان البيت (٤٠) فليأمر الكاهن بالحجارة التي فيها الضربة فتنقض وتلقى خارجاً من القرية في موضع نجس (٤١) ويقشّر ذلك البيت من داخل باستداراته ويلقى التراب الذي قُشّر خارجاً من القرية في موضع نجس (٤٢) يدخّل حجارة أخرى في مكان تلك الحجارة ويأخذون تراباً غير ذلك ويطلون به البيت ويطيِّن (٤٣) فإن فشت الضربة وكثرت في البيت من بعد ماقُشّر البيت وطُيّن (٤٤) فليدخل الكاهن وينظر إنْ كانت الضربة قد فشت في البيت فليعلم أنّ في البيت برص مُـرّاً وهو نجس (٤٥) ولساعته يهدمونه ويُلقون حجارته وخشبه وطينه بأسره خارجاً من القرية في موضع نجس (٤٦) ومن دخل ذلك البيت وهو محجوز عليه يكن نجساً إلى الليل (٤٧) ومن رقد فيه أو أكل فيه شيئاً فليغسل كسوته (٤٨) وإن دخل الكاهن ورأى البرص لم يفش في البيت بعدما طُيّن ثانياً فليطهره الكاهن من أجل أنّه قد برىء من ضربته » .

فهذه الأحكام أيضاً من ثمرات الأوهام ، أتُهدم البيوت بمثل هذه الأوهام

التي هي أوهن من نسج العنكبوت ؟! أيعتقد عقلاء أوربا أن يكون الثوب أو الجلد أو البيت أبرص قابلاً للإحراق أو الهدم ؟! .

(٤) في الباب الخامس عشر من سفر الأحبار هكذا : « ١٢ ــ وأي إناء من فخّار مسّه من يقطر زرعه[1] فليكسر وإن كان إناء من خشب أو نحاس فلىغسل بالماء (١٦) وأيما رجل جنب أو خرجت منه جنابة يغسل جسده كلّه بالماء ويكون نجساً إلى الليل (٢٣) ومن مسّ ثوباً جلست عليه وهي طامث يغسل ثيابه ويستحمّ بالماء ويكون نجساً إلى الليل (٢٤) وإن اضطجع معها رجل فأصابه من حيضتها فإنّه يكون جنباً سبعة أيام وكلّ مضجع يضطجع عليه فإنّه يكون نجساً » .

ففي الحكم الأول بالنسبة إلى إناء الفخار إضاعة المال ، وظاهر أنّه لا يسري شيء بمجرد المسّ فيه ، وإنْ تُوهّم سريان شيء فيه ، فَلِمَ لَمْ يكتف فيه بغسله بالماء كما اكتفى في إناء الخشب والنحاس ؟! وفي الحكم الثاني ما معنى كونه نجساً إلى الليل بعدما غسل الجسد كله بالماء ؟! وفي الحكم الثالث أيضاً نظر ؛ لأنّ الظاهر أنّه لا يسري شيء بمجرد مسّ الثوب الذي جلست عليه الحائض في جسد الماسّ ، وإنْ تُوهّم سريان شيء كان غسل العضو الذي به مسّ الثوب كافياً ، وإنْ تُوهّم سريان شيء بمجرد المسّ في سائر جسده فما معنى كونه نجساً إلى الليل بعدما غسل الثياب والجسد كلها ؟! والعجب أنّ الرجل إذا جامع أو احتلم وصار جنباً لا يجب عليه غسل الثياب ! بل يكفي غسل الجسد ، وههنا بمجرد مسّ الثوب يلزم غسل الثياب أيضاً !! والحكم الرابع أعجب من الثلاثة! فإنّ الرجل بمجرد إصابة شيء من الحيض صار حكمه حكم الحائض ، فكما هي تكون نجسة إلى سبعة أيام يكون هو أيضاً نجساً إلى سبعة أيام ! .

---

(١) في حاشية ق : المراد سيلان المني . اهـ .

وفي أحكام الحائض والمستحاضة أيضاً تشدّدات عجيبة مذكورة في هذا الباب . وبالنظر إلى هذه الأحكام : النصارى كلهم أنجس الناس لأنّهم لا يراعونها مطلقاً !! .

(٥) في الباب السادس عشر من سفر الأحبار هكذا : « ٧ ـ ثم يأخذ الجدْيين ويقيمهما أمام الرب حيّين في باب قبّة الزمان (٨) ويقترع عليهما قرعتين قرعة واحدة للرب وقرعة أخرى لعززائيل (٩) ويقرّب هارون الجدي الذي أصابته قرعة الربّ ويصيّره قرباناً بدل الخطيئة (١٠) والجدي الذي وقعت عليه قرعة عززائيل يقوم حيّا أمام الربّ ليستغفر عليه ويسرّحه لعززائيل[1] إلى القفر » .

وهذا الحكم عجيب أيضاً ! مامعنى القربان لعززائيل وتسريحه إلى القفر ؟ ولا ريب أنّه لقربان لغير الله . ورأيت مشركي الهند أنّهم يتركون الثيران على أسماء آلهتهم ، لكنّهم يتركونها في الأسواق لا في القفر حتى تموت جوعاً وعطشاً .

(٦) في الباب الخامس والعشرين من سفر التثنية هكذا : « ٥ ـ إذا سكن إخوة جميعاً فمات أحدهم وليس له ولد فلا تتزوّج امرأة الميّت لرجل غريب ولكن يأخذها أخوه ويقيم زرع أخيه (٦) والولد البكر الذي يكون منها فليسمّه باسم أخيه لئلا يبطل اسمه من إسرائيل (٧) فإن لم يرض أن يأخذ امرأة أخيه التي تحقّ له بالسنّة فتذهب المرأة إلى باب القرية إلى المشيخة وتقول لهم إنّ أخا رجلي هو ليس يريد يقيم اسم أخيه في إسرائيل ولا يريد يأخذني له زوجة (٨) ولوقتهم يجعلوه يحضر ويسألوه فإن أجاب وقال ليس أريد أتزوّجها (٩) فتدنو الامرأة منه قدّام المشيخة وتخلع الخفّ من رجله ولتبصق في وجهه وتقول :

(١) عززائيل (عزازيل) : هو الشيطان أو الجن في البراري والصحاري . (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢٠) .

هكذا يفعل بكلّ رجل لا يعمّر بيت أخيه (١٠) ويدعى اسمه في إسرائيل بيت مخلوع الخفّ » .

وهذا الحكم عجيب أيضاً ؛ لأنّ امرأة الميت قد تكون عوراء أو عمياء أو عرجاء أو شوهاء قبيحة الصورة أو غير عفيفة أو معيبة بعيب آخر ، فكيف يرضى الرجل ؟! وهذه الإقامة لزرع أخيه أيضاً عجيبة ! ، وأعجب منها أنّ علماء البروتستانت تركوا هذا الحكم العظيم الشأن ، وقالوا : « لا يحلّ للرجل أن يتزوج زوجة أخيه » كما هو مصرح به في جدول القرابة والنسب من كتاب الصلاة العامة وغيرها من رسوم الكنيسة وطقوسها[1] على موجب استعمال الكنيسة الإنكليزية والإيرلندية المطبوع سنة ١٨٤٠م في فالته ، مع أنّ بيان المحرمات لا يوجد في الإنجيل ، وما أخذوها إلّا من التوراة .

الأمر الخامس : أنّ المتعسّف[2] إذا كان جلّ همّته الإعتساف يعترض بأمثال اعتراضاتهم على المسيح عليه السلام والحواريين .

في الباب السابع من إنجيل لوقا هكذا : « ٣٣ ـ لأنّه جاء يوحنّا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فتقولون به شيطان (٣٤) جاء ابن الإنسان يأكل

---

(١) الطقوس والرسوم بمعنى واحد ، أمّا كلمة طقوس ومفردها طقس : فهي كلمة دخيلة بمعنى النظام والترتيب ، وتعني عند النصارى نظام الخدمة الدينية ، وتضمّ جميع شعائر الكنيسة واحتفالاتها ، وأمّا كلمة الرسوم ومفردها رسم بمعنى الأثر اللاصق بالأرض ، وسميت رسوماً لشدة لصوقهم بطقوس الكنيسة حتى صارت كالقانون الواجب امتثاله . (لسان العرب ٢٤١/٢ ، والمعجم الوسيط ص ٣٤٥ و ٥٦١) .

(٢) في حاشية ق : أي المتعصب . اهـ . وبهذا التفسير من المؤلف نفهم أنّ ما في المطبوعة والمخطوطة (المتقشف) بالقاف والشين خطأ ، والصواب أنّها بالعين والسين ، فكتبتها (المتعسف) وهي من العَسْف : وأصله السير بغير هداية والأخذ على غير الطريق ، ورجل عسوف إذا لم يقصد الحق ويركب الأمر بلا تدبير ولا رويّة ، ويقال : عَسَفَه يعْسِفُه عَسْفاً وتعسّفه واعتسفه : ظلمه ولم ينصفه . (لسان العرب ٢٤٥/٩) .

ويشرب فتقولون هو ذا إنسان أكول وشرّيب خمر محبّ للعشارين والخطاة (٣٦) وسأله واحد من الفرّيسيّين أن يأكل معه فدخل بيت الفرّيسي واتّكأ (٣٧) وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة إذْ علمت أنّه متّكـيء في بيت الفرّيسي جاءت بقارورة طيب (٣٨) ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبلّ قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبّل قدميه وتدهنهما بالطيب (٣٩) فلـمّا رأى الفرّيسي الذي دعاه ذلك تكلّم في نفسه قائلاً : لو كان هذا نبيّاً لعلم مَن هذه الامرأة التي تلمسه وما هي . إنّها خاطئة (٤٤) ثم التفت إلى المرأة وقال لسمعان أتنظر هذه المرأة . إنّي دخلت بيتك وماء لأجل رجليّ لم تعط . وأمّا هي فقد غسلت رجليّ بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها (٤٥) قُبْلة لم تُقبّلني . وأما هي فمنذ دخلت لم تكفّ عن تقبيل رجليّ (٤٦) بزيت لم تدهن رأسي . وأمّا هي فقد دهنت بالطيب رجليّ (٤٧) من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنّها أحبّت كثيراً . والذي يغفر له قليل يحبّ قليلاً (٤٨) ثم قال لها : مغفورة لك خطاياك (٤٩) فابتدأ المتّكئون معه يقولون في أنفسهم مَن هذا الذي يغفر خطايا أيضاً (٥٠) فقال للمرأة إيمانك قد خلّصك . اذهبي بسلام »[١] .

وفي الباب الحادي عشر من إنجيل يوحنا هكذا : « ١ ــ وكان إنسان مريضاً وهو لِعازَر من بيت عَنْيا من قرية مريم ومَرْثا[٢] أختها (٢) وكانت مريم التي كان لعازر أخوها مريضاً هي التي دهنت الربّ بطيب ومسحت رجليه بشعرها (٥) وكان يسوع يحبّ مرثا وأختها ولعازر » .

---

(١) قصة الامرأة والطيب مذكورة في إنجيل متّى ٢٦/٦ـ١٣ ، وفي إنجيل مرقس ١٤/٣ـ٩ ، وإنجيل يوحنا ١١/١ـ٥ و١٢/٣ـ٨ .

(٢) مرثا : يُظنّ أنّها أكبر الثلاثة وأنّها كانت تدبّر أشغال البيت . (قاموس الكتاب المقدس ص ٨٥١) .

فهذه المحبوبة مريم هي التي كانت دهنت ومسحت رجلي عيسى عليه السلام .

وفي الباب الثالث عشر من إنجيل يوحنا : « ٢١ ـ لـمّا قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال : الحقّ الحقّ أقول لكم إنّ واحداً منكم سيسلّمني (٢٢) فكان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض وهم محتارون في مَن قال عنه (٢٣) وكان متّكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبّه (٢٤) فأومأ إليه سِمعان بطرس أن يسأل مَن عسى أن يكون الذي قال عنه (٢٥) فاتّكأ ذاك على صدر يسوع وقال له : يا سيّد مَن هو » .

ووقع في حق هذا التلميذ في الآية السادسة والعشرين من الباب التاسع عشر ، والآية الثانية من الباب العشرين ، والآية السابعة والآية العشرين من الباب الحادي والعشرين من إنجيل يوحنّا أنّ يسوع كان يحبّه[1].

وفي الباب الثامن من إنجيل لوقا هكذا : « ١ ــ وعلى إثْر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشّر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر (٢) وبعض النساء كنّ قد شُفين من أرواح شرّيرة وأمراض . مريم التي تُدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين (٣) ويُوَنّا امرأة خوزي[2] وكيل هيرودس وسُوسنّة[3] وأخر كثيرات كنّ يخدمنه من أموالهنّ » .

---

(١) ففي إنجيل يوحنا ٢٦/١٩ « والتلميذ الذي كان يحبه » ، وفيه ٢/٢٠ « الذي كان يسوع يحبه » ، وفيه ٧/٢١ و ٢٠ « ٧ ــ التلميذ الذي كان يسوع يحبه . . . (٢٠) التلميذ الذي كان يسوع يحبه » .

(٢) يُونّا : اسم يوناني ، وهي امرأة خوزي وكيل هيردوس أنتيباس حاكم فلسطين من قبل الرومان . (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٠ وص ١١٢٩) .

(٣) سُوسنّة : اسم عبري معناه (زهرة السوسن) ، وقد أطلق هذا الاسم على أحد أسفار الأبوكريفا ، وهو الجزء الذي أضيف إلى سفر دانيال . (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٩٣) .

وظاهر أنّ الخمر أم الخبائث وقبيحة عند الله وسبب للضلال والكفر والهلاك ، ولا يناسب شربها للأتقياء ، وإزالة العقل من خواصّها اللاّزمة سواء كان الشارب نبيّا أو غير نبي ، ولذلك حرّم الله شربها على هارون وأولاده إذا أرادوا الدخول في قبّة الشهادة لأجل الخدمة ، وجعلهما[1] سبب الموت ، وجعل حرمتهما عهداً أبديّاً معهم :

في الباب العاشر من سفر الأحبار هكذا : « ٨ ـ وقال الربّ لهارون (٩) لا تشربوا خمراً ولا شيئاً آخر يسكر لا أنت ولا بنوك إذا أردتما الدخول إلى قُبّة الشهادة لئلاّ تموتوا ويكون هذا عهداً لكم إلى الأبد في أجيالكم » .

ولذلك منع ملَك الرب زوجة مانوح من شرب الخمر وشرب كل مُسْكِر وقت حملها ليكون ولدها من الأتقياء ، ولا يسري خبث المسكرات في هذا الولد التقيّ . وأكّد على زوجها أيضاً في هذا الباب[2]:

في الباب الثالث عشر من سفر القضاة هكذا : « ٤ ـ إيّاكِ من شرب الخمر والـمُسْكِرِ ولا تأكلي شيئاً نجساً (١٣) فقال ملاك الربّ لمنوح : يُحتفظ[3] عن جميع ما قلت لامرأتك (١٤) ولا تأكل شيئاً مما يخرج من الجفنة[4] ولا تشرب خمراً ولا مسْكِراً ولا تأكل شيئاً نجساً وتحتفظ بكل ما أمرتها به وتفعل ما قلت لها » .

ولذلك لما بشّر الملك زكريا بولادة يحيـى عليهما السلام بيّن من أوصاف تقوى يحيـى أنّه لا يشرب خمراً ولا مسكراً آخر :

---

(١) ضمير التثنية يعود إلى الخمر والمسكر الآخر على حسب فقرة سفر الأحبار ٩/١٠ ويأتي نصها بعد قليل .

(٢) أي باب شرب المسكرات سواء الخمر أو غيرها .

(٣) بمعنى يُحذر ويُجتنب .

(٤) في طبعة سنة ١٨٦٥م « من جفنة الخمر » .

الآية الخامسة عشرة من الباب الأول من إنجيل لوقا هكذا : « لأنّه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسْكِراً لا يشرب » .

ولذلك إشعياء عليه السلام ذمّ شارب المسْكِر ، وشهد أنّ الأنبياء والكهنة ضلّوا بسبب شرب الخمر والمسْكِرات :

الآية الثانية والعشرون من الباب الخامس من كتاب إشعياء هكذا : « الويل للأقوياء منكم على شرب الخمر والمقتدرين أن يمزجوا المسْكِرة » .

والآية السابعة من الباب الثامن والعشرين من كتابه هكذا : « وهؤلاء أيضاً لم يفهموا لسبب الخمر وضلّوا في المسْكِر الكاهن والنبيّ لم يعلموا للمسْكِر غرقوا في الخمر تاهوا من المسْكِر لم يعلموا الرؤيا ولم يفهموا القضاء » .

وقد عرفت في أول هذا الفصل أنّ نوحا عليه السلام شرب الخمر وزال عقله ، وصار عرياناً[1] . وأنّ لوطا شرب الخمر ، وزال عقله ، وفعل بابنتيه ما فعل بحيث لم يُسمع مثله من المولعين بشربها[2] .

وفي الباب الثالث عشر من إنجيل يوحنا هكذا : « ٤ ـ قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتّزر بها (٥) ثمّ صبّ ماء في مِغْسَل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها » .

وقال اللوذعي الألمعي الظريف فارس مضمار البلاغة[3] ـ أطال الله بقاءه ـ إلزاماً هكذا : « هذا يوهم أنّ عيسى عليه السلام وقتئذ كان قد سرت فيه الخمرة حتى لم يكن يدري ما يفعل ، فإنّ غسل الأقدام لا يوجب التجرّد عن الثياب » انتهى كلامه بلفظه .

---

(١) إشارة إلى ما في سفر التكوين ٩/٢٠ ـ ٢٥ .

(٢) إشارة إلى ما في سفر التكوين ١٩/٣٠ ـ ٣٨ .

(٣) يقصد المهتدي : أحمد فارس الشدياق .

وقال سليمان الحكيم النبي عليه السلام في ذمّ الشراب في كتابه سفر الأمثال في الباب الثالث والعشرين هكذا : « ٣١ ـ لا تنظر إلى الخمر إذا اصفرّ وإذا شعشع لونه في الزجاج ويدخل لذيذاً (٣٢) وفي نهاية أمره يلدغ كالحيّة ومثل ملك الحيّات يسكب سمومه » .

وكذا اختلاط النساء الشوابّ الأجنبيات مع الرجال الشبّان آفة شديدة لا تُرجى العصمة لاسيما إذا كان الرجل شابّاً عزباً شارب الخمر ، والمرأة فاحشة محبوبة ، وهي تدور معه ، وتخدمه بمالها ونفسها . وقد عرفت حال داود عليه السلام أنّ نظراً واحداً إلى الامرأة الأجنبية بلّغه إلى ما بلغ ، مع أنّه كان كثير الأزواج وجاوز الخمسين[١]. وكذا عرفت حال سليمان عليه السلام أنّ النساء قد أزلن عقله وجعلنه مرتداً وثنياً في شيخوخته بعدما كان نبياً صالحاً في شبابه[٢]، ولما حصل له التجربة الكاملة من حال أبيه وأمه[٣]، ومن حال أخيه وأخته ـ أمنون وثامار[٤] ـ ومن حال أسلافه مثل روبيل[٥] ويهوذا[٦] سيما من حال نفسه شدّد في هذا الباب تشديداً بليغاً في سفر الأمثال :

فقال في الباب الخامس : « ٢ ـ لا تصغ إلى مكر الامرأة (٣) لأنّ شفتي

---

(١) يقصد الإشارة إلى تهمة الزنا بامرأة أوريّا المذكورة في سفر صموئيل الثاني ١١/١ ـ ٢٧ .

(٢) يقصد الإشارة إلى تهمة عبادة الأصنام وبناء المعابد لها المذكورة في سفر الملوك الأول ١١/١ ـ ١١ .

(٣) أم سليمان هي بتشباع ابنة أليعام زوجة أوريّا الحيثي قبل أن يتزوجها داود .

(٤) يقصد الإشارة إلى تهمة زنا أمنون بن داود بأخته ثامار ، وهي مذكورة في سفر صموئيل الثاني ١٣/١ ـ ٢٢ .

(٥) يقصد الإشارة إلى قصة مضاجعة رأوبين بن يعقوب لسريّة أبيه بلها ، كما في سفر التكوين ٣٥ ـ ٢٢ و ٤٩/٤ .

(٦) يقصد الإشارة إلى قصة زنا يهوذا بن يعقوب بكنّته ثامار زوجة ابنه عير ، كما في سفر التكوين ٣٨/٦ ـ ٣٠ .

الامرأة الأجنبيّة[1] تسكبان عسلاً وحنجرتها ألطف من الدهن (٤) ثم عاقبتها مرّة كالعلقم ومرهفة كسيف ذي فمين (٥) رجلاها تنحدران إلى الموت وخطواتها تنفذ إلى الجحيم (٦) لا تسلك أنت سبيل الحياة لأنّ طرقها ضالّة لا تدرك (٧) والآن يا ابني اسمع منّي ولا تبعد عن أقوال فمي اجعل طريقك منها بعيداً ولا تدن إلى أبواب منزلها (٢٠) لماذا تضلك يا ابني الامرأة الغريبة وتحاضنك أجنبيّة » .

ثم قال في الباب السادس : « ٢٤ ـ لتحفظك من امرأة رديّة ومن لطافة لسان غريبة (٢٥) لا يشتهي قلبك جمالها ولا تقتنصك غمزاتها (٢٦) فإنّ قيمة الزانية مقدارها خبزة واحدة وامرأة رجل تصطاد النفس الكريمة (٢٧) أيستطيع رجل يخفي في حجره ناراً وما تحرق ثيابه (٢٨) أم يتمشّا على جمر النار وما تحترق رجلاه (٢٩) هكذا من يدخل إلى امرأة قريبة لا يتبرّأ إذا لمسها » .

ثم قال في الباب السابع : « ٢٤ ـ فالآن يا بنيّ استمعني واصغي إلى أقوال فمي (٢٥) لا تجنحنّ قلبك إلى طرقها ولا تضلنّ في مناهجها (٢٦) فإنّها قد طرحت كثيرين جرحى وهي قتلت كل قوي (٢٧) بيتها هو طرق الجحيم محدّرة إلى مطابق الموت » .

ثم قال في الباب الثالث والعشرين : « ٣٣ ـ عيناك تنظران الأجنبيات وقلبك يتكلّم الملتويات (٣٤) وتكون كنائم في قلب البحر وكمدبر راقد إذْ تلِفت الدفّة » .

وكذا اختلاط الأمارد[2] آفة بل أخوف من اختلاط النساء وأشنع كما شهد به

---

(١) في طبعة سنة ١٨٤٤م كلمة « الزانية » بدل كلمة « الأجنبيّة » وهذا النص ليس هو نص طبعة سنة ١٨٦٥م ولا طبعة سنة ١٨٤٤م .

(٢) الـمَرَدُ : نقاء الخدّيْن من الشعر ، والأمرد : الشابّ الذي بلغ خروج لحيته ولم تظهر. (لسان العرب ٤٠١/٣) .

المجربون . وإذا عرفت هذا أقول :

إنّ عيسى عليه السلام لـمّا كان شارب الخمر حتى كان معاصروه يقولون : إنّه أكول شرّيب خمر . وكان شابّاً عزباً فإذا بلّت مريم قدميه بدموعها ، ولم تكفّ عن تقبيلهما منذ دخلت، وكانت تمسحهما بشعر رأسها، وكانت في هذا الوقت فاحشة مشهورة ، فكيف نسي عيسى عليه السلام حال أسلافه يهوذا وداود وسليمان عليهما السلام ؟ وكيف نسي أقوال سليمان عليه السلام ؟ وكيف لم يعلم أنّ قيمتها مقدار خبزة واحدة ؟ وأنّ مَن لمسها لا يتبرأ كما لا يمكن أن يخفي رجل في حجره ناراً وما تحترق ثيابه ، أو يمشي على جمر النار وما تحترق رجلاه ؟! فكيف أجاز لها بهذه الأمور حتى اعترض عليه الفرّيسي ؟ وكيف يتصور أنّ هذه الأمور لم تكن من مقتضى الشهوات النفسانية ؟ وكيف غفر خطاياها وذنوبها على هذا الفعل ؟ أهذه الأمور هي اللائقة لذات الله العادل المقدّس ؟ . ولذلك قال اللوذعي السابق ذكره : « وقد كانت وقتئذ بغيّاً مباحة ، فهل يليق الآن بأحد مطارنة[1] النصارى إذا كان ضيفاً في بيت أحد معارفه أن يأذن لقحبة[2] فاحشة في أن تغسل رجليه بمحضر ملأ من الناس من غير أن تبدي أمارة التوبة من قبل لا سرّاً ولا جهراً ». انتهى كلامه .

وكان يحب مريم ، ويدور هو وإثنا عشر تلاميذه ، ومعهم نساء كثيرة يخدمنه من أموالهن . فكيف يتصوّر أنّه لم تزلّ أقدامهم مع هذه المخالطة الشديدة كما زلّ قدم روبيل حتى زنى بزوجة أبيه[3]، وقدم يهوذا حتى زنى بكنّته[4]، وقدم

---

(١) مفردها مطران : وهو رئيس ديني عند النصارى دون البطريرك وفوق الأسقف. (المعجم الوسيط ص ٨٧٥) .

(٢) القَحْبَة : البَغِيّ . (المعجم الوسيط ص ٧١٦) .

(٣) انظر سفر التكوين ٣٥/٢٢ .

(٤) انظر سفر التكوين ٣٨/٦ ـ ٣٠ .

داود عليه السلام حتى زنى بامرأة أوريا[1]، وقدم أمنون حتى زنى بأخته[2].
ولذلك قال اللوذعي السابق ذكره : « وأغرب منه ما ذكره لوقا من أنّ عيسى وتلاميذه كانوا يجولون في القرى ومعهم نساء منهن مريم ، هذه التي كان أمرها مشهوراً بالفجور والزناء . وأنت خبير بأنّه لا يتأتى لكل واحد في البلاد الشرقية وخصوصاً في القرى أن يبيت وحده في محل مخصوص ، فلا بد أنّ هؤلاء الأولياء كانوا يبيتون مع تلك الوليّات معاً ». انتهى كلامه بلفظه .

واحتمال مزلّة أقدام الحواريين أقوى لأنّهم ما كانوا كاملين في الإيمان قبل صعود المسيح عليه السلام على ما أقرّ علماؤهم ، فلا يُظنّ في حقهم العصمة من الزناء ، ألا ترى أنّ الأساقفة والشمامسة من فرقة الكاثوليك لا يتزوجون ، ويدّعون أنّ هذا الأمر من العفاف ، ويفعلون ما لا يفعله الفاسق الغني من أهل الدنيا ، كأنّ كنائسهم بيوت الفاحشات الزانيات .

في الصفحة ١٤٤ و ١٤٥ من كتاب الثلاث عشرة رسالة في الرسالة الثانية هكذا : (١) « فالقديس برنردوس يقول[3]: انزعوا من الكنيسة الزواج المكرم ، والمضجع الذي هو بلا دنس فتملؤوها بالزنا في المضاجع مع الذكور والأمهات والأخوات وبكل أنواع الأدناس ».

والفاروس بيلاجيوس أسقف سلفا في بلاد البرتغال[4] سنة ١٣٠٠م يقول :

---

(١) انظر سفر صموئيل الثاني ١١/١ ـ ٢٧ .
(٢) انظر سفر صموئيل الثاني ١٣/١ ـ ٢٢ .
(٣) في حاشية كتاب الثلاث عشرة رسالة هامش : « وعظ عدد ٦٦ في نشيد الأنشاد » .
(٤) البرتغال : دولة أوروبية في شبه جزيرة ايبيريا في أقصى غرب أوروبا ، يحدها المحيط الأطلنطي من الجنوب والغرب ، وتحدها اسبانيا من الشمال والشرق ، وعاصمتها لشبونة ويدين أهلها بالنصرانية على المذهب الكاثوليكي . (الموسوعة العربية الميسرة ص ٣٤٢ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٢/٨٩) .

يا ليت أنّ الإكليروسيين لم يكونوا نذروا العفة ، ولا سيما إكليروس اسبانيا لأنّ أبناء الرعية هناك أكثر عدداً بيسير من أبناء الكهنوت . . .

ويوحنا أسقف سالتزبرج في الجيل الخامس عشر كتب أنّه وجد قسوساً قلائل غير معتادين على نجاسة متكاثرة مع النساء ، وأنّ أديرة الراهبات[1] متدنّسة مثل البيوت المخصوصة للزنا ». انتهى كلامه بلفظه ملخصاً .

وشهادة قدمائهم هذه تكفي في حق عصمة هؤلاء القسوس التي ادّعوها فلا حاجة إلى أن أزيد على هذه ، بل أترك ذكرهم ، وأقول : مثلهم حال فقراء مشركي الهند الذين يدّعون العصمة ، ويفهمون الزواج أنّه أشد المعائب لفقرهم وطريقتهم ، وهم أفجروا الناس وأفسقوهم ، ولا يحصل للأمراء الفساق ما يحصل لهم .

وتذكّرت حكاية أنّ بعض المسافرين لـمّا وصل إلى قرية من قرى الهند رأى جارية كاعبة[2] تجـيء من القرية ، فسألها : يابنت ! أنت من بنات القرية أم من كنّاتها ؟ فأجابت هذه اللاكعة[3]: أيها السائل : إنّي من بنات القرية ، لكنّي أفضل من كنّاتها في قضاء الشهوة ، يحصل لي ما لم يحصل لاحداهن في الرؤيا والمنام ! .

---

(١) أديرة الراهبات : مفردها دير وجمعه أديره وأديار وديورة ، والدير: هو المبنى المخصص لسكنى الراهبات أو الرّهبان الذين يتفرّغون للعبادة وينقطعون عن الدنيا وأشغالها ويعتزلون أهلها ، وتقام الأديرة بشكل حصون ليعيشوا فيها آمنين مستقلّين . (لسان العرب ٤/٣٠٠ ، والمعجم الوسيط ص ٣٠٦ و ٣٧٦ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٨٣٠) .

(٢) كعبت الجارية تكعب كُعوباً وكُعوبة وكعبت فهي كَعاب وكاعب : نهد ثديها ، والجمع كواعب . (لسان العرب ١/٧١٩) .

(٣) رجل لُكَع ولَكِيع ولَكاع ولَكوع وألْكع ولاكِع : لئيم دنيء أحمق . ويقال للمرأة: لكيعة ولكعاء ولاكع ولكاع، وقد يطلق هذا الوصف على كل خبيث الفعل أو قليل الفهم. (لسان العرب ٨/٣٢٢) .

فهؤلاء المجردون ذوو حظ جسيم من المتزوجين . فعند المنكرين كان عيسى عليه السلام مستغنياً عن الزواج مطلقاً ، وكان تلاميذه مستغنين إمّا عن الزواج مطلقاً ، أو عن كثرة الأزواج مثل حضرات الشمامسة والقسوس من فرقة الكاثوليك ، ومثل فقراء مشركي الهند ، وكذا محبة عيسى عليه السلام لتلميذه[1] محل تهمة عند الذين ابتلوا بهذا الفحش القبيح ، ولذلك قال الألمعي السابق ذكره على قول الإنجيلي الرابع - أعني « فاتّكأ ذاك على صدر يسوع »[2] - هكذا : « كالمرأة التي تحاول شيئاً من عاشقها فتغْنَج له ». انتهى كلامه بلفظه .

واعلم أنّ ما كتبتُ في هذا الأمر الخامس كتبته إلزاماً ، وإلاّ فإني أتبرأ من أمثال هذه التقريرات ، ولا أعتقد أمراً منها في حق عيسى عليه السلام ، ولا في حق حوارييه الأمجاد كما صرّحتُ في مقدمة الكتاب ومواضع متعددة .

الأمر السادس : في الجلالين[3] في سورة التحريم هكذا : « ومن الأيمان تحريم الأَمَة ». انتهى . فقول النبي ﷺ : « حرّمت مارية على نفسي » يمين بهذا المعنى .

الأمر السابع : إذا قال النبي : لا أفعل هذا الأمر ، ثم فعل لأجل أنّه كان جائزاً من الأصل، أو جاء إليه حكم الله - لا يُقال: إنّه أذنب، بل في الصورة الثانية : لو لم يفعل يكون عاصياً ألبتّة . وعندهم يوجد مثله في حق الله في كتب العهد العتيق فضلاً عن الأنبياء كما عرفت بما لا مزيد عليه في أمثلة

---

(١) في حاشية ق : يوحنا الإنجيلي . اهـ .

(٢) وهو في إنجيل يوحنا ١٣/٢٥ .

(٣) في تفسير آية ٢ من سورة التحريم ص ٧٥١ ، والمراد بالجلالين : أي تفسير الجلالين (المحلّي والسيوطي) .

القسم الثاني من الباب الثالث ، وفي جواب الشبهة الخامسة من الفصل الرابع من الباب الخامس .

ويوجد في العهد الجديد في حق عيسى عليه السلام في الباب الخامس عشر من إنجيل متّى أنّ امرأة كنعانية استغاثت لأجل شفاء بنتها ، فأبى عيسى عليه السلام ، فأجابت جواباً حسناً استحسنه عيسى عليه السلام ، ودعا لابنتها فشفيت(١) .

وفي الباب الثاني من إنجيل يوحنّا أنّ أم عيسى عليه السلام استدعت منه في عرس قانا الجليل أن يحوّل الماء خمراً . وقال: مالي ولك يا امرأة لم تأتِ ساعتي ، ثم حوّله(٢) .

الأمر الثامن : لا بأس بأن يخصَّص أولياء الله بخصائص ، ألا ترى أنّ هارون وأولاده كانوا مخصَّصين بأمور كثيرة من خدمة قبة الشهادة وما يتعلق بها ، وما كانت هذه الأمور جائزة لبني لاوي الآخرين فضلاً عن غيرهم من بني إسرائيل .

وإذا عرفت الأمور الثمانية ظهر لك جواب مطعنهم بوجوهه الخمسة . لكنّي أتعجب كل العجب من هؤلاء المعاندين أنّهم لو رأوا في شريعة الغير أمراً لا يكون حسناً في آرائهم يقولون : إنّ هذا الأمر لا يجوز أن يكون من جانب الله المقدس الحكيم العادل ، أو يقولون : إنّ هذا ليس بلائق بمنصب النبوة ، ولو وجد أمر أشنع منه في شرائعهم يكون من جانب الله أو لائقاً بمنصب النبوة . فأمْرُ الله لحزقيال عليه السلام أن يحمل إثم آل إسرائيل وآل يهوذا على

---

(١) قصتها في إنجيل متّى ١٥/٢١ ـ ٢٨ .
(٢) هذه القصة في إنجيل يوحنا ٢/١ ـ ١١ .

نفسه ، وأن يأكل إلى ثلاثمائة وتسعين يوماً خبزاً ملطخاً ببراز الإنسان [١]، وكذا أمر الله لإشعياء عليه السلام أن يمشي مكشوف العورة الغليظة وعرياناً بين النساء والرجال إلى ثلاث سنين مع كونه في قيد العقل[٢]، وكذا أمره لهوشع أن يأخذ لنفسه زوجة زانية وأولاد الزنا ، وأن يتعشّق امرأة فاسقة محبوبة لزوجها[٣] - تكون كلها عندهم أموراً من جانب الله الحكيم المقدس ولائقة بمناصب هؤلاء الأنبياء المقدّسين ، وإجازة نكاح زينب بعد طلاق زوجها وانقضاء عدتها لا يمكن أن يكون من جانب الله ، ولا يكون لائقاً بمنصب نبوة محمد ﷺ ! .

وكذا لا يسقط عن درجة النبوّة يعقوب عليه السلام الذي هو ابن الله البكر بنصّ التوراة[٤] بسبب أن تعشّق راحيل ، وخدم أباها أربع عشرة سنة ، وأخذ أربع زوجات ، وجمع بين الأختين[٥]. وكذا لا يسقط عنها داود ابن الله البكر الآخر بنصّ الزبور[٦] بسبب أن أخذ نساء كثيرة وجواري كثيرة قبل أن يزني بامرأة أوريا ، بل تكون هذه النساء كلها بهبة الله ورضائه ، ويكون داود عليه السلام قابلاً لأن يقول الله في حقه : « فإذا كانت عندك قليلة كان ينبغي لك أن تقول فأزيد مثلهن ومثلهن »[٧]. ولا يصدر العتاب عليه على تكثير النساء ، بل على أنّه زنى بامرأة الغير وقتل ذلك الغير بالحيلة وأخذ تلك الامرأة[٨]. وكذا لا يسقط عنها سليمان عليه السلام الذي هو ابن الله بشهادة كتبهم المقدسة[٩]

---

(١) إشارة لما في سفر حزقيال ٤/٤ - ١٢ .
(٢) إشارة لما في سفر إشعياء ٢٠/٢ - ٤ .
(٣) إشارة لما في سفر هوشع ١/٢ - ٣ و١/٣ .
(٤) إشارة لما في سفر الخروج ٤/٢٢ .
(٥) إشارة لما في سفر التكوين ٢٩/١٥ - ٣٠ .
(٦) إشارة لما في مزمور ٨٨/٢٧ .
(٧) إشارة لما في سفر صموئيل الثاني ١٢/٨ .
(٨) إشارة لما في سفر صموئيل الثاني ١١/١ - ٢٧ .
(٩) إشارة لما في سفر صموئيل الثاني ٧/١٤ .

بسبب أن أخذ ألف امرأة من الزوجات والجواري وارتدّ في آخر عمره وعبد الأصنام[1]، بل يبقى مسلّم النبوة، وتكون كتبه الثلاثة ـ أعني: الأمثال والجامعة ونشيد الإنشاد ـ كتباً إلهية . وكذا لا يسقط لوط عنها بسبب الزنا بابنتيْه[2]. وكذا لا يسقط عنها ابن الله الوحيد[3] وحواريوه الأمجاد بسبب حبّ الفاحشة وبعض التلاميذ والـجَوَلان مع النساء في قرى البلاد الشرقية ، بل لا يُتّهمون أيضاً بشيء مع هذه المخالطة الشديدة وكونهم شاربي الخمر وشبّاناً[4]، ويسقط محمد ﷺ عن درجة النبوة بكثرة الأزواج ونكاح زينب ، وتحليل جاريته بعد تحريمها !! .

لعلّ منشأ هذه الأمور أنّ الله لـمّا كان واحداً حقيقياً لا تكثّر في ذاته بوجه من الوجوه عند أهل الإسلام فذاته المقدسة لا تسع أمراً غير مناسب ، وعندهم لـمّا كانت ذاته مشتملة على الأقانيم الثلاثة المتصف كل منهم بصفات الألوهية كلها الممتاز كلّ منهم عن الآخر امتيازاً حقيقياً تسع أمراً غير مناسب ؛ لأنّ الإمتياز الحقيقي لا يمكن أن يفارق التعدّد ، بل يستلزمه ألبتة ـ وإنْ لم يقروا بحسب الظاهر به كما عرفت في الباب الرابع ـ والثلاثة أكثر من الواحد ، فلعلّ إلههم في زعمهم أقوى من إله المسلمين . وكذلك لـمّا لم تكن العصمة من ذنب من الذنوب ـ حتى الشرك وعبادة العجل والأصنام والزنا والسرقة والكذب حتى في تبليغ الوحي وغيرها من المعاصي ـ شرطاً للنبوة عندهم كانت ساحة النبوة عندهم أوسع من ساحتها عند المسلمين .

---

(١) إشارة لما في سفر الملوك الأول ١١/١ ـ ١١ .

(٢) إشارة لما في سفر التكوين ١٩/٣٠ ـ ٣٨ .

(٣) المقصود بابن الله الوحيد: عيسى عليه السلام (بزعمهم)، وهو إشارة لما في إنجيل يوحنا ٣/١٦ ـ ١٨ ، ورسالة يوحنا الأولى ٤/٩ .

(٤) المفاسد المذكورة على سبيل الإلزام ، وهي إشارة لما في إنجيل متّى ١١/١٨ ـ ١٩ وإنجيل لوقا ٧/٣٣ ـ ٥٠ و٨/١ ـ ٣ ، وإنجيل يوحنا ١١/١ ـ ٥ و١٣/٢١ ـ ٢٥ .

أو لعلّ منشأها أنّ يعقوب وداود وسليمان وعيسى لما كانوا أبناء الله[1] فلهم أن يفعلوا في مملكة أبيهم ما يشاؤون ، بخلاف محمد ﷺ فإنّه لما كان عبدالله بن عبدالله لا يجوز له أن يفعل في مملكة مالكه وسيّده ما يشاء !! نعوذ بالله من التعصب الباطل والإعتساف ومن المكابرة وعدم الإنصاف .

المطعن الرابع : (أنّ محمداً [ﷺ] كان مذنباً ، وكل مذنب لا يصح أن يكون شافعاً للمذنبين الآخرين .

أمّا الصغرى: فلِما وقع في سورة المؤمن ﴿ **فاصبر إنّ وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار** ﴾[2]، وفي سورة محمد ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلاّ الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾[3]، وفي سورة الفتح ﴿ **إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ● ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾[4]، وفي الحديث : « فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر ، لا إله إلا أنت »[5]، ونحوه مما وقع في الأحاديث الأخرى) .

---

(١) إشارة لما ورد في حق يعقوب في سفر الخروج ٤/٢٢ ، وفي حق سليمان في سفر صموئيل الثاني ٧/١٤ ، وفي حق عيسى في إنجيل يوحنا ٣/١٦ ـ ١٨ وفي رسالة يوحنا الأولى ٤/٩ .

(٢) سورة غافر آية ٥٥ .

(٣) سورة محمد آية ١٩ .

(٤) سورة الفتح آية ١ ـ ٢ .

(٥) انظر فتح الباري ٣/٣ باب ١ من كتاب التهجد حديث ١١٢٠ ، و ١١/١١٦ و ١٩٦ باب ١٠ و ٦٠ من كتاب الدعوات أحاديث رقم ٦٣١٧ و ٦٣٩٨ و ٦٣٩٩ ، و ١٣/٣٧١ و ٤٦٥ باب ٨ و ٣٥ من كتاب التوحيد حديث رقم ٧٣٨٥ و ٧٤٩٩ ، ورواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ١٧/٤٠ في باب الأدعية ، وفي كتاب صلاة المسافرين ٦/٥٤ ـ ٦٠ في باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل ، ورواه أحمد في مسنده ١/٩٥ و ١٠٢ و ٢٩٨ و ٣٠٨ و ٣٥٨ و ٢/٢٩١ و ٥١٤ و ٤/٣٩١ و ٦/١٤٧ ، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي ومالك في الموطأ .

والجواب : أنّ الصغرى والكبرى كلتاهما غير صحيحتين، فالنتيجة كاذبة يقيناً ، **وأنا أمهّد لتوضيح بطلانهما أموراً خمسة** :

الأمر الأول : أنّ الله رب وخالق ، والخلق كله مربوب ومخلوق ، فكلّ ما صدر عن حضرة الرب الخالق في حق العبد المربوب المخلوق من الخطاب والعتاب والاستعلاء - فهو في محلّه ومقتضى المالكية والخالقية ، وكذا كل ما يصدر عن العباد من الأدعية والتضرعات إليه فهو في موقعه أيضاً ومقتضى المخلوقية والعبودية ، والأنبياء عباد الله المخلصون ، فهم أحقّ من غيرهم . والحمل على المعنى الحقيقي في كل موضع من أمثال هذه المواضع في كلام الله وفي أدعية الأنبياء وتضرّعاتهم خطأ وضلال ، وشواهده كثيرة في كتب العهدين سيما الزبور . وأنا أنقل على سبيل الأنموذج بعضاً منها :

(١) في الباب العاشر من إنجيل مرقس والثامن عشر من إنجيل لوقا هكذا : « ١٧ ــ وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله : أيها المعلّم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية (١٨) فقال له يسوع : لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » . انتهى بعبارة مرقس[1] .

فأقرّ عيسى عليه السلام بأنّي لست صالحاً ، ولا صالح إلاّ الله وحده .

(٢) في الزبور الثاني والعشرين هكذا : « ١ ــ إلهي إلهي انظر لماذا تركتني تباعد عني خلاصي بكلام جهلي (٢) إلهي بالنهار أدعوك فلم تستجب لي وبالليل فلم تحفل بي » .

ولما كانت آيات هذا الزبور راجعة إلى عيسى عليه السلام على زعم أهل التثليث فكان القائل بها عندهم هو عيسى عليه السلام .

---

(١) وانظر إنجيل متّى ١٩/١٦ - ١٧ ، وإنجيل لوقا ١٨/١٨ - ١٩ .

(٣) الآية السادسة والأربعون من الباب السابع والعشرين من إنجيل متّى هكذا : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : إيلي إيلي لَـمَا شَبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني »[١].

(٤) في الباب الأول من إنجيل مرقس هكذا : « ٤ ــ كان يوحنّا يعمّد في البرّيّة ويكرز بمعموديّة التوبة لمغفرة الخطايا (٥) وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم (٩) وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن »[٢].

وكانت هذه المعمودية معمودية التوبة بمغفرة الخطايا كما صرّح مرقس في الآية الرابعة والخامسة .

---

(١) انظر إنجيل مرقس ١٥/٣٤ ، وإنجيل لوقا ٢٣/٤٦ .

(٢) ومثله في إنجيل متّى ٣/١ ـ ١٣ ، وإنجيل لوقا ٣/٣ ـ ٢١ .

والأُرْدُن: بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال (ويجوز في النون التشديد والتخفيف) هي إحدى الدول الواقعة في جنوب غربي آسيا ، يحدّها من الجنوب السعودية ، ومن الشرق السعودية والعراق ، ومن الغرب فلسطين ، ومن الشمال سورية ، عاصمتها عمّان ، (ربّة عمّون) ، دخلت الأردن في الإسلام زمن أبي بكر ، فاتحها هو شرحبيل بن حسنة سنة ١٣هـ ، ونهر الأردن يتكون من عدة فروع آتية من سورية ولبنان تتحد شمال بحيرة طبرية بحوالي ٣١ كم مكوّنة نهر الأردن الذي يصب في بحر الجليل (بحيرة طبرية) من الطرف الشمالي ، ويخرج من الطرف الجنوبي للبحيرة سائراً في واد الغور جهة الجنوب حتى يصبّ في البحر الميت من جهة الشمال ، وهذا الجزء هو أهمّ أقسام نهر الأردن حيث يسقي أراضي الغور الشمالي والأوسط وبعد خروجه من بحيرة طبرية على بعد ٧ كم يلتقي بنهر اليرموك ، ويبلغ طول نهر الأردن من نقطة خروجه من الطرف الجنوبي لبحيرة طبرية إلى مصبّه في الطرف الشمالي للبحر الميت حوالي ١٠٥ كم ، ولكن المجرى الحقيقي للنهر متعرّج فيقطع هذه المسافة بما يزيد عن ٣٠٠ كم ، ونهر الأردن هو النهر الوحيد في العالم الذي يجري في انخفاض عن سطح البحر في الجزء الأكبر من مجراه ، فبحيرة طبرية تنخفض عن سطح البحر ٦٨٥ قدماً ، والبحر الميت ينخفض عن سطح البحر ١٢٧٥ قدماً . في هذا النهر كان يحيى عليه السلام يعمّد الناس ، وقد ذهب إليه عيسى فعمّده فيه . (معجم البلدان ١/١٤٧ ـ ١٤٨ ، والقاموس الإسلامي ١/٦٥ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٥ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٤٦ ، ودائرة وجدي ١/١٦٢) .

والآية الثالثة من الباب الثالث من إنجيل لوقا هكذا : « فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا » .

وفي الآية الحادية عشرة من الباب الثالث من إنجيل متّى هكذا : « وأنا أعمّدكم بماء للتوبة »[1] الخ .

والآية الرابعة والعشرون من الباب الثالث عشر من كتاب الأعمال هكذا : « إذْ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعموديّة التوبة لجميع شعب إسرائيل » .

والآية الرابعة من الباب التاسع عشر من كتاب الأعمال هكذا : « فقال بولس أنّ يوحنا عمّد بمعمودية التوبة » الخ .

فهذه الآيات كلها تدل على أنّ هذه المعمودية كانت معمودية التوبة لمغفرة الخطايا . فمتى سُلّم اعتماد عيسى من يحيى عليهما السلام لزم تسليم اعترافه بالخطايا والتوبة منها أيضاً ؛ لأنّ حقيقة هذا الاعتماد ليست غير ذلك .

وفي الباب السادس من إنجيل متّى في الصلاة التي علّمها عيسى عليه السلام تلاميذه هكذا : « واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجّنا من الشرّير »[2].

والظاهر أنّ عيسى عليه السلام كان يصلي تلك الصلاة التي علّمها تلاميذه ، ولم يثبت من موضع من مواضع الإنجيل أنّه ما كان يصلي هذه الصلاة . وستعرف في الأمر الثاني أنّه كان كثير الصلاة ، فلزم أن يكون دعاؤه باغفر لنا ذنوبنا مرات كثيرة بلغت الآلاف ، والعصمة من الذنوب وإن لم تكن من شروط النبوة عند أهل التثليث لكنهم يدّعونها في حق عيسى عليه السلام باعتبار

---

(١) ومثله في إنجيل مرقس ١/٨ ، وإنجيل لوقا ٣/١٦ ، وإنجيل يوحنا ١/٢٦ .
(٢) إنجيل متّى ٦/١٢ ـ ١٣ .

الناسوت أيضاً ، وكان عيسى عليه السلام بهذا الإعتبار أيضاً عندهم صالحاً ومقبولاً لله لا متروكاً ، فهذه الجمل :

١ ــ لماذا تدعوني صالحاً . . . الخ .

٢ ــ إلهي إلهي لماذا تركتني .

٣ ــ تباعد عني خلاصي بكلام جهلي .

٤ ــ بالنهار أدعوك فلم تستجب لي .

٥ ــ ألفاظ التوبة والإعتراف بالخطايا عند الإعتماد .

٦ ــ اغفر لنا ذنوبنا .

لا تكون[1] محمولة على المعاني الحقيقية الظاهرية عند أهل التثليث ، وإلاّ يلزم أنّه لم يكن صالحاً ، وكان متروكاً لله بعيداً عن الخلاص بسبب كلام الجهل ، غير مستجاب الدعاء ، خاطئاً مذنباً ، فلا بدّ أن يُقال : إنّ هذه التضرّعات بمقتضى المخلوقية والمربوبية باعتبار الناسوت .

وفي الزبور الثالث والخمسين هكذا : « ٢ ــ الربّ من السماء اطّلع على بني البشر لينظر هل مَن يفهم أو يطلب الله (٣) كلّهم قد زاغوا جميعاً والتطخوا وليس من يعمل صلاحاً حتى ولا واحد » .

وفي الباب التاسع والخمسين من كتاب إشعياء هكذا : « ٩ ــ فلذلك تباعد الحكم عنّا ولا يدركنا العدل انتظرنا النور فها الظلام . الشعاع فها سرنا في الظلمة (١٢) من أجل أنّ آثامنا تكاثرت قدّامك وخطايانا أجابتنا[2] لأنّ فجورنا معنا وآثامنا عرفناها (١٣) أن نخطي ونكذب على الربّ واندبرنا إلى

---

(١) أي الجمل الست السابقة وأمثالها .

(٢) بمعنى (تشهد علينا) كما في طبعة سنة ١٨٦٥م .

خلف حتى أن لا نسلك وراء إلاهنا لنتكلّم بالظلم والتعدّي حبلنا وتكلّمنا من القلب بكلام كاذب » .

وفي الباب الرابع والستين من كتاب إشعياء هكذا : « ٦ ـ وصرنا جميعنا كالنجس وكخرقة الحائض كل بِرّاتنا[١] وسقطنا مثل الورق نحن جميعاً وآثامنا كالريح ذرّونا (٧) ليس مَن يدعو باسمك ومن يقوم ويمسك أخفيت وجهك عنّا واطرحتنا بيد إثمنا » .

ولا شك أنّ كثيراً من الصلحاء كانوا موجودين في زمان داود عليه السلام مثل ناثان النبي وغيره ، ولو فرضنا أنّهم لم يكونوا معصومين على زعم أهل التثليث فلا ريب في أنّهم لم يكونوا مصداق الآية الثالثة[٢] من الزبور المذكور أيضاً . ووقعت في عبارتي إشعياء عليه السلام صيغ التكلم مع الغير ، وإشعياء وغيره من أنبياء عهده وصلحاء زمانه ، وإن لم يكونوا معصومين ، لكنّهم لم يكونوا مصاديق الأوصاف المصرحة في العبارتين[٣] قطعاً أيضاً . فلا تكون عبارة الزبور وهاتان العبارتان محمولات على معانيها الحقيقية الظاهرية ، بل لا بد فيها من الرجوع إلى أنّ تلك التضرعات بمقتضى العبودية . وكذا وقع في الباب التاسع من كتاب دانيال[٤] والباب الثالث والخامس من مراثي إرميا[٥] والباب الرابع من الرسالة الأولى لبطرس[٦] .

الأمر الثاني : أنّ أفعال الأنبياء كثيراً ما تكون لتعليم الأمة لتستنّ بهم ،

---

(١) بمعنى (أعمال برّنا) كما في طبعة سنة ١٨٦٥م .
(٢) في ط ، خ « الرابعة » والصواب أنها الثالثة ، ويقصد ما في سفر المزامير ٣/٥٣ .
(٣) يقصد النصين المنقولين من سفريْ إشعياء ٥٩ و ٦٤ .
(٤) انظر سفر دانيال ٩/٣ ـ ١٩ .
(٥) انظر مراثي إرميا ٣/١ ـ ٤٧ و ٥/١ ـ ٢٢ .
(٦) انظر رسالة بطرس الأولى ٤/١ ـ ٤ .

ولا يكونون محتاجين إلى هذه الأفعال لأجل أنفسهم .

في الباب الرابع من إنجيل متّى أنّ عيسى عليه السلام صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة[1].

والآية الخامسة والثلاثون من الباب الأول من إنجيل مرقس هكذا : « وفي الصبح باكراً جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلّي هناك » .

والآية السادسة عشرة من الباب الخامس من إنجيل لوقا هكذا : « وأمّا هو فكان يعتزل في البراري ويصلّي » .

والآية الثانية عشرة من الباب السادس من إنجيل لوقا هكذا[2]: « وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي وقضى الليل كله في الصلاة لله » .

ولما كان اتحاد المسيح بذات الله على زعم أهل التثليث فلا حاجة له إلى هذه التكاليف الشديدة ، فلا بد أن تكون هذه الأفعال لأجل التعليم .

الأمر الثالث : أنّ الألفاظ المستعملة في الكتب الشرعية مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والنكاح والطلاق وغيرها يجب أن تحمل على معانيها الشرعية ما لم يمنع عنها مانع ، ولفظ الذنب في هذا الإصطلاح الشرعي إذا استعمل في حق الأنبياء يكون بمعنى الزلّة ، وهي عبارة عن أن يقصد معصوم عبادة أو أمراً مباحاً ويقع بلا قصد وشعور في ذنب لمجاورة هذه العبادة أو الأمر المباح بهذا الذنب ، كما أنّ السالك يكون قصده قطع الطريق لكنه قد يزلّ قدمه أو يعثر بسبب طين أو حجر واقع في ذلك الطريق ، [وإنّما يؤاخذ النبيّ على الزلّة لأنّها لا تخلو عن نوع تقصير يمكن للمكلّف الإحتراز عنه عند التثبّت][3]، أو يكون

---

(١) ففي إنجيل متّى ٤/٢ « فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً » .
(٢) من قوله « وأما هو . . . » إلى هذا الموضع ساقط من المقروءة والمطبوعة وأخذته من خ .
(٣) مابين القوسين المعقوفتين ساقط من المطبوعة والمقروءة وأخذته من المخطوطة .

بمعنى ترك الأولى .

الأمر الرابع : أنّ وقوع المجاز في كلام الله وكلام أنبيائه كثير كما عرفت بما لا مزيد عليه في مقدّمة الباب الرابع . وقد عرفت أيضاً في جواب الشبهة الرابعة من الفصل الرابع من الباب الخامس أنّ حذف المضاف كثير في كتبهم المقدسة .

الأمر الخامس : أنّ الدعاء قد يكون المقصود به محض التعبّد كما في قوله تعالى : ﴿ **ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك** ﴾[1] فإنّ إيتاء ذلك الشيء واجب ، ومع ذلك أمرنا بطلبه ، وكقوله تعالى : ﴿ **رب احكم بالحق** ﴾[2] مع أنّا نعلم أنّه لا يحكم إلّا بالحق .

وإذا عرفت الأمور الخمسة أقول :

(١) إنّ الاستغفار طلب الغفران ، والغفران الستر على القبيح ، وهذا الستر يتصوّر على وجهين :

الأول : بالعصمة منه ؛ لأنّ مَن عُصم فقد سُتِر عليه قبائحُ الهوى .

والثاني : بالستر بعد الوجود .

فالغفران في الآيتين الأوليين[3] بالوجه الأول في حق النبي ﷺ ، وفي الثانية[4] بالوجه الثاني في حق المؤمنين والمؤمنات .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٤ .

(٢) سورة الأنبياء آية ١١٢ .

(٣) أي اللفظ المشترك في آية ٥٥ من سورة غافر وآية ١٩ من سورة محمد ، وفيهما ﴿ **واستغفر لذنبك** ﴾ .

(٤) أي آية ١٩ من سورة محمد وفيها أمر بالاستغفار ﴿ **وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾ .

قال الإمام الهمام الفخر الرازي ـ قدس سره ـ في ذيل تفسير الآية الثانية هكذا : « وفي هذه الآية لطيفة ، وهي أنّ النبي ﷺ له أحوال ثلاثة : حال مع الله ، وحال مع نفسه ، وحال مع غيره ، فأمّا مع الله فوحِّدْه ، وأمّا مع نفسك فاستغفر لذنبك واطلب العصمة من الله ، وأمّا مع المؤمنين فاستغفر لهم واطلب الغفران لهم من الله »[1]. انتهى كلامه بلفظه .

(٢) أو أنّ المقصود من الأمر بالإستغفار في الآيتين محض التعبد كما في قوله تعالى : ﴿ **ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك** ﴾[2]، وكقوله تعالى : ﴿ **رب احكم بالحق** ﴾[3] كما عرفت في الأمر الخامس .

(٣) أو أنّ المقصود من هذا الأمر أن يكون الإستغفار مسنوناً في أمّته ، فاستغفاره ﷺ كان لتعليم الأمّة .

في الجلالين ذيل تفسير الآية الثانية[4] هكذا : « قيل له ذلك مع عصمته لتستن به أمته » . انتهى .

(٤) أو أنّ المضاف في الآيتين محذوف ، والتقدير في الآية الأولى : ﴿ **فاصبر إنّ وعد الله حق واستغفر** ﴾ لذنب أمتك (الآية) ، وفي الآية الثانية : ﴿ **فاعلم أنّه لا إله إلّا الله واستغفر** ﴾ لذنب أهل بيتك ولذنب المؤمنين والمؤمنات الذين ليسوا من أهل بيتك . فلا بُعْدَ في ذكر المؤمنين والمؤمنات ، وقد عرفت في الأمر الرابع أنّ حذف المضاف كثير شائع في كتبهم .

(٥) أو أنّ المراد بالذنب في الآيتين الزلة أو ترك الأفضل .

---

(١) انظر تفسير الرازي ٢٨/٦١ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٩٤ .
(٣) سورة الأنبياء آية ١١٢ .
(٤) آية ١٩ من سورة محمد ، وهي في ص ٦٧٥ .

وسمعت من بعض الأحبّاء أنّ بعض مَن بلغ سنّ الخرافة من علماء البروتستانت اعترض على هذا التوجيه في بعض تأليفه الجديد[1]، وقال : « لو فرضنا أنّه ما ظهر من محمد ﷺ ذنب من الذنوب غير ترك الأولى فترك الأولى أيضاً ذنب على ما يحكم به كلام الله ـ أعني : التوراة والإنجيل ـ فيكون محمد [ﷺ] مذنباً . قال يعقوب في الآية السابعة عشرة من الباب الرابع من رسالته هكذا : « فمن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له » . انتهى .

أقول : منشؤه خرافة السنّ ؛ لأنّه لا شكّ أنّ ترك شرب الخمر حسن حتى مدح الله يحيـى عليه السلام على هذا ، وقال الأنبياء في حقّها ما قالوا . وكذا لا شكّ أنّ عدم الإذن لفاحشة مباحة بغيّ في غسل الرجلين ومسحهما بشعر رأسها بمحضر ملأ من الناس حسن . وكذا ترك المخالطة الشديدة بالنساء الأجنبيات الشواب والجولان معهنّ في القرى الشرقية حسن، سيما إذا كان الرجل المخالط شابّاً عزباً ، وما فعل هذه الأمور الحسنة عيسى عليه السلام حتى انّ المخالفين طعنوا عليه كما عرفت في جواب المطعن الثالث[2]، فيلزم على رأيه أن يكون إلهه أيضاً مذنباً ! على أنّ هذا المعترض زاد لفظ التوراة لأجل تغليط العوام ، ولا يوجد هذا الحكم في التوراة ، وهو ما أورد سنداً لهذا إلّا من رسالة يعقوب التي ليست إلهامية على تحقيق العلماء الأعلام من فرقة البروتستانت سيما على تحقيق إمامه ومقتداه لوثر ؛ لما عرفت في الفصل الرابع من الباب الأول ، فكلام يعقوب على تحقيق هؤلاء العلماء ليس بحجة ،

---

(١) في حاشية ق : هو فندر في ترجمة ميزان الحق بالتركي . اهـ . وسمّاه الجديد : لأنّ فندر قد أصلح كتابه ميزان الحق للمرة الثالثة وطبعه بالتركية .

(٢) مرّ ذكر ذلك في الأمر الخامس ، والأفعال المذكورة مدوّنة في إنجيل لوقا ٧/٣٣ ـ ٥٠ و٨/١ ـ ٣ ، وإنجيل يوحنا ١١/١ ـ ٥ و١٣/٢١ ـ ٢٥ .

فاعتراضه واهٍ بلا شبهة .

وأمّا الآية الثالثة[1] فالمضاف محذوف ، أو المراد بالذنب ترك الأفضل ، أو المراد بالغفران العصمة .

وقال الإمام السبكي وابن عطية : إنّ المقصود من هذه الآية ليس إثبات صدور ذنب وغفرانه ، بل المقصود منها تعظيم رسول الله ﷺ وإكرامه فقط ، لأنّ الله أظهر تعظيمه وإحسانه في أول هذه السورة ، فبشر أوّلاً بالفتح المبين ، ثم جعل غاية هذا الفتح الغفران وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم وإعطاء النصر العزيز، فلو فُرِض صدور ذنب مّا يكون مُخِلّاً لبلاغة الكلام فمقتضاها التكريم والتعظيم ، كما أنّ السيد إذا رضي عن خادمه يقول تارة لإكرامه وإظهار رضاه : عفوت عنك خطيئاتك المتقدّمة والمتأخّرة ، ولا أُؤاخذك عليها ، وإن لم يصدر عن هذا الخادم خطيئات .

وأمّا الدعاء المذكور في الحديث[2] فتوجيهه :

(١) أنّ رسول الله ﷺ لـمّا كان أرفع الخلق عند الله درجة وأتمهم به معرفة ، وكان حاله عند خلوص قلبه عن ملاحظة غير ربه وإقباله بكليّته عليه أرفع حاليْه بالنسبة إلى غير ذلك كان يرى شغله بما سواه - وإن كان ضرورياً - نقصاً وانحطاطاً من رفيع كماله ، فكان يستغفر الله من ذلك طلباً للمقام الأعلى ، فكان هذا الشغل الضروري أيضاً عنده بمنزلة الذنب الذي لا بدّ أن يستغفر عنه بالنسبة إلى أعلى حاله .

(٢) أو كان صدور مثل هذا الدعاء بمقتضى العبودية، كما أنّ عيسى عليه

---

(١) أي آية ٢ من سورة الفتح .

(٢) يقصد حديث الرسول ﷺ : « اغفر لي ما قدّمتُ وما أخّرتُ وما أسررتُ وما أعلنتُ » الخ .

السلام أيضاً بمقتضى العبودية نفى الصلاح من نفسه ، واعترف بالخطايا عند الإعتماد ، ودعا مراراً باغفر لنا ذنوبنا ، وتفوّه بهذه الجمل : « ١ ــ إلهي إلهي لماذا تركتني ٢ ــ وتباعد عني خلاصي بكلام جهلي ٣ ــ إلهي بالنهار أدعوك فلم تستجب لي » .

(٣) أو كان هذا الدعاء لأجل التعبّد المحض كما عرفت في الأمر الخامس .

(٤) أو كان لأجل تعليم الأُمّة .

(٥) أو أنّ الذنب المذكور فيها بمعنى الزلّة وترك الأولى كما عرفت في الأمر الثالث .

وعلى كل تقدير لا يَرِدُ شيء . وهذه التوجيهات الخمسة تجري كلها أو بعضها في الأحاديث التي تكون مثل الحديث المذكور .

وإذْ لم يثبت من الآيات والأحاديث المذكورة التي استدل بها المعترض كون محمد ﷺ مذنباً ثبت كذب الصغرى[1] .

وأمّا كذب الكبرى[2]: فلأنّ كليّتها ممنوعة ؛ لأنّها إمّا أن يُثبتها المعترض بعنديّة أهل التثليث أو بالبرهان العقلي أو بالبرهان النقلي :

فإن كان الأول: فعنديّتهم هذه لا تتمّ علينا كما لا تتم أكثر عنديّاتهم على ما عرفت في الفصل الثاني من الباب الخامس .

وإن كان الثاني : فعليهم بيان ذلك البرهان ، وعلينا النظر في مقدّماته ، وأنّى لهم ذلك ؟! ولا استبعاد في أن يغفر الله ذنوب واحد بلا واسطة ، ثم يقبل

---

(١) أي المقدّمة الصغرى من المطعن الرابع ، وهي قول المعترض بأنّ محمداً ﷺ كان مذنباً .

(٢) والمقدّمة الكبرى للمعترض هي : كلّ مَن كان مذنباً لا يصحّ أن يكون شفيعاً للمذنبين الآخرين .

شفاعته في حقّ الآخرين ، على أنّ قُبْح الذنب عقلاً ما لم يغفر ، فإذا غُفر لا يبقى قُبْحه لوجه مّا ، وقد يوجد التصريح[1] في الآية الثالثة التي نقلوها بزعمهم الفاسد لإثبات الذنب أنّ الله قال : ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر** ﴾[2] فإن صارت ذنوب محمد ﷺ ـ متقدّمة كانت أو متأخّرة ـ مغفورة في هذه الدار الدنيا فما بقي شيء مانع في أن يكون شفيعاً للآخرين في الدار الأخرى .

وإن كان **الثالث** : فغلط يقيناً ، ألا ترى أنّ بني إسرائيل لـمّا عبدوا العجل أراد الله أن يهلك الكلّ ، فشفع موسى عليه السلام لهم فقبل الله شفاعته ، وما أهلكهم، كما هو مصرح به في الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج[3]، ثم قال الرب لموسى : اذهب أنت وبنو إسرائيل إلى أرض كنعان وأنا لا أذهب معكم ، فشفع موسى ، فقبل الله شفاعته ، وقال : أنا أذهب معك كما هو مصرّح به في الباب الثالث والثلاثين من سفر الخروج[4]. ثم لما عصوا أراد الله مرة أخرى أن يهلكهم كلهم فشفع موسى وهارون عليهما السلام فقبل الله شفاعتهما ، ثم لـمّا عصوا مرة أخرى أرسل الله عليهم حيات تلدغهم ، فجاؤوا إلى موسى مستشفعين ، فشفع لهم ، فقبل الله شفاعته كما هو مصرح به في الباب السادس عشر والباب الحادي والعشرين من سفر العدد[5]. فلا استحالة عقلاً ولا نقلاً في كون محمد ﷺ شفيع المذنبين .

اللهم ابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، وارزقنا شفاعته يوم القيامة . وليكن هذا آخر الباب .

---

(١) أي التصريح بغفران ذنب محمد ﷺ .
(٢) سورة الفتح آية ٢ .
(٣) انظر سفر الخروج ٣٢/٧ـ ١٤ .
(٤) انظر سفر الخروج ٣٣/١ ـ ٣ و١٢ ـ ٢٣ .
(٥) انظر سفر العدد ١٦/٢٠ ـ ٢٤ و٤١ ـ ٥٠ و٢١/٤ ـ ٩ .

قد ابتدأت في تأليف هذا الكتاب سادس عشر من شهر رجب المنسلك في سنة ألف ومائتين وثمانين[1] من هجرة سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وفرغت منه في آخر ذي الحجة من السنة المذكورة[2]، والحمد لله رب العالمين .

وصار تاريخ ختمه (تأييدُ الحقّ برحمةِ الله ١٢٨٠)[3]. فأعوذ بالله من الحاسد الذي لا ينال من المجالس إلاّ مَذمّة وذُلّاً ، ولا ينال من الملائكة إلاّ لعنة وبُغضا ، ولا ينال من الخلق إلاّ جزعاً وغمّاً ، ولا ينال عند النزع إلاّ شدة وهَوْلا ، ولا ينال عند الموقف إلاّ فضيحة ونكالاً . وأُفوّض أمري إلى اللطيف الخبير ، إنّه نعم المولى ونعم النصير . وأقول متضرّعاً ومترجياً ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلِنا ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾[4].

التواريخ الأخرى لختم الكتاب[5]:

---

(١) ١٦ رجب سنة ١٢٨٠هـ حوالي أواخر كانون الأول لعام ١٨٦٣م .

(٢) أواخر ذي الحجة سنة ١٢٨٠هـ حوالي منتصف حزيران لعام ١٨٦٤م ، فيكون قد مكث المؤلف في تأليف إظهار الحق ١٦٠ يوماً ، وهي أقلّ من ستة أشهر .

(٣) وحساب التاريخ بحرف الـجُمّل كما يلي :

ت		أ		ي		ي		د		أ		ل		ح		ق		
٤٠٠	+	١	+	١٠	+	١٠	+	٤	+	١	+	٣٠	+	٨	+	١٠٠	=	٥٦٤

ب		ر		ح		م		ت		أ		ل		ل		هـ		
٢	+	٢٠٠	+	٨	+	٤٠	+	٤٠٠	+	١	+	٣٠	+	٣٠	+	٥	=	٧١٦

٥٦٤ + ٧١٦ = ١٢٨٠

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٥) رقم (٥) ورقم (٦) من حساب التواريخ أخذتها من حاشية المخطوطة وحاشية المقروءة ، وقد حسبتُ هذه التواريخ الستة بحساب حرف الجُمّل فوجدتها جميعاً مطابقة لرقم ١٢٨٠ .

١ ــ رحمة الله له كتاب حق ١٢٨٠ .
٢ ــ فيض القدير الوهاب ١٢٨٠ .
٣ ــ هو كشمس الضحى ١٢٨٠ .
٤ ــ هو برهان أعظم ١٢٨٠ .
٥ ــ وما هو إلّا ذكرى للعلمين ١٢٨٠[١].
٦ ــ ﴿ **قد أنزل الله إليكم ذكراً** ﴾ ١٢٨٠[٢].

وفي آخر صفحة من المخطوطة وهي صفحة ٢٣٩ وتعادل (٤٧٧) وجدت الحواشي التالية :

مَا عَاشَ مَنْ عَاشَ مَذْموماً خَصَائِلُهُ   وَلَـمْ يَمُتْ مَنْ يَكُنْ بالخيرِ مَذْكُورَا

جلوس السلطان عثمان خان
٦٩٩هـ

حادثة القرامطة في مكة
٣١٦هـ

وفي صفحة ٢٨٤ من الجزء الثاني من النسخة المقروءة يوجد عبارات تدلّ على انتهاء القراءة والتصحيح وهي كما يلي :

« بلغت قراءة على يدَيْ سيّدي وعمدتي وقرة عيني سيّدي الشيخ العالم العلاّمة مولانا[٣] الشيخ رحمت الله في تسعة وعشرين شعبان سنة ١٢٨٦هـ[٤].

---

(١) اقتباس من سورة الأنعام آية ٩٠: ﴿ **إنْ هو إلاّ ذكرى للعالمين** ﴾ .
(٢) سورة الطلاق آية ١٠ .
(٣) هذه الألفاظ فيها مبالغة من القارىء في مدح المؤلف .
(٤) وقد كتب في أول النسخة المقروءة أنّ ابتداء القراءة كان في ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٨٦هـ ، فيكون قد أمضى المؤلف في قراءته وتصحيحه خمسة أشهر وخمسة أيام .

اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان » .

وفي آخر صفحة من الجزء الثاني من النسخة المقروءة وهي صفحة ٢٨٥ وجدت تعداداً لبعض كتب المؤلف وهي كما يلي :

١ ــ إزالة الأوهام .

٢ ــ معدل إعوجاج الميزان .

٣ ــ تقليب المطاعن .

٤ ــ بروق لامعة .

٥ ـ إزالة الشكوك ، في مجلدين كبيرين .

٦ ــ الإعجاز العيسوي في إثبات التحريف .

٧ ــ إظهار الحق .

ثلاثة منها ذهبت[1]: الثاني والثالث والرابع .

تم الجزء الرابع ، وبتمامه تم كتاب
« إظهار الحق » والحمد لله رب العالمين

---

(١) يقصد فُقدت في حياة الشيخ رحمت الله بسبب الفتن التي حصلت في الهند أثناء الإستعمار الإنجليزي ؛ ولأنّ الإنجليز صادروا كتبه ومؤلفاته وحظروا طبعها وبيعها في الهند . (انظر مؤلفاته في كتاب المناظرة الكبرى ص ٣٣ ـ ٣٤ ، وص ١٤٠ ـ ١٤٥) .

فهرست الكتب التي ورد ذكرها في كتاب إظهار الحق

وقد ذكرتُ في هذا الفهرست الكتب التي نقل عنها الشيخ رحمت الله كمراجع أصليّة ، أمّا الكتب التي لم ينقل عنها مباشرة وإنّما أشار إلى كتب نقلت عنها فأذكرها تحت اسم الكتاب الناقل ، فهو الأصلي ، ثم إنّني رتبت هذه المراجع على حسب الحروف الهجائية بذكر اسم الكتاب حسبما ذكر في كتاب إظهار الحق ، وإذا كان لهذا الكتاب اسم آخر فأذكره تحت الاسم الأول المذكور به في متن إظهار الحق . فلينتبه لذلك .

ثم إنّني إذا دققتُ النقول التي ذُكرت في متن إظهار الحق فأذكر الطبعات التي دققتُ عليها نقول المؤلف عند ذكر مراجعه لا عند ذكر مراجعي (المحقق) إلّا إذا انفردت بجهد مستقل عن جهد المؤلف في الاعتماد على هذا المرجع فأذكره بعد ذلك مع مراجعي (المحقق) .

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ كتب العهدين القديم والجديد : وهي كما يلي :

* ترجمة فرقة البروتستانت بلسان الإنكليز والمثبت عليها الخاتم والمطبوعة سنة ١٨١٩م وسنة ١٨٣٠م وسنة ١٨٣٥م وسنة ١٨٣٦م .

* البيبل المطبوع في استاربرك سنة ١٨١٩م .

* ترجمة العهد العتيق والجديد للروم الكاثوليك بلسان الإنكليز المطبوعة في دبلن سنة ١٨٤٠م .

* ترجمة كتب العهد العتيق والجديد كلها باللسان العربي التي طبعها (وليم واطس) سنة ١٨٤٤م ، وجُعل فيها الزبور ٩ و ١٠ زبوراً واحداً وقُسّم الزبور ١٤٧ إلى قسمين فصار عدد المزامير

ما بين ١٠ ـ ١٤٧ أقل بواحد بالنسبة للتراجم الأخرى ، وهذه الترجمة طبعها على النسخة المطبوعة في روما سنة ١٦٧١م لمنفعة الكنائس الشرقية .

* ترجمة الكتب الخمسة لموسى عليه السلام باللسان العربي التي طبعها (وليم واطس) في لندن سنة ١٨٤٨م على النسخة المطبوعة في الرومية العظمى سنة ١٢٦٤م .

* ترجمة العهد الجديد باللسان العربي المطبوعة في بيروت سنة ١٨٦٠م وعبارة العهد الجديد في متن إظهار الحق غالباً منقولة عن هذه الترجمة ؛ لأنّ عبارتها ليست ركيكة كسابقتيها .

ومن خلال إحصاء الإحالات إلى طبعات كتب العهدين القديم والجديد في متن إظهار الحق استطعت تدوين الطبعات التالية للتراجم التالية :

التراجم العربية المطبوعة سنوات ١٦٢٥م و١٦٤٨م و١٦٧١م و١٨١١م و١٨١٦م و١٨٢١م و١٨٢٢م و١٨٢٥م و١٨٣١م و١٨٤٤م و١٨٤٨م و١٨٦٠م و١٨٦٥م ، **فهي** (١٣) ترجمة عربية .

التراجم الفارسية المطبوعة سنوات ١٨١٦م و١٨٢٨م و١٨٣٨م و١٨٣٩م و١٨٤٠م و١٨٤١م و١٨٤٢م و١٨٤٥م ، **فهي** (٨) تراجم فارسية .

التراجم الأوردية والهندية المطبوعة سنوات ١٨١٤م و١٨٢٥م و١٨٣٩م و١٨٤٠م و١٨٤٤م و١٨٤٦م ، **فهي** (٦) تراجم أوردية وهندية .

التراجم الإنكليزية المطبوعة سنوات ١٨١٩م و١٨٣٠م و١٨٣٥م و١٨٣٦م و١٨٤٠م ، **فهي** (٥) تراجم إنجليزية .

ويتبين من هذا الإحصاء أنّ الشيخ رحمت الله اعتمد ورجع إلى (٣٢) ترجمة

للكتب المقدسة عند النصارى ما بين عربية وفارسية وهندية وإنجليزية ، فهي على الترتيب : ١٣ + ٨ + ٦ + ٥ = ٣٢ .

٣ ـ أجوبة الإنجيليّين على أباطيل التقليديّين : للمعلم ميخائيل بن جرجس مشاقة المتوفى سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م ، مطبوع في بيروت سنة ١٨٥٢م وينقل عن كتاب : مجمع اللبناني ، وكتاب مجمع اللبناني مؤلف من جميع أساقفة الطائفة المارونية ، ومطبوع في دير الشوير بلبنان بإذن الرؤساء الكاثوليكيين ، وهو بجميع أجزائه مثبت من كنيسة رومية .

٤ ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م ، وقد دققتُ النصوص على الطبعة المطبوعة بالأوفست ، مكتبة المثنى ببغداد ، ط ٦ بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣٠٥هـ .

٥ ـ إزالة الشكوك : (بالأوردية) للشيخ رحمت الله الكيرانوي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩١م ، ألفه سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م ، وطُبع في شعبان سنة ١٢٨٨هـ .

٦ ـ الاستبشار : للشيخ محمد آل حسن الموهاني المتوفى سنة ١٢٨٧هـ ، وقد ردّ فيه على النسخة الثانية لميزان الحق المطبوع بالفارسية سنة ١٨٤٩م وعلى كتاب حلّ الإشكال لفندر المطبوع سنة ١٨٤٧م ، وقد مكث فندر في الهند عشر سنين بعد طبع الاستبشار ولم يردّ عليه ، ولا زعم أنّه كتب شيئاً في جوابه .

٧ ـ الاستفسار ، للشيخ محمد آل حسن المتوفى سنة ١٢٨٧هـ ، وقد ردّ فيه على النسخة القديمة لميزان الحق المطبوع سنة ١٨٣٣م ،

وطُبع الإستفسار سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م ، وطُبع كذلك سنة ١٢٦١هـ .

٨ ــ الإعجاز العيسوي : (بالأوردية) ، للشيخ رحمت الله الكيرانوي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩١م ، ألّفه في أكرا سنة ١٢٧٠هـ ، وطبع سنة ١٢٧١هـ/١٨٥٤م .

٩ ــ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام : لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ/١٢٧٣م ، وقد دققت النصوص على طبعة مطابع دار التراث العربي ، سنة ١٩٨٠م .

١٠ ــ الأغلاط : ألّفه وارد الكاثوليكي ، مطبوع سنة ١٨٤١م ، نقل فيه عن كتاب لوثر وعن كتاب مستر جوويل وعن كتاب الدكتور همفري .

١١ ــ الكزيدركينن ـ أي الأصول الإيمانية لالكزيدر ـ: وهو كتاب معتبر عند علماء البروتستانت .

١٢ ــ انسكلوبيديابرتنيكا : أي دائرة المعارف أو الموسوعة البريطانية .

١٣ ــ انسيكلوبيدياريس : أي دائرة المعارف التي ألفها (ريس) .

١٤ ــ «البراهين الساباطية فيما يستقيم به دعائم الملّة المحمدية وتنهدم به أساطين الشريعة المنسوخة العيسوية» : لجواد بن إبراهيم ساباط البصري المتوفى سنة ١٢٥٠هـ ، وقد نقل فيه عن كتاب الصلاة العامة المطبوع سنة ١٦٠٣م .

١٥ ـ تاريخ ابن خلدون: ويسمى كتاب: «العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر»، والمجلد الأول منه هو المقدمة، ألّفه العلاّمة: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون المغربي الإشبيلي المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م ، وقد دققتُ النصوص على طبعة دار الكتاب اللبناني ، بيروت سنة ١٩٨١م ، والمقدّمة سنة ١٩٨٢م .

١٦ ـ تاريخ ابن خلّكان : ويسمى وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان البرمكي المتوفى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م ، ويشير إلى كتاب: (إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك ممّا لا يحتمل التأويل) لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م ، وقد دققتُ النصوص على نسخة تاريخ ابن خلّكان بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٤٨م .

١٧ ـ تاريخ الإنجيل : ألّفه ريو .

١٨ ـ التاريخ المكتوب بالإنكليزي والمطبوع بمطبعة جارلس دالمين في لندن سنة ١٨٥٠م .

١٩ ـ تاريخ بل : ألّفه المؤرّخ بل .

٢٠ ـ تاريخ سيدرينس: ألّفه المؤرّخ سيدرينس، ونقل فيه عن كتاب الخليقة (التكوين) الصغير المنسوب لموسى عليه السلام .

٢١ ـ تاريخ فرشته : للمؤرخ الإيراني محمد قاسم هندوشاه الاسترابادي

الملقب: فرشته ، المتوفي سنة ١٠١٨هـ ، ألّف بالفارسية (كلشن إبراهيم) واشتهر بتاريخ فرشته ، كتب فيه تاريخ الهند من الفتح الإسلامي وصل فيه إلى وقائع سنة ١٠١٨هـ ، واعتمد على عدة مصادر هي الآن مفقودة .

٢٢ ــ تاريخ كليسيا : (بالأوردي) ، ألّفه وليم ميور (موير) المستشرق البريطاني الأسكتلندي المتوفى سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م ، وقد طبع كتابه سنة ١٨٤٨م . وكلمة كليسيا معناها : الكنيسة .

٢٣ ــ تاريخ المقريزي (خطط المقريزي) : واسم هذا الكتاب : المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م ، وقد قابلتُ النصوص على طبعة مكتبة دار إحياء العلوم بمطبعة الساحل الجنوبي بالشيّاح في لبنان سنة ١٩٥٩م ، وهي مصوّرة عن طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٢٧٠هـ ، (وكذلك طبعة دار صادر مصوّرة عن طبعة المطبعة الأميرية) . وقابلت النصوص أيضاً على طبعة مكتبة المثنى ببغداد ، وهي طبعة بالأوفست سنة ١٩٧٠م .

٢٤ ــ تاريخ موشيم : للمؤرخ موشيم ، طبع سنة ١٨٣٢م .

٢٥ ــ تاريخ يوسيفوس : للمؤرّخ اليهودي يوسيفوس المتوفى سنة ٩٥م ، وقد كتب (تاريخ اليهود القديم) .

٢٦ ــ تحقيق دين الحق : للقسيس اسمث ، طبع سنة ١٨٤٢م وسنة ١٨٤٦م ، وقد ردّ عليه الشيخ رحمت الله في كتابه تقليب المطاعن ، كما ردّ عليه الشيخ محمد آل حسن ، فغيّر اسمث مواضع كثيرة من كتابه .

٢٧ ـ تحقيق لفظ فارقليط : رسالة صغيرة لبعض القسيسين باللغة الأوردية ، طبعت في كلكتة ، ووصلت منها نسخة للشيخ رحمت الله سنة ١٢٦٨هـ .

٢٨ ـ تخجيل مَن حرّف الإنجيل : وهو لأبي البقاء صالح بن الحسين ، وقد اختصره أبو الفضل السعودي المالكي سنة ٩٤٢هـ وسمّى المختصر : المنتخب الجليل من تخجيل مَن حرّف الإنجيل ، وقد دققتُ النصوص على النسخة المطبوعة بمطبعة التمدّن بعابدين في مصر سنة ١٣٢٢هـ .

٢٩ ـ ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنكليزية : للمستشرق الإنجليزي القسيس جورج سيل (جرجيس سايل) المتوفى سنة ١١٤٩هـ/١٧٣٦م ، وجعل لهذه الترجمة مقدمة ، وقد طبعت هذه الترجمة سنة ١٨٣٧م ، وسنة ١٨٥٠م ، وسنة ١٨٥٤م/١٢٧١هـ ، وفي هذه الترجمة نقل بشارة بمحمد ﷺ من إنجيل برنابا .

٣٠ ـ تفسير آدم كلارك : للمفسر الإنكليزي البروتستانتي آدم كلارك المتوفى سنة ١٧٢٩م ، وهو تفسير على كتب العهدين القديم والجديد وله مقدمة ، وطُبع في لندن سنة ١٨٥١م .

٣١ ـ تفسير منسوب للإمام الحسن العسكري المتوفى سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م ، ويسمى هذا التفسير المنسوب له : كشف الحجب في التفسير .

٣٢ ـ تفسير بارنس : وقد شرح فيه المفسّر بارنس إنجيل يوحنا .

٣٣ ـ تفسير البغوي : واسمه معالم التنزيل ، لأبي محمد: الحسين بن

مسعود البغوي الفرّاء المتوفى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م ، وقد دققت النصوص على طبعة المكتبة التجارية سنة ١٣٣١هـ ، ومطبعة المنار بالقاهرة سنة ١٣٤٧هـ .

٣٤ ــ تفسير البيضاوي : ويسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لأبي الخير أو أبي سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م ، وقد دققت النصوص على طبعة دار الفكر سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٣٥ ــ تفسير الجلالين : (جلال الدين محمد بن أحمد المحلّي المتوفى سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م) ، وقد دققتُ النصوص على النسخة التي نشرتها دار المعرفة ، طباعة مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٣٦ ــ التفسير الحسيني : وهو تفسير بالفارسية .

٣٧ ــ تفسير دوالي ورجردمينت: للمفسّرين دوالي و رجردمينت، وقد طبع تفسيرهما في لندن سنة ١٨٤٨م .

٣٨ ــ تفسير الرازي أو التفسير الكبير : واسمه مفاتيح الغيب في تفسير القرآن ، لأبي عبدالله فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ/١٢١٠م ، وقد دققتُ النصوص على طبعتين متماثلتين هما طبعة المطبعة المصرية لمحمد محمد عبداللطيف ، تصحيح محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط ١ سنة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م ، وطبعة المطبعة البهية المصرية ، التزام عبدالرحمن محمد ، ط ١ سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م ، وكأنّ هذه الأخيرة مصوّرة عن الأولى .

٣٩ ـ تفسير سنل جانسي : وهو تفسير على الأخبار بالحوادث الآتية المندرجة في البيبل ، كتبه سنل جانسي وادّعى أنه لخصه من ٨٥ تفسيراً ، وطبع سنة ١٨٣٨م .

٤٠ ـ تفسير الصراط المستقيم : باللغة الفارسيّة ، وهو تفسير معتبر عند الشيعة ، ويكنى بـ (نجاة الطالبين) ، لعبدالوهاب الصابوني وأمير حسين بن حسن (عالم) الحسيني المتوفى سنة ٧١٨هـ .

٤١ ـ تفسير طامس نيوتن : وقد كتب المفسّر طامس نيوتن هذا التفسير على الأخبار بالحوادث الآتية المندرجة في البيبل (أي كتب العهدين) ، وطبعه في لندن سنة ١٨٠٣م .

٤٢ ـ تفسير فتح العزيز : لسراج الهند عبدالعزيز بن أحمد ولي الله الدهلوي المتوفى سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م .

٤٣ ـ تفسير الكشّاف أو تفسير الزمخشري : واسمه الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٤م ، وقد دققتُ النصوص على طبعة دار الفكر ، بيروت .

٤٤ ـ تفسير لاردنر : ألّفه المفسّر لاردنر في عشرة مجلدات ، وطبعه في لندن سنة ١٨٢٧م ، ونقل فيه عن كتاب أعمال أركلاس .

٤٥ ـ تفسير مجمع البيان : وهو تفسير معتبر عند الشيعة ، ألّفه أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المشهدي الشيعي المتوفى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م .

٤٦ ــ التفسير المظهري : لمحمد ثناء الله الهندي الباني بتي المتوفى سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م .

٤٧ ــ تفسير هارسلي : ألّفه المفسّر هارسلي .

٤٨ ــ تفسير هنري وإسكات : وهما في الأصل تفسيران للمفسّرين هنري وإسكات ، ثم جُمعا ولُـخّصا في تفسير واحد ، وطُبع هذا المجموع الملخص في لندن .

٤٩ ــ تفسير هورن : ألّفه المحقق الكبير المفسّر هورن ، ونقل فيه عن (بريشت ربّا) وهو كتاب تفسير لعلماء اليهود على سفر التكوين ، ونقل أيضاً عن كتاب فاف ، وقد طُبع هذا التفسير الطبعة الثالثة في لندن سنة ١٨٢٢م .

٥٠ ــ تفسير واتسن : ونقل مؤلفه واتسن عن رسالة الإلهام المأخوذة من تفسير الدكتور بنسن .

٥١ ــ التوضيح في شرح التنقيح : لصدر الشريعة الأصغر عبيدالله بن مسعود البخاري المتوفى سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م ، ومعه التلويح في كشف حقائق التنقيح لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م ، وقد دققتُ النصوص على طبعة المطبعة الخيرية، القاهرة، عمر حسين الخشاب، ط ١ سنة ١٣٢٢هـ .

٥٢ ــ الثلاث عشرة رسالة : لإسحاق بردكان البروتستانتي ، طُبع في بيروت سنة ١٨٤٩م ويذكر تواريخ ثاودوريتوس وكتب جيلاسيوس .

٥٣ ــ جُمل الإيجاز في الإعجاز بنار الحجاز : ويسمّى أيضاً : (عروة

التوثيق في النار والحريق) ، لقطب الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن علي القيسي الشاطبي التورزي القسطلاني المتوفى سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م .

٥٤ ــ حلّ الإشكال في جواب الإستفسار : للقسيس فندر ، طبعه سنة ١٨٤٧م ، وادّعى أنه ردّ فيه على كتاب (الإستفسار) لمحمد آل حسن الرضوي الموهاني ، فردّ محمد آل حسن على حل الإشكال بكتابه : الإستبشار .

٥٥ ــ خلاصة سيف المسلمين : (بالأوردو) ، لحيدر علي القرشي ، ردّ فيه على رسالة (وجهة الإيمان) لأحد القساوسة في الهند ، وينقل القرشي عن ترجمة كتاب إشعياء بالأرمنية للقسيس أوسكان الأرمني سنة ١٦٦٦م والمطبوعة في مطبعة أنتوني بورتولي سنة ١٧٣٣م ، وينقل كذلك عن انسيكلوبيديا بيني ، أي دائرة معارف بيني .

٥٦ ــ الخيالات : للراهب فيليبس كوادنولس ، ويسمى كتابه أيضاً : خيالات فيليبس ، وادّعى أنّه ألّفه للردّ على كتاب أحمد الشريف بن زيد العابدين الأصفهاني المسمّى : الأنوار الإلهية في دحض خطأ المسيحية ، وطُبع (الخيالات) في روما باللسان العربي في بسلوقيت سنة ١٦٤٩م وسنة ١٦٦٩م ، وقد حصل الشيخ رحمت الله على نسخة منه إعارة من المكتبة الإنجليزية بدلهي .

٥٧ ــ دافع البهتان : للمنصّر رانكين ، ألّفه بالأوردية ، وطبعه في الهند ، وادّعى أنّه ردّ فيه على كتاب : خلاصة صولة الضيغم ، لعباس علي الجاجموي .

٥٨ ــ دبستان : للفاني محمد محسن الكشميري المتوفى سنة ١٠٨١هـ .

٥٩ ـ دكشنري بيبل : أي معجم كتب العهدين أو قاموس الكتاب المقدس، طُبع في أمريكا وبريطانيا والهند ، وكان قد شرع في تأليفه كالمنت ، ثم كمّله رابت وتيلر .

٦٠ ـ الدليل إلى طاعة الإنجيل : للمعلّم ميخائيل بن جرجس مشاقة البروتستانتي ، المتوفى سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م ، وقد دققتُ النصوص على النسخة المطبوعة في بيروت سنة ١٨٤٩م ، وكتب عليها : الرسالة الموسومة بالدليل إلى طاعة الإنجيل .

٦١ ـ دنسيدهي : كتاب للبابا الكسندر ، طُبع في لندن سنة ١٧٩٧م وسنة ١٨٠٦م .

٦٢ ـ رسالة في الإعتقاد : للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمّي ، المعروف عندهم بالشيخ الصدوق ، المتوفى سنة ٣٨١هـ/٩٩١م .

٦٣ ـ رسالة كليمنس أسقف الروم .

٦٤ ـ رسالة محمد بن الحسن الحرّ العاملي المتوفى سنة ١١٠٤هـ/١٦٩٢م ، كتبها باللغة الفارسيّة في الردّ على بعض معاصريه .

٦٥ ـ رسالة المناظرة الكبرى : كتبها باللغة الفارسية وزير الدين بن شرف الدين ، وسمّاها (البحث الشريف في إثبات النسخ والتحريف) وطُبعت بأمر مرزا فخر الدين بن سراج الدين بهادرشاه سلطان دهلي سنة ١٢٧٠هـ ، وأُلحقت في آخرها المحاكمة التي ألّفها محمود جان .

٦٦ ـ الرسالة الهادية : للحبر عبدالسلام الدفتري المهتدي ، وكان قد

أسلم في زمن السلطان بايزيد خان ، وكتب هذه الرسالة للردّ على اليهود والإستدلال على نبوة محمد ﷺ .

٦٧ ــ روضة الصفاء في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء ، باللغة الفارسية ، ألّفه المؤرخ همام الدين مير خواند محمد بن خاوند شاه المتوفى سنة ٩٠٣هـ .

٦٨ ــ سؤالات السؤال : ألّفه ممفرد الكاثوليكي ، وطبع في لندن سنة ١٨٤٣م ، ونقل فيه من تفسير كريزاستم على إنجيل متّى .

٦٩ ــ سير المتقدمين .

٧٠ ــ شرح الكليني : الشرح للملاّ صادق ، والمقصود بالكليني هنا كتاب الكافي في الحديث لمحمد بن يعقوب الكليني الشيعي المتوفى سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م .

٧١ ــ شرح المشكاة للطيبي : وهو شرح لمشكاة المصابيح في الحديث ، واسم الشرح : الكاشف عن حقائق السنن ، لمؤلّفه الحسن (أو الحسين) بن محمد بن عبدالله الطيبي المتوفى سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م .

٧٢ ــ الشّفا بتعريف حقوق المصطفى : للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي المالكي المتوفى سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م وقد اعتمدت في التوثيق على طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٧٣ ــ صحيح البخاري : ويسمى الجامع الصحيح للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م ، وقد اعتمدت في

الإحالة على نسخة فتح الباري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٩م بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .

٧٤ ــ صولة الضيغم على أعداء ابن مريم : لعباس علي الجاجموي الهندي ، وكان قد ناظر القسّيسَيْن ويت ووليم في كانفور سنة ١٨٣٢م ، وصنّف هذا الكتاب في ردّ أهل التثليث ، وهو كتاب كبير فاختصره وسمّى المختصر : خلاصة صولة الضيغم .

٧٥ ــ طريق الأولياء : باللغة الأوردية ، ألّفه القسيس وليم اسمث البروتستانتي ، وطبعه في مرزابور سنة ١٨٤٨م .

٧٦ ــ طريق الحياة ، لفندر ، طبعه سنة ١٨٤٧م .

٧٧ ــ فتوح الشام : لأبي عبدالله محمد بن عمر الواقدي السهمي الأسلمي المتوفى سنة ٢٠٧هـ/٨٢٣م ، وقد دققت النصوص على طبعة دار الجيل ، بيروت .

٧٨ ــ الفصول المهمّة في أصول الأئمة : لمحمد بن الحسن الحرّ العاملي الشيعي المتوفى سنة ١١٠٤هـ/١٦٩٢م .

٧٩ ــ كاثلك هرلد : (أي السفير الكاثوليكي) أو البشارة الكاثوليكية ، وينقل عن المجلدات السبعة للوثر التي تمّت طباعتها سنة ١٥٥٨م ، وينقل عن تاريخ كليسيا ليوسي بيس وهو مطبوع سنة ١٨٤٧م ، كما ينقل أيضاً عن كتاب الدكتور بريت . وقد تمّت طباعة المجلّد السابع من كاثلك هرلد سنة ١٨٤٤م .

٨٠ ـ كتاب اكسيهومو : (مؤلّفه من ملاحدة أوروبا) وطبع الكتاب سنة ١٨١٣م في لندن ، وينقل فيه عن كتاب الأخلاق لكونفوشيوس (في القرن ٦ ق.م) .

٨١ ـ كتاب اكهارن : وهو من العلماء الجرمن المشهورين ، وقد نقل اكهارن في كتابه عن كتاب العالم الوثني سلسوس الذي كتبه لإبطال الدين المسيحي .

٨٢ ـ كتاب باسوبر وليافان : وهما عالمان مشهوران .

٨٣ ـ كتاب بيلي : ألّفه المحقق بيلي وهو من العلماء المعتبرين من البروتستانت ، صنّف كتاباً في الإسناد طبع في لندن سنة ١٨٥٠م .

٨٤ ـ كتاب جارلس روجر : ألّفه جارلس روجر ، وقد قابل فيه التراجم الإنجليزية .

٨٥ ـ كتاب جان كلارك : ألّفه جان كلارك (وهو من ملاحدة أوروبا) وطُبع كتابه في ليدس ولندن سنة ١٨٣٩م .

٨٦ ـ كتاب جان ملنر الكاثوليكي : وقد طُبع سنة ١٨٣٨م ، كما طُبع في بلدة دربي بإنجلترا سنة ١٨٤٣م ، وقد نقل جان ملنر في كتابه عن كتاب ترتولين الذي ألّفه لردّ أهل البدعة والمطبوع في بلدة رهنان .

٨٧ ـ كتاب الصلاة العامّة : وهو كتاب مستعمل في الكنيسة الإنكليزية والإيرلندية ، وقد طُبع بالأوردية سنة ١٨١٨م بمطبعة رجرد واطس ، وطُبع في فالته سنة ١٨٤٠م ، وطبع بالعربية في لندن

سنة ١٨٥٠م ، ونقل جواد بن ساباط عن طبعة سنة ١٦٠٣م .

٨٨ ـ كتاب فري : صنّفه (فري) في بيان اللغات العبرانية ، وهو كتاب معتبر مشهور بين علماء البروتستانت .

٨٩ ـ كتاب نورتن : وقد ألّفه المحقق نورتن في الإسناد ، وطبع في بلدة بوستن سنة ١٨٣٧م .

٩٠ ـ كشف الآثار في قصص أنبياء بني إسرائيل : والقسيس مرّيك هو الذي سمّاه بهذا الإسم وترجمه إلى الفارسيّة ، وطُبعت ترجمته الفارسية في ادنبرغ (أدنبره) سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م . وأصل الكتاب للدكتور القسيس كيث وكان قد ألّفه باللغة الإنجليزية لردّ المنكرين وبيان صدق الإخبارات عن الحوادث المستقبلية المندرجة في كتب العهدين .

٩١ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبدالله القسطنطنّي الرومي الحنفي المعروف بكاتب جلبي، واشتهر بحاجي خليفة، المتوفى سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م، وقد دققتُ النصوص على طبعة دار الفكر ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٩٢ ـ كشف الغُمّة في معرفة الأئمة : لعلي بن عيسى الأردبيلي (الإربلي) الاثني عشري المتوفى سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م .

٩٣ ـ الكليّات : ألّفه لاردنر .

٩٤ ـ لبّ التواريخ : باللغة الفارسية ، لأمير يحيى بن عبداللطيف القزويني الشيعي المتوفى سنة ٩٦٠هـ ، وكان قد فرغ من تأليفه سنة ٩٤٨هـ .

٩٥ ــ مبادىء الوصول إلى علم الأصول : لأبي منصور جمال الدين الحسن (أو الحسين) بن يوسف بن المطهّر الحلّي الشيعي (ويعرف بالعلاّمة) ، وكانت وفاته سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م .

٩٦ ــ مرآة الصدق : ألّفه طامس انكلس من علماء الكاثوليك ، وترجمه من الإنجليزية إلى اللغة الأوردية وطبعه سنة ١٨٥١م ، ويشير فيه إلى كتاب الصلاة العامة ، كما يشير إلى كتاب المعذرة التامّة لاستافيليس .

٩٧ ــ مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين : طُبع في مطبعة مجمع كنيسة الإنكليز الأسقفيّة في فالته سنة ١٨٤٠م ، وطُبع في بيروت سنة ١٨٥٢م ، وتوجد نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣ لاهوت وتقع في ٣ أجزاء مطبوعة في بيروت سنة ١٨٦٩م ، وأشار الشيخ رحمت الله إلى أنّ تصحيح النقول يكون على طبعة بيروت سنة ١٨٥٢م لما بينْ النُّسَخ من مخالفة .

٩٨ ــ المسير الطالبي : باللغة الفارسية ، لأبي طالب خان السيّاح .

٩٩ ــ مصائب النواصب : للقاضي نورالله الشوستري ، المتوفى سنة ١٠١٩هـ/١٦١٠م .

١٠٠ ــ المطالب العالية : لأبي عبدالله محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ/١٢١٠م .

١٠١ ــ معدّل اعوجاج الميزان : باللغة الأوردية ، ألّفه الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني للردّ على نسخة ميزان الحق الثانية لفندر ، ولكنّ معدّل اعوجاج الميزان لم يُطبع بسبب حوادث الهند .

١٠٢ ـ مفتاح الأسرار : باللغة الفارسية ، للدكتور القسيس فندر ، ألّفه سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٧م ، وطبعه سنة ١٨٤٣م ، وقد ردّ عليه هادي علي بكتابه كشف الأستار ، وطُبع مفتاح الأسرار الجديد بالفارسية سنة ١٨٥٠م ، ومنه نسخة بالأوردو .

١٠٣ ـ المواقف في علم الكلام : لعضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي المتوفى سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م ، وقد دققتُ النصوص على طبعة عالم الكتب ، بيروت ، توزيع مكتبة المتنبي بالقاهرة ومكتبة سعد الدين بدمشق .

١٠٤ ـ ميزان الحق : للقسيس الدكتور فندر ، طبعه باللغة الإنجليزية سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م وطبعه في مرزابور سنة ١٨٤٣م ، ولـمّا ردّ عليه محمد آل حسن بكتابه الإستفسار نقحه وطبعه بالفارسية في أكبرآباد سنة ١٨٤٩م ، وبالأوردية سنة ١٨٥٠م ، فردّ عليه الشيخ رحمت الله بكتابه معدل اعوجاج الميزان ، فأصلح فندر ميزان الحق مرة أخرى وطبعه بالتركية .

١٠٥ ـ نهج البلاغة : منسوب للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد دققتُ النصوص على النسخة التي ضبطها الدكتور صبحي الصالح ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، ط ٣ سنة ١٩٨٣م .

١٠٦ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى : لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيّم (ابن قيّم الجوزيّة) المتوفى سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م ، وقد دققتُ النصوص على النسخة التي راجعها سيف الدين الكاتب ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،

لبنان ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، وعلى طبعة المكتبة القيّمة بالقاهرة سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

١٠٧ ــ وجهة الإيمان : رسالة صغيرة لبعض القسيسين ، وزعت في أنحاء الهند كثيراً ، وادّعى مؤلفها أنّه ردّ فيها على مكتوب الفاضل نعمت علي الهندي ، فظهرت ثلاثة كتب للردّ عليها وهي : التحفة المسيحية لسيّد الدين الهاشمي ، وتأييد المسلمين لشيعي من لكهنو ، وخلاصة سيف المسلمين للفاضل حيدر علي القرشي .

١٠٨ ــ ومن كتب المنصّرين في الهند التي ذكرت في متن إظهار الحق ولم يذكر اسم المؤلف :

* دلائل إثبات رسالة المسيح .
* دلائل النبوّة .
* ردّ اللغو .

« مراجــع التحقيــق »

وهي غير التي مرّ ذكرها في مراجع مقدّمة المحقق،
وغير المراجع التي مرّ ذكرها في متن الكتاب،
وقد رتبتها على الحروف الهجائية .

الرقم	اسم الكتاب	اسم الكاتب
١	إحكام الأحكام في أصول الأحكام	لأبي الحسن سيف الدين علي بن محمد الآمدي المتوفى سنة ٦٣١هـ ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م .
٢	الإحكام في أصول الأحكام	لأبي محمد علي بن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ ، مطبعة العاصمة ، القاهرة .
٣	أديان الهند الكبرى	أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٤ ، القاهرة ، ١٩٧٦م .
٤	إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، المعروف بتفسير أبي السعود	للقاضي أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي ، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا ، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
٥	إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول	لمحمد بن علي الشوكاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط ١ .
٦	الإستيعاب في معرفة الأصحاب	للحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي المالكي المتوفى سنة ٤٦٣هـ . (على هامش كتاب الإصابة الآتي ذكره) .
٧	الإصابة في تمييز الصحابة	لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٩م ، ط ١ ، دار صادر ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٨هـ .
٨	أصول الفقه	لمحمد الخضري ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط ٤ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ .

الرقم	اسم الكتاب	اسم الكاتب
٩	الإعتقاد على مذهب السّلف أهل السنة والجماعة	للإمام الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ ، ط ١ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
١٠	إعجاز القرآن	لأبي بكر محمد بن الطيب البغدادي الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م ، طبعة القاهرة ، سنة ١٣٤٩هـ .
١١	إعجاز القرآن والبلاغة النبوية	لمصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
١٢	الأعلام	خير الدين الزركلي المتوفى سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، دار العلم للملايين، ط ٤ ، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
١٣	باكستان	شريف الدين بيرزادة ، ترجمة عادل صلاحي، ط ١، جدة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .
١٤	البداية والنهاية في التاريخ	للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٣م ، تحقيق وتعليق محمد عبدالعزيز النجار ، مكتبة الفلاح/الرياض ، مطبعة الفجالة الجديدة/ القاهرة .
١٥	بلاد الهند في العصر الإسلامي	دكتور عصام الدين عبدالرؤوف الفي ، نشر عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
١٦	تاريخ الإسلام في الهند	لعبد المنعم النمر ، دار العهد الجديدة، ط ١ ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .
١٧	تاريخ كنيسة المسيح على وجه الاختصار	طُبع سنة ١٨٣٩م .
١٨	تذكرة الحفاظ	لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٢ ، بيروت ، ١٣٨٥هـ .
١٩	تهذيب التهذيب	لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن

الرقم	اسم الكتاب	اسم الكاتب
		حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ط ١ ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٢٥هـ .
٢٠	الجامع لأحكام القرآن ، ويعرف بتفسير القرطبي	للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكاتب العربي ، ط ٣ ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
٢١	الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح	لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ ، مطابع المجد التجارية .
٢٢	حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح	للإمام ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٣	دائرة معارف القرن العشرين	لمحمد فريدي وجدي ، دار المعرفة ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧١م .
٢٤	دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة	للدكتور موريس بوكاي ، دار المعارف ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٧٨م .
٢٥	دلائل النبوة	لأبي نعيم الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ ، تحقيق محمد روّاس قلعه جي ، ط ١ ، نشر وتوزيع المكتبة العربية بحلب ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
٢٦	دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة	لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ ، تخريج وتعليق د. عبدالمعطي قلعجي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
٢٧	ديوان البحتري	تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
٢٨	زاد المسير في علم التفسير	للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن ابن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، المكتب الإسلامي ، ط ٣ ، بيروت ودمشق ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

الرقم	اسم الكتاب	اسم الكاتب
٢٩	سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية	عبدالله العلمي الغزي الدمشقي المتوفى سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ، ط ١ ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
٣٠	سنن ابن ماجه	للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة ٢٧٣هـ ، شركة الطباعة العربية ، ط ٢ ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
٣١	سنن أبي داود	للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، المتوفى سنة ٢٧٥هـ ، مراجعة محمد محيى الدين عبدالحميد ، دار الفكر ، مكتبة الرياض الحديثة .
٣٢	سنن الدارمي	للإمام أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ، تخريج السيد عبدالله هاشم يماني المدني ، باكستان ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
٣٣	سنن النسائي	بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٣٤	سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان	نوفل بن نعمة الله بن جرجس الطرابلسي المتوفى سنة ١٣٠٥هـ ، بيروت ، ١٨٧٦م .
٣٥	سير أعلام النبلاء	للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٢م .
٣٦	السيرة النبوية لابن هشام	تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي ، ط ٢ ، مؤسسة علوم القرآن .
٣٧	شرح المعلقات السبع	للإمام الأديب القاضي أبي عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني المتوفى سنة ٤٦٨هـ ، مكتبة القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
٣٨	الشفا بتعريف حقوق المصطفى	للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى

الرقم	اسم الكتاب	اسم الكاتب
		اليحصبي المالكي المتوفى سنة ٥٤٤هـ ، ١١٤٩م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
٣٩	صحيح الإمام مسلم	أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري سنة ٢٦١هـ ، بشرح محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض .
٤٠	الطبقات الكبرى	لابن سعد ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
٤١	علم أصول الفقه	لعبد الوهاب خلاف ، الدار الكويتية للطباعة والنشر ، ط ٨ ، الكويت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
٤٢	فتح الباري بشرح صحيح البخاري	المتن للإمام البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م ، والشرح للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٩م ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض .
٤٣	الفصل في الملل والأهواء والنحل	لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦هـ ، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر ود. عبدالرحمن عميرة ، شركة مكتبات عكاظ ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
٤٤	القاموس الإسلامي	أحمد عطية الله ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
٤٥	قاموس الكتاب المقدس	لنخبة من الأساتذة واللاهوتيين ، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، ط ٢ ،

الرقم	اسم الكتاب	اسم الكاتب
		بيروت ، ١٩٧١م .
٤٦	القاموس المحيط	لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الجيل، بيروت، طبع شريكة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .
٤٧	قصص الأنبياء	عبدالوهاب النجار ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٣ ، بيروت .
٤٨	الكامل في التاريخ	لابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠هـ ، دار الكتاب العربي ، ط ٤ ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
٤٩	كتاب التسهيل لعلوم التنزيل	محمد بن أحمد بن جزّي الكلبي ، دار الكتاب العربي ، ط ٤ ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
٥٠	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون	لمصطفى بن عبدالله القسطنطني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب جلبي والمعروف بحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م . ومعه كتابان هما : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، وهديّة العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) وهما لاسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابانى أصلاً والبغدادي مولدا ، المتوفى سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م ، وقد أشرت لهذه الكتب الثلاثة بمجلداتها الستة جميعها باسم كشف الظنون ، وذلك على حسب أرقامها من (١ ـ ٦) حسب طبعة دار الفكر ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
٥١	اللباب في تهذيب الأنساب	لعز الدين علي بن محمد المعروف بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ ، دار صادر ، بيروت .

الرقم	اسم الكتاب	اسم الكاتب
٥٢	لسان العرب	لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، دار صادر ، بيروت .
٥٣	المستصفى من علم الأصول	لأبي حامد الغزالي ، المكتبة التجارية الكبرى، ط ١ ، القاهرة، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م .
٥٤	مسند الإمام أحمد بن حنبل	دار الفكر العربي ، المطبعة الميمنية ، بإدارة أحمد البابي الحلبي ، ١٣١٣هـ .
٥٥	المعتمد في أصول الفقه	لأبي الحسين البصري ، تحقيق محمد حميد الله ، دمشق ، ١٣٨٤هـ .
٥٦	معجم البلدان	للإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي الرومي البغدادي المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٥٧	معجم قبائل العرب القديمة والحديثة	عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ط ٥ ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
٥٨	معجم المؤلفين	عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٦م ، ١٩٥٧م .
٥٩	المعجم الوسيط	لنخبة من العلماء ، دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، مطابع دار المعارف بمصر ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
٦٠	مقدمة ابن خلدون ، وهي مقدمة التاريخ المسمى : «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» .	للعلامة أبي زيد عبدالرحمن بن خلدون المغربي الاشبيلي المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢م .
٦١	الملل والنحل	لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت .

الرقم	اسم الكتاب	اسم الكاتب
٦٢	الموسوعة العربية الميسرة	لجنة من العلماء والباحثين ، بإشراف محمد شفيق غربال ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
٦٣	الموسوعة الفلسفية المختصرة	ترجمها عن الإنجليزية فؤاد كامل وجلال العشري وعبدالرشيد الصادق ، دار القلم/ بيروت .
٦٤	ميزان الحق	للدكتور القسيس فندر ، الطبعة العربية الثالثة ، بإشراف مركز الشبيبة في سويسرا ، ١٩٨٣م .
٦٥	يوحنا فم الذهب خطيب المدينتين	منسى يوحنا وعبد الفادي القاهراني ، دار منشورات النفير ، ط ٦ ، بيروت ، ١٩٨٠م .

فهرست الجـزء الأول

فهرست الجزء الثاني

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

فهرست الجزء الثالث من كتاب إظهار الحق

الموضوع	صفحة

فهرست الجـزء الرابع

الموضوع	الصفحة